

# وَقَاءُ الْوَقَا

بأخبار دار المصطفى

تأليف

نور الدين علي بن أحمد السهمودي

المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة

حَقَّقَهُ ، وَفَصَّلَهُ ، وَعَلَّقَ حَوَاشِيَهُ

محمد بن إبراهيم بن محمد

عفا الله تعالى عنه

الجزء الأول

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يكافى مُوفور نعمته ، والشكر له سبحانه على سوابغ فضله وعظيم  
مِنِّته ، وصلاة الله وسلامه على سيد ولدِ آدم ومُصطفىّاه من بَرِيَّتِهِ ، محمد بن عبد الله  
ابن عبد المطلب ، وعلى آله وصحبه وعترته .

أما بعد ، فهذا ثانياً ثلاثة كتب صنفها الشيخ العلامة نور الدين علي بن أحمد  
السمهودي ، المصري ، نزيل المدينة المنورة : المتوفى في عام ٩١١ من الهجرة - ،  
وموضوع الكتب الثلاثة واحد :

أولها : كتاب مُفَصَّل ذكر فيه ما أمكنه الوقوف عليه من تواريخ المدينة  
المسورة ، وما عاينه من أمور لم يظفر بها أحد من مؤرخيها ، وسلك فيه « طريقة  
الاستيعاب » ، وجمع ما اُفترق من معاني تلك الأبواب ، وتلخيص مقاصد جميع  
تواريخ المدينة التي وقف عليها ، وإضافة ما اقتضى الحال أن يضاف إليها « وهو  
يسمى هذا الكتاب في مطلع الكتاب الثاني « اقتفاء الوفا » ، بأخبار دار المصطفى »  
وكذلك يسميه صاحب شذرات الذهب ، ولكن حاجي خليفة يسميه « الوفا » ،  
بما يجب لحضرة المصطفى » والمؤلف نفسه يسميه في ثانياً كتابه الثاني وفي مطلع  
الثالث « الوفا » . ولم يظفر بهذا الكتاب بالإتمام فضلاً عن الظهور والتداول ،  
فقد كان المؤلف تركه في المسجد النبوي وسافر إلى مكة المكرمة فاحترق  
الكتاب فيما احترق بحريق أما كن من المسجد الشريف .

وثانيها : كتاب وَسِيطٌ صنفه استجابة لمن « طاعته غُثم » ، ومخالفته غُرم »  
وقصد به أن يختصر كتابه الأول « مع توسط غير مُفرط » و « مع ما رأى في  
ذلك من الإتحاف بأمور لا توجد في غيره من المختصرات بل ولا المبسوطات ،  
سياً فيما يتعلق بأخبار الهجرة الشريفة ، ومعالمها المنيفة ، فقد استفاد ذلك عياناً ،

وعلم أخبارها إيقاناً ، بسبب ما حدث في زمانه من العماره ؛ لاشتمالها على تجديد ما كاد أن يَهْيَ في الحجرة الشريفة من الأركان ، وإحكام ما أحاط بها من البنيان ، وتشرفه بالخدمة في إعادة بنيانها ، وحُظْوَتِهِ بالوقوف على عرصَتِها ، وتمتُّعُه بالتشاقق تربتها .

وهذا الكتاب هو الذى تقدمه بين يدي القارئ ، واسمه « وفاء الوفا » ، بأخبار دار المصطفى « بعد تحقيق أصله ، وتفصيله ، وضبط غرائبه ، والتعليق عليه تعليقا وجيزا يبين ما لا بد للقارئ المتوسط من معرفته من شرح كلمة غريبة أو بيان موضع أصبح اسمه في ذمة التاريخ ، أو إشارة إلى خطأ وقع في الأصول التى اعتمدناها في إخراج هذا الكتاب ، أو نحو ذلك مما يعرض لنا .

وثالثها : كتاب مختصر « فى نحو نصف وفاء الوفا ، مع جمع مقاصده وتحسين وصفه » واسم هذا الكتاب « خلاصة الوفا ، بأخبار دار المصطفى » .

وقد طبع الكتابان الثانى - وهو هذا - والثالث ، مراراً ، طبعاً غير مُفَصَّل ولا مضبوط ، وذلك شأن الوراقين فى كل ما كانوا ينشرونه من كتب العلم والأدب والتاريخ ، ولما أراد الشيخ محمد المنكائى نزيل المدينة المنورة والكتبى بها أن يعيد طبع كتاب « الوفا » رغبَ إلى " فى تحقيقه وتفصيله ، وصادف ذلك منى رغبة خالصة لوجه الله تعالى ، رجاء أن يتقبل سبحانه هذا العمل الذى أحببت أن أتقرب به إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، فقامت بضبط غرائبه ، وتفصيل عباراته بوضع علامات الترقيم الحديثة ، ووضع عناوين موجزة على هامش النسخة ، والله سبحانه المرجو أن يجعل هذا العمل فى سجل الحسنات ، وأن ينفع به النفع المرغوب فيه ، إنه ولى ذلك كله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه أبو رجاء ، المعترف بالله تعالى

عبدالحق الدين عبدالحق

سلخ جمادى الأولى سنة ١٣٧٤  
الموافق ٢٣ من يناير ١٩٥٥

عن مصر الجديدة فى

## ترجمة مؤلف الكتاب

الشيخ العلامة على بن أحمد السهودي ، رحمه الله !

(١) هو الإمام ، القدوة ، الحجة ، المكنى ، نور الدين ، أبو الحسن على بن القاضى عفيف الدين عبد الله ، بن أحمد بن على بن عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد ابن عيسى بن جلال الدين أبي العلياء بن أبي الفضل جعفر بن على بن أبي الطاهر ابن الحسن بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن حسن بن محمد بن إسحاق ابن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن الأكبر بن على بن أبي طالب ، الحسني ، ويعرف بالسهودي . نزيل المدينة المنورة ، وعالمها ، ومفتيها ، ومدرستها ، ومؤرخها ، الشافعي .

(٢) وُلد في صفر الخير من سنة ٨٤٤ أربع وأربعين وثمانمائة ، في سمرقند ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن الكريم ، والمنهاج الفرعي ، وكتبها ، ولازم والده حتى قرأ عليه المنهاج بحثاً مع شرحه لجلال الدين الحلبي ، وشرح البهجة ، وجمع الجوامع ، وسمع عليه بعض كتب الحديث ، وقدم القاهرة معه غير مرة ، ولازم الشمس الجوجري في الفقه وأصوله والعربية ، وقرأ على الجلال الحلبي بعض شرحه على المنهاج وجمع الجوامع ، ولازم الشريف المناوي وقرأ عليه الكثير ، وألبسه خرقة التصوف ، وقرأ على النجم بن قاضي عجلاون تصحيحه للمنهاج ، وعلى الشيخ زكريا في الفقه والفرائض ، وعلى السعد الديري وأذن له في التدريس هو والياهي والجوجري ، وقرأ على مَنْ لَا يُحْصَى مالا يُحْصَى ، وكان على خير كثير .

(٣) قطن بالمدينة المنورة من سنة ثلاث وسبعين ، ولازم فيها الشهاب الأبيشي ، وقرأ عليه تصانيفه وغيرها ، وأذن له في التدريس ، وأكثر من السماع هناك على أبي الفرج المراغي ، وسمع بمكة من كمالية بنت النجم المرجاني وشقيقها السكال ، والنجم عمر بن فهد ، في آخرين .



- (٤) انتفع به جماعة الطلبة في الحرمين الشريفين ، وألف عدة تأليف ، منها « جواهر العقدين ، في فضل الشرفين » ومنها كتاب « اقتفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » الذي ذكرناه في التصدير ، وبيننا أنه احترق قبل تمامه ، ومنها « الوفا ، بأخبار دار المصطفى » وهو الكتاب الذي نعاني إخراج اليوم ، ومنها « خلاصة الوفا ، بأخبار دار المصطفى » ومنها حاشية على الإيضاح في مناسك الحج للإمام النووي سماها « الإفصاح » ومنها حاشية على الروضة في فقه الشافعي سماها « أمنية المعتنين ، بروضة الطالبين » وصل فيها إلى باب الربا ، وجمع فتاويه في مجلد ، وحصل كتبنا نفيسة احترقت كلها وهو بمكة في سنة ست وثمانين .
- (٥) زار بيت المقدس ثم عاد إلى المدينة المنورة مستوطنا ، وتزوج بها عدة زوجات ، ثم اقتصر على السّرّارى ، ومَلَكَ الدور ، وعمرَها .
- (٦) قال الحافظ السخاوى : قلّ أن يكون أحد من أهل المدينة لم يقرأ عليه
- (٧) وفي الجملة هو إمام مفنن ، متميز في الأصول والفقه ، مديم دراسة العلم والتأليف ، متوجه للعبادة والمباحثة والمناظرة ، قوىّ الجَلادة ، قوىّ اليقين .
- (٨) توفي بالمدينة المنورة يوم الخميس ثامن عشر ذى القعدة من عام أحد عشر وتسعمائة من الهجرة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسبغ عليه ذبول فضله وكرمه ، آمين .

## فهرس الجزء الأول

من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى »

لنور الدين على بن أحمد السمهودي المتوفى في عام ٩١١ هـ

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١	خطبة المؤلف	٩٢	الفصل التاسع في بيان جبلها غير وثور
٢	ثبت الكتاب	٩٦	الفصل العاشر ، في ذكر أحاديث
٨	الباب الأول في ذكر أسماء هذه		تقتضى زيادة حرم المدينة على
	البلدة الشريفة		التحديد المشهور .
٢٨	الباب الثاني في فضائلها ، وبدء	٩٨	الفصل الحادي عشر ، في بيان ما في
	شأنها ، وما يتول إليه أمرها ،		الأحاديث المذكورة من الألفاظ
	وفيه ستة عشر فصلا		المتعلقة بالتحديد ، وذكر من ذهب
٢٨	الفصل الأول ، في تفضيلها على		إلى مقتضاها من العلماء
	غيرها من البلاد	١٠٣	الفصل الثاني عشر ، في حكمة
٣٩	الفصل الثاني ، في الحث على الإقامة		تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم
	بها ، والصبر على لأوائها وشدتها ،	١٠٥	الفصل الثالث عشر ، في أحكام هذا
	وكونها تنفي الحبث والدنوب ،		الحرم ، وفيه مسائل :
	ووعيد من أرادها وأهلها بسوء	—	المسألة الأولى ، القول في تحريم
	أو أحدث بها حدثاً		الصيد وقطع الشجر
٤٧	الفصل الثالث ، في الحث على حفظ	١١٠	المسألة الثانية ، في بيان ما يستثنى مما يحرم
	أهلها وإكرامهم والتحريض على	١١٢	المسألة الثالثة ، في أخذ شيء من
	الموت بها ، واتخاذ الأصل		ذلك للدواء
٥٢	الفصل الرابع ، في بعض دعاء	١١٣	المسألة الرابعة ، دية القتل الخطأ
	الرسول (ص) لها ولأهلها ، وما كان		في المدينة مغلظة
	بها من الوباء ، ونقله عنها	١١٣	المسألة الخامسة ، حكم لقطعة
٦١	الفصل الخامس ، في عصمتها من		حرم المدينة
	الدجال والطاعون	١١٣	المسألة السادسة في حكم المقاتلة في
٦٧	الفصل السادس ، في الاستشفاء		حرم المدينة
	بترابها ، وبتمرها	١١٤	المسألة السابعة ، حكم الاستنجاء
٧٣	الفصل السابع ، في سرد خصائصها		بمحجارة الحرم
	التي لا تنحصر	—	المسألة الثامنة ، حكم نقل تراب
٨٩	الفصل الثامن ، في الأحاديث		الحرم المدني
	الواردة في تحريمها		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١١٨	الفصل الرابع عشر ، في ذكر بدء شأنها وما يثول إليه أمرها	٢٢٨	الفصل الثامن ، في حديث العقبة الكبرى
١٢٢	الفصل الخامس عشر ، في ذكر وقوع ما أخبر به النبي (ص) من خروج أهلها وتركها ، وذكر واقعة الحرة المقتضية لذلك	٢٣٥	الفصل التاسع ، في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها
١٣٩	الفصل السادس عشر ، في ظهور نار الحجاز التي أئذربها النبي (ص) فظهرت بأرض المدينة وأطفأها الله عند وصولها إلى حرمها	٢٤٤	الفصل العاشر ، في دخول النبي (ص) إلى المدينة ، وتأسيسه مسجد قباء
١٥٦	الباب الثالث ، في أخبار سكانها في سالف الزمان ، ومقدم النبي (ص) إليها ، وما كان من أمره بها في سفي الهجرة ، وفيه اثنا عشر فصلا	٢٥٤	الفصل الحادي عشر ، في قدوم النبي (ص) باطن المدينة ، وسكنائه بدار أبي أيوب الأنصاري
—	الفصل الأول ، في سكانها بعد الطوفان ، وما ذكر في سبب نزول اليهود بها ، وبيان منازلهم	٢٧٠	الفصل الثاني عشر ، فيما كان من أمره (ص) بها في سفي الهجرة إلى انتقاله للرفيق الأعلى ، مختصراً ، مرتباً على السنين
١٦٦	الفصل الثاني ، في سبب سكني الأنصار بها	—	السنة الأولى : بناء المسجد النبوي موت أسعد بن زرارة - وموت البراء بن معرور - الزيادة في صلاة الخضر - وعك المهاجرين ودعاؤه (ص) بنقل وبائها - مولد عبدالله بن الزبير - أول راية عقدت في الإسلام - زواجه (ص) بعائشة ، وعقده على سودة بنت زمعة - إسلام عبدالله بن سلام
١٧٣	الفصل الثالث ، في نسب الأنصار	٢٧٤	السنة الثانية من الهجرة : صوم عاشوراء - زواج علي بفاطمة - غزوة الأبواء (ودان) التوجه إلى الكعبة - غزو بني قينقاع - غزوة السويق
١٧٧	الفصل الرابع ، في تمسكهم بالمدينة وظهورهم على اليهود ، وما اتفق لهم مع تبع	٢٧٩	السنة الثالثة من الهجرة : مقتل كعب بن الأشرف ، غزوة الكدر ، غزوة أنصار ، غزوة ذي أمر ، سرية القردة ، غزوة أحد ، مقتل
١٩٠	الفصل الخامس ، في منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود ، وشيء من آطامهم		
٢١٥	الفصل السادس ، فيما كان بينهم من حرب بعث		
٢٢٠	الفصل السابع ، في مبدأ إكرام الله تعالى لهم بالنبي (ص) وحديث العقبة الصغرى		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	ومنازل المهاجرين ، واتخاذ السور ، وفيه سبعة وثلاثون فصلاً :		أبي بن خلف ، أبو عزة الجمحي ومقتله ، تحريم الخمر
٣٢٢	الفصل الأول ، في أخذه ( ص ) لموضع مسجده ، وكيفية بنائه	٢٩٦	السنة الرابعة من الهجرة : بئر معونة ، غزوة الرجيع ، غزو بني النضير ، زواج أم سلمة ، غزوة ذات الرقاع
٣٣٩	زيادة النبي (ص) بعد أن فتح الله عليه خير في مسجده	٣٠٠	السنة الخامسة من الهجرة : غزوة الحنديق ، إسلام نعيم بن مسعود ، غزوة بني قريظة
٣٤٠	الفصل الثاني : في ذرع المسجد النبي وحدوده التي يتميز بها عن سائر المسجد اليوم	٣١٠	السنة السادسة من الهجرة : غزوة ذي قرد ، قصة العرينين ، غزوة بني المصطلق ( المريسيع ) فرض الحج
٣٥٩	الفصل الثالث ، في المقام الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم به في الصلاة : قبل تحويل القبلة ، وبعد ما جاء في تحويلها	٣١٥	السنة السابعة من الهجرة : زواج صفية بنت حي
٣٦٢	تاريخ تحويل القبلة	٣١٦	السنة الثامنة من الهجرة : غزوة مؤتة
—	مدة الصلاة إلى بيت المقدس	—	السنة التاسعة من الهجرة : هجر النبي (ص) نساءه ، تتابع الوفود ، حج أبي بكر بالمسلمين ، نزول براءة ، غزوة تبوك
٣٦٤	أول صلاة صليت إلى الكعبة	٣١٧	السنة العاشرة من الهجرة : قدوم وفد طيء ، مرضه ( ص ) في بيت ميمونة أو زينب بنت جحش
—	إلى أي جهة كانت الصلاة بمكة قبل الهجرة ؟	٣٢٢	الباب الثالث : فيما يتعلق بأمر مسجدها الأعظم ، والحجرات المنيفات ، وما كان مطيفاً به من الدور والبلاط ، وسوق المدينة ،
٣٦٥	كيف حررت قبلة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم		
٣٧٠	محراب المسجد النبوي ، ومتى صنع ؟		
٣٨٠	العود الذي كان في المصلى الشريف		
٣٨٣	هل كان مصلى النبي (ص) على عين القبلة أو على جهتها ؟		
٣٨٤	خاتمة الجزء الأول		

وقد تمت فهرست الجزء الأول من كتاب « وفاء الوفا » للعلامة السهمودي ، والحمد  
لله تعالى في مبدأ أمورنا كلها وفي خواتيمها ، ونسأله جللت قدرته - أن يوفق لإكمالها ، وأن  
يسدد خطانا ، ويجعلنا بفضلته من المقبولين .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .

خطبة  
المؤلف

﴿أما بعد﴾ حمد الله على آلائه<sup>(١)</sup> ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف أنبيائه ، وعلى آله وأصحابه وأصفياه ؛ فقد سألني مَنْ طاعته غُرم ، ومخالفته غُرم ، أن أختصر تأليفي المسمى بـ «اقتفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى» - صلى الله عليه وسلم ! وزاده شرفاً وفضلاً لديه ! - اختصاراً مع توسطٍ غير مُفرط ، هذا مع كونه بعدُ لم يقدَّر إتمامه بتكامل أقسامه ؛ لسلوكي فيه طريقة الاستيعاب ، وجمع ما افترق من معاني تلك الأبواب ، وتلخيص مقاصد جميع تواريخ المدينة التي وقفتُ عليها ، وإضافة ما اقتضى الحال أن يضاف إليها ، مع عرض الموانع ، وترادف الشواغل والتواطع ، فأجبتُه إلى سؤاله ؛ لما رأيت من شغفه<sup>(٢)</sup> بذلك وإقباله ، مع ما رأيت في ذلك من الإتحاف بأمور لا توجد في غيره من المختصرات بل ولا المبسوطات ، سيما فيما يتعلق بأخبار الحجرة الشريفة ، ومعالمها المنيفة ، فإنني قد استفدتُه عياناً ، وعلمت أخبارها إيقاناً ، بسبب ما حدث في زماننا من العمارة التي سنشير إليها ، ونقف في محلها عليها ؛ لاشتغالها على تجديد ما كاد أن يهَي<sup>(٣)</sup> في الحجرة الشريفة من الأركان ، وإحكام ما أحاط بها من البنيان . وتشرفت بالخدمة في إعادة بنيانها ، وتجنبت شهود نقض أركانها ، وحظيت بالوقوف على عرصتها ، وتمتعت بانتشاق<sup>(٤)</sup> ثروتها ، ونعمت العين بالاكنتحال

(١) الآلاء : النعم ، واحدها إلى ، بوزن رضا ، ومعنى الإلى : النعمة .

(٢) الشغف - بالتحريك - المحبة التي تخالط شغاف القلب .

(٣) وهى يهـ - بوزن وعى يعى - ومعناه : سقط . (٤) انتشق التربة : شمها .

(١ - - وفاء ١)

بأرضها الشريفة ، ومحالّ الأجساد المنيفة ، فامتلاً القلب حياء ومهابة ، واكتسى من ثياب الذال أثوابه ، هذا وقد جُبلت القلوب<sup>(١)</sup> على الشغف بأخبار هذا الحل وأحواله ، كما هو دأب كل محب مغرم **وَالله<sup>(٢)</sup> ، والله در القائل :**

أَمَلِيَانِي حَدِيثَ مَنْ سَكَنَ الْجَزْعَ وَلَا تَكْتُبَاهُ إِلَّا بِدَمْعِي  
فَأَتَنِي أَنْ أَرَى الدِّيَارَ بِطَرَفِي فَلَعَلِّي أَرَى الدِّيَارَ بِسَمْعِي

ولعمري إن الاعتناء بذاك وضبطه وإفادته من مهمات الدين ، وإن النظر فيه مما يزيد في الإيمان واليقين ؛ لما فيه من معرفة معاهد دار الإيمان ، ونشر أعلامها المرغمة للشيطان ، وتذكراياتها الواضحة للتبيان ، والمرجؤ من الله تعالى أن يكون كتابنا هذا تحفة لمحبي دار الأبرار ، ومن سكن بها من الأخيار ، ووفد عليها من الوفاء ، وقد بذلت الجهد في تهذيبه وتقريره ، رجاء دعوة تمحو الأوزار<sup>(٣)</sup> ، وتُثْقِل العِثَار ، ونظرة قبول من المصطفى المختار ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأطهار ، وصحابته الأخيار ! .

وسميته « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » صلى الله عليه وسلم ، وشرف وعظم !  
ورتبته على أبواب :

الباب الأول : في أسماء هذه البلدة الشريفة .

أبواب  
الكتاب

الباب الثاني : في فضائلها ، وبدء شأنها ، وما يؤول إليه أمرها ، وما يتعلق بذلك ، وفيه ستة عشر فصلا : الأول : في تفضيلها على غيرها من البلاد ، الثاني : في الحث على الإقامة بها ، والصبر على لأوائها<sup>(٤)</sup> وشدتها ، وكونها تغني الخبث

( ١ ) جبلت القلوب : فطرت وطبعت ، يريد أن ذلك طبيعتها وجبلتها وفطرتها التي فطرها الله تعالى عليها .

( ٢ ) الواله : الذي اشتد حبه حتى قارب الجنون .

( ٣ ) الأوزار : الذنوب ، واحدها وزر ، بكسر الواو وسكون الزاي .

( ٤ ) اللاواء : الشدة ؛ فعطف الشدة عليه عطف تفسير .

والذنوب ، ووَعِيدٍ من أرادها وأهلها بسوء أو أحدث بها حَدَثًا أو آوى مُحَدِّثًا ،  
 الثالث : في الحثّ على حفظ أهلها وإكرامهم ، والتحريض على الموت بها ،  
 واتخاذ الأصل<sup>(١)</sup> ، الرابع : في بعض دعائه صلى الله عليه وسلم لها ولأهلها ، وما كان  
 بها من الوَبَاءِ ، ودعائه بنقله ، الخامس : في عصمتها من الدجال والطاعون ،  
 السادس : في الاستشفاء بترابها وتمررها ، السابع : في سَرْدِ خصائصها ، الثامن :  
 في صحيح ماورد في تحريمها ، التاسع : في بيان عَيرِ وثَوَرِ اللذين وقع تحديدُ الحرم  
 بهما ، العاشر : في أحاديث أُخَرَ تقتضى زيادة الحرم على ذلك التحديد وأنه مقدر  
 بهريد ، الحادى عشر : في بيان ما فى هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد ،  
 ومن ذهب إلى مقتضاها ، الثانى عشر : فى حكمة تخصيص هذا المقدار المعين  
 بالتحريم ، الثالث عشر : فى أحكام هذا الحرم الكريم ، الرابع عشر : فى بدء  
 شأنها ، وما يؤول إليه أمرها ، الخامس عشر : فيما ذكر من وقوع ما ورد  
 من خروج أهلها وتركهم لها ، السادس عشر : فى ظهور نار الحجاز التى  
 أنذر بها النبى صلى الله عليه وسلم فظهرت من أرضها ، وانطفأها عند وصولها  
 إلى حرمها .

الباب الثالث : فى أخبار سكانها فى سالف الزمان ، ومَقْدَمِهِ صلى الله عليه  
 وسلم إليها ، وما كان من أمره بها فى سِنِ الهجرة ، وفيه اثنا عشر فصلا . الأول :  
 فى سكانها بعد الطوفان ، وما ذكر فى سبب سكنى اليهود بها ، وبيان منازلهم ،  
 الثانى : فى سبب سكنى الأنصار بها ، الثالث : فى نسبهم ، الرابع : فى ظهورهم  
 على اليهود ، وما اتفق لهم مع مُتَّبِع ، الخامس : فى منازلهم بعد إذلال اليهود ، وشيء

---

(١) المراد بالأصل هنا المال ، وسيأتى تعليله بأن المال يحمل الإنسان على البقاء ؛  
 فكان المقصود من اتخاذ الأصل الإقامة الدائمة بها .

من آطامهم<sup>(١)</sup> وحروبهم ، السادس : في ما كان بينهم من حرب بُغَاث ، السابع : في مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبي الكريم ، وذكر العقبة الصغرى ، الثامن : في العقبة الكبرى وما أُفْضَتْ إليه<sup>(٢)</sup> ، التاسع : في مبدأ هجرته صلى الله عليه وسلم ، العاشر : في دخوله صلى الله عليه وسلم أرض المدينة وتأسيس مسجد قُباء ، الحادى عشر : في قدومه باطن المدينة المنيفة ، وسكناه بدار أبى أيوب الأنصارى ، وخبر هذه الدار ، ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار ، الثانى عشر : في ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم بها في سنين الهجرة<sup>(٣)</sup> .

الباب الرابع : فيما يتعلق بأمور مسجدھا الأَعْظَم ، والحُجُرَات المنيفات ، وما كان مُطِيفاً بها من الدور والبلاط ، وسوق المدينة ، ومنازل المهاجرين ، واتخاذ السور ، وفيه سبعة وثلاثون فصلاً : الأول : في أخذه صلى الله عليه وسلم لموضع مسجده الشريف ، وكيفية بنائه ، الثانى : في دَرْعِهِ وحدوده التى يَتَمَيَّزُ بها عن سائر مسجده اليوم ، الثالث : في مَقَامِهِ الذى كان يقوم به قبل تحويل القبلة وبعده ، وما جاء فى تحويلها ، الرابع : فى خبر الجَذْع ، واتخاذ المنبر ، وما اتفق فيه ، الخامس : فى فضل المسجد الشريف ، السادس : فى فضل المنبر المنيف والروضة الشريفة ، السابع : فى الأساطين<sup>(٤)</sup> المنيفة ، الثامن : فى الصُّفَّة وأهلها ، وتعليق الأقناء<sup>(٥)</sup> لهم بالمسجد ، التاسع : فى حُجْرِهِ صلى الله عليه وسلم ، وبيان إحاطتها بمسجده إلا من جهة المغرب ، العاشر : فى حجرة ابنته فاطمة رضى الله عنها ، الحادى عشر : فى الأمر بِسَدِّ الأبواب ، وبيان ما استثنى من ذلك ، الثانى عشر : فى زيادة عمر رضى الله عنه فى المسجد ، الثالث عشر : فى البطيحاء التى بناها

(١) الآطام : الحصون ، واحدها أطم ، بضم الهمزة والطاء جميعاً ، ووزانه عنق وأعناق .

(٢) أُفْضَتْ إليه : آلت إليه ، يريد آثارها التى ترتبت عليها .

(٣) كذا ، والفصيح « فى سنى الهجرة » .

(٤) الأساطين : جمع أسطوانة ، والمراد الأعمدة . (٥) الأقناء : جمع قنو .



بناحيته ، ومنعه من إنشاد الشعر ورفع الصوت فيه ، الرابع عشر : في زيادة عثمان رضى الله عنه ، الخامس عشر : في المقصورة التي اتخذها به ، السادس عشر : في زيادة الوليد على يد عمر بن عبد العزيز ، السابع عشر : فيما اتخذ عمر فيها من الحراب والشرفات والمنارات والحرس ، ومنعهم من الصلاة على الجنائز فيه ، الثامن عشر : في زيادة المهدي ، التاسع عشر : فيما كانت عليه الحجرة المنيفة الحاوية للقبور الشريفة في مبدأ الأمر ، العشرون : في عمارتها بعد ذلك ، والحائز<sup>(١)</sup> الذي أدير عليها ، الحادي والعشرون : فيما روى في صفة القبور الشريفة بها ، وأنه بقي هناك موضع قبر لعيسى عليه الصلاة والسلام ، وتنزل الملائكة حافين بالقبر الشريف ، وتعظيمه ، والاستسقاء به ، الثاني والعشرون : فيما ذكر من صفتها وصفة الحائز الدائر عليها ، وما شاهدناه مما يخالف ذلك ، الثالث والعشرون : في عمارة اتفقت بها بعد ما تقدم ، على ما نقله بعضهم ، وما نقل من الدخول إليها وتأثيرها بالرخام ، الرابع والعشرون : في الصندوق الذي في جهة الرأس الكريم والسمار الفضة المواجه للوجه الشريف ، ومقام جبريل عليه السلام ، وكسوة الحجرة وتحليلتها ، الخامس والعشرون : في قناديلها ومعاليقها ، السادس والعشرون : في الحريق الأول القديم المستولى على تلك الخزاف المحدثه بها والمسجد وسقفها وما أعيد من ذلك ، السابع والعشرون : في اتخاذ القببة الزرقاء تمييزاً للحجرة الشريفة والمقصورة الدائرة عليها ، الثامن والعشرون : في عمارتها المتجددة في زماننا ، على وجه لم يخطر قط بأذهاننا ، وما حصل من إزالة هدم الحريق من ذلك والحل الشريف ، ومشاهد وضعه المنيف ، وتصوير ما استقر عليه أمر الحجرة ، التاسع والعشرون : في الحريق الحادث في زماننا بعد العمارة السابقة ، وما ترتب عليه ألحقته هنا مع إلحاق ما تقدمت الإشارة إليه في الفصول ؛ لحدوثه بعد الفراغ من مسودة كتابنا هذا ، وفي آخره خاتمة فيما نقل من عمل نور الدين الشهيد

---

(١) الحائز : المراد به جدار يحيط بالحجرة .

لخندق مملوء من الرصاص حَوْلَ الحجرة ، الثلاثون : في تحصيب المسجد<sup>(١)</sup> ، وأمر  
البراق فيه ، وتخليقه<sup>(٢)</sup> ، وإجماره ، وشيء من أحكامه ، الحادى والثلاثون : فيما  
احتوى عليه من الأروقة والأساطين والبلوعات والسقايات والحواصل ، وغير ذلك ،  
الثانى والثلاثون : فى أبوابه وخواتمه ، وما يميزها من الدور المحاذية لها ، الثالث  
والثلاثون : فى خوخة آل عمر رضى الله عنه ، الرابع والثلاثون : فيما كان مطيافاً  
به من الدور ، الخامس والثلاثون : فى البلاط وما حوله من منازل المهاجرين ،  
السادس والثلاثون : فى سوق المدينة ، السابع والثلاثون : فى منازل القبائل من  
المهاجرين ، وما حدث من اتخاذ السور .

الباب الخامس : فى مُصَلَّى النبى صلى الله عليه وسلم فى الأعياد ، وغير ذلك  
من مساجد المدينة التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم أو جلس مما علمتُ عَيْنَهُ  
أوجِهَتَهُ ، وفضل مقابرها ، ومن سُمى ممن دفن بها ، وفضل أخذٍ والشهداء به ،  
وفيه سبعة فصول : الأول : فى مُصَلَّى الأعياد ، الثانى : فى مسجد قباء ، وخبر  
مسجد الضرار ، الثالث : فى بقية المساجد المعلومة العين فى زماننا ، الرابع : فيما  
علمت جهته من ذلك ، ولم يعلم عينه ، الخامس : فى فضل مقابرها ، السادس :  
فى تعيين بعض من دفن بالبقيع من الصحابة وأهل البيت رضوان الله عليهم ،  
والمشاهد المعروفة بها ، السابع : فى فضل أخذٍ والشهداء به .

الباب السادس : فى آبارها المباركات ، والعين والغراس والصدقات ، التى  
هى للنبي صلى الله عليه وسلم منسوبات ، وما يُعزى إليه<sup>(٣)</sup> من المساجد التى صلى فيها  
فى الأسفار والغزوات ، وفيه خمسة فصول : الأول : فى الآبار المباركات ، وفيه  
تنمة فى العين المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم ، والعين الموجودة فى زماننا ،  
الثانى : فى صدقاته صلى الله عليه وسلم وما غرَّسه بيده الشريفة ، الثالث : فيما

(١) تحصيب المسجد : فرش به بالحصباء ، وهى صغار الحصى .

(٢) تخليقه : أى مسه بالخلوق - بفتح الخاء - وهو ضرب من الطيب ، والمراد

تطيب المسجد ، والمراد بإجماره تبخيره . (٣) يعزى : ينسب .

ينسب إليه من المساجد التي بين مكة والمدينة بالطريق التي كان يسلكها صلى الله عليه وسلم ، الرابع : في بقية المساجد التي بينهما بطريق ركب الحاج في زماننا ، وطريق المشيان<sup>(١)</sup> ، وما قرب من ذلك ، الخامس : في بقية المساجد المتعلقة بغزواته وتعمّره صلى الله عليه وسلم .

الباب السابع : في أوديتها وأحماها<sup>(٢)</sup> وبقاعها وجبالها وأعمالها ومضافاتها ، ومشهور ما في ذلك من المياه والأودية ، وضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك ، وفيه ثمانية فصول : الأول : في فضل وادي العقيق وعرضته وحدوده ، الثاني : فيما جاء في إقطاعه وابتداء القصور به وطريق أخبارها ، الثالث : في العرصة وقصورها ، وشيء مما قيل فيها وفي العقيق من الشعر ، الرابع : في جماعاته ، وأرض الشجرة ، وأنثية الشريد ، وغيرها من جهاته ، وفيه خاتمة في سرد ما يدفع فيه من الأودية وما به من الغدران ، الخامس : في بقية أودية المدينة ، السادس : فيما سمي من الأسماء ومن حماها وشرح حال حمى النبي صلى الله عليه وسلم بالنقيع ، السابع : في شرح بقية الأسماء ، وأخبارها ، الثامن : في بقاع المدينة وأعراضها وأعمالها ومضافاتها وأنديتها وجبالها وتلاعها<sup>(٣)</sup> ، ومشهور ما في ذلك من الآبار والمياه والأودية ، وضبط أسماء الأماكن المتعلقة بذلك وبالمساجد والآطام والغزوات ، وشرح حال ما يتعلق بجهات المدينة وأعمالها من ذلك ، على ترتيب حروف الهجاء .

الباب الثامن : في زيارته صلى الله عليه وسلم ، وفيه أربعة فصول : الأول : في الأحاديث الواردة في الزيارة نصا ، الثاني : في بقية أدلتها ، وبيان تأكد مشروعيّتها ، وقربها من درجة الوجوب ، حتى أطلقه بعضهم عليها ، وبيان حياة النبي صلى الله عليه وسلم في قبره ، وشدة الرّحال إليه ، وصحة نذر زيارته ، والاستئجار للسلام عليه ، الثالث : في توسّل الزائر ، وتشفّعه به صلى الله عليه وسلم

(١) كذا ، ولعله « المشاة » جمع ماش ، بزنة قاض وقضاة ورام ورماة .

(٢) الأسماء : جمع حمى . (٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى ما ارتفع من الأرض

إلى رَبِّهٖ تَعَالَى ، واستقبله له صلى الله عليه وسلم في سلامه وتوسله ودعائه ، الرابع : في آداب الزيارة والمجاورة ، والتبرك بتلك المساجد والآثار ، وهذا الباب وإن كان من حقه التقديم ، لكنه لما كان كنتيجة الكتاب ، ومقدماته ما تقدمه من الأبواب ، ختمت به أقسامه ؛ ليكون المسكُ خِتامه ، وسِرُّ الوجود تمامه ، وتفاوتاً بأن يفتح لي به ثمانية أبواب الجنة ، ويعظم لي بسببه سوابغ المنة <sup>(١)</sup> ، وبالله لا سواه أعتصم ، وأسأله العصمة مما يصم <sup>(٢)</sup> ، فهو حسبي ونعم الوكيل .

### الباب الأول

في أسماء هذه البلدة الشريفة

أعلم أن كثرة الأسماء تدلُّ على شرف المسمى ، ولم أجد أكثر من أسماء هذه البلدة الشريفة ، وقد استقصيتها بحسب القدرة حتى إنى زدت على شيخ مشايخنا المجدِّ الشيرازي اللغوي - وهو أعظم الناس في هذا الباب - نحو ثلاثين اسماً ، فرقمتُ على ذلك صورة لتمييزها ، وأنا أوردتها مرتبة على حروف المعجم .

الأول : أثرب - كمسجد ، بفتح الهمزة وسكون المثلثة وكسر الراء وباء موحدة - لغة في « يثرب » الآتي ، وأحد الأسماء كالملم ويلم ، قيل : سميت بذلك لأنه اسم مَنْ سكنها عند تفرق ذرية نوح عليه السلام في البلاد ، وهل هو اسم للناحية التي منها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو للمدينة نفسها ، أو لموضع مخصوص من أرضها ؟ أقوال ، الأول لأبي عبيدة ، والثاني عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ومشى عليه الزمخشري ، والثالث هو المعنى بقول محمد بن الحسن أحد أصحاب مالك ويعرف بابن <sup>(٣)</sup> زباله : وكانت يثرب أم قرى المدينة ، وهى ما بين طرف قناة

أثرب

(١) المنة : العطية ، وسوابغها : جزيلها وعظيمها ، وأصل السابغ الثوب يغطى الجسم كله . (٢) وصمه يصمه - بوزن وصفه يصفه - أى عابه وتقصه .

(٣) زباله - بزنة سحابة - اسم موضع منه محمد بن الحسن المعروف بابن زباله قاله في القاموس ، ويقال له أيضاً « الزبالى » على النسبة ، وهو ممن روى عن مالك ابن أنس إمام دار الهجرة ، لكنه ليس بثقة ، قاله في تهذيب التهذيب ٩ / ١١٥ .

إلى طرف الجرف ، وما بين المال الذى يقال له البرنى إلى زبالة ، وقد نقل ذلك الجملُ المطرى عنه ، وزاد فى النقل أنه كان بها ثلاثمائة صائغ من اليهود ، وابن زبالة إنما ذكر أن ذلك كان بزهوة ، وقد غايرَ بينها وبين يثرب ، وكأن الجمل فهمَ اتحادهما ، وقد قال عقب نقله لذلك عنه : وهو يعنى يثرب معروفة اليوم بهذا الاسم ، وفيها نخيل كثيرة ملك لأهل المدينة وأوقاف للفقراء وغيرهم ، وهى غربى مشهد سيدنا حمزة ، وشرقى الموضع المعروف بالبركة مصرف عين الأزرق ، ينزلها الحاج الشامى فى وروده وصدوره ، وتسميها الحجاجُ عيون حمزة ، وهى إلى اليوم معروفة بهذا الاسم ، أعنى يثرب ، وربما قالوا فيها « أنارب » بصيغة الجمع ، وبه عبر البرهان ابن فرحون فى مناسكه ، فلك أن تعده اسما آخر ، وهذا الموضع يثرب قال المطرى : كان به منازل بنى حارثة بطنِ ضَخْمٍ من الأوس ، قال : وفيهم نزلَ قوله تعالى فى يوم الأحزاب : « وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا <sup>(١)</sup> » ورجح به القول الثالث ، وذلك أن قريشا ومن معهم نزلوا يوم الأحزاب ويوم أحدٍ أيضا على ما ذكره المطرى برومة وما والاها بالقرب من منازل بنى حارثة من الأوس ومنازل بنى سلمة من الخزرج ، وكان الفريقان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركز الحرب ، ولذلك خافوا على ذراريهم وديارهم العدو يوم أحد ؛ فنزل فيها « إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا <sup>(٢)</sup> » قال عقلاؤهم : ما كرهنا نزولها لتولى الله إيانا ، ودفع الله عنهم ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وصدق نياتهم ، وقيل : إن القائل لبنى حارثة « يا أهل يثرب لا مُقَامَ لَكُمْ » هو أوسُ بن قَيْظَى ومن معه ، وقيل : غير ذلك

قلت : ويرجحُ القول الثالث أيضا قولُ الحافظ عمر بن شُبَّة النُمَيْرى <sup>(٣)</sup> : قال

(١) من سورة الأحزاب من الآية ١٣ (٢) من سورة آل عمران من الآية ١٢٢

(٣) عمر بن شبة - بفتح الشين وتشديد الباء الموحدة مفتوحة - بن عبيدة ، واسم شبة زيد ، البصرى ، النُمَيْرى ، الأخبارى ، النحوى ، الأديب ، الحافظ ، وثقه

الدارقطنى ، مات فى سنة ٢٦٢ من الهجرة ، وله ترجمة فى نهذيب التهذيب (٦/٤٦٠) وفى خلاصة الخزرجى (٢٨٣ بولاق) .

أبو غسان : وكان بالمدينة في الجاهلية سوق بزبالة في الناحية التي تدعى يثرب ،  
 انتهى . ولا شك في إطلاق يثرب على المدينة نفسها ، كما ثبت في الصحيح ،  
 وشواهده أشهر من أن تذكر ، وسيأتي في الفصل الرابع عشر من الباب الثاني  
 ما يقتضى أن الله تعالى سماها قبل أن تعمر وتسكن ، فإما أن يكون موضوعا لها ،  
 أو هو من باب إطلاق اسم البعض على الكل ، أو من باب عكسه على الخلاف المتقدم .  
 وروى ابن زبالة وابن شبة نَهْيَهُ صلى الله عليه وسلم عن تسمية المدينة يثرب ،  
 وفي تاريخ البخارى حديث « مَنْ قَالَ يَثْرِبُ مَرَّةً فَلْيَقُلْ الْمَدِينَةُ عَشْرَ مَرَّاتٍ »  
 وروى أحمد وأبو يعلى حديثا « من سَمِيَ الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ ، وَهِيَ طَابَةُ »  
 ورجاله ثقات ، وفي رواية « فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ ثَلَاثًا » ولهذا قال عيسى بن دينار : من  
 سَمِيَ الْمَدِينَةَ يَثْرِبَ كَتَبَتْ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ ، وَكَرِهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ تَسْمِيَتَهَا بِذَلِكَ ، وَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ مِنْ تَسْمِيَتِهَا بِهِ إِنَّمَا هُوَ حِكَايَةٌ عَنْ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ ، وَوَجْهُ كِرَاهَةِ ذَلِكَ  
 إِمَّا لِأَنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنَ الثَّرْبِ — بِالتَّحْرِيكِ — وَهُوَ الْفَسَادُ ، أَوْ لِكِرَاهَةِ التَّثْرِبِ  
 وَهُوَ الْمُوَاخَذَةُ بِالذَّنْبِ ، أَوْ لِتَسْمِيَتِهَا بِاسْمِ كَافِرٍ ، وَقَدْ يَنَازَعُ فِي الْكِرَاهَةِ بِمَا فِي حَدِيثِ  
 الْهَجْرَةِ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « فَذْهَبَ وَهَلِي <sup>(١)</sup> إِلَى الْيَمَامَةِ  
 أَوْ هَجَرَ ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ » وحديث مسلم « إِنَّهُ وَجَّهَتْ إِلَى أَرْضِ ذَاتِ  
 نَخْلٍ لَا أَرَاهَا إِلَّا يَثْرِبُ » وكذا جاء في غيرها من الأحاديث ، وقد يجاب بأن  
 ذلك كان قبل النبي .

أرض الله الثاني « أرض الله » قال الله تعالى : « أَلَمْ تَسْكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا  
 فِيهَا <sup>(٢)</sup> » ذكر مقاتل والثعلبي وغيرهما أن المراد به المدينة ، وفي هذه الإضافة من  
 مزيد التعظيم ما لا يخفى .

الهجرة الثالث « أرض الهجرة » كما في حديث « المدينة قُبَّةُ الْإِسْلَامِ » .

(١) الوهل — بفتح الواو وسكون الهاء — الوهم .

(٢) من سورة النساء من الآية ٩٧ .

الرابع « أكلة البلدان » لتسلطها على جميع الأمصار ، وارتفاعها على سائر أكلة البلدان بلدان الأقطار ، وافتتاحها منها على أيدي أهلها فغنموها وأكلوها .

الخامس « أكلة القرى » لحديث الصحيحين « أمرت بقرية تأكل القرى » أكلة القرى وقد استدل به مُثَبِّتُوُ الاسْم قبله ، وهو أَصْرَحُ في هذا ؛ للفرق بين البلدة والقرية .

السادس « الإيمان » قال الله تعالى مُثْبِتًا على الأنصار « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ » <sup>(١)</sup> وأسند ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن جعفر قالا : سَمَّى اللهُ المدينة الدار والإيمان ، وأسند ابن شَبَّه عن الثَّانِي فقط . وقال البيضاوي في تفسيره : قيل سمى الله المدينة بالإيمان لأنها مظهره ومَصِيرُهُ . وروى أحمد الدينوري في كتابه المجالسة في قصة طويلة عن أنس بن مالك « أن مَلَكَ الإيمان قال : أنا أسكن المدينة ، فقال مَلَكَ الحياء : وأنا مَعَكَ » فأجمعت الأمة على أن الإيمان والحياء ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسيأتي في حديث « الإيمان يَأْرِزُ إلى المدينة كما تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا » <sup>(٢)</sup> .

السابع « البارة » ، الثامن « البرة » هما من قولك : امرأة بارة وبرّة ، أى البارة والبرة كثيرة البر ، سميت بذلك لكثرة برها إلى أهلها خصوصاً وإلى جميع العالم عموماً ؛ إذ هى مَنبَع الأسرار وإشراق الأنوار ، وبها العيشة الهنية ، والبركات النبوية . التاسع « البَحْرَة » بفتح أوله وسكون المهملة . العاشر « البَحِيرَة » تصغير ما قبله . الحادى عشر « البَحِيرَة » بفتح أوله — نقلتُ ثلاثتها عن منتخب كراع ، والأولان عن معجم ياقوت ، والاستبحار : السَّعة ، ويقال : هذه بَحْرُتنا ، أى أرضنا أو بلدتنا ، سميت بذلك لكونها فى مُتَسَع من الأرض ، وفى الصحيح قول سعد فى قصة ابن أبى <sup>(٣)</sup> « ولقد اصْطَلَحَ أهلُ هذه البحيرة على أن يُتَوَجَّوه » رواه

البحرة  
والبحيرة

(١) من سورة الحشر من الآية ٩ .

(٢) الإيمان يَأْرِزُ: المراد ياجأ إليها ويعتصم بها ، وأرزت الحية إلى جحرها : أى لا ذت به .

(٣) ابن أبى : هو عبد الله بن أبى ابن سلول ، أبوه أبى ، وسلول أمه ، وهو

رأس المنافقين ، والذي يشير إليه هذا الحديث أن أهل المدينة كانوا قد أجمعوا قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يجعلوه ملسكا عليهم .

ابن شبة بلفظ « أهل هذه البحيرة » وقال عياض في المشارق : البحيرة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويروى البحيرة ، والبُحيرة : بضم الباء مصغراً وفتحتها على غير التصغير ، وهى الرواية هنا ، ويقال « البحر » أيضاً بغير تاء ساكن الحاء ، وأصله القرى ، وكل قرية بحرة . انتهى .

البلاط

الثانى عشر: « البلاط » بالفتح — نقل عن كتاب ليس لابن خالويه ، وهو لغة الحجارة التى تفرش على الأرض ، والأرض المفروش بها والمستوية الملاء ، فكأنها سميت به لكثرة فيها ، أو لاشتغالها على مواضع تعرف به كما سيأتى فى الباب الرابع إن شاء الله تعالى .

البلد

الثالث عشر: « البلد » قال تعالى « لا أقسم بهذا البلد<sup>(١)</sup> » قال الواسطى فيما نقله عن عياض : أى يحلف لك بهذا البلد الذى شرفته بمكانك فيه حياً وبركتك ميتاً ، يعنى المدينة ، وقيل : المراد مكة ، ونقل عن ابن عباس ، وبه استدل من ذكره فى أسماؤها ، ورجحه عياض لكون السورة مكية ، والبلد لغة صدر القرى .  
الرابع عشر : « بيت الرسول » صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق<sup>(٢)</sup> » ، قال المفسرون : أى من المدينة لأنها مأجزة ومسكنه [ فهى ] فى اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه ، أو المراد بيته بها .

بيت الرسول

الخامس عشر : « تندد » بالمشناة الفوقية والنون وإهمال الدالين .  
السادس عشر : « تندر » براء بدل الدال الأخيرة مما قبله ، وسيأتى دليلهما فى يندد ويندر بالمشناة التحتية ، وأن المجد صَوَّبَ حذف ما عدا يندر بالتحتية .

ندد وتندر

السابع عشر: « الجارة » لعدة فى حديث « للمدينة عشرة أسماء » سميت به لأنها تجبر الكسير ، وتغنى الفقير ، وتجبر<sup>(٣)</sup> على الإذعان لمطالعة بركاتها ، وشهود آياتها : وجبرت البلاد على الإسلام .

الجارّة

(١) من سورة البلد ، الآية ١ . (٢) من سورة الأنفال من الآية ٥

(٣) تجبر هنا بمعنى تقهر ، وأما التى قبلها فمن قولهم « جبرت الكسير » أى أصلحت ما فسد منه .



الثامن عشر « جَبَّار » كَحَذَّام ، رواه ابن شبة بدل الجابرة في الحديث، جبار المذكور .

التاسع عشر « الجبارة » نقله صاحبُ كتاب أخبار النواحي مع الجابرة الجبارة والمجبورة عن التوراة .

العشرون « جزيرة العرب » قال ابن زبالة : كان ابن شهاب يقول : جزيرة العرب المدينة ، وسيأتي في حديث ابن عباس « خرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فالتفتَ إليها وقال : إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك » ونقل الهروي عن مالك أن المراد من حديث « أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » المدينةُ خاصةً ، والصحيحُ عن مالك كقولنا أن المراد الحجاز .

الحادي والعشرون « الجُنَّةُ الحصينة » بضم الجيم ، وهى الوقاية ؛ لما حكاه بعضهم من قوله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أحد « أَنَا فى جُنَّةٍ حَصِينَةٍ — يعنى المدينة — دَعُوهُمْ يَدْخُلُونَ نَفَاتِلَهُمْ » وروى أحمد برجال الصحيح حديث « رَأَيْتُ كَأَنِّى فى دِرْعِ حَصِينَةٍ ، ورَأَيْتُ بَقْرًا تُنَجَّرُ ، فأولتُ الدرعَ الحصينةَ المدينةَ » وهذا هو المذكور فى كتب السير .

الثانى والعشرون « الحبيبة » لحبه لها صلى الله عليه وسلم ، وقال « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينةَ كحُبِّنا مَكَّةَ أو أشد » وسيأتى مزيد بيان لذلك فى اسمها الحبيوبة .

الثالث والعشرون « الحرم » بالفتح بمعنى الحرام ؛ لتحريمها ، وفى حديث مسلم « المدينة حرم » وفى رواية « إنها حرم آمن » .

الرابع والعشرون « حَرَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم » لأنه الذى حرمها ، وفى الحديث « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ حَرَمِ أَخَاةُ اللَّهِ » ، وروى ابن زبالة حديث « حَرَّمَ إبراهيمُ مَكَّةَ وَحَرَّمَ المدينةَ » .

الحامس والعشرون « حَسَنَةٌ » بلفظ مقابل السيئة ، قال تعالى : « لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً <sup>(١)</sup> » قال المفسرون : مَبَاءة حسنة <sup>(٢)</sup> ، وهى المدينة ، وقيل : حسنة اسم المدينة ، وقد اشتملت على الحُسْن الحسنى والمعنوى .  
السادس والعشرون « الْخَيْرَةُ » بتشديد المثناة التحتيّة كالنيرة .

السابع والعشرون « الْخَيْرَةُ » كالذى قبله إلا أن الياء مخففة ، تقول : رجل خَيْرٌ وخَيْرٌ ، وامرأة خَيْرَةٌ وخَيْرَةٌ ، بالتشديد والتخفيف ، بمعنى ، وهو الكثير الخير ، وإذا أردت التنزيل قلت : فلان خَيْرُ الناس ، وفى الحديث « والمدينة خَيْرٌ لَهُمْ لو كانوا يعلمون » وسيأتى حديث « المدينة خَيْرٌ من مكة » .

الثامن والعشرون « الدار » لقوله تعالى : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ <sup>(٣)</sup> » على ما سبق فى الإيمان ، سميت به لأَمْنِهَا والاستقرار بها وجَمْعُهَا البناء والعَرَصَة .

التاسع والعشرون « دار الأبرار » . الثلاثون « دار الأخيار » لأنها دار المصطفى المختار ، والمهاجرين والأنصار ، ولأنها تَنْفِي شِرَارَهَا وَمَنْ أَقَامَ بِهَا مِنْهُمْ فليست فى الحقيقة له بدار ، وربما نقل منها بعد الدفن على ما جاء فى بعض الأخبار .

الحادى والثلاثون « دار الإيمان » كما فى حديث « المدينة قُبَّةُ الإسلام ودار الإيمان » إذ منها ظهوره وانتشاره ، وسيأتى فى حديث « الإيمان يَأْرِزُ إلى المدينة كما تَأْرِزُ الحيةُ إلى جُحْرِهَا » <sup>(٤)</sup>

الثانى والثلاثون « دار السنة » . الثالث والثلاثون « دار السلامة » . الرابع والثلاثون « دار الفتح » . الخامس والثلاثون « دار الهجرة » ؛ فى صحيح البخارى قولُ عبد الرحمن لعمر رضى الله عنهما « حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة » وفى رواية

(١) من سورة النحل من الآية ٤١

(٢) المباءة : المنزل ، وتقول : تبوأ فلان المكان ، تريد أنه اتخذ محلاً يقيم فيه ، وبوأته إياه : أحلته

(٣) من سورة الحشر من الآية ٩ .

(٤) انظر الهامشة ٢ فى ص ١١ .

الكشميين «والسلامة» وقد فتحت منها مكة وسائر الأمصار، وكانت بها عصابة الأنصار، ومهاجرة النبي المختار<sup>(١)</sup>، صلى الله عليه وسلم، والمهاجرين الأبرار، ومنها انتشرت السنة في الأقطار.

السادس والثلاثون «ذات الحُجر» لاشتغالها عليها، قال أبو بكر رضى الله عنه مُثْنِيَا عَلَى الْأَنْصَارِ: مَا وَجَدْتُ لَنَا وَلِهَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ مَثَلًا إِلَّا مَا قَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ:

أَبَوْنَا أَنْ يَمْلُوكَنَا وَلَوْ أَنَّ أَمَّنَا تَلَاقَى الَّذِي يَلْقَوْنَ مِنَّا لَمَلَّتْ  
هُمْ خَلَطُونَا بِالنُّفُوسِ وَأَوَّلُجُوا إِلَى حُجَرَاتٍ أَدْفَاتِ وَأَظْلَمَتْ

السابع والثلاثون «ذات الحرار» لكثرة الحرار بها، وفي قصة خنافر ذات الحرار ابن التوأم الحميري الكاهن<sup>(٢)</sup> عن رثيئه من الجن وقد وصف له دين الإسلام، فقال له خنافر: من أين أبغى هذا الدين؟ قال: مِنْ ذَاتِ الْأَحْرَيْنِ، وَالنَّفَرِ الْمَيَّامِينَ، أَهْلِ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ، قلت: أَوْضَحْ، قال: الْحَقُّ يَبْثُرُ ذَاتِ النَّخْلِ وَالْحَرَّةِ ذَاتِ النَّعْلِ، قال الأسمعي: أَحَرُّونَ وَحِرَارٌ جَمْعُ حَرَّةٍ.

الثامن والثلاثون «ذات النخل» وهو وذات الحُجر مما استعمله المتأخرون في ذات النخل أشعارهم، وقد نسجت على مَنَوَاهِمٍ حيث قلت في مطلع قصيدة:

أَشْجَانُ قَلْبِي بِذَاتِ النَّخْلِ وَالْحُجْرِ وَأُخْتَهَا تِلْكَ ذَاتِ الْحُجْرِ وَالْحَجَرِ  
تَقْسَمُ الْقَلْبُ بَيْنَ الْبَلَدَتَيْنِ؛ فَلَا أَنْفَكَ مِنْ لَهَبِ الْأَشْوَاقِ فِي سُعْرِ  
وفي أحاديث الهجرة «أُرِيتُ دَارَ هَجْرَتِي ذَاتَ نَخْلٍ وَحَرَّةٍ»<sup>(٣)</sup>، وقال عمران ابن عامر الكاهن يصف البلاد لقومه: وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِدَارِ الرَّاسَخَاتِ فِي الْوَحْلِ، الْمُطْعِمَاتِ فِي الْمَخْلِ<sup>(٤)</sup>، فليلق بالحرَّة ذات النخل. وروى كما سيأتي: يَبْثُرُ ذَاتِ النَّخْلِ

(١) المراد أنها موضع هجرته صلى الله عليه وسلم. (٢) انظر حديثه في ترجمته في الإصابة رقم (٢٣٤٢). (٣) الحرَّة — بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين — الأرض ذات الحجارة السود التي كأنها محروقة بالنار. (٤) المحل — بفتح الميم وسكون الحاء المهملة — الجذب والقحط.

السلفة

التاسع والثلاثون « السلفة » ذكره أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الإقشهرى فى أسمائها المنقولة عن التوراة ، ولم نضبطه ، وهو محتمل لفتح اللام وكسرها ، والسَّاق بالتحريك : القاعُ الصَّفَّصُ<sup>(١)</sup> ، وسَلَقْتُ البيضَ : أغليته بالنار ، والمِسْلَاقُ : الخطيبُ البليغ ، وربما قيل للمرأةِ السليطة : سَلَقَ - بكسر اللام - فتسميتها بذلك لاتساعها وبعدها عن جبالها ، أولالأوائها ، أو لشدة حرها وما كان بها من الحمى الشديدة ، أو لأن الله تعالى سَلَطَ أهلها على سائر البلاد فافتتحوها الأربعون « سيدة البلدان » لما أسنده الديلمى من الحلية لأبى نعيم عن ابن عمر مرفوعاً « يا طيبة يا سيدة البلدان »

سيدة البلدان

الشافية

الحادى والأربعون « الشافية » لحديث « تراها شفاء من كل داء » وذكر الجذام والبرص ، ولقد شاهدنا من استشفى بترابها من الجذام فنفعه الله به ، والاستشفاء بتربة صُعَيْب<sup>(٢)</sup> من الحمى مشهور ، كما سيأتى ، ولما صح فى الاستشفاء بتمرها ، وذكر ابن مسدى الاستشفاء من الحمى بكتابة أسمائها وتعليقها على المحموم ، وسيأتى أنها تنفى الذنوب فتشفى من داءها .

طابة وطيبة

الثانى والأربعون « طَابَة » بتخفيف الموحدة . الثالث والأربعون : « طَيِّبَة » بسكون المثناة التحتية . الرابع والأربعون « طَيِّبَة » بتشديدها . الخامس والأربعون « طَائِب » ككاتب ، وهذه الأربعة مع اسمها المظبية أخوات لَفْظًا ومعنى ، مختلفات صيغة ومَبْنًى ، وقد صحَّ حديث « إن الله سَمَّى

(١) القاع : الأرض السهلة المطمئنة التى قد انفرجت عنها الجبال ، والصفصف - بوزن جعفر - المستوى .

(٢) فى خلاصة الوفا ( ص ٢٨ ط الحلبي ) نقلا عن طاهر بن يحيى العلوى « صعيب : وادى بطحان دون الماجشونية - أى الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية - وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه . وهو اليوم إذا وبىء إنسان أخذ منه » اهـ وفى معجم ما استعجم للبكرى ( ص ٨٣٤ ) « صعيب - على لفظ تصغير صعب - موضع فى ديار بلحرث » اهـ وانظر ما يأتى فى الفصل الرابع من هذا الباب فى الاستشفاء بترابها وبتمرها وما جاء فيه .

المدينة طابة » وفي رواية « إن الله أمرني أن أسمى المدينة طابة » وروى ابن شبة وغيره: كانوا يسمون يثرب، فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة، وفي حديث « للمدينة عشرة أسماء هي المدينة وطيبة وطابة » ورواه صاحب النواحي بلفظ طابت بدل طيبة، وعن وهب بن منبه: والله إن اسمها في كتاب الله - يعني التوراة - طيبة وطابة، ونقل عن التوراة تسميتها بالمطيبة أيضا، وكذا بطابة والطيبة، وتسميتها بهذه الأسماء إما من الطيب بتشديد المثناة، وهو الطاهر؛ لطهارتها من أدناس الشرك، أو لموافقتها من قوله تعالى «ريح طيبة»<sup>(١)</sup> أو لخلول الطيب بها صلى الله عليه وسلم، أو لكونها كالكبير تنفي خبثها وينصع طيبها، وإيمان الطيب - بسكون المثناة - لطيب أمورها كلها، وطيب رائحتها، ووجود ريح الطيب بها، قال ابن بطّال: مَنْ سكنها يجد من تربتها وحيطانها رائحة حسنة، وقال الإشبيلي: لتربة المدينة نفحة، ليس طيبها كما عهد من الطيب، بل هو عجب من الأعاجيب، وقال ياقوت: من خصائصها طيب ريحها، وللمطر فيها رائحة لا توجد في غيرها، وما أحسن قول أبي عبد الله العطار:

بِطِيبِ رَسُولِ اللَّهِ طَابَ نَسِيمُهَا فَمَا الْمِسْكُ مَا الْكَافُورُ مَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

السادس والأربعون «ظباب» ذكره ياقوت، ولم يضبطه، وهو إما بكسر المهملة أو بفتح المعجمة؛ فالأول بمعنى القطعة المستطيلة من الأرض، والثاني من ظب<sup>(٢)</sup> وظبظب إذا حم؛ لأنها كانت لا يدخلها أحد إلا حم، قاله الجحد.

السابع والأربعون «العاصمة» لأنها عصمت المهاجرين ووقتهم أذى المشركين، ولما تقدم في «الجنة الحصينة» ويحتمل أن يكون بمعنى المعصومة لعصمتها قديماً بجيوش موسى وداود عليهما السلام المبعوث إلى من كان بها من الجبابرة، وحفظها حديثاً نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم حتى صارت حراماً آمناً، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون، ومن أرادها بسوء أذابه الله.

(١) من سورة يونس من الآية ٢٢ . (٢) لم أجد أول هذين الفعلين .

الثامن والأربعون « العذراء » بإهمال أوله وإعجام ثانيه ، منقول عن التوراة ، سميت به لحفظها من وطء العدو القاهر في سالف الزمان ، إلى أن تسامها مالكها الحقيقي سيد الأنام ، مع صعوبتها وامتناعها على الأعداء ، ولذلك سميت البكر بالعذراء .

التاسع والأربعون « العراء » بإهمال أوله وثانيه وتشديده ، بمعنى الذى قبله ، قال أئمة اللغة : العراء الجارية العذراء ، كأنها شبهت بالناقاة العراء التى لا ستام لها وصغر سنامها كصغر نهْد العذراء أو عدمه ؛ فيجوز أن يكون تسمية المدينة بذلك لعدم ارتفاع أبنيتها فى السماء .

الخمسون « العروض » كصَبُور ، وقيل : هو اسم لها ولما حولها ؛ لانخفاض مواضع منها ومسائل أودية فيها ، وقال الخليل : العروض : طريقٌ فى عرض الجبل ، وعَرَضَ الرجلُ إذا أتى المدينة<sup>(١)</sup> ؛ فإن المدينة سميت عروضا لأنها من بلاد نجد ، ونجد كلها على خط مستقيم طولانى والمدينة معترضة عنها ناحية على أنها نجدية .

الحادى والخمسون « الغراء » بالغين المعجمة — تأنيث الأغر ، وهو ذوالغرة من الخيل : أى البياض فى مُقَدِّم وجهه ، والغرة أيضاً : خيار كل شيء ، وغرة الإنسان : وجهه ، والأغر : الأبيض من كل شيء ، والذى أخذت اللحية جميع وجهه إلا القليل ، ومن الأيام الشديد الحر ، والرجل الكريم ، والغراء : نبت طيب الرائحة ، والسيدة الكبيرة فى قبيلتها ؛ فسميت المدينة بذلك لشرف معالمها ، ووضوح مكارمها ، واشتهارها ، وسطوع نورها ، وبياض نورها ، وطيب رائحتها ، وكثرة نخلها ، وسيادتها على القرى ، وكرم أهلها ، ورفعة محلها .

الثانى والخمسون « غلبة » محرّكة بمعنى الغلب ؛ لظهورها واستيلائها على سائر البلاد ، وهو اسم قديم جاهلى ، قال ابن زبالة : حدثنى داود بن مسكين

(١) ومنه قول عبد يعوث بن وقاص الحارثى ، وكان قد أسر فى يوم كلاب :

أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلَنُ      نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانِ أَنْ لَا تَلَارِقِيَا

الأَنْصَارِي عن مشيخته قالوا : كانت يثرب في الجاهلية تدعى غَلَبَة ، نزلت اليهود على العماليق فغلبتهم عليها ، ونزلت الأَوْسُ والخَزْرَجُ على اليهود فغلبوهم عليها ، ونزل الأعاجم على المهاجرين فغلبوهم عليها ، كذا في النسخة التي وقفتُ عليها من كتاب ابن زَبَّالَة ، ونقله الحمد عن الزبير بن بكار راوى كتاب ابن زَبَّالَة ، وقال فيه بدل قوله ونزل الأعاجم : ونزل المهاجرون على الأَوْس والخَزْرَج فغلبوهم عليها .

القاضية

الثالث والخمسون « القاضية » بالفاء والضاد المعجمة والحاء المهملة - نقله بعضهم عن كُرَاع ، وما أخذها ماسيأتى في معنى كونها تنفى خَبَثَها من أنها تميزه وتظهره فلا يُبْطِنُ بها أحدٌ عقيدةً فاسدةً أو يضررُ أمراً إلا ظهر عليه ، وافتضح به ، بخلاف غيرها من البلاد ، وقد شاهدنا ذلك كثيراً بها .

القاصمة

الرابع والخمسون « القاصمة » بالقاف والصاد المهملة — نقل عن التوراة سميت به لقَصَصِها كل جبار عنها<sup>(١)</sup> ، وكسر كل متمرد أتاها ، ومن أرادها بسوء أذابه الله .

قبة الإسلام

الخامس والخمسون « قبة الإسلام » لحديث « المدينة قبة الإسلام » .

قرية الأنصار

السادس والخمسون « قرية الأنصار » قال ابن سيدة : القرية — بفتح القاف وكسرها — المصرُ الجامعُ ، من قرَّيت الماء في الحوض ، إذا جمعتَه ، وقال أبو هلال العسكري : العربُ تسمى كل مدينة صغرت أو كبرت قريةً ، قلت : وسيأتى في معنى « المدينة » ما يقتضى أنه يعتبر في مسماها زيادتها على القرية ونقصها على المصر ، وقيل : يطلق عليه ، والأَنْصار : واحدُهم ناصر ، سموا بذلك لنصرهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وإيوائهم له وللمهاجرين ، فمدَحَهم الله بقوله : « والذين آوَوْا وَنَصَرُوا »<sup>(٢)</sup> فسماهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأَنْصار ، وكان يقال لهم قبل ذلك الأَوْسُ والخَزْرَجُ ، وفي الحديث عن غَيْلان بن جرير

(١) عنها : قصدها ، والمراد قصدها بسوء ، ووقع في المخطوطات « عتاها »

(٢) من سورة الأنفال من الآية ٧٢ . بالتاء المثناة ، تطبيع .

قال : قلت لأنس بن مالك : رأيتم اسم الأَنْصار، كنتم تسمون به أم سماكم الله ؟  
قال : بل سمانا الله . وسيأتى فى حديث « إن الله قد طهر هذه القرية من الشرك »  
فلك أن تعدد اسما آخر .

السابع والخمسون « قرية رسول الله صلى الله عليه وسلم » لما سيأتى فى عصمتها  
من الدجال من قوله صلى الله عليه وسلم « ثم يسير حتى يأتى المدينة ، ولا يأذن له  
فيها ؛ فيقول : هذه قرية ذاك الرجل » يعنى النبي صلى الله عليه وسلم .  
الثامن والخمسون « قلب الإيمان » أورده ابن الجوزى فى الوفاء فى حديث  
« المدينة قبة الإسلام » .

قرية  
رسول الله

قلب الإيمان

التاسع والخمسون « المؤمنة » إما لتصدقها بالله حقيقة كذوى العقول ؛ إذ  
لا بُدَّ فى خلق الله تعالى قوة فى الجهاد قابلةً للتصديق والتكذيب<sup>(١)</sup> ، وقد سمع  
تسبيح الحصى فى كفه صلى الله عليه وسلم ، أو مجازاً لاتّصاف أهلها بذلك ،  
ولا انتشار الإيمان منها ، وأشتغالها على أوصاف المؤمن من النفع والبركة وعدم  
الضرر والمسكنة ، وإملاذخالها أهلها فى الأمان من الأعداء ، وأمنهم من الدجال  
والطاعون ، وروى ابن زبالة فى حديث « والذى نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة »  
وروى « أنها مكتوبة فى التوراة مؤمنة » .

المؤمنة

الستون « المباركة » ؛ لأن الله تعالى بارك فيها بدعائه صلى الله عليه وسلم  
لحديث « اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَيَّ ما جعلت بمكة من البركة » وغيره من  
الأحاديث الصحيحة الكثيرة ، وآثار تلك الدعوات من الأمور الظاهرات .

المباركة

الحادى والستون « مَبُوءٌ الحلال والحرام » رواه الطبرانى فى حديث « المدينة  
قُبَّةُ الإسلام » والتبوء : التمكن والاستقرار ، سميت به لأنها محل تمسك  
هذين الحكيم واستقرارهما ، وفى بعض النسخ « مَثْوًى » بالمثلثة الساكنة بدل

مبوء  
الحلال والحرام

(١) وقد قيل فى قوله تعالى من سورة فصلت من الآية ١١ ( فقال لها وللأرض ائتيا  
طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ) : إنه سبحانه قد خلق فى السماء وفى الأرض قوة الإدراك  
وفهم الخطاب وإنيهما أجابتا ، ولهذا قال سبحانه ( طائعين ) وعبر عنهما كما يعبر عن العقلاء .



الموحدة ، والأول هو الذى رأيتُه بخط الحافظ أبى الفتح المِراغى .  
 الثانى والستون « مِبين الحلال والحرام » رواه ابن الجوزى والسيد أبو العباس <sup>مِبين</sup> <sup>الحلال والحرام</sup> القرافى فى حديث « المدينة قبة الإسلام » بدلَ الذى قبله ، سميت به لأنها المحل الذى ابتدأ فيه ببيان الحلال والحرام .

الثالث والستون « المحبورة » بالجيم - ذكره فى حديث « للمدينة عشرة أسماء » ونقل عن الكتب المتقدمة ، وسميت به لأن الله تعالى جَبَرَهَا بسكنى نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم حيا وضمها لأعضائه الشريفة ميتاً بعد نقل حُمَاهَا ، وتطيب مَفْنَاهَا ، والحث على سكناها ، وتنزل البركات بِمُدَّهَا وصَاعِيهَا ؛ فهى بهذا السر الشريف مسرورة ، وبهذه المنح العظيمة محبورة ، تسحب ذيل الفخار ، على سائر الأقطار .

الرابع والستون « المحبة » بضم الميم وبالحاء المهملة وتشديد الموحدة - نقل عن <sup>المحبة</sup> الكتب المتقدمة .

الخامس والستون « المحببة » بزيادة موحدة على ما قبله .  
 السادس والستون « المحبوبة » نقل عن الكتب المتقدمة أيضاً ، وهذه ثلاثة مع ما تقدم من اسمها الحبيبة من مادة واحدة ، سميت بذلك لما تقدم من حبه صلى الله عليه وسلم لها ودعائه بذلك ، وجاء ما يقتضى أنها أَحَبُّ البقاع إلى الله تعالى ، ويؤيده أنه تعالى اختارها لحبيبه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً ؛ فهى محبوبة إلى الله تعالى ورسوله وسائر المؤمنين ، ولهذا ترتاح النفوس لذكرها ، وتهيم القلوب لشهود سرها .

السابع والستون « المحبورة » من الحَـبَرِ ، وهو السرور ، وكذلك الحُبُورُ والحُبُورُ والحَبَرَةُ ؛ لما تقدم فى الحبورة <sup>(١)</sup> ، أو هو من الحَبَرَةِ بمعنى النعمة ، والحبرة <sup>(٢)</sup>

(١) لم يسبق هذا الاسم ؛ فلعل المؤلف ذكره فى كتابه الأول الذى جمع أطرافه فى هذا الكتاب ، أو لعله محرف عن « المحبورة » بالجيم ، وهذا عندنا أقرب .  
 (٢) قال المجد فى القاموس « والحبرة بالفتح : السماع فى الجنة ، وكل نعمة حسنة ، والمبالغة فيما وصف بجميل » اهـ .

أيضا المبالغة فيما وصِفَ<sup>(١)</sup> بجميل ، والمخبَّر من الأرض : السريعةُ النباتِ  
الكثيرة الخيرات .

الحرمة

الثامن والستون « الحرمة » لما سيأتى فى تحريمها .

المحفوفة

التاسع والستون « المحفوفة » لأنها محفوفة بالبركات ، وملائكة السموات ،  
محفوظة من الخواف والأوجال ، وعلى أبوابها وأنقابها<sup>(٢)</sup> الملائكة يُخَرِّسونها من  
الطاعون والدجال ، وسيأتى حديث « المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة ، على كل  
نقْبٍ منها مَلَكٌ ، لا يَدْخُلُها الدجال ولا الطاعون » .

المحفوفة

السبعون « المحفوظة » لأن الله تعالى حفظها من الدجال والطاعون وغيرها ،  
وفى حديث « القرى المحفوظة أربع » وذكر المدينة منها ، وفى حديث آخر  
رويناه فى فضائل المدينة للمفضل الجندى « المدينة مشتبكة بالملائكة ، على كل  
نقْبٍ<sup>(٣)</sup> منها مَلَكٌ يحرسها » فلك أن تسميها المحروسة أيضا .

المختارة

الحادى والسبعون « المختارة » لأن الله تعالى اختارها للمختار من خلقه فى حياته ومماته .

مدخل صدق

الثانى والسبعون « مدخل صدق » قال الله تعالى « وَقُلْ رَبِّ اَدْخِلْنِيْ  
مُدْخَلَ صِدْقٍ<sup>(٣)</sup> » الآية ، قال بعض المفسرين : مدخل صدق : المدينة ، ومخرج  
صدق : مكة ، وسلطاناً نصيراً : الأنصار ، وروى ذلك عن زيد بن أسلم ،  
ويدلُّ له ما رواه الترمذى وصححه فى سبب نزول الآية .

المدينة، ومدينة  
الرسول

الثالث والسبعون « المدينة » . الرابع والسبعون « مدينة الرسول صلى  
الله عليه وسلم » من مَدَنَ بالمسكان إذا أقام ، أو من دَانَ إذا أطاع ، فالميم زائدة ؛  
لأن السلطان يسكن المدن فتقام له طاعة فيها ، أو لأن الله تعالى يُطَاع فيها ،  
والمدينة : أبيات مجتمعة كثيرة تجاوز حد القرى كثرة وعمارة ، ولم تبلغ حد الأمصار ،  
وقيل : يقال لكل مصر . والمدينة وإن أطلق على أما كن كثيرة فهو علم مدينة

(١) فى المطبوعات « المبالغة فيما وصفه بجميل » تطبيع ، وقرأ عبارة الحمد التى  
أثرناها لك فى تفسير كلمة « الحبرة » فى ص ٢١ . (٢) الأنقاب : جمع نقب ، والنقب  
- بفتح أو بضم فسكون - الطريق فى الجبل . (٣) من سورة الإسراء من الآية ٨٠ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهُجِرَ كونهَ علماً في غيرها ، بحيث إذا أطلق لا يتبادر إلى الفهم غيرها ؛ ولا يستعمل فيها إلا معرفة ، قيل : لأنه صلى الله عليه وسلم سكنها ، وله دانت الأمم ولأمته ، والنكرة اسم لكل مدينة ، وقد نسبوا لكل مديني ، وإلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم مَدَنِي ، للفرق ، وتسميتها بذلك متكررة في القرآن العظيم ، ونقل عن التوراة .

الخامس والسبعون « المرحومة » نقل عن التوراة ، سميت به لأنها دار المبعوث رحمة للعالمين ، ومحل تنزيل الرحمة من أرحم الراحمين ، وأول بلد رحمت بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

السادس والسبعون « المرزوقة » لأن الله تعالى رَزَقَهَا أَفْضَلَ الخلق فسكنها ، أو المرزوق أهلها أرزاقاً حسية ومعنوية ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولا يخرج أحد منها رغبةً عنها إلا أبدلها الله خيراً منه كما جاء في الحديث .

السابع والسبعون « مسجد الأقصى » نقله التادلي في منسكه عن صاحب المطالع . مسجد الأقصى الثامن والسبعون « المسكينة » نقل عن التوراة ، وذكر في حديث « للمدينة عشرة أسماء » وروى عن علي يرفعه « إن الله تعالى قال للمدينة : يا طيبة ، يا مسكينة ، لا تقبلي الكنوز ، أرفع أجاجيرك<sup>(١)</sup> على أجاجير<sup>(٢)</sup> القرى » عن كعب أنه وجد ذلك في التوراة ، والأجاجير : السطوح ، وأصل المسكنة الخضوع ، فسميت بذلك إما لأن الله تعالى خَلَقَ فيها الخضوع والخشوع له ، وإما لأنها مسكنُ المساكين ، سكنها كل خاضع وخاشع ، وفي الحديث « اللهم أخيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، وأخشرنِي في زُمرَةِ المساكين » .

التاسع والسبعون « المسامة » كالمؤمنة ، وقد قدمناه ، والإسلام يطلق على

(١) الأجاجير : جمع إجار أو إجارة - بكسر الهمزة وتشديد الجيم ، وآخره راء مهملة - وهو السطح الذي لا سترة عليه ، ويقال في الجمع « أجاجرة » ويقال في المفرد « إنجار » بإبدال أول الجيمين نوناً .

الانقياد والانقطاع إلى الله تعالى ، فسميت بذلك إما لأن الله تعالى خلق فيها  
الانقياد والانقطاع إليه ، وإما لانقياد أهلها بالطاعة والاستسلام ، وفتح بلدهم  
بالقرآن ، لا بالسيف والسهم ، وانقطاعهم إلى الله ورسوله ، وتبثلهم لنصره  
وتحصيل سؤله<sup>(١)</sup>.

مضجع الرسول الثمانون « مضجع رسول الله صلى الله عليه وسلم » لما سيأتى فى حفظ أهلها  
ولما كرامهم من قوله صلى الله عليه وسلم « المدينة مهاجري ومضجعى فى الأرض » .  
الحادى والثمانون « المطيية » بضم أوله وفتح ثانيه — تقدم مع أخواته فى الطيبة  
الثانى والثمانون « المقدسة » لتنزُّهها ولطهارتها من الشرك والخبائث ، ولأنها  
يتبرك بها ويتطهر عن أرجاس الذنوب والآثام .

الثالث والثمانون « المقر » بالقاف : من القرار كما رأيت فى بعض كتب اللغة  
وسياأتى فى دعائه صلى الله عليه وسلم لها قوله « اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً »  
الرابع والثمانون « المسكتان » قال سعد بن أبى سرح فى حصار عثمان :  
أرى الأمر لا يزدد إلا تفاقمًا وأنصارنا بالمسكتين قليل  
وقال نصر بن حجاج فيما كتب به إلى عمر رضى الله عنه بعد نفيه إياه من  
المدينة لما سمع امرأة تترنم به فى شعرها الجمال :

حَقَّقَتْ بِي الظَّنَّ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ مُقَامٌ ؛ فَمَا لِي بِالْنَدَى كَلَامٌ  
فَأَضْبَحْتُ مَنْفِيًّا عَلَى غَيْرِ رِيْبَةٍ وَقَدْ كَانَ لِي بِالْمَسْكَيْنِ مُقَامٌ  
والظاهر أن المراد المدينة ؛ لأن قصة عثمان ونصر بن حجاج كانتا بها ،  
وأطلق ذلك لانتقال أهل مكة أو غالبهم إليها وانضمامهم إلى أهلها ، وقد ذكر  
البرهان القيراطى المسكتين فى أسماء مكة ، قال النقى الفاسى : ولعله أخذه من قول  
ورقة بن نوفل :

(١) السؤل — بضم السين — أصله السؤل ، خفف بقلب الهجزة واوا ، وفى  
القرآن الكريم فى سورة طه من الآية ٢٦ : ( قال قد أوتيت سؤلك يا موسى )  
والسؤل والسؤل والسؤل بمعنى واحد .

\* بطن السكتين على رجائي \*

قال السهيلي : ثنّى مكة - وهى واحدة - لأن لها بَطَاحًا وظَوَاهِر<sup>(١)</sup> ، وإنما مقصد العرب فى هذه الإشارة إلى جانبى كل بلدة ، أو أعلى البلد وأسفلها ، فيجعلونها اثنين على هذا المعنى ، انتهى . ويحتمل أن تكون التثنية فيما استشهدنا به من قبيل التغليب<sup>(٢)</sup> وأن المراد مكة والمدينة ، فيسقط الاستشهاد به .

الخامس والثمانون « الْمَكِينَةُ » لتمكنها فى المكانة والمنزلة عند الله تعالى .  
السادس والثمانون « مُهَاجِرُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم » ؛ لقوله :  
« المدينة مُهَاجِرِي<sup>(٣)</sup> » .

السابع والثمانون « الْمُؤَفِّيَّة » بتشديد الفاء - من التوفية ، ويمجوز تخفيفها ،  
إذ التوفية والإيفاء بمعنى ؛ سُمِّيَتْ به لتوفيتها حقَّ الواردين ، وإحسانها نُزُلَ الوافدين  
حسًا ومعنى ، أو لأن سكانها من الصحابة الْمُؤَفُّونَ بما عَاهَدُوا الله عليه .

الثامن والثمانون « النَاجِيَةُ » بالجيم من نجا إذا خَلَصَ أو أسرع ، أو من نَجَاهُ  
وَنَاجَاهُ سَارَهُ<sup>(٤)</sup> ، أو من النَّجْوَةِ للأرض العالية ، سميت بذلك لنَجَاتِهَا من العُتَاة  
والتَّاعُونَ والدَجَّال ، ولإِسْرَاعِهَا فى الخيرات ، وَسَبْقِهَا إلى حيازة السبق بأشرف  
المخلوقات ، ولارتفاع شأنها بين الْوَرَى ، ورفع أَجَاجِيرِهَا<sup>(٥)</sup> على أَجَاجِيرِ الْقُرَى .

التاسع والثمانون « نِبْلَاءُ » نقل من كراع ، وأظنه بفتح النون وسكون الموحدة  
ممدودا ، من النَّبْلِ - بالضم والسكون - وهو الفضل والنجابة ، ويقال : امرأة نبيلة فى  
الحسن ، بَيِّنَةُ النَّبَالَةِ ، وَأَنْبَلُ النَّخْلِ : أَرْطَبُ ، وَالنَّبْلَةُ - بالضم - الثواب والجزاء والعطية  
التسعون « النَحْرُ » بفتح النون وسكون الحاء المهملة - سميت به إما لشدة

(١) الظواهر : ظهر مكة ، والبطاح : باطنها ، ويقال « قريش الظواهر » لمن  
سكن منهم ظاهرها ، و « قريش البطاح » لمن سكن منهم باطنها .

(٢) فى المطبوعات « التغليب » تطبيع

(٣) المهاجر - بضم الميم وفتح الجيم - موضع الهجرة .

(٤) فى المطبوعات « أو من نجاه ونجاء » تطبيع (٥) انظر الهامشة ١ فى ص ٢٣

حرها ، كما يقال : نَحَزُ الظَّهيرة ، ولذا شاركتها مكة فيه ، وإما لإطلاق النحر على الأصل ، وهما أساس بلاد الإسلام وأصلها .

لهذراء الحادى والتسعون « الهذراء » ذكره ابن النجار بدل العذراء نقلا عن التوراة ، وتبعه جماعة كالمطري ؛ فلذلك أثبتناه ، وإن كان الصواب إسقاطه كما بيناه فى الأصل ، وقد روينا فى كلام مَنْ أثبتته بالذال المعجمة ، فالتسمية به لشدة حرها ، يقال : يوم هاذر شديد الحر ، أو لكثرة مياهها وسوانىها المصوَّتة عند سوقها ، يقال : هذر فى كلامه ، إذا كثره ، والهذر - محركا - الكثير الردى ، ويحتمل أن يكون بالمهملة من « هَذَر الحما » إذا صَوَّت ، والماء انصَبَّ وانهمر ، والعُشْب طال ، وأرض هادرة : كثيرة النبات .

يثرَب الثانى والتسعون « يثرَب » لغة فى أثرب ، وقد تقدم الكلام عليه فيه ، وليست المذكورة فى قول الشاعر :

وَعَدْتَ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرْقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرَبِ (١)  
لأن المجد قال : أجمعوا فيه على تثنية التاء وفتح الراء ، وقال : هى مدينة بحضرموت ، قيل : كان بها عرقوب صاحب المواعيد ، مع أن المجد صحَّح أنه من قَدَماء يهود مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى مشارق عياض قيل : إن يثرَب المذكورة فى البيت مثل يثرَب المدينة النبوية ، وقيل : قرية باليمامة ، وقيل : إنما هى يثرَب بمنناة فوقية وراء مفتوحة اسم تلك القرية ، وقيل : اسم قرية من بلاد بنى سعد من تميم ، كما اختلف فى عرقوب هذا ؛ فقيل : رجل من الأوس من أهل المدينة ، وقيل : من العماليق أهل اليمامة ، وقيل : من بنى سعد المذكورين اهـ . وأما قول هند بنت عُتْبَةَ :  
لَنَهْبِطَنَّ يَثْرِبَهُ \* بِفَارَةٍ مُنْشَعِبَهُ

(١) السجية : الطبيعة والخلقة ، والمواعيد : جمع ميعاد ، وهو الوعد ، و« أخاه » منصوب بمواعيد لأنه جمع المصدر المسمى ، وهو يعمل عمل فعله بإجماع المعتد بهم من النحاة ، وفعله ينصب المفعول به ؛ يقال « وعدته أعدده وعداً وموعداً وميعاداً » .

فالظاهر أن الماء فيه للسكت ، فليس اسماً آخر .

الثالث والتسعون « يندد » ذكره كراع هكذا بالمشناة التحتية ودالين ، وهو يندد إما من الندّ وهو الطيب المعروف ، وقيل : العنبر ، أو من الندّ للتل المرتفع ، أو من الناد وهو الرزق<sup>(١)</sup> .

الرابع والتسعون « يندر » بإبدال الدال الأخيرة من الاسم قبله راء ، ذكره المجدد عند سرّد الأسماء ، ولم يتكلم عليه بعد ، لما سنده ، وإنباته لوقوعه كذلك في حديث « للمدينة عشرة أسماء » في بعض الكتب ، وفي بعضها بمشناة فوقية ودالين ، وفي بعضها كذلك مع إبدال الدال الأخيرة راء ؛ فتحذر من مجموع ذلك أربعة أسماء : اثنان بالمشناة التحتية ، واثنان بالفوقية ، وذلك المستند في تقديمها في محلها ، وقال المجدد : إن ذلك كله تصحيف ، وإن الصواب يندد بالمشناة التحتية ودالين<sup>(٢)</sup> ، وفيه نظر ؛ لأن الزركشي عند ذكر أسماء المدينة جمع بين اثنين من هذه الأربعة وقال : ذكرهما البكري ؛ فيحتمل ثبوت الأخيرين ، وحديث « للمدينة عشرة أسماء » رواه ابن شبة عن طريق عبد العزيز بن عمران ، وسرّدها فيه ثمانية فقط ، ثم روى من طريقه أيضاً عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب سمى الله المدينة الدارَ والإيمان ، قال : وجاء في الحديث الأول ثمانية أسماء ، وجاء في هذا اسمان ، فأنه أعلم أنها تمام العشرة أم لا اه . ورواه ابن زبالة كذلك إلا أنه سرّد تسعة فزاد اسم الدار ، وأسقط العاشر ، ونقل ابن زبالة أن عبد العزيز بن محمد الدراوردي قال : بلغني أن للمدينة في التوراة أربعين اسماً ، والله أعلم .

---

(١) يقال « ليس لهؤلاء ناد » أي رزق ، قاله المجدد .

(٢) قال المجدد في (ندد) ما نصه « ويندد : موضع ، ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم » وقال في (ندر) ما نصه « ويندر كحيدر : من أسماء المدينة ، أو هو بدالين » اه .

## الباب الثاني

في فضائلها ، وبدء شأنها وما يؤل إليه أمرها ، وظهور النار المنذر بها من أرضها ، وانطفائها عند الوصول إلى حرمها ، وفيه ستة عشر فصلا

### الفصل الأول

في تفضيلها على غيرها من البلاد

قد انعقد الإجماع على تفضيل ما ضمَّ الأعضاء الشريفة ، حتى على الكعبة المنيفة ، وأجمعوا بعدُ على تفضيل مكة والمدينة على سائر البلاد ، واختلفوا أيهما أفضل ؛ فذهب عمر بن الخطاب وابنه عبدُ الله ومالك بن أنس وأكثر المدنيين إلى تفضيل المدينة ، وأحسنَ بعضهم فقال : محلُّ الخلاف في غير الكعبة الشريفة ، فهي أفضل من المدينة ماعدا ماضم الأعضاء الشريفة إجماعا ، وحكاية الإجماع على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة نقله القاضي عياض ، وكذا القاضي أبو الوليد<sup>(١)</sup> الباجيُّ قبله كما قال الخطيب ابن جملة ، وكذا نقله أبو اليمين ابن عساكر وغيرهم ، مع التصريح بالتفضيل على الكعبة الشريفة ، بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي أن تلك البقعة أفضل من العرش .

مكة أفضل  
أم المدينة

وقال التاج الفاكهي : قالوا : لا خلاف أن البقعة التي ضمت الأعضاء الشريفة أفضلُ بقاع الأرض على الإطلاق حتى موضع الكعبة ، ثم قال : وأقول أنا : أفضل بقاع السموات أيضا ، ولم أرَ من تعرض لذلك ، والذي أعتقد أنه ذلك لو عُرضَ على علماء الأمة لم يختلفوا فيه ، وقد جاء أن السموات تشرفت بمواطء قدميه صلى الله عليه وسلم ، بل لو قال قائل إن جميع بقاع الأرض أفضل من جميع بقاع السماء شرفها لكون النبي صلى الله عليه وسلم حالاً فيها لم يبعد ، بل هو عندى الظاهر المتعين

١ في خلاصة الوفا (ص ١٠) « أبو الوليد الناجي » بالنون .



قلت : وقد صرح بما بحثه من تفضيل الأرض على السماء ابنُ العَمَادِ نقلاً عن الأرض أفضل  
الشيخ تاج الدين إمام الفاضلية  
قال : وقالوا : إن الأَكْثَرين عليه ؛ لأن الأنبياء خُلِقُوا من الأرض وعَبَدُوا  
الله فيها ، ودفنوا بها اهـ .

وقال النووي : المختار الذي عليه الجمهور أن السموات أفضل من الأرض ،  
وقيل : إن الأرض أشرف ؛ لأنها مُسْتَقَرٌّ<sup>(١)</sup> الأنبياء ودفنهم ، وهو ضعيف  
قلت : وكأن وجه تضعيفه للثاني أن الكلام عن مطلق الأرض ، ولا يلزم  
من تفضيل بعضها لكونها مدفنَ الأنبياء تفضيلُ كلها ، وضعف أيضاً بأن أرواح  
الأنبياء في السموات والأرواح أفضل من الأجساد ، وجوابه ما سنحققه إن شاء  
الله تعالى من حياة الأنبياء في قبورهم ، صلوات الله وسلامه عليهم  
وقال شيخنا المحققُ ابنُ إمام الكاملية في تفسير سورة الصف : والحق أن  
مواضع الأنبياء وأرواحهم أشرفُ من كل ما سواها من الأرض والسماء ، ومحلُّ  
الخلافاً في غير ذلك كما كان يقرره شيخ الإسلام البلقيني  
قال الزركشي : وتفضيلُ ماضم الأعضاء الشريفة للمجاورة ، ولهذا يحرم  
للمحدث مس جلد المصحف<sup>(٢)</sup> .

قال القرافي : ولما خفي هذا المعنى على بعض الفضلاء أنكر حكاية الإجماع  
عود لتفضيل مكة أو المدينة  
على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة ، وقال : التفضيلُ إنما هو بكثرة الثواب على  
الأعمال ، والعملُ على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم ، قال : ولم يعلم أن  
أسباب التفضيل أعم من الثواب ، والإجماع منعقد على التفضيل بهذا الوجه  
(١) المستقر : مكان الاستقرار ، واستقرار الأنبياء في الأرض أما في حياتهم  
فلأنها موطن دعوتهم والحاجة إليهم فيها ، وأما بعد وفاتهم فلأن مدفنهم بها .  
(٢) قاس ماضم الأعضاء على جلد المصحف ، فكما أعطى جلد المصحف حكم  
المصحف لعله المجاورة أعطى ماضم الأعضاء حكم الأعضاء لعله المجاورة ، والقرافي  
جعل العلة هي كثرة الثواب فلم يصح عنده هذا القياس .

لا بكثرة الثواب ، ويلزمه أن لا يكون جِلْدُ المصحف — بل ولا المصحف نفسه — أَفْضَلُ من غيره لتعذر العمل فيه ، وهو خرق للإجماع قلت : وما ذكره من التفضيل بالمجاورة مُسَلَّمٌ ، لكن ما اقتضاه من عدم التفضيل لكثرة الثواب في ذلك ممنوع لما سنحقيقه .

كلام للعز ابن عبد السلام وأصل الإشكال لابن عبد السلام فإنه قال في أماليه : تفضيل مكة على المدينة أو عكسه معناه أن الله يرتب على العمل في إحداها من الثواب أكثر مما يرتبه على العمل في الأخرى ؛ فيشكل قول القاضي عياض : أجمعت الأمة على أن موضع القبر الشريف أفضل ؛ إذ لا يمكن أحد أن يعبد الله فيه .

كلام للتقي السبكي قال التقي السبكي : وقد رأيت جماعة يستشكلون نقل هذا الإجماع ، وقال لي قاضي القضاة السروجي الحنفي : طالعت في مذهبنا خمسين تصنيفا فلم أجدها فيها تعرضا لذلك ، قال السبكي : وقد وقفت على ما ذكره ابن عبد السلام من أن الأزمان والأماكن كلها متساوية ، ويفضلان بما يقع فيهما ، لا بصفات قائمة بها ، ويرجع تفضيلها إلى ما يُنْزِلُ الله العبادَ فيهما ، وأن التفضيل الذي فيهما أن الله يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما ، قال السبكي : وأنا أقول : قد يكون التفضيل لذلك ، وقد يكون لأمر آخر فيهما ، وإن لم يكن عمل ؛ فإن القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ، وله عند الله من المحبة ، ولساكنه ما تقصر العقول عن إدراكه ، وليس ذلك لمكان غيره ، فكيف لا يكون أفضل الأماكن ؟ وليس محل عمل لنا ، فهذا معنى غير تضعيف<sup>(١)</sup> الأعمال فيه ، وأيضا باعتبار ما قيل : إن كل أحد يدفن بالموضع الذي خلق<sup>(٢)</sup> منه ، وأيضا فقد تكون الأعمال مضاعفة فيها باعتبار أن النبي صلى الله عليه وسلم حي ، وأن أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد ؛ فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن

(١) تضعيف الأعمال : أراد به تضعيف ثوابها ، بأن يعطيه الله على العمل فيهما أضاعاف ما يعطيه على هذا العمل في غيرها ( والله يضاعف لمن يشاء ) .

(٢) سيأتي ذكر هذه المسألة والاستدلال عليها ، انظر ص ٣٣ الآتية ،

قلت : وهذا من النفاسة بمكان ، على أنى أقول : الرحمت والبركات النازلة بذلك المحل يعم قِيُضُهَا الأمة ، وهى غير متناهية ؛ لدوام ترقياته عليه الصلاة والسلام ، وما تناله الأمة بسبب نبيها هو الغاية فى الفضل ، ولذا كانت خيراً أمة بسبب كون نبيها خير الأنبياء<sup>(١)</sup> ، فكيف لا يكون القبر الشريف أفضل البقاع مع كونه منبع فيض الخيرات ؟ ألا ترى أن الكعبة على رأى مَنْ منع الصلاة فيها ليست محل عملنا ، أفيقول عاقل بتفضيل المسجد حولها عليها لأنه محل العمل مع أن الكعبة هى السبب فى إنالة تلك الخيرات ؟ وأيضا فاهتمه صلى الله عليه وسلم بأمر أمته معلوم ، وإقبال الله عليه دائماً ، وهو بهذا المحل الشريف ، فتكثر شفاعته فيه لأمرته وأمداده إياهم ، وقد ورد فى حديث « وَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ » [وجاء] بيان ذلك بأن « أَعْمَالَكُمْ تُعَرَّضُ عَلَى ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ خَيْرًا حَمَدْتَ اللَّهَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ غَيْرَ ذَلِكَ اسْتَغْفَرْتَ لَكُمْ » وفى رواية « اسْتَوْهَبْتُ اللَّهَ ذُنُوبَكُمْ » وله شواهد تُقَوِّيه ، وسيأتى فى الباب الثامن أن الحجى المذكور فى قوله تعالى « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ<sup>(٢)</sup> » الآية حاصل بالحجى إلى قبره الشريف أيضا ، فزيارته والمجاورة عنده من أفضل القربات ، وعنده تجماب الدعوات ، وتحصل الطلبات ، فقد جعله الله تعالى سببا فى ذلك أيضا ، فهو رَوْضَةٌ من رياض الجنة ، بل أفضل رياضها ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « لَقَابُ قَوْسٍ<sup>(٣)</sup> أَحَدَكُمْ فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » بل لو تعلق متعلق بما قررناه من كون القبر الشريف منبع جميع الخيرات وهو بالمدينة فيكون هو أفضل لكان له وجه

وقد قال الحكيم الترمذى فى نوادره : سمعتُ الزبير بن بكار يقول : صَنَّفَ بعضُ أهل المدينة فى المدينة كتابا ، وصنف بعض أهل مكة فى مكة كتابا ، فلم

(١) وهذا بنص الكتاب الكريم ، قال الله تعالى فى سورة آل عمران من الآية ١١٠ ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ )

(٢) من سورة النساء من الآية ٦٤ .

(٣) قاب قوس : مقداره .

يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة ، يريد كل واحد منهما أن يبرز<sup>(١)</sup> على صاحبه بها ، حتى برز المدنى على المكى فى خَلَّةٍ واحدة<sup>(٢)</sup> عجز عنها المكى ، وان المدنى قال : إذ كل نفس إنما خلقت من ترته التى يُدْفَنُ فيها بعد الموت ، وكان نفس الرسول إنما خلقت من تربة المدينة ؛ فحينئذ تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرض قلت : ويدل لما ذكر من أن النفس تخلق من تربة الدفن ما رواه الحاكم فى مستدركه وقال صحيح وله شواهد صحيحة عن أبى سعيد ، قال : « مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عند قبر ، فقال : قَبْرُ مَنْ هَذَا ؟ فقالوا : فلان الحبشى يارسول الله ، فقال : لا إلهَ إلا الله ، سيق من أرضه وسمائه إلى التربة التى منها خلق » ورواه الحكيم الترمذى بنحوه عن أبى هريرة ، ورواه البزار عن أبى سعيد بنحوه ، وفيه عبد الله والد ابن المدينى وهو ضعيف ، وروى الطبرانى فى الأوسط نحوه عن أبى الدرداء ، وفيه الأحوص بن حكيم ، وثقه العجلى ، وضعفه الجمهور ، وروى فى الكبير أيضا نحوه عن ابن عمر ، وقال الذهبى فى بعض روايته : ضعفه ، وأسند ابن الجوزى فى الوفاء عن كعب الأحبار : لما أراد الله عز وجل أن يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمرَ جبريلَ فأتاه بالقبضة البيضاء التى هى موضعُ قبره صلى الله عليه وسلم ، فعُجِنَتْ بماء التَّسْنِيمِ ، ثم غُمِسَتْ فى أنهار الجنة ، وطُيِفَ بها فى السموات والأرض ، فعَرَفَتِ الملائكةُ محمدا وفضله قبل أن تعرف آدم عليه السلام ، وسيأتى لهذا مزيدُ بيانٍ فى سرِّد خصائصها .

يخلق  
الإنسان من  
تربة الأرض  
التي يدفن فيها

وقال الحكيم الترمذى فى حديث « إذا قضى الله لعبده أن يموت بأرض جَعَلَ له إليها حاجة » : إنما صار أجله هناك لأنه خُلِقَ من تلك البقعة ، وقد قال الله تعالى : « مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ »<sup>(٣)</sup> الآية ، قال : فإنما يعاد المرء من حيث بَدِءَ منه ، قال : وروى أن الأرض عَجَّتْ<sup>(٤)</sup> إلى ربها لما أخذت تربة آدم عليه السلام ، فقال لها : سَأَرُدُّهَا إِلَيْكَ ، فإذا مات دُفِنَ فى البقعة التى منها ترته

(١) يبرز : يتفوق . (٢) الخلة - بفتح الخاء - الخصلة .

(٣) من سورة طه من الآية ٥٥ . (٤) عجت : رفعت صوتها كأنها تصرخ .

وعن يزيد الجريري قال : سمعت ابن سيرين يقول : لو حَلَمْتُ حلفت صادقا بآذا غير شك ولا مُسْتَمْتَنٍ أن الله تعالى ما خلق نبيه صلى الله عليه وسلم ولا أبا بكر ولا عمر إلا من طينة واحدة ثم ردهم إلى تلك الطينة

وروى ابن الجوزي في الوفاء عن عائشة قالت : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا في دفنه ؛ فقالوا : أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال علي : إنه ليس في الأرض بقعة أكرم على الله من بقعة قبض فيها نفس نبيه صلى الله عليه وسلم ، وروى يحيى أن عليا قال لما اختلفوا : لا يُدْفَنُ إلا حيث توفاه الله عز وجل ، وأنهم رَضُوا بذلك .

قلت : ويؤخذ مما قاله على مستند نقل الإجماع السابق<sup>(١)</sup> على تفضيل القبر الشريف ؛ لسكوتهم عليه ، ورجوعهم إلى الدفن به .

ولما قال الناس لأبي بكر رضى الله عنه : يا صاحب رسول الله ، أين يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : في المكان الذي قبض الله تعالى روحه فيه ؛ فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب ، رواه الترمذي في شمائله ، والنسائي في الكبرى ، وإسناده صحيح ، ورواه أبو يعلى الموصلي ، ولفظه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يقبضُ النبيُّ إلا في أحب الأماكن إليه » .

قلت : وأحبها إليه أحبها إلى ربه ؛ لأن حبه تابع لحب ربه إلا أن يكون حبه عن هوى نفس ، وما كان أحبَّ إلى الله ورسوله كيف لا يكون أفضل ، ولهذا أخذت تفضيل المدينة على مكة من قوله صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » أى بل أشد ، أو وأشد ، كما روى به ، ومن إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم كان يحرك دابته إذا رآها من حُبها .

(١) أى لكونه رضى الله تعالى عنه قد قال عبارة تدل على أن أكرم بقعة في الأرض هي التي قبضت فيها نفسه صلى الله عليه وسلم ، وقد دفن صلوات الله عليه حيث قبضت نفسه .

وقد روى الحاكم في مستدركه حديث «اللهم إنيك أخرجتني من أحب البقاع إلى ، فاسكنني في أحب البقاع إليك» وفي بعض طرقه أنه صلى الله عليه وسلم قاله حين خرج من مكة ، وفي بعضها أنه وقف بالحزورة<sup>(١)</sup> ، وفي بعضها بالحجون فقال له ، وقد ضعفه ابن عبد البر

قيل : ولو سلمت صحته فالمراد أحب البقاع إليك بعد مكة ؛ لحديث « إن مكة خير بلاد الله » وفي رواية « أحب أرض الله إلى الله » ولأنه قد صحح لمسجد مكة من المضاعفة زيادة على ما صحح لمسجد المدينة كما سيأتي

قلت : فيما قدمناه من دعائه صلى الله عليه وسلم بحبها أشد من حب مكة مع ما أشرنا إليه من إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ، ومن أنه تعالى لا يجعلها أحب إلى نبيه إلا بعد جعلها أحب إليه تعالى غنية عن صحة هذا الحديث ، وكون المراد منه ما ذكر خلاف الظاهر ، وما ذكر لا يصلح مستنداً في الصّرف عن الظاهر ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قصّد به الدعاء للدار التي تكون هجرته إليها ، فطلب من الله أن يصيرها أحب البقاع إليه تعالى ، والحب من الله تعالى إنالة الخير والتعظيم للمحبوب ، وهذا يمكن تجرده بعد أن لم يكن ، وقوله « إن مكة خير بلاد الله وأحبها إليه » محمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله في بدء الأمر قبل ثبوت الفضل للمدينة ، فلما طالت إقامته صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأظهر الله دينه ، وتجدد لها ما سيأتي من الفضائل حتى عاد نفعها على مكة ، فافتتحها الله وسائر بلاد الإسلام منها ؛ فقد أنالها الله تعالى وأنال بها من الخير ما لم يُنلّه غيرها من البلاد ، وظهر إجابة الدعوة الكريمة ، وأنها صارت خير أرض الله وأحبها إليه بعد ذلك ، ولهذا لم يُعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة بعد فتحها .

(١) الحزورة - بفتح فسكون - كانت سوق مكة ، ثم دخلت في المسجد الحرام لما زيد فيه ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم «وقف بالحزورة ، فقال : يا بطحاء مكة ما أطيبك من بلدة ! ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» والحجون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهائها .

فإن قيل : إنما لم يعد إليها لأن الله افترض عليه المقام بدار هجرته .  
قلنا : لم يكن الله ليفترض عليه المقام بها إلا وهى أفضل ؛ لكرامته عنده ،  
وقد حثَّ صلى الله عليه وسلم على الاقتداء به فى سكناها والإقامة بها ، وقال :  
« والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

فإن قيل : قال التقي الفاسى : ظن بعض أهل عصرنا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن مكة خير بلاد الله » حين خرج من مكة للهجرة ، وليس كذلك ؛  
لأن فى بعض طرق الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك وهو على راحلته  
بالخزوة ، وهو لم يكن بهذه الصفة حين هاجر ؛ لأن الأخبار تقتضى أنه خرج من  
مكة مستخفياً ، ولوركب بالموضع المشار إليه - وهو الذى يقول له عوام مكة  
عزوة - لأشعر ذلك بسفره .

قلنا : جاء فى رواية لابن زبالة أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أمره الله  
بالخروج قال : « اللهم إنك أخرجتني » الحديث ، وقد وقع فى رواية لابن حبان  
فى حديث الهجرة « فركبا - يعنى هو وأبو بكر - حتى أتيا الغار - وهو ثور -  
فتواريا فيه » وسيأتى فى أحاديث الهجرة ما يقتضى أنهما توجها إلى الغار ليلا بعد  
أن ذرَّ صلى الله عليه وسلم ترابا على رؤوس جماعة من الكفار كانوا يرصدونه ،  
وقرأ أوائل يس يستتر بها منهم ، فلم يرَوْهُ ، فلا يمتنع أن يكون راكبا  
فى هذا الموضع .

وأما أمر مزيد المضاعفة لمسجد مكة ، فجوابه أن أسباب التفضيل لا تنحصر  
فى المضاعفة ، ألا ترى أن فعل الصلوات الخمسة للمتوجه إلى عرفات وظهر يوم النحر  
بمبنى أفضل من فعلها بمسجد مكة ، وإن اشتمل فعلها بالمسجد على المضاعفة إذ فى  
الاتباع ما يربو عليها ، ولهذا قال عمر رضى الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة  
كما سيأتى مع قوله بتفضيل المدينة ، وغايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل ،  
ويؤيد ذلك ما سيأتى من أن المضاعفة تعم الفرض والنفل ، وأن النفل بالبيت

أفضل ، على أنه إن أريد بالمسجد الحرام في حديث المضاعفة الكعبة فقط كما ستأتى الإشارة إليه ، فالجواب أن الكلام فيما عداها ، مع أن دعاءه صلى الله عليه وسلم للمدينة بضعف ما بمكة من البركة ، ومع البركة بركتين شامل<sup>١</sup> للأموال الدينية والدينية ، وقد يبارك في العدد القليل فيربو<sup>(٢)</sup> نفعه على الكثير ، ولهذا استدل به على تفضيل المدينة لأكثرية المدعو به لها من البركة الشاملة .

ولا يَرِدُ على ما قررناه ما جاء في فضل الكعبة الشريفة ؛ إذ الكلام فيما عداها ، ولهذا روى مالك في الموطأ<sup>(٢)</sup> أن عمر رضى الله عنه قال لعبد الله بن عياش الخزومي : أنت القائل لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هي حرم الله وأمنه ، وفيها بيته ، فقال عمر : لا أقول في حرم الله ولا في بيت الله شيئا ، ثم قال عمر : أنت القائل لمكة خير من المدينة ؟ فقال عبد الله : هي حرم الله وأمنه ، وفيها بيته ، فقال عمر : لا أقول في حرم الله ولا في بيت الله شيئا ، ثم انصرف ، وفي رواية لوزين : فاشتد على ابن عياش ، فانصرف .

ولا يَرِدُ أيضا ما بمكة من مواضع النسك ؛ لتعلق النسك بالكعبة ، وأيضا فقد عوّض الله المدينة عن العمرة ما سياتى في مسجد قباء ، وعن الحج ما سياتى مرفوعا « مَنْ خَرَجَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدِي حَتَّى يُصَلِّيَ فِيهِ كَانَ بِمَنْزِلَةِ حُجَّةٍ » ، وهذا أعظم ؛ لكونه أيسر ، ويتكرر في اليوم والليلة مرارا ، والحج لا يتكرر ، ويؤخذ منه أنه يضاف إلى ما جاء في المضاعفة بمسجدها الحجة لمن أخلص قصده للصلاة .

ولا يَرِدُ أيضا كونه صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بعد النبوة أكثر من إقامته بالمدينة ، على الخلاف فيه ؛ لأن إقامته بالمدينة كان سببا في إعزاز دين الله وإظهاره ، وبها تقررت الشرائع ، وفرضت غالب الفرائض ، وأكمل الله الدين ، واستقر بها صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة .

(١) يربو : يزيد . (٢) انظر الموطأ (ص ٨٩٤ ط الحلبي سنة ١٣٧٠)



وقد ثبت في محبته صلى الله عليه وسلم للمدينة ما لم يثبت مثله لمكة ، وحَثَّ عَلَى الإقامة والموت بها ، والصبر عَلَى لأوائها وشدتها ، كما ستقف عليه ، وسيأتى حديث « اللهم لا تجعل مَنَآيَنَا بِمَكَّة » وحديث « مَا عَلَى الأَرْض بقعة أَحَبُّ إِلَىَّ من أن يكون قبرى بها منها » يعنى المدينة ، قالها ثلاث مرات .

وقد شرع الله لنا أن نحب ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ، وأن نعظم ما كان يعظمه ، وإذا ثبت تفضيل الموت بالمدينة ثبت تفضيل سكنائها ، لأنه طريقه . هذا ، وقد روى الطبرانى في الكبير والمفضل الجندى في فضائل المدينة وغيرهما عن رافع بن خديج رضى الله عنه قال : أشهد سمعت — وفى رواية « لسمعت » — رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « المدينة خير من مكة » ، وفى إسناده محمد بن عبد الرحمن الرداد ، وقد ذكره ابن حبان فى الثقات ، وقال : كان يخطئ ، وقال أبو حاتم : ليس بقوى ، وقال أبو زرعة : لين ، وقال الأزدي : لا يكتب حديثه ، وقال ابن عدى : روايته ليست محفوظة ، ولهذا قال ابن عبد البر : هو حديث ضعيف ، وفيما قدمناه غنية عنه .

وفى الصحيحين حديث « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » ويأرز كمسجد<sup>(١)</sup> أى ينقبض ويجتمع وينضم ويلتجىء ، وقد رأينا كل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لحبه فى النبي صلى الله عليه وسلم ، فيشمل ذلك جميع الأزمنة ؛ لأنه فى زمنه صلى الله عليه وسلم للتعلم منه ، وفى زمن الصحابة والتابعين للاقتداء بهم ، ومن بعد ذلك لزيارته ، وفضل بلده ، والتبرك بمشاهدة آثاره ، والاتباع له فى سكنائها .

وروينا فى فضائل المدينة للجندى حديث « يوشك الإيمان أن يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها » يعنى يرجع إليها الإيمان .

---

(١) قوله « كمسجد » الأولى أن يقال « كضرب » ، وانظر ص ١١

وأُسند ابن زَبَّالة حديث « لا تقوم الساعة حتى يحاز الإيمان إلى المدينة كما يحوز السيلُ الدَّمَنَ » .

وقد تقدم في الأسماء<sup>(١)</sup> حديث الصحيحين « أُمِرْتُ بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب ، وهى المدينة » قال ابن المنذر : يحتمل أن يكون المراد بأكلها القرى غلبة فضلها على فضل غيرها ؛ فمعناه أن الفضائل تضمحل في جنب عظيم فضلها حتى تكاد تكون عدما ، وهذا أبلغ من تسمية مكة « أم القرى » ؛ لأن الأمومة لا تنمحي معها ما هى له أم ، لكن يكون لها حق الأمومة ، انتهى . وجزم القاضى عبد الوهاب بهذا الاحتمال .

وروى البزار عن على رضي الله عنه حديث « إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلى هذا » يعنى المدينة « وبجزيرة العرب ، ولكن التحريش بينهم » وله أصل في صحيح مسلم من حديث جابر .

وروى أبو يعلى بسند فيه من اختلاف في توثيقه وبقية رجاله ثقات عن العباس رضى الله عنه قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فالتفت إليها وقال : « إن الله قد برأ هذه الجزيرة من الشرك » وفي رواية « إن الله قد طهر هذه القرية من الشرك ، إن لم تضلهم النجوم ، قال : يُنزلُ الله الغيث ، فيقولون : مُطِرْنَا بِنَوءٍ<sup>(٢)</sup> كذا وكذا » وقد تقدم في الأسماء تسميتها بالمؤمنة والمسلمة ، وأنه لا مانع من إجرائه على ظاهره فهو مقتضى التفضيل ، سيما وسببه ما سبق من كونه صلى الله عليه وسلم خُلِقَ من تربتها .

وقد استدلل أبو بكر الأبهري من المالكية على تفضيلها على مكة بما سبقت الإشارة إليه من أن النبي صلى الله عليه وسلم مخاوق من تراب المدينة ، وهو أفضل البشر ، فكانت تربته أفضل التراب . قال الحافظ ابن حجر : وكون تربته أفضل التراب لا نزاع فيه ، وإنما النزاع هل يلزم من ذلك أن تكون المدينة أفضل من

(١) انظر ص ١١ السطر ٣ .

(٢) النوء : أن يسقط نجم في المغرب مع الفجر ويطلع رقيقه من ساعته .

مكة لأن المجاور للشيء لو ثبت له جميع مزاياه لكان لجار ذلك المجاور نحو ذلك ؛  
فيلزم أن يكون ما جاور المدينة أفضل من مكة ، وليس كذلك اتفاقاً ، كذا  
أجاب به بعض المتقدمين ، وفيه نظر ، انتهى .

قلت : لم يبين وجه النظر ، ولعل وجهه أن الأفضل لقوة أصالته في الفضل  
يفيد مجاوره الأفضلية لمزية هذه المجاورة الخاصة ، وهي منتفية عن مجاور المجاور ،  
ألا ترى أن جلد المصحف قد ثبت له مزية التعظيم للمجاورة ، ولم يلزم من ذلك  
ثبوت نحوها لمجاوره ، وأيضاً فالمقتضى لتفضيل المدينة خلقه صلى الله عليه وسلم  
من تربتها ، وهذا لا يوجد لمجاورها ، والله أعلم .

#### الفصل الثاني

في الحث على الإقامة بها ، والصبر على لأوائها وشدتها ، وكونها تنفي الخبث  
والذنوب ، ووعيد من أرادها وأهلها بسوء أو أحدث بها حدثاً أو آوى محدثاً .

روينا في الصحيحين حديث « مَنْ صَبَرَ عَلَى لَأَوَائِهَا وَشِدَّتِهَا كُنْتُ لَهُ شَهِيداً » وعد من صبر  
على شدتها أو شفيعاً يوم القيامة .

وفي صحيح مسلم عن سعيد مولى المهري أنه جاء إلى أبي سعيد الخدري ليالى  
الحره ، فاستشاره في الجلاء من المدينة ، وشكا إليه أسعارها وكثرة عيالها ، وأخبره  
أن لا صَبْرَ له على جَهْدِ المدينة ولأوائها ، فقال : ويحك ! لا أمرك بذلك ، إني  
سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يصبر » وفي رواية « لا يثبت أحدٌ على  
لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة » وفي رواية « فقال أبو سعيد :  
لا تفعل ، الزم المدينة » وذكر الحديث بزيادة قصة .

وفي مسلم وفي الموطأ والترمذي عن يَحْيَى<sup>(١)</sup> مولى مصعب بن الزبير أنه كان

---

(١) يَحْيَى : بضم الياء المثناة وفتح الحاء المهملة ، وبعدها نون مشددة مكسورة  
أو مفتوحة ، وآخره سين مهملة أو شين معجمة ، ووقع في المطبوعات « يحيى »  
تطبيع ( وانظر الموطأ ٨٨٥ وخلاصة الخزرجي ٤٤٢ )

جالساً عند ابن عمر في الفتنة، فأتته مولاة [له] تسلم عليه، فقالت : إني أردت الخروجَ  
يا أبا عبد الرحمن ، اشتدَّ علينا الزمان ، فقال لها عبدُ الله : اقعدى لكأع<sup>(١)</sup> ،  
ولفظ الترمذى : اصبرى لكأع<sup>(١)</sup> : فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه  
وسلم يقول : « لا يصبر على لأوائها وشدتها أحدٌ إلا كنت له شهيداً أو شفيعاً  
يوم القيامة » .

فإن قيل : ما معنى التردد في قوله « شفيعاً أو شهيداً » ؟ وما معنى هذه الشفاعة  
مع عموم شفاعته صلى الله عليه وسلم ؟

قلنا : ذكر عياض ما ملخصه أن بعض مشايخه جعل «أو» للشك من الراوى ،  
وأن الظاهر خلافه لكثرة روايته بذلك ، بل الظاهر أنه من لفظه صلى الله عليه وسلم ،  
فإما أن يكون أعلم بهذه الجملة هكذا ، وإما أن تكون «أو» للتقسيم ، ويكون شفيعاً  
للعاصين وشهيداً للمطيعين ، أو شهيداً لمن مات في حياته وشفيعاً لمن مات بعده ،  
قال : وهذه الشفاعة أو الشهادة زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعاملين في القيامة  
وعلى شهادته على جميع الأمم ، فيكون لتخصيصهم بذلك مزية وزيادة منزلة وحُظوة  
قال : ويحتمل أن يكون «أو» بمعنى الواو ، قلت : ويدلُّ له ما رواه البرّاءُ برجال  
الصحيح عن عمر رضى الله عنه بلفظ « فمن صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعاً  
وشهيداً يوم القيامة » وأسنده ابن النجار بلفظ « كنت له شفيعاً وكنت له شهيداً  
يوم القيامة » وأسنده المفضل الجندى في فضائل المدينة عن أبي هريرة أيضاً بلفظ  
« لا يصبر أحد على لأواء المدينة » وفي نسخة « وحرها إلا كنت له شفيعاً وشهيداً »  
قال القاضي : وإذا جعلنا «أو» للشك فإن كانت اللفظة شهيداً فالشهادة أمر زائد على  
الشفاعة المجردة المدخرة لغيرهم من الأمة ، وإن كانت اللفظة شفيعاً فهذه شفاعة غير  
العامة تكون لأهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بإكرامهم يوم

---

(١) لكأع : كلمة تدكر لسبب الأثني ، وهى مبنية على الكسر ، ومعناها :  
يا حمتاء ، أو يامن لا تتجهين لمنطق ولا غيره ، وفي الموطأ (١٨٦) « اقعدى لكأع »

القيامة بأنواع من الكرامات كإيوائهم في ظلّ العرش أو كونهم في روح<sup>(١)</sup> وعلى منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات . قلت : ويحتمل أن يجمع لهم ببركة شفاعته صلى الله عليه وسلم أو شهادته الخاصة بين ذلك كله ؛ فالجاء عظيم ، والكرم واسع ، وتأكيده الوصية بالجار يؤيد ذلك ، ويحتمل أيضاً أن يكون المراد مع ذلك البشرى بموتهم على الإسلام ؛ لأن شفاعته وشهادته صلى الله عليه وسلم المذكورة خاصة بالمسلمين ، وكفى بذلك نعمة ومزية ، وسيأتي الإشارة إلى نحو ذلك في أول الباب الثامن .

وفي الموطأ والصحيحين حديث « تفتح اليمين فيأتى قوم يبشّون فيتحمّلون أهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » الحديث . وقوله « يبسون » بفتح المثناة التحتية أوله وضم الباء الموحدة وكسرهما ، ويقال أيضاً بضم المثناة وكسر الموحدة — يسوقون بهائمهم سوقاً شديداً ، وقيل : البسّ : سرعة الذهاب .

وفي مسلم حديث « يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه أو قريبه : المدينة هلم إلى الرخاء ، هلم إلى الرخاء ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، والذي نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ، ألا إن المدينة كال كبير<sup>(٢)</sup> تخرج الخبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها كما ينفى الكبير خبث الحديد » .

وفي الصحيحين « أمرت بقرية تأكل القرى ، يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكبير خبث الحديد » وفى رواية لابن زبالة « إن المدينة تنفى خبث الرجال » وفى رواية « خبث أهلها كما ينفى الكبير خبث الحديد » .

(١) الروح - بفتح الراء وسكون الواو - الراحة والرحمة ، وقوله « على منابر » أى من نور كما ورد فى حديث .

(٢) الكبير - بكسر الكاف - زق ينفع فيه الحديد ( المنفاخ )

وفي صحيح البخارى حديث « إنها طيبة تنفى الذنوب كما ينفى الكير خبث الفضة » .

وفي الصحيحين قصة الأعرابي الذى جاء من الغد محموما فقال : أفلنى بيعتى ، فأبى صلى الله عليه وسلم ، فخرج الأعرابي ، فقال صلى الله عليه وسلم « إنما المدينة كالكير تنفى خبثها وتنصع طيبها » .

قوله « أفلنى بيعتى » أى انقض العهد حتى أرجع إلى وطنى ، وكأنه كان قد بايع على هجرة الإقامة . وقوله « تنفى خبثها » يحتمل أن يكون بمعنى الطرد والإبعاد لأهل الخبث ، وقصة الأعرابي المذكور ظاهرة فيه ، وخصه ابن عبد البر بزمه صلى الله عليه وسلم ، والظاهر كما قال النووى عدم التخصيص ؛ ففى الصحيح « لا تقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها » يعنى عند ظهور الدجال ، وسيأتى فى الفصل الخامس فى حديث أحمد وغيره برجال الصحيح قصة خروج مَنْ بالمدينة من المنافقين إلى الدجال ، ثم قال « وذلك يوم التخليص ، ذلك يوم تنفى المدينة الخبث » وقال عمر بن عبدالعزيز مشفقاً إذ خرج منها لمن معه : أنخشي أن نكون ممن نفت المدينة ؟ وقد طهرها الله تعالى ممن كان بها من أرباب الأديان المخالفين لدين الإسلام ، وأهلك من كان بها من المنافقين ، وهؤلاء هم أهل الخبث الكامل ، ومن عداهم من أهل الخبث والذنوب قد يكون طرده وإبعاده إن استمر على ذلك بآخرة الأمر بنقل الملائكة له إلى غيرها من الأرض كما أشار إليه الأقرشى قال : ويكون قوله « تنفى خبثها ، وتنفى الذنوب » أى أهل ذلك ، على طريقة حذف المضاف ، ويحتمل أن يكون بمعنى طرد أهل الخبث الكامل ، وهم أهل الشقاء والكفر ، لا أهل السعادة والإسلام ؛ لأن القسم الأول ليس قابلاً للشفاعة ولا المغفرة ، وقد وعد صلى الله عليه وسلم مَنْ يموت بها بالشفاعة [لهذا]<sup>(١)</sup> وجب انتفاء القسم الأول منها ، ويحتمل أن يكون بمعنى تخليص النفوس من شرها وميلها إلى اللذات

(١) زيادة يستدعيها اتساق الكلام

بما فيها من اللاؤء والشدة ، ويؤيده رواية « إنها طيبة تنفى الذنوب » الحديث ، ويكون فيها للذنوب على ظاهره ، سيما وقد اشتملت على عظيم المضاعفات ، وتنوع المَثُوبات ، وتوالى الرحمت ، وقد قال تعالى : « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ »<sup>(١)</sup> مع ما لأهلها من الشفاعة والشهادة الخاصة ، وما بها من تضاعف البركات ، ويحتمل أن يكون بمعنى أنه لا يخفى حال من انطوى فيها على خَبَثٍ ، بل تظهر طويته كما هو مُشَاهَد بها ، ولم أر الآن مَنْ نَصَّ على هذا الاحتمال ، وهو فى حفظى قديماً ، ويؤيده ما فى غزوة أحد فى الصحيح من أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى أحد رَجَعَ ناس من أصحابه - أى وهم المنافقون - فقال صلى الله عليه وسلم : « المدينة كالِكَبِيرِ » الحديث ، ولهذا سميت بالفاضحة كما قدمته ، مع أن الذى ظهر لى من مجموع الأحاديث واستقراء أحوال هذه البلدة الشريفة أنها تنفى خبثها بالمعانى الأربعة .

وقوله « وتنصع » بالفوقانية المفتوحة والنون والمهملتين كتنصع - أى تخلص ، والناصع : الخالص الصافى ، و « طيبها » بفتح الطاء والتشديد منصوباً على أنه مفعول هذا هو المشهور فيه ، والله أعلم .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر فى تحريم المدينة مرفوعاً « ولا يريدُ وعيد من أراد أحدَ أهلَ المدينة بسوء إلا أذابه الله فى النار ذَوْبَ الرِّصَاصِ ، أو ذوب الملح فى الماء » .

قال عياض : قوله « فى النار » يدفع إشكال الأحاديث التى لم تذكر فيها هذه الزيادة ، ويبين أن هذا حكمه فى الآخرة . قال : وقد يكون المراد به أن مَنْ أرادها فى حياة النبي صلى الله عليه وسلم كُفِيَ المسلمون أمره ، واضمحل كيده كما يضمحل الرصاص فى النار . قال : ويحتمل أن يكون المراد مَنْ كَادَهَا اغتيالاً

(١) من سورة هود من الآية ١١٤ .

وطلبا لغرتها فلا يتم له أمر ، بخلاف مَنْ أتى ذلك جهارا . قال : وقد يكون فى اللفظ تقديم وتأخير : أى أذابه الله كذوب الرصاص فى النار ، ويكون ذلك لمن أرادها فى الدنيا فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطانا ، بل يذهبه عن قرب ، كما انقضى شأن مَنْ حاربها أيام بنى أمية مثل مسلم بن عقبة<sup>(١)</sup> ، فأهلك فى منصرفه منها . ثم هلك يزيد بن معاوية مُرسِلُهُ على أثر ذلك ، وغيرها ممن صنع صنيعهما ، انتهى .

وهذا الاحتمال الأخير هو الأرجح ، وليس فى الحديث ما يقتضى أنه لا يتم له ما أراد منهم ، بل الوعد بإهلاكه ، ولم يزل شأن المدينة على هذا حتى فى زماننا هذا لما تظاهرت طائفة العياشى بإرادة السوء بالمدينة الشريفة لأمر اقتضى خروجهم منها حتى أهلك الله تعالى عُتَاتَهُم مع كثرتهم فى مدة يسيرة

وقد يقال : المراد من الأحاديث الجمع بين إذايته بالإهلاك فى الدنيا وبين إذايته فى النار فى الأخرى ، والمذكور فى هذا الحديث هو الثانى ، وفى غيره الأول ؛ فى رواية لأحمد برجال الصحيح من جملة حديث « من أرادها بسوء » يعنى المدينة « أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء » وكذا فى مسلم أيضا ، وفى فضائل المدينة للجندي حديث « أيما جَبَّارٍ أراد المدينة بسوء أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء » وفى رواية لمسلم « مَنْ أراد أهلَ هذه البلدة بسوء - يعنى المدينة - أذابه الله تعالى كما يذوب الملح فى الماء » وفى رواية له أيضا « مَنْ أراد أهلَ هذه البلدة بدَّهْمٍ أو بسوء » ، وروى البزار بإسنادٍ حَسَنٍ حديث : « اللهم اكْفِهِمْ مَنْ

---

(١) مسلم بن عقبة المرى : هو الذى سموه فيما بعد « مسرفا » وهو الذى أرسله يزيد بن معاوية لحرب أهل المدينة ، وكانوا قد دخلوا يزيد ، وأخرجوا عامله عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، وأمروا عليهم عبيد الله بن حنظلة ، ووقعة مسلم بأهل المدينة تسمى « وقعة الحرة » وقد مات بالمشلل - وقيل : بثنية هرثى - منصرفه عن المدينة قاصداً مكة لقتال عبد الله بن الزبير بن العوام ، فى سنة ٦٤ من الهجرة .



دَهَمَهُمْ بِيَأْسٍ « يعنى أهل المدينة » ولا يريدُها أَحَدٌ بسوءٍ إلا أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء .

وقوله « دهمهم » محركا أى غشيهم بسرعة ، وقوله فى الحديث قبله « بدهم » بفتح أوله وإسكان ثانيه - أى بغائلة وأمر عظيم ، ولذا قيل : المرادُ غازيا مُغيرا عليها .

وفى البخارى حديث « لا يكيد أهل المدينة أَحَدٌ إلا انماع<sup>(١)</sup> » كما ينماع الملح فى الماء « وأسند ابن زبالة عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على المدينة فرفع يديه حتى روى عُفْرَةَ إبطيه ثم قال « اللهم مَنْ أَرَادَنى وأهلَ بلدى بسوءٍ فَعَجِّلْ هَلَاكَهُ » وروى الطبرانى فى الأوسط برجال الصحيح حديث « اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فَأَخِفْهُ وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ<sup>(٢)</sup> ولا عَدْلٌ » وفى رواية لغيره « مَنْ أَخَافَ أهل المدينة أخافه الله يوم القيامة ، وَعَظِيبَ عليه ، ولم يقبل منه صَرْفًا<sup>(٣)</sup> ولا عدلا » وروى النسائى حديث « من أخاف أهل المدينة ظالما لهم أخافه الله ، وكانت عليه لعنة الله » الحديث ، ولابن حبان نحوه ، وروى أحمد برجال الصحيح عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما أن أميرا من أمراء الفتنة قَدِمَ المدينة ، وكان قد ذهب بصراً جابر ، فقبل لجابر : لو تَدَحَّيْتَ عنه<sup>(٣)</sup> ، فخرج يمشى بين ابنيه ، فنكب ، فقال : تَعَسَ مَنْ أَخَافَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال ابناه ، أو أَحَدُهُما : يا أَبَتِ ، فكيف أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات ؟ فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ المدينة فقد أخاف ما بين جَنْبَيَّْ » .

---

(١) انماع ينماع : ذاب يذوب .

(٢) الصرف - بفتح فسكون - التوبة ، أو الفدية ، أو النافلة ، وسيأتى للشارح

تفسيره ص ٤٧ . (٣) تنحيت عنه : ابتعدت .

قلت : والظاهر أن الأمير المُشار إليه هو بُسر بن أرطاة

بسر بن أرطاة  
يغزو المدينة

قال القرطبي : ذكر في رواية ابن عبد البر أن معاوية رضى الله عنه بعد تحكيم الحكيم  
أرسل بُسر بن أرطاة في جيش ، فقدموا المدينة ، وعامِلُها يومئذٍ لعل رضى الله عنه  
أبو أيوب الأنصاري - رضى الله عنه ! - فقرأ أبو أيوب ولحق بعل ، ودخل بُسر المدينة ،  
وقال لأهلها : والله لولا ما عهد إلى أمير المؤمنين ما تركت فيها محتلماً <sup>(١)</sup> إلا قتلته ،  
ثم أمر أهل المدينة بالبيعة لمعاوية ، وأرسل إلى بني سلمة فقال : ما لكم عندى أمان  
ولا مبايعة حتى تأتونى بجابر بن عبد الله ، فأخبر جابر ، فانطلق حتى جاء أم سلمة  
زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لها : ماذا ترين فأنى أخشى أن أقتل ، وهذه  
بيعة ضلال ، فقالت : أرى أن تبأيع ، وقد أمرتُ ابني عمر بن أبي سلمة أن  
يبأيع ، فأتى جابر بُسراً فبايعه ، وهدم بسر دورا بالمدينة ، ثم انطلق .

وفي رواية ستأتى في الفصل الخامس عشر أن أهل المدينة فرّوا يومئذٍ حتى  
دخلوا الحرّة حرّة بني سليم <sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

وفي الكبير للطبراني حديث « مَنْ آذى أهل المدينة آذاه الله ، وعليه لعنة  
الله والملائكة والناس أجمعين ، ولا يُقبل منه صَرْف ولا عدل » .  
وروى ابن النجار حديث « مَنْ أخاف أهل المدينة ظمأً أخافه الله ، وعليه  
لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صَرْفاً ولا عدلاً »  
والأحاديث في هذا الباب كثيرة .

وفي الصحيحين في أحاديث تحريم المدينة « فمن أخذت فيها حدّثاً أو آوى  
مُحدّثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفاً

وعيد من  
أحدث بها  
حدّثاً

(١) محتلماً : أى بالغا .

(٢) وقع في كل المطبوعات « بسر بن أرطاة » بالشين المعجمة في كل المواضع  
- تطبيع ، وانظر ابن الأثير ( الكامل ١٦٦/٣ بولاق ) .

ولا عَدْلًا» ولفظ البخارى « لا يُقْبَلُ منه صرف ولا عدل » قيل : الصَّرْفُ : الفريضة ، والعدل التطوع ، ونقل عن الجمهور ، وقيل عكسه ، وقيل : الصرف : التوبة ، والعدل الفدية ، قيل : والمعنى لا يقبل الله فريضته وناقلته أو توبته قبولاً رِضاً ، ولا يجد في القيامة فداء يفتدى به من يهودى أو نصرانى ، بخلاف سائر المذنبين ، وقيل غير ذلك ، ومعنى هذا اللعن المبالغة في الإبعاد عن رحمة الله تعالى والطرْدِ عن الجنة أول الأمر لأنه كلعن الكفار .

قال القاضى : ومعنى قوله « مَنْ أَحْدَثَ فيها حدثاً إلى آخره » من أتى فيها إثماً أو آوى مَنْ أتاه وضمه إليه وحمّاه ، وآوى بالمد والقصر ، قال : واستدلوا به على أن ذلك من الكبائر ؛ لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة .

قلت : فيستفاد منه أن إثم الصغيرة بها كإثم الكبيرة بغيرها ؛ لصدق الإثم بها ، بل نقل الزركشى عن مالك رحمه الله ما يقتضى شمول الحديث المذكور للمكروه كما بيناه في الأصل ، وذلك لأن الإساءة بحضور الملك ليست كالإساءة في أطراف المملكة ، وقفنا الله تعالى لحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة بمنه وكرمه !!

### الفصل الثالث

في الحث على حفظ أهلها ، وإكرامهم ، والتنحيز على الموت بها واتخاذ الأصل<sup>(١)</sup> .

روينا في كتاب ابن النجار عن مَعْقِل بن يَسَار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة مُهَاجَرِي ، فيها مَضْجَعِي ، ومنها مَبْعَثِي ، حَقِيقٌ على أمتي بحفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر ، مَنْ حفظهم كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة ، ومن لم يحفظهم سُقِيَ من طينة الخبال » قيل للمزنى : ما طينة الخبال ؟ قال : عَصارة أهل النار . قلت : قال بعضهم : المراد بالمزنى مَعْقِل بن يسار ، وتفسير طينة الخبال بذلك رفعه مسلم ، والحديث في الكبير للطبرانى بسند فيه متروك ،

الوصية  
بحفظ أهلها

(١) الأصل : المال ، وانظر ص ٣ الهامشة ١

ولفظة « المدينة مهاجري »<sup>(١)</sup> ومضجعى في الأرض ، حق على أمتي أن يكرموا جيرانى ما اجتنبوا الكبائر ، فمن لم يفعل ذلك سقاه الله من طينة الخبال « قلنا : يا أبا يسار، وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار .

وروى القاضى أبو الحسن على الهاشمى فى فوائده عن خارجة بن زيد عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المدينة مهاجري »<sup>(١)</sup> وفيها مضجعى ، ومنها مخرجى ، حق على أمتي حفظ جيرانى فيها ، من حفظ وصيتى كنت له شهيداً يوم القيامة ، ومن ضيعها أورده الله حوض الخبال ، قيل : وما حوض الخبال يا رسول الله ؟ قال : حوض من صديد أهل النار .

وروى ابن زبالة عن عطاء بن يسار وغيره حديث « إن الله جعل المدينة مهاجري »<sup>(١)</sup> ، وبها مضجعى ، ومنها مبعثى ، فحق على أمتي حفظ جيرانى ما اجتنبوا الكبائر ، فمن حفظ فيهم حرمتى كنت له شفيعاً يوم القيامة ، ومن ضيع فيهم حرمتى أورده الله حوض الخبال . وفى رواية له « المدينة مهاجري »<sup>(١)</sup> ، وبها وفاتى ، ومنها مخشرى ، وحق على أمتي أن يحفظوا جيرانى ما اجتنبوا الكبيرة ، من حفظ فيهم حرمتى كنت له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة .

وفى مدارك عياض قال محمد بن مسلمة : سمعت مالكا يقول : دخلت على المهدي فقال : أوصني ، فقلت : أوصيك بتقوى الله وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه ؛ فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المدينة مهاجري »<sup>(١)</sup> ، ومنها مبعثى ، وبها قبرى ، وأهلها جيرانى ، وحق على أمتي حفظ جيرانى ؛ فمن حفظهم فى كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة ، ومن لم يحفظ وصيتى فى جيرانى سقاه الله من طينة الخبال .

(١) مهاجري - بضم الميم وفتح الجيم - موضع هجرى

وروى مالك في الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالساً وقبره يُحْفَرُ بالمدينة ، فاطَّلَعَ رجل في القبر فقال : بُسْ مضجع المؤمن ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بُسْ ما قلت » قال الرجل : إني لم أرد هذا ، إنما أردتُ القتل في سبيل الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا مِثْلَ للقتل في سبيل الله ، ما على الأرض بُقْعَةٌ أحب إليّ من أن يكون قبري بها منها » يعني المدينة ، ثلاث مرات <sup>(١)</sup> .

وروى ابن شبة في أخبار مكة عن سعيد بن أبي هند قال : سمعت أبي يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان إذا دخل مكة قال : اللهم لا تجعل منايا <sup>(٢)</sup> بمكة حتى تخرج منها » ورواه أحمد في مسنده برجال الصحيح عن ابن عمر مرفوعاً ، إلا أنه قال « حتى تُخْرِجَنَا منها » .

وروى مالك والبخاري ورزين العبدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ، زاد رزين أن ذلك كان من أجل <sup>(٣)</sup> دعاء عمر .

وسبق ما جاء في أن الإنسان يُدْفَن في التربة التي خلق منها ؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم وأكثَر أصحابه وأفضلهم خلقوا من تربة المدينة ، وقد ثبت حديث « من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة » ورواه البيهقي بلفظ « من استطاع أن يموت بالمدينة فَلْيَمُتْ ، فمن مات بالمدينة كنت له شفيعاً وشهيداً » وفي رواية له « فإنه مَنْ يَمُتْ بها أَشْفَعُ له ، أو أشهد له » وقد ذكر هذه الرواية ابن حبان في صحيحه .

وروى الترمذي وابن حبان في صحيحه وابن ماجّة والبيهقي وعبد الحق

(١) انظر الموطأ (ص ٦٢ ط الحلبي) قال ابن عبد البر : هذا الحديث لا أحفظه مسنداً ، ولكن معناه موجود من رواية مالك وغيره .

(٢) المنايا : جمع منية ، وهي اللوت . (٣) أجل دعاء عمر : أكثره وأعظمه .

وصححه حديث « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فإنى أشفع لمن يموت بها » ولفظ ابن ماجه « فإنى أشهد » بدل « فإنى أشفع » ورواه الطبرانى فى الكبير بسند حسن ، ولفظه « من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت ؛ فإنه من مات بها كنت له شهيداً - أو شفيعاً - يوم القيامة » ورواه ابن رزى بنحوه ، وزاد « وإنى أول من تَنَشَّقُ عنه الأرض ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتى أهل البقيع فيحشرون ، ثم أنتظر أهل مكة فأحشر بين أهل الحرمين » وفى روايه لابن النجار « فأخرج أنا وأبو بكر وعمر إلى البقيع فيبعثون ، ثم يبعث أهل مكة » . وروى الطبرانى حديث « أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة ، ثم أهل مكة ، ثم أهل الطائف » وأخرجه الترمذى بالواو بدل ثم ، وسيأتى فى فضل البقيع زيادة تتعلق بذلك .

وبالجملة فالترغيب فى الموت فى المدينة لم يثبت مثله لغيرها ، والسكنى بها وُصلة إليه ؛ فيكون ترغيباً فى سكنائها ، وتفضيلاً لها على غيرها ، واختيار سكنائها هو المعروف من حال السلف ، ولا شك أن الإقامة بالمدينة فى حياته صلى الله عليه وسلم أفضل إجماعاً ، فنستصحب ذلك بعد وفاته حتى يثبت إجماع مثله برفعه . وأسند ابن شبة فى أخبار مكة عن إسماعيل بن سالم قال : سألت عامراً عن فتياً أفتى بها حبيب بن أبى ثابت ، فقال : ألا يفتى حبيب نفسه حيث نزل مكة وهى قرية أعرابية ، ولأن أنزل دوران<sup>(١)</sup> أحب من إلى من أن أنزل مكة ، وهى قرية هاجر منها النبى صلى الله عليه وسلم .

وعن الشعبى أنه كان يكره المقام بمكة ، ويقول : هى دار أعرابية ، هاجر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ألا يفتى حبيب نفسه حيث يجاور بمكة وهى دار أعرابية ، وقال عبد الرزاق فى مصنفه : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحجون ثم يرجعون ، ويعتَمرون ثم يرجعون ، ولا يجاورون .

---

(١) دوران كحوران : عند طرف قديد ، ذكره المصنف فى خلاصة الوفا ٢١ .

قلت: ولم أظفر عن السلف بنقل في كراهة المجاورة بالمدينة الشريفة ، بخلاف مكة ، لكن اقتضى كلام النووى فى شريح مسلم حكاية الخلاف فيها ، وكأنه قاس المدينة على مكة من حيث إن علة الكراهة وهى خوف الملل وقلة الحرمة للأنس وخوف ملابسة الذنوب لأن الذنب بها أقبح ، ونحوه موجود بالمدينة ، ولهذا قال : والمختار أن المجاورة بهما جميعاً مستحبة إلا أن يَغْلِبَ على ظنه الوقوع فى المحذورت المذكورة .

وقال الزركشى عقب نقل كلام النووى : إن الظاهر ضعف الخلاف فى المدينة : أى لما قدمناه من الترغيب فيها ، ولأن كل من كره المجاورة بمكة استدل بترك الصحابة الجوار بها ، بخلاف المدينة فكانوا يحرسون على الإقامة بها ، وقد روى الطبرانى فى الأوسط حديث « من غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مُشْرَبٌ جَنُوءٌ » وأسند ابن أبى حشمة حديث « من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ، ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً ولو قصرَةً » قال ابن الأثير: القصرة محرّكة أصل الشجرة ، أى ولو نخلة واحدة ، والقصرة أيضاً : العنق ، وقال الخطابى: القصرة النخلة ، وقرأ الحسن « إنها ترمى بشرر كالقصر » وفسروه بأعناق النخل ، ورواه الطبرانى فى الكبير بلفظه إلى قوله « فليجعل له بها أصلاً » وقال عقبه : « فليأتين على الناس زمان يكون الذى ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها » ورواه ابن شبة أيضاً بنحوه ، ثم أسند عن الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تتخذوا الأموال بمكة ، واتخذوها فى دار هجرتكم ؛ فإن المرء مع ماله » وأسند أيضاً عن ابن عمر حديث « لا تتخذوا من وراء الروحاء مالا ، ولا تردوا على أعقابكم بعد الهجرة ولا تُنْكِحُوا بناتكم طُلُقَاءَ أهل مكة ، وأنكحوهن بأترابهن فأترابهن » أى مستويات فى السن فى ثلاث وثلاثين سنة .

وهذا كله متضمن لالحث على سكنى المدينة وتفضيله على سكنى مكة ، وهى جديرة بذلك ؛ لأن الله تعالى اختارها لنبيه صلى الله عليه وسلم قرّارا ، وجعل أهلها

شيعة له وأنصارا ، وكانت لهم أوطانا ، ولو لم يكن إلا جواره صلى الله عليه وسلم بها وقد قال صلى الله عليه وسلم « ما زال جبريل يوصيني بالجار » الحديث (١) ، ولم يخصّ جارا دون جار ، ولا يخرج أحد عن حكم الجار وإن جَارَ ، ولهذا اخترتُ تفضيلَ سكانها على مكة ، مع تسليم مزيد المضاعفة لمكة ؛ إذ جهة الفضل غير منحصرة في ذلك ؛ فتلك لها مزيد العَدَد ، وهذه تضاعف البركة والمدد ، وتلك جوار بيت الله ، وهذه جوار حبيب الله وأكرم الخلق على الله ، سر الوجود ، والبركة الشاملة لكل موجود

قال عياض في المدارك : قال مُصَنَّب : لما قدم المهديُّ المدينة استقبله مالك وغيره من أشرافها على أميال ، فلما بصر بمالك انحرف المهديُّ إليه فماتته وسلم عليه وسائره ، فالتفت مالك إلى المهدي فقال : يا أمير المؤمنين ، إنك تدخل الآن المدينة فتعمرُ بقوم عن يمينك ويسارك ، وهم أولاد المهاجرين والأنصار ، فسلم عليهم ؛ فإنه ما على وجه الأرض قوم خير من أهل المدينة ، ولا خير من المدينة ، قال : ومن أين قلت ذلك يا أبا عبد الله ؟ فقال : إنه لا يعرف قبر نبيّ اليوم على وجه الأرض غير قبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كان قبر محمد صلى الله عليه وسلم عندهم فينبغي أن يعرف فضلهم على غيرهم ، ففعل المهدي ما أمره به ، فأشار مالك رحمه الله - إلى أن المقتضي للتفضيل هو وجود قبر النبي صلى الله عليه وسلم بها ، ومجاورة أهلها له

#### الفصل الرابع

في بعض دعائه صلى الله عليه وسلم لها ولأهلها ، وما كان بها من الوباء ، ونقله رويناه في الصحيحين حديث « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد » ورواه رزين العبدري والجندي بالواو بدل «أو» مع أن أوفى تلك الرواية بمعنى بل ، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم في محبة المدينة ما لم يرد مثله لمكة ؛ ففي صحيح

حب النبي  
صلى الله  
عليه وسلم  
للمدينة

(١) تتمته « حق ظننت أنه سيورثه » .



البخارى وجامع الترمذى حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر فنظر إلى جدران المدينة أو وضع راحلته <sup>(١)</sup> ، وإن كان على دابة حركها من حبه » وفى روايه لابن زبالة « تباشراً بالمدينة » ، وفى رواية له « كان إذا أقبل من مكة فكان بالأناية طرح رداءه عن منكبيه وقال : هذه أرواح طيبة » وقد تكرر دعوؤه صلى الله عليه وسلم بتحبيب المدينة إليه كما سيأتى ، والظاهر أن الإجابة حصلت بالأول ، والتكرير لطلب الزيادة ، وفى كتاب الدعاء للمحاملى وغيره عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه « كان إذا قدم من سفر من أسفاره فأقبل على المدينة يسير أتم السير ، ويقول : اللهم اجعل لنا بها قراراً ، ورزقا حسنا »

وفى الصحيحين حديث « اللهم اجعل بالمدينة ضيفي ما جعلت بمكة من البركة » . وفى مسلم « اللهم بارك لنا فى تمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا ، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليتك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعاك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه » وفيه أيضا « اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم اجعل لنا فى صاعنا ، اللهم بارك لنا فى مدنا ، اللهم بارك لنا فى مدينتنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين » وفيه أيضا وفى الترمذى حديث « كان الناس إذا رأوا أول الثمرة جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا أخذه قال : اللهم بارك لنا فى تمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا » الحديث ، وهو يقتضى تكرار هذا الدعاء بتكرر ظهور الثمرة والإتيان بأولها ، وفى الترمذى - وقال : حسن صحيح - عن على رضى الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بحجرة السقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني بوضوء ، فتوضأ ثم قام فاستقبل القبلة فقال : اللهم إن إبراهيم كان عبدك

(١) الإيضاع : الإسراع ، والمراد أنه كان يحملها على السرعة .

وخليك ، ودعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا عبدك ورسولك أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في مَدِّهم وصَاعِهم مِثْلِي ما باركت لأهل مكة ، مع البركة بركتين» ورواه ابن شَبَّه في أخبار مكة بنحوه ، إلا أنه قال : « حتى إذا كنا بالحرة بالسقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني بوضوء ، فلما توضأ قام فاستقبل القبلة ثم قال » الحديث بنحوه ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد ، ولفظه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كنا عند السقيا التي كانت لسعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إن إبراهيم عبدك وخليك دعاك لأهل مكة بالبركة ، وأنا محمد عبدك ورسولك وإني أدعوك لأهل المدينة أن تبارك لهم في صاعهم ومدهم مثل ما باركت لأهل مكة ، واجمل مع البركة بركتين » هكذا في النسخة التي وقعت لنا ، ولعله «مِثْلِي» كما في الرواية السابقة ، ويؤخذ منه الإشارة إلى أن المدعو به ستة أضعاف ما بمكة من البركة ، وفي حديث رواه ابن زبالة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم « خرج إلى ناحية من المدينة ، وخرجت معه ، فاستقبل القبلة ورفع يديه حتى إنني لأرى بياض ما تحت منكبيه ، ثم قال : اللهم إن إبراهيم نبيك وخليك دعاك لأهل مكة ، وأنا نبيك ورسولك أدعوك لأهل المدينة ، اللهم بارك لهم في مَدِّهم وصَاعِهم ، وقليلهم وكثيرهم ، ضِعْفِي ما باركت لأهل مكة ، اللهم من ههنا وههنا وههنا ، حتى أشار إلى نواحي الأرض كلها ، اللهم مَنْ أرادهم بسوء فأذِبهُ كما يذوب المدح في الماء » وفي الأوسط للطبراني ورجاله ثقات عن ابن عمر قال : « صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفَجْرَ ، ثم أقبل على القوم فقال : اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في مدنا وصاعنا » الحديث ، وفي الكبير له ورجاله ثقات عن ابن عباس نحوه ، وروى أحمد والبخاري وإسناده حسن عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر يوما إلى الشام فقال : اللهم أَقْبِلْ بقلوبهم ، ونظر إلى العراق فقال : اللهم مثل ذلك ، ونظر قبل كل أفق ففعل ذلك ، وقال :

اللهم ارزُقنا من ثمرات الأرض ، وبارك لنا في مدنا وصاعنا » وفي الصحيحين حديث « اللهم بارك لهم في مكيّاتهم ، وبارك لهم في صاعهم ، وبارك لهم في مدهم » قال القاضي في الكلام عليه : البركة هنا بمعنى النُموّ والزيادة ، وتكون بمعنى الثبات ، فقيل : يحتمل أن تكون هذه البركة دينية ، وهى ما تتعلق بهذه المقادير في الزكاة والكفارات ؛ فتكون بمعنى الثبات لثبات الحكم بها وبقائه ببقاء الشريعة ، ويحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الكيل والقدر بهذه الأكيال حتى يكفي منه مالا يكفي من غيره في غير المدينة ، أو ترجع البركة إلى كثرة ما يكال بها من غلاتها وثمراتها ، وفي هذا كله ظهر إجابة دعوته صلى الله عليه وسلم ، وقال النووي : الظاهر أن المراد البركة في نفس المكيل في المدينة ، بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفيه في غيرها . قلت : هذا هو الظاهر فيما يتعلق بأحاديث الكيل ، وأما غيرها فعلى عمومها في سائر الأمور الدينية والدنيوية . وروينا في فضائل المدينة للجندي حديث : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ، كحبنا مكة وأشَد ، وصَحِّحْهَا لنا ، وبارك لنا في مُدَّهَا وصَاعِهَا ، وانقل حُمَاهَا ، واجعلها بالْجُحْفَةِ » وروى أحمد برجال الصحيح عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَلَّى بأَرْضِ سَعْدِ بِأَصْلِ الْحَرَةِ عِنْدَ بَيْوتِ السَّقِيَا ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَكَ وَعَبْدَكَ وَنَبِيكَ دَعَاكَ لِأَهْلِ مَكَّةَ ، وَأَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِثْلَى مَا دَعَاكَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ ، أَدْعُوكَ أَنْ تَبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمِدِّهِمْ وَتَمَارِهِمْ ، اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ إِلَيْنَا مَكَّةَ ، واجعل ما بها من وباء بَنَحْمُ » <sup>(١)</sup> الحديث ، وقوله « بنحْم » بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم - مكان قرب الجحفة كما سيأتى في موضعه ، وروى ابن زبالة حديث « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وَعِكَ فِيهَا أَصْحَابُهُ » وفيه « فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، ثم رفع يده ، ثم قال : اللَّهُمَّ انْقُلْ عَنَّا الْوَبَاءَ » فلما أصبح قال : (١) في القاموس : « وغدير خم موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين ، وأوخم اسم غيضة هناك بها غدير ماء سم لم يولد بها أحد فعاش إلى أن يمتلئ إلا أن ينتقل منها » .

أتيت هذه الليلة بالحمى ، فإذا بعجوز سوداء مُلَبَّبة في يَدَي الذي جاء بها ، فقال :  
هذه الحمى ، فما ترى فيها ؟ فقلت : اجعلوها بِحُجْم .

الدعاء بنقل  
وبأُها

وفي مسلم حديث عن عائشة رضى الله عنها : « قدمنا إلى المدينة وهي وَبِيَّة  
فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوى  
أصحابه قال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حُببت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك  
لنا في صاعها ومدها ، وَحَوِّلْ حَمَاهَا إلى الْجُحْفَةِ » .

وهو في البخارى بلفظ « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وَعِكَ  
أبو بكر وبلال - رضى الله عنهما ! - وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :  
كُلُّ امرئ مُصَبَّحٌ في أهله والموت أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ  
وكان بلال إذا قلع عنه يرفع عَقِيرَتَهُ <sup>(١)</sup> ويقول :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هل أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بَوَادٍ وَحَوْلَى إِذْ خِرْتُ وَجَلِيلُ  
وَهَلْ أَرَدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ

اللهم اَلْمَنْ شَيْبَةُ بن ربيعة وَعُتْبَةُ بن ربيعة وأمِيَّة بن خلف كما أخرجونا من  
أَرْضنا إلى أرض الوباء ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم حَبِّبْ إلينا  
المدينة كحُبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مُدَّنَا ، وصححها لنا ،  
وانقل حَمَاهَا إلى الْجُحْفَةِ » قالت : وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله ، وكان  
بطحان يجرى نجلا ، تغنى ماء آجنا <sup>(٢)</sup> .

ورواه في الموطأ بزيادة : « وكان عامر بن فهيرة يقول :

قَدْ ذُفْتُ طَعْمَ الْمَوْتِ قَبْلَ ذَوْقِهِ إِنْ الْجَبَانَ حَتَفَهُ مِنْ فَوْقِهِ

ورواه ابن إسحاق بزيادة أخرى ، ولفظه « لما قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه  
وسلم المدينة قَدِمَهَا وهي أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء  
وسَّيَمٌ ، وصرفه الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، قالت : فكان أبو بكر وعامر

(١) قلع عه : ذهب عنه بجران الحمى ، ورفع عَقِيرَتَهُ : رفع صوته .

(٢) بطحان : واد بالمدينة ، والماء الآجن : المتغير لونه وطعمه .

ابن فهيرة وبلال مولى أبى بكر مع أبى بكر فى بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب ، ولهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من أبى بكر ، فقلت : كيف تجددك يا أبت ؟ أى كيف تجد نفسك ، فقال \* كل امرئ \* البيت المتقدم ، فقلت : والله ما يدري أبى ما يقول ، ثم دنوت إلى عامر بن فهيرة ، فقلت : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه      إن الجبان حثفه من فوقه  
كل امرئ مجاهد بطوقه      كالثور يحمى جلداه بروقه<sup>(١)</sup>  
قالت : فقلت ما يدري عامر ما يقول ، وقالت : وكان بلال إذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته وقال : \* ألا ليت شعرى \* البيتين .  
ورواه ابن زبالة بلفظ « لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أصحابه ، فخرج يعود أبى بكر ، فوجده يهجر<sup>(٢)</sup> » ، فقال : يا رسول الله \* لقد لقيت الموت قبل ذوقه \* البيت المتقدم ، فخرج من عنده ، فدخل على بلال فوجده أهجر وهو يقول \* ألا ليت شعرى \* البيتين المتقدمين ، ودخل على أبى أحمد بن جحش فوجده موعوكا ، فلما جلس إليه قال :

واحبذا مكة من وادى      أرض بها تكثر عوادي  
أرض بها تضرب أوتادى      أرض بها أهلى وأولادى  
\* أرض بها أمشى بلا هادى \*  
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا أن يُنقل الوباء من المدينة فيجعله بنخم .

وفى رواية له أنه « أمر عائشة بالذهاب إلى أبى بكر ومولييه ، وأنها رجعت

(١) روق الثور - بفتح الراء وسكون الواو - قرنه ، وسيدكره المؤلف .

(٢) يهجر - بوزن ينصر - أى يهذى ويخلط فى كلامه .

وأخبرته بحالهم ، فذكره ذلك ، ثم عمد إلى بقيع الخيل - وهو سوق المدينة<sup>(١)</sup> - فقام فيه ووجهه إلى القبلة ، فرفع يديه إلى الله فقال : « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لأهل المدينة في سُوْقِهِمْ ، وبارك لهم في صاعِهِمْ ، وبارك لهم في مُدَّتِهِمْ ، اللهم انقل ما كان بالمدينة من وباء إلى مهيعة »

قوله « رفع عقيرته » أى صوته ، وقوله « بواد » روى « بفتح » وهو وادى الزاهر ، والجليل - بالجيم - الثمام ، ومجنة - بكسر الميم وفتحها - سوق بأسفل مكة ، وقال الأصمعي : بمر الظهران ، وشامة وطفيل : جبلان يُشْرِفَانِ على مجنة ، قاله ابن الأثير ، قال : ويقال « شابة » بالباء الموحدة ، وهو جبل حجازي ، قال الحب الطبري : وروايته بالباء الموحدة بخط شيخنا الصاغاني ، وكتب عليها صحح ، وقال الطبري : والأشهر أنهما جَبَلَانِ على مراحل من مكة من جهة اليمن ، وقال الخطابي : عينان . وقوله « بطَوْقِهِ » أى بطاقته ، وقوله « برَوْقِهِ » أى بقرنه ، و « مهيعة » هى الجحفة أحدُ المواقيت المشهورة ، وخم : بقرها ، وإنما دعا صلى الله عليه وسلم بنقل الحمى إليها لأنها كانت دار شرك ، ولم تزل من يومئذ أكثر بلاد الله حمى ، قال بعضهم : وإنه لَيُتَقَى شرب الماء من عينها التى يقال لها عين خم ، فقلَّ مَنْ شرب منها إلا حُمَّ .

وروى البيهقي حديث عائشة من طريق هشام بن عروة عن أبيه ، وفيه « قال هشام : فكان المولود يُولدُ بالجحفة فلا يبلغ الحلم حتى تُضْرِعَهُ الحمى<sup>(٢)</sup> » وقال الخطابي : كان أهل الجحفة إذ ذاك يهودا ، وقيل : إنه لم يبق أحد من أهلها إلا أخذته الحمى .

قال النووي : وهذا عِلْمٌ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ، فإن الجحفة من يومئذ وَبِيَّةٌ ، ولا يشرب أحد من ماؤها إلا حم .

(١) بقيع الخيل ، وهو سوق المدينة ، هو الذى يعرف اليوم بسوق المناخة (مكى)

(٢) تضرعها : تخضعه وتذله ، والمراد أنها تضعفه أشد الضعف .

و بطحان : من أودية المدينة كما سيأتى ، والماء الآجن : المتغير الطعم واللون .  
واتفق أهل الأخبار أن الوباء بالمدينة كان شديداً ، حتى روى ابن إسحاق الوباء بالمدينة  
عن هشام ابن عروة قال : كان وباؤها معروفاً فى الجاهلية ، وكان الإنسان إذا دخلها جاهلى قديم  
وأراد أن يسلم من وبائها قيل له : انهق ، فينهق كما ينهق الحمار .

وفى دلائل النبوة من طريق هشام عن أبيه عن عائشة قالت : « قدم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم المدينة وهى أو بأرض الله ، ووانهيا بطنحان تجل يجرى عليه الأثل »  
قال هشام : وكان وباؤها معروفاً فى الجاهلية ، وكان إذا كان الوادى وبياً فأشرف  
عليه الإنسان قيل له : انهق نهيق الحمار ، فإذا فعل ذلك لم يضره وباء ذلك الوادى ،  
قال الشاعر حين أشرف على المدينة :

لعمري لئن عشت من خيفة الردى \* نهيق الحمار إننى لجزوع  
قالت عائشة : فاشتكى أبو بكر ، الحديث .

ثنية الوداع

وروى ابن شعبة عن عامر بن جابر قال : كان لا يدخل المدينة أحد إلا من  
طريق واحد ، من ثنية الوداع ، فإن لم يعش بها - أى : ينهق كالحمار عشرة  
أصوات فى طلقي واحد - مات قبل أن يخرج منها ، فإذا وقف على الثنية قيل : قد  
ودع ، فسميت ثنية الوداع ، حتى قدم عروة بن الورد العبسى ، فقيل له : عشرينها ،  
فلم يعش ، وأنشأ يقول :

لعمري لئن عشت من خشية الردى \* نهيق الحمار إننى لجزوع  
ثم دخل فقال : يا معشر يهود ، ما لكم وللتعشير ؟ قالوا : إله لا يدخلها أحد  
من غير أهلها فلم يعش بها إلا مات ، ولا يدخلها أحد من غير ثنية الوداع إلا قتله  
الهزال ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ودخلوا من كل ناحية .

تحويل الوباء

من دلائل

النبوة

وتحويل الوباء من أعظم المعجزات ؛ إذ لا يقدر عليه جميع الأطباء ، وفى  
البخارى حديث « رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت  
مهيبة ، فتأولتها أن وباء المدينة نقل إلى مهيبة » وفى الأوسط للطبرانى نحوه ، وفى

كتاب ابن زبالة «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فجاءه إنسان كأنه قدم من ناحية طريق مكة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : هل لقيت أحداً ؟ قال : لا ، إلا امرأة سوداء عُرْيَانَةٌ نائرة الشعر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تلك الحمى ، ولن تعود بعد اليوم أبداً » وفيه أيضاً حديث « اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة ، وانقل وباءها إلى مهيبة ، وما بقى منه فاجعله تحت ذنب مشعط » وحديث « إن كان الوباء في شيء من المدينة فهو في ظل مشعط » . قال المجد : هو جبل أو موضع بالمدينة . قلت : سيأتي عن ابن زبالة في المنازل أن بنى حَدَيْلَةَ ابْتَنَوْا أَطْمَئِنُّ أَحَدُهَا يقال له « مشعط » كان موضعه في غربي مسجد بنى حَدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> ، وفي موضعه بيت يقال له بيت ألى نبيه ، ثم أورد عقبه الحديث المذكور ، فأفاد أنه هو المراد ، وفيه أيضاً حديث « أصح المدينة من الحمى ما بين حرّة بنى قريظة والعريض » وهو يؤذن ببقاء شيء من الحمى بالمدينة ، وأن الذي نقل عنها أصلاً ورأساً سلطانها وشدتها ووباءها وكثرتها بحيث لا يعد ما بقى بالنسبة إليه شيئاً ، ويحتمل أنها رفعت أولاً بالكلية ، ثم أعيدت خفيفة لثلاث يفوت ثوابها كما أشار إليه الحافظ ابن حجر ، ويدل له ما روى أحمد بن حنبل الصحيح وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه عن جابر « استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مَنْ هَذِهِ ؟ فقالت : أمِ سَلْدَمَ ، فأمر بها إلى أهل قباء ، فَلَقَوْا مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَتَوْهُ فَشَكُوا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، فقال : ما شئتم ، إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم ، وإن شئتم تكون لكم طهُوراً ، قالوا : أو تفعل ؟ قال : نعم ، قالوا : فدَعَهَا » ورواه الطبراني بنحوه ، وقال فيه « إن شئتم تركتموها وأسقطت بقية ذنوبكم ، قالوا : فدَعَهَا يارسول الله » وروى أحمد ورجاله ثقات حديث « أتاني جبريل بالحمى والطاعون فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون بالشام ، فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ورجزٌ على الكفار » والأقرب أن هذا كان في آخر الأمر بعد نقل

(١) مسجد بنى حَدَيْلَةَ : داخل البقيع على يمين الداخل من بابه متصل بسورة ؛ سيكون في زقاق سيدنا إسماعيل (مكي) .



الحمى بالسكينة ، لكن قال الحافظ ابن حجر : لما دخل صلى الله عليه وسلم المدينة كان في قلة من أصحابه ، فاختر الحمى لقلة الموت بها على الطاعون لما فيها من الأجر الجزيل ، وقضيتها إضعاف الأجساد ، فلما أمر بالجهاد دعا بنقل الحمى إلى الجحفة ، ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون ربما حصلت له بالقتل في سبيل الله ، ومن فاتته ذلك حصلت له الحمى التي هي حظ المؤمن من النار ، ثم استمر ذلك بالمدينة ، يعني بعد كثرة المسلمين تمييزاً لها على غيرها ، انتهى ، وهو يقتضى عود شيء من الحمى إليها بآخرة الأمر ، والمشاهد في زماننا عدم خاوها عنها أصلاً ، لكنه كما وصف أولاً ، بخلاف الطاعون ، فإنها محفوظة عنه بالسكينة كما سيأتي ، والأقرب أنه صلى الله عليه وسلم لما سأل ربه تعالى لأمته أن لا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأساً بعض فمنعه ذلك فقال في دعائه « فحمى إذا أو طاعوناً » أراد بالدعاء بالحمى للموضع الذي لا يدخله طاعون كما سنشير إليه في الفصل الآتي ؛ فيكون ما بالمدينة اليوم ليس هو حمى الوباء ، بل حمى رحمة بدعائه صلى الله عليه وسلم كما سنوضحه ، والله أعلم .

### الفصل الخامس

#### في عصمتها من الدجال والطاعون

روينا في الصحيحين وغيرها حديث « على أنقاب المدينة <sup>(١)</sup> ملائكة يحرسونها ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » وفيهما أيضاً حديث « ليس من بلد إلا سيطوها الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس نقب <sup>(٢)</sup> من أنقابها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها ، فينزل السبخة ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج إليه كل كافر ومنافق » وفي رواية « فيأتي سبخة الجرف ، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة » وفي البخاري حديث « لا يدخل المدينة رُعبُ المسيح ، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب مَلَكَانِ » وفي مسلم حديث « يأتي المسيح من قبل المشرق

(١) الأنقاب : جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل .

حراسة المدينة  
من الدجال  
والطاعون

وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام ، وهناك يهلك » وفي الصحيحين « قصة خروج الرجل الذي هو خير الناس ، أو من خير الناس ، من المدينة إلى الدجال إذا نزل بعض سباخها فيقول له : أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث بطوله .

قال معمر فيما رواه أبو حاتم : يرون هذا الرجل هو الخضر عليه السلام . وروى أحمد والطبراني في الأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله قال : « أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على فلان<sup>(١)</sup> من أفلاق الحرة ونحن معه ، فقال : نعم الأرض المدينة ، إذا خرج الدجال ، على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها ، فإذا كان ذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفات لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثرهم - يعنى من يخرج إليه - النساء ، وذلك يوم التخايص ، ذلك يوم تنفى المدينة الخبيث كما ينفى الكير خبث الحديد ، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود ، على كل رجل منهم ساج وسيف محلى ؛ فيضرب قبلته بهذا المضرب الذى بمجتمع السيول » الحديث بطوله ، ولفظ الطبراني « يا أهل المدينة ، اذكروا يوم الخلاص ، قالوا : وما يوم الخلاص ؟ قال : يُقبَلُ الدجال حتى ينزل بذياب ، فلا يبقى فى المدينة مشرك ولا مشركة ، ولا كافر ولا كافرة ، ولا منافق ولا منافقة ، ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه ، ويخلص المؤمنون ، فذلك يوم الخلاص » وروى أحمد برجال الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يوم الخلاص ، وما يوم الخلاص ؟ ثلاثاً ، فقليل له : وما يوم الخلاص ؟ قال : يحىء الدجال فيصعد أحداً فيقول لأصحابه : أترون هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد ، ثم يأتى المدينة فيجد بكل نقب منها ملكاً مُصلتاً ، فيأتى سبعة الجرف ، فيضرب رواقه ، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات ، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه ، فذلك يوم الخلاص » وقال الحافظ

---

(١) الفلق - بالتحريك - الطمئن من الأرض بين ربوتين ، ويجمع على فلقان .

ابن حجر : إن أحمد والحاكم أخرجا من رواية محجن بن الأدرع رفعه « يحيى الدجال فيصعد أحدا فيطلع فينظر إلى المدينة فيقول لأصحابه : ألا ترون إلى هذا القصر الأبيض ؟ هذا مسجد أحمد ، ثم يأتي المدينة فيجد في كل نَقْب من أنقابها مَلَكًا مُضَلَّتْ سَيْفَهُ » وبقية بلفظ الحديث المذكور ، إلا أنه قال في آخره : « فتخلص المدينة ، فذلك يوم الخلاص » والمراد بالرواق الفُسْطَاط ، ولا بن حاجة من حديث أبي أمامة « ينزل عند الطريق الأحمر عند منقطع السبخة » ولأحمد من حديث ابن عمر « ينزل الدجال في هذه السبخة بِمَرَقْنَاةٍ » أى ممرها ، وفي عتيق المدينة للزبير بن بكار عن أبي هريرة « ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجتمع السيول ، فقال : ألا أخبركم بمنزل الدجال من المدينة ؟ ثم قال : هذا منزله ، يريد المدينة ، لا يستطيعها ، يجدها متمنقة بالملائكة ، على كل نَقْب من أنقابها مَلَكٌ شاهر سلاحه ، لا يدخلها الدجال ولا الطاعون ، فيززل بالمدينة وبأصحاب الدجال زلزلة ، لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثر من يتبعه النساء ، فلا يعجز الرجل أن يمسك سيفه » .

قلت : يستفاد منه أن المراد من قوله في الأحاديث المتقدمة : فترجف المدينة يعنى بسبب الزلزلة ؛ فلا يشكل بما تقدم من أنه لا يدخل المدينة رُعبُ المسيح الدجال فيستغنى عما جمع به بعضهم من أن الرعب المنفى هو أن لا يحصل لمن بها بسبب قربها منها خوف ، أو هو عبارة عن غايته ، وهو غلبته عليها ، والمراد بالرجفة إشاعة مجيئه وأن لا طاقة لأحد به ؛ فيتسارع حينئذ عليه مَنْ كان يتصف بالنفاق أو الفسق ، قاله الحافظ ابن حجر ، وما قدمناه أولى .

وفي الأوسط للطبراني حديث « ينزل الدجال حَذَوَ المدينة <sup>(١)</sup> » ، فأول من يتبعه النساء والإماء » وفي حديث رواه أحمد والطبراني واللفظ له ورجاله ثقة في وصف الدجال « ثم يسير حتى يأتي المدينة ، ولا يؤذن له فيها ، فيقول : هذه قرية ذاك

---

(١) حذو المدينة - بفتح الحاء وسكون الدال - إزاءها .

الرجل ، ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق<sup>(١)</sup>» وروى أبو يعلى حديث الجساسة المشهور في الصحيح ، بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح وزاد فيه « هو المسيح تطوى له الأرض في أربعين يوما ، إلا ما كان من طيبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وطيبة المدينة ، ما باب من أبوابها إلا وملاك مُضِلٌّ سيفه يمنعه ، وبمكة مثل ذلك » وفي البخاري والترمذي حديث « المدينة يأتيها الدجال فيجد الملائكة يحرسونها فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله تعالى » .

وروى أحمد ورجاله ثقة وابن شبة برجال الصحيح حديث « المدينة ومكة محفوظتان بالملائكة ، على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون » ، وروى أحمد مرسلًا وابنه متصلًا وكذا الطبراني ورجاله ثقة حديث « ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل خرج من بعض الأرياف ، حتى إذا كان قريبًا من المدينة ببعض الطريق أصابه الوباء ؛ ففرغ الناس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لأرجو أن لا يطلع علينا نقابها » يعني المدينة ؛ ونقابها وأنقابها : طرقها وفجاجها ؛ واحدها نقب ، بكسر النون<sup>(٢)</sup> .

وقوله في الرواية المتقدمة « فلا يقربها الدجال ولا الطاعون » فيقتضى جواز دخول الطاعون المدينة ، ويرده الجزم في سائر الأحاديث ، والصواب حفظها منه كما هو المشاهد

وقد استشكل قرن الدجال بالطاعون مع أن الطاعون شهادة ورحمة فكيف يتمدح بعده ؟

والجواب من وجوه : أحدها : أن كونه كذلك ، ليس لذاته ، وإنما المراد ترتب ذلك عليه ، وقد ثبت تفسيره من رواية أحمد « بوخز أعدائكم من الجن » ؛ فيكون الإشارة بذلك إلى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من الطعن ، كما

(١) أفيق - بالهمزة أوله مفتوحة - قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة التي تعرف بعقبة أفيق ، والعامية تقول « فيق » بغير همزة ، والغور : هو الأردن .  
(٢) الذي في القاموس أنه يفتح النون

أن الدجال ممنوع منها ، ألا ترى أن قتل الكافر المسلم شهادة ، ولو ثبت للحل أن الكفار لا تُسلط عليه لحاز بذلك غاية الشرف ، ثانيها : أن أسباب الرحمة لم تنحصر في الطاعون ، وقد عوضهم صلى الله عليه وسلم عنه الحمى حيث اختارها عند ما عُرِضاً عليه كما تقدم ، وهى مطهرة للمؤمن وحظه من النار ، والطاعون يأتى في بعض الأعوام ، والحمى تتكرر في كل حين ، فيتعادلان ، وفيه نظر ؛ لأن تكثير أسباب الرحمة مطلوب ، ولأنه لا يدفع إشكال التمدح بعدمه ، ثالثها : أنه وإن اشتمل على الرحمة والشهادة فقد ورد أن سببه أشياء تقع من الأمة كظهور بعض المعاصي ، وقد روى أحمد بأسانيد حسان وصحاح عن شرحبيل بن حسنة وغيره « أنه - يعنى الطاعون - رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم » وروى أحمد أيضا تفسير كونه دعوة نبيكم عن أبي قلابة بأنه صلى الله عليه وسلم « سأل ربه عز وجل ألا يهلك أمته بسته ، فأعطىها ، وسأله ألا يسلب حليمهم عدوا من غيرهم ، فأعطىها ، وسأله ألا يلبسهم شيعاً ويُذيق بعضهم بأس بعض ، فنعه ، فقال صلى الله عليه وسلم في دعائه : فحى إذا أو طاعونا » كرهه ثلاثا ؛ فقد تضمن الطاعون نوعا من المؤاخذه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم دعا به ليحصل كفاية إذاقة بعضهم بأس بعض ، ويكون هلاكهم حينئذ بسبب لا يعصون به ، بل يشابون ؛ فحفظ الله تعالى بئد نبيه صلى الله عليه وسلم من الطاعون المشتعل على الانتقام إكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وجعل لهم الحمى المضعفة للأبدان عن إذاقة بعضهم بأس بعض والمطهرة لهم ؛ فقوله صلى الله عليه وسلم « فحى إذا » أى للموضع الذى لا يدخله الطاعون ، بل عصم منه وهو جواره الشريف ، وقوله « أو طاعونا » أى للموضع الذى لم يعصم منه ، وهو سائر البلاد ، هذا ما ظهر لى فى فهم هذه الأحاديث ، وهو يقتضى شرف الحمى الواقعة بالمدينة وفضلها ؛ لأنها دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، ورحمة ربنا أيضا ؛ لأنها من لازم دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأنها جعلت فى مقابلة

الطاعون الذى هو رحمة لغيرهم ؛ فتكون الحمى رحمة لهم ؛ فهى غير حمى الوباء  
الذاهبة من المدينة ، رابعها - ذكره الحافظ ابن حجر نقلا عن القرطى - وهو أن  
المعنى لا يدخل إلى المدينة من الطاعون مثل الذى وقع في غيرها كطاعون عَمَوَاس<sup>(١)</sup> ،  
قال الحافظ ابن حجر : وهو يقتضى أن الطاعون يدخلها في الجملة ، وليس كذلك ؛  
فقد جزم ابن قتيبة وتبعه جمع جَمَّ من آخرهم النووى بأن الطاعون لا يدخل المدينة  
أصلا ، ولا مكة أيضا ، لكن نقل جماعة أنه دخل مكة في الطاعون العام سنة  
تسع وأربعين وسبعمائة ، بخلاف المدينة فلم يذكر أحد قط أنه دخلها أصلا ، ثم  
ذكر الحافظ ابن حجر الحديث المتقدم المشتمل على ذكر مكة أيضا ، ثم قال : وعلى هذا  
فالذى نقل أنه وجد بمكة ليس كما ظن ناقله كونه طاعونا ، بل وباء ، وهو أعم  
من الطاعون ، أو يجاب بجواب القرطى المتقدم ، قال : ولعله بنى جوابه على أن  
الطاعون ما ينشأ عن فساد الهوى فيقع به الموت الكثير ، وليس كذلك ؛ ففي  
الصحيح قولُ أبى الأسود : قدمتُ المدينة وهم يموتون بها موتا ذريعا ؛ فهذا  
وقع بالمدينة وهو وباء ، ولكن الشأن في تسميته طاعونا ، قال : والحق أن المراد  
بالطاعون في هذه الأحاديث الذى ينشأ عن طَمَن الجن فيهبج به الدم في البدن  
فيقتل ، فهذا لم يدخل المدينة قط . قلت : نقل الزركشى عن القرطى أنه فسر  
الطاعون بالموت العام الفاشى ، وهو صريح في أنه أراد ما فهمه عنه الحافظ ابن  
حجر ، ويرده قوله في الحديث المتقدم « حتى إذا كان قريبا من المدينة ببعض  
الطريق أصابه الوباء فأفزع الناس » فإن المراد فيه بالوباء الطاعون المعروف  
بعلاماته عندهم ، وإلا فموت الشخص الواحد لا يفزع ولا يسمى موتا عاما ، ويبعد  
جعل الموت العام بمجرد شهادة ، وقد أخبر بعضُ الأولياء بمشاهدة الجن يقظةً  
يطعنون الناس في بعض سنى الطاعون ، ورأيتُه أنا كذلك مناما ، ورأيتُ أن بيني

(١) عمواس - بفتح العين والميم جميعا ، أو بكسر العين وسكون الميم - كورة من فلسطين  
بالقرب من بيت المقدس ، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب ، ثم فشا  
في بلاد الشام ومات به خلق كثير منهم أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح .

و بينهم حائلا ، فحمانى الله منه فى تلك السنة ، على أنه لو سلم أن المراد ما ذكره القرطبي فالإشكال المتقدم باقٍ ؛ إذ يقال : لمَ لمَ يكثر بالمدينة وهو رحمة ؟ فالحق ما قدمناه ، وهذا - كما قال بعضهم - من المعجزات العظيمة المستمرة التى هى من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم لأن الأطباء بأجمعهم قد عَجَزُوا عن دفع الطاعون عن بلد ما فى دهر من الدهور ، وقد امتنع الطاعون عن المدينة هذه الدهور الطويلة ، مع أنه يقع بالحجاز الشريف ، ويدخل قرية ينبع وجدة والفرع والصفراء والخيف وغير ذلك من الأماكن القريبة من المدينة ، ولا يدخلها هى كما شاهدنا ذلك فى طاعون أواخر سنة إحدى وثمانين وثمانمائة مع أوائل التى بعدها ؛ فإنه عم أكثر الأماكن القريبة من المدينة ، وكثر بمكة ، واختلف فى دخوله مكة ، والذى تحمقناه كثرة الموت بها فى ذلك الزمان ، وكثرت الحمى بالمدينة ، لكن لم يكثر بها موت ، وبالجمللة فهى محفوظة منه أتم الحفظ ؛ فله الحمد والمنة .

#### الفصل السادس

فى الاستشفاء بترابها ، وبتمرِّها ، وما جاء فيه

روينا فى كتاب ابن النجار والوفاء لابن الجوزى حديث « غبار المدينة شفاء من الجذام » ما جاء فى أن وفى جامع الأصول لابن الأثير ويبيضا لخرجه عن سعد<sup>(١)</sup> رضى الله عنه قال « لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك تلقاه رجال من الخلفين من المؤمنين ، فأثاروا غباراً ، فخرم - أو فغطى - بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنفه ، فأزال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللثام عن وجهه ، وقال : والذى نفسى بيده إن فى غبارها شفاء من كل داء » قال : وأراه ذكر « ومن الجذام والبرص » وقد أورده كذلك رزين العبدرى فى جامعهم ، وهو مستند ابن الأثير فى إيرادهم ، قال الحافظ المنذرى : ولم أره فى الأصول .

(١) عبارة « ويبيضا لخرجه عن سعد » ليست فى نسخة خلاصة الوفا للمؤلف المطبوعة ، وقد جاء فى تعليقات المكي « عن سعد رضى الله عنه قال لما رجع ، كذا فى هامش نسخة بخط نقة »

وروى رزين أيضاً عن ابن عمر نحوه ، إلا أنه قال « فهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فأماطه عن وجهه ، وقال : أما علمت أن عَجْوَةَ المدينة شفاء من السَّعَم ، وغبارها شفاء من الجذام » ورواه ابن زبالة مختصراً عن صفى بن أبي عامر ، ولفظه « والذي نفسى بيده إن تربتها لمؤمنة ، وإنها شفاء من الجذام » وروى أيضاً عن أبي سلمة : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « غبار المدينة يطفي الجذام » قلت : وقد رأينا من استشفى بغبارها من الجذام ، وكان قد أضرَّ به كثيراً ؛ فصار يخرج إلى الكومة البيضاء ببطحان بطريق قباء ويتمرغ بها ويتخذ منها في مرقده ، فنفعه ذلك جداً . وروى ابن زبالة ويحيى بن الحسن ابن جعفر العلوى وابن النجار كلاهما من طريقه « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بَلَحَارْث ، فإذا هم رَوْبِي<sup>(١)</sup> ، فقال : مالكم يا بني الحارث رَوْبِي ؟ قالوا : أصابتنا يا رسول الله هذه الحمى ، قال : فأين أنتم عن صُعَيْب ؟ قالوا : يا رسول الله مانصنع به ؟ قال : تأخذون من ترابه فتجعلونه في ماء ، ثم ينفل عليه أحدكم ويقول : بسم الله ، ترابُ أرضنا ، بريق بعضنا ، شفاء لمريضنا ، بإذن ربنا ، ففعلوا ، فتركتهم الحمى » قال ابن النجار عقبه : قال أبو القاسم طاهر بن يحيى العلوى : صعيب : وادى بطحان دون الماششونية ، وفيه حفرة مما يأخذ الناس منه ، وهو اليوم إذا وبأ إنسان أخذ منه . قلت : قد رأيت ذلك في نسخة كتاب يحيى التى رَوَاهَا ابْنُهُ طاهر بن يحيى عنه ، والماششونية هى الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية ، وقال ابن النجار عقبه : وقد رأيت أنا هذه الحفرة اليوم ، والناس يأخذون منها ، وذكروا أنهم قد جربوه فوجدوه صحيحاً ، قال : وأخذت أنا منه أيضاً . قلت : وهذه الحفرة موجودة اليوم ، مشهورة سلفاً عن خلف ، يأخذ الناس منها وينقلونه للتداوى ، وقد بعثت منها لبعض الأصحاب أخذاً مما ذكره فى أخذ نبات الحرم للتدارى ، ثم رأيت الزركشى قد قال : ينبغى أن يستثنى من منع نقل تراب الحرم (١) رَوْبِي : جمع روبان ، مثل عطشان وعطشى وسكران وسكرى ؛ وهو

الاستشفاء  
بتراب صعيب

الخائر النفس الشديد الإعياء المختلط العقل .



تربة حمزة رضى الله عنه ؛ لإطباق السلف والخلف على نقلها للتداوى من الصداع ، فقلت عند الوقوف عليه : أين هو من تراب صُعَيْب لما قدمناه فيه ؟ بخلاف ما ذكره إذ لا أصل له ، وذكر المجد أن جماعة من العلماء ذكروا أنهم جربوا تراب صُعَيْب للحمى فوجدوه صحيحا ، قال : وأنا بنفسى سقيته غلاما لى مريضا من نحو سنة تواظبه الحمى ، فاقطعت عنه من يومه ، وذكر المجد أيضا فى موضع آخر كيفية الاستشفاء به أنه يجعل فى الماء ويغتسل به ، وكذا ذكره الجلال المطرى عند ذكر صُعَيْب فقال : وفيه حفرة يؤخذ من ترابها ويجعل فى الماء ويغتسل به من الحمى . قلت : فينبغى أن يجعل فى الماء ثم يتفل عليه ، وتقال الرقية الواردة ، ثم يجمع بين الشرب والغسل منه ، ويستأنس للغسل بما رويناه عن جزء وأبى مسعود بن الفرات الرازى عن ثابت بن قيس « أن النبى صلى الله عليه وسلم عاده وهو مريض فقال : أَذْهَبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ <sup>(١)</sup> » ، عن ثابت بن قيس بن شماس ، ثم أخذ كفا من بطحاء ، فجعله فى قدح من ماء ، ثم أمر فصب عليه « وفى الصحيحين حديث « كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى الإنسانُ أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا ، ووضع سَفِيَانُ سَبَّابَتَهُ بالأرض ثم رفعها ، وقال : بسم الله ، تربة أرضنا ، بريق بعضنا ، يشفى سقيمنا ، بإذن ربنا » ورواه أبوداود بنحوه ، وفى رواية « يقول بريقه ، ثم قال به فى التراب : تربة أرضنا » وروى ابن زَبَّالَةَ « أن رجلا أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله قرحة ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم طرف الحصير ، ثم وضع أصبعه التى تلى الإبهام على التراب بعد ما مسحها بريقه ، وقال : بسم الله ، ريق بعضنا ، بتربة أرضنا ، ليشفى سقيمنا ، بإذن ربنا ، ثم وضع أصبعه على القرحة ، فكأنما حُلَّ من عَقَالٍ » وروى أيضا حديث « تراب أرضنا ، شفاء لقرحنا ، بإذن ربنا » وأن أم سلمة كانت تنمت من القرحة تراب الضبة .

(١) الباس : الشدة ، وأصله البأس - بالهمز - فسهلت الهمزة بقلبها ألباس

لانفتاح ما قبلها ، وهى لغة لقريش

ما جاء في أن  
تمرها شفاء

وفي مسلم حديث « مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حِينَ يَصْبِحُ لَمْ يَضُرْهُ شَيْءٌ حَتَّى يَمْسَى » وفي الصحيحين حديث « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرْهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمٌ وَلَا سِحْرٌ » ورواه أحمد برجال الصحيح بلفظ « مَنْ أَكَلَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ عَجْوَةٍ مِمَّا بَيْنَ لَابَتَيْ الْمَدِينَةِ عَلَى الرِّيقِ لَمْ يَضُرْهُ يَوْمَهُ ذَلِكَ شَيْءٌ حَتَّى يَمْسَى » قال فليح : وأظنه قال « وَإِنْ أَكَلَهَا حِينَ يُمَسِّي لَمْ يَضُرْهُ شَيْءٌ حَتَّى يَصْبِحَ » ورواه ابن زبالة بلفظ « مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنَ الْعَجْوَةِ لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ « مِنْ الْعَالِيَةِ لَمْ يَضُرْهُ يَوْمَئِذٍ سَمٌ وَلَا سِحْرٌ » وفي صحيح مسلم حديث « إِنْ فِي عَجْوَةِ الْعَالِيَةِ شِفَاءٌ ، أَوْ لَهَا تَرِياقٌ أَوَّلَ الْبُكْرَةِ » وروى أحمد برجال الصحيح حديثاً فيه « وَاعْلَمُوا أَنَّ الْكُمَاةَ دَوَاءُ الْعَيْنِ ، وَأَنَّ الْعَجْوَةَ مِنَ الْكُمَةِ الْجَنَّةُ » وروى النسائي وأبو داود الطيالسي والطبراني في الثلاثة بسند جيد حديث « الْكُمَاةُ مِنَ الْمَنِّ ، وَمَاوَاهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ ، وَالْعَجْوَةُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَهِيَ شِفَاءٌ مِنَ السَّمِّ » وقد صحح في سنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص قال « مَرَضْتُ مَرَضًا ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّدُنِي ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيِي حَتَّى وَجَدَتْ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي ، فَقَالَ : إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْعُودٌ ، أَتَيْتَ الْحَارِثَ بْنَ كَلْدَةَ أَخَا ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ يَنْطَلِبُ ، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنَ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ ، فَلْيَجَاهِنْ <sup>(١)</sup> ثُمَّ لِيُكَلِّدْكَ بِهِنَّ » ورواه الطبراني لكن عن سعد بن أبي رافع .

قوله « فليجاهن » أي فليدقهن ، قال عياض : وقال ابن الأثير فليجاهن أي فليدقهن ، وبه سميت الوجيئة ، وهو تمر يبل بلبن ثم يدق حتى يلتئم <sup>(٢)</sup> ، ومنه الحديث « أَنَّهُ دَعَا سَعْدًا فَوَصَفَ لَهُ الْوَجِيئَةَ » وقوله « ثُمَّ لِيُكَلِّدْكَ » أي يسقيك ، يقال : لَدَّه بِاللَّدُّودِ ، إِذَا سَقَاهُ الدَّوَاءَ فِي أَحَدِ جَانِبِي الْفَمِ .

وفي كامل ابن عدي حديث « يَنْفَعُ مِنَ الدُّوَامِ أَنْ يَأْخُذَ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنَ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ كُلَّ يَوْمٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ » وفي غريب الحديث للخطابي عن عائشة رضي الله عنها

(١) في مجمع البحار « فليجاهن مع نواهن : أي يدقهن مع النوى حتى يتكسر النوى وبعجن »

(مكي) (٢) قال المجد « الوجيئة : تمر أو جراد يدق ويلت بسمن أو زيت فيؤكل » .

« أنها كانت تأمر للدَّوَام والدَّوَارِ بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات على الريق » والدَّوَام والدَّوَار: ما يأخذ الإنسان في رأسه فيدومه ، ومنه تدويم الطائر ، وهو: أن يستدير في طيرانه ، قال الخطابي : كون العجوة عُودَةً من السم والسحر إنما هو من طريق التبرك بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن طبعها يفعل شيئاً ، وقال النووي : في تخصيصها دون غيرها وعدد السبع من الأمور التي علمها الشارع ، ولا نعلم نحن حكمتها ؛ فيجب الإيمان بها ، واعتقاد فضلها ، وما ذكره المازري والقاضي في هذا باطل ، وقصدت بذلك التحذير من الاعتزاز به ، انتهى . وأشار به لقول القاضي في أثناء تعليل ذلك : إنه لتأثير في الأرض أو الهواء ، ولقول المازري : لعل ذلك كان لأهل زمنه صلى الله عليه وسلم خاصة ، أولاً كثرتهم ؛ إذ لم يثبت استمرار وقوع الشفاء في زمننا غالباً ، وإن وجد ذلك في الأكثر حُمِلَ على أنه أراد وصف غالب الحال ، انتهى . وقد جعله ابن التين احتمالاً ، وزاد عليه آخرَ أعجبَ منه ، فقال : يحتمل أن يكون المراد نخلاً خاصاً من المدينة لا يعرف الآن ، ويحتمل أن يكون ذلك خاصاً بزمانه صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وهو مردود ؛ لأن سَوَقَ الأحاديث وإيراد العلماء لها وإطباق الناس على التبرك بعجوة المدينة وتمرها يرد التخصيص بزمنه صلى الله عليه وسلم ، مع أن الأصل عدمه ، ولم تزل العجوة معروفة بالمدينة يأتونها الخلف عن السلف ، يعلمها كبيرهم وصغيرهم علماً لا يقبل التشكيك .

وقال الداودي : هي من أوسط التمر كما هو المشاهد اليوم . وقال غيره : هي من أجود تمر المدينة ، ومراده أنها ليست من رديه . وقال ابن الأثير: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصَّيْحَانِي يضرب إلى السواد ، وهو مما غرسه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بالمدينة . وذكر هذا الأخير البزارُ أيضاً ، فلعل الأوداء <sup>(١)</sup> التي كاتب سلمان الفارسي أهله عليها وعرَّسها صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة بالفقير أو غيره من العالية

(١) الأوداء : جمع ودى - على زنة غنى وعلى - وهو صغير النخل .

كانت عجوة ، والعجوة<sup>(١)</sup> توجد بالفقير إلى يومنا هذا ، ويبعد أن يكون المراد أن هذا النوع إنما حدث بغرسه صلى الله عليه وسلم وأن جميع ما يوجد منه من غرسه كالا يخفى . وروى ابن حبان عن ابن عباس ل « كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة » وفي حديث ضعيف « خير تمركم البرني ، يخرج الداء ، ولا داء فيه » ورواه ابن شبة بنحوه خطابا لوفد عبد القيس في ثمارهم ، وكذا الحاكم في مستدركه ، وفي مسلم حديث « يا عائشة بيت لا تمر فيه جياغ أهله » قالها مرتين أو ثلاثا ، وفيه أيضا حديث « لا يجوع أهل بيت عندهم التمر » وفي الكبير والصغير للطبراني ورجال الصغير رجال الصحيح عن ابن عباس « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالبا كورة من الثمار وضعها على عينيه ثم قال : اللهم كما أطعمتنا أوله فأطعمنا آخره ، ثم يأمر به للعولود من أهله » ولفظ الكبير « كان إذا أتى بالبا كورة من التمر قبّلها وجعلها على عينيه » الحديث ، وفي نوادر الحكم الترمذي عن أنس بن مالك قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بالبا كورة من كل شيء قبّلها ووضعها على عينه اليمنى ثلاثا ، ثم على عينه اليسرى ثلاثا ، ثم يقول : اللهم » الحديث بنحوه .

وروى البزار بسند فيه ضعيف حديث « يا عائشة إذا جاء الرطب فهينني » ورويناه في الغيلانيات ، وفيها أيضا حديث « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يُفطر على الرطب في أيام الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويختّم بهن ، ويجعلهن وترًا ثلاثا أو خمسًا أو سبعًا » وفيها حديث « كلوا التمر على الريق ؛ فإنه يقتل الدود »

وأأنواع تمر المدينة كثيرة ، ذكرنا ما أمكن جمعه منها في الأصل فبلغ مائة وبضعًا وثلاثين نوعًا : منها النوع المسمى بالصنّيحاني<sup>(٢)</sup> ، وقد أسند

(١) لعل هذا النوع كان في زمن المؤلف ، وأما في زماننا فهي غير معروفة ، والناس مختلفون فيها ؛ فبعضهم يقول : هي الجلية ، وبعضهم يقول : هي الجادى ، وبعضهم يعين نوعًا آخر (مكى) (٢) هذا النوع غير معروف اليوم (مكى)

الصَّدْرُ إبراهيم بن محمد بن مؤيد الحموي في كتابه فضل أهل البيت عن جابر رضى الله عنه قال « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوماً في بعض حيطان المدينة ، ويدُّ علىّ في يده ، قال : فررنا بنخل ، فصاح النخل : هذا محمد سيد الأنبياء ، وهذا علىّ سيد الأولياء أبو الأئمة الطاهرين ، ثم مررنا بنخل فصاح النخل : هذا محمد رسول الله ، وهذا علىّ سيف الله ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى علىّ ، فقال له : يا علىّ سَمِّ الصَّيْحَانِي ، فسمى من ذلك اليوم الصيحيانى » وهو حديث غريب ؛ فكان هذا سبب تسمية ذلك النوع بهذا الاسم ؛ لأن تلك النخلات كانت منه ، ويحتمل أن يكون المراد تسمية ذلك الحائط بهذا الاسم ، وبالمدينة اليوم موضع بجفاف يعرف بالصيحيانى .

وروى بعضهم هذا الحديث عن علىّ بألفاظ فيها نكارة ، وفي آخره « يا علىّ سَمِّ نَخْلَ المدينة صيحيانياً لأنهن صيحنَ بفضلى وفضلك » .

### الفصل السابع

#### في سرِّدِ خصائصها

وهى كثيرة لا تكاد تنحصر ، وها أنا ذا كر ما حضرني منها الآن وإلى شاركتها مكة في بعضه ، فأقول وبالله التوفيق :

الخاصة الأولى : ما تقدمت الإشارة إليه من كونه صلى الله عليه وسلم خُلِقَ من طينتها ، وكذا أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وأكثر الصحابة والسلف ممن دُفِنَ بها وروى أن الله تعالى بعث جبريل وميكائيل ليقبضا قَبْضَةً من الأرض ، فأبَت ، حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض منها قبضة ، وكان إبليس قد وطئ الأرض بقدميه ، فصار بعضُ الأرض بين قدميه وبعضُ الأرض موضع أقدامه ، فخلقت النفسُ مماساً قدم إبليس ؛ فصارت مأوى الشر ، ومن التربة التى لم يصل إليها قدمُ إبليس أصل الأنبياء والأولياء .

قال في العوارف : وكانت درة رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسه قدم إبليس .  
وقيل : [لما] <sup>(١)</sup> خاطب الله السموات والأرض بقوله « اثبتا طوعاً وأكرها » <sup>(٢)</sup>  
الآية أجاب من الأرض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها .

وعن ابن عباس : أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة ، يعني الكعبة ، وهو مُشعر بأن ما أجاب من الأرض درته صلى الله عليه وسلم ، ومن الكعبة دُحيت الأرض ؛ فصار صلى الله عليه وسلم هو الأصل في التكوين .

قال في العوارف عقبه : وتربة الشخص مدفنه ، فكان مقتضى ذلك أن يكون مدفنه هناك ، لكن قيل : لما تموج الماء رمى الزبد إلى النواحي ، ف وقعت جوهرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ما يحاذي تربته الشريفة بالمدينة ، فكان مكيا مدنيا .

قلت : فلمكة الفضل بالبداية ، وللمدينة بالاستقرار والنهاية .

الثانية : اشتغالها على البقعة التي انعقد الإجماع على تفضيلها على سائر البقاع ، كما تقدم تحقيقه .

الثالثة : دفن أفضل الأمة بها والكثير من الصحابة الذين هم خير القرون .

الرابعة : أنها محفوفة بأفضل الشهداء الذين بذلوا نفوسهم في ذات الله بين يدي نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ فكان شهيداً عليهم

ونقل عياض في المدارك وابن الجوزي في منسكه أن مالكا كان يقول في فضل المدينة : هي دار الهجرة والسنة ، وهي محفوفة بالشهداء ، وبها خيار الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) زيادة يحتاج إليها اتساق الكلام (٢) من سورة فصلت من الآية ١١ .

الخامسة : أن الله تعالى اختارها داراً وقراراً لأفضل خلقه وأكرمهم عليه صلى الله عليه وسلم .

السادسة : أن الله تعالى اختار أهلها للنصرة والإيواء .

السابعة : أن سائر البلاد افتتحت بالسيف ، وافتتحت هي بالقرآن ، كما هو مروي عن مالك ، ورفع ابن زبالة من طريقه .

الثامنة : أن الله تعالى افتتح منها سائر بلاد الإسلام ، حتى مكة المشرفة ، وجعلها مظهر دينه القويم .

التاسعة : ما ذكره عياض من الاتفاق على وجوب الهجرة إليها قبل فتح مكة ، ووجوب سكنها للنصرة النبي صلى الله عليه وسلم ومواساته بالأنفُس ، قال : ومن هاجر قبل الفتح فالجمهور على منعه من الإقامة بمكة بعد الفتح ، ورخص له في الإقامة ثلاثة أيام بعد قضاء نسكه .

العاشرة : أنه يبعث أشرف هذه الأمة يوم القيامة منها ، على مانقلة عياض في المدارك عن مالك في ضمن أشياء في فضل المدينة ، قال : وهذا لا يقوله مالك من عند نفسه .

الحادية عشرة : ماتقدم في الأسماء من تسميتها بالمؤمنة والمسلمة ، وإن ترتبها لمؤمنة ، وأنه لا مانع من أن الله خلق ذلك فيها .

الثانية عشرة : إضافتها إلى الله تعالى في قوله : « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً » <sup>(١)</sup> على ماتقدم في الأسماء ، وقد جاءت الأرض غير مضافة إلى الله تعالى والمراد بها مكة ، وذلك في قوله تعالى : « وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ » <sup>(٢)</sup> .

الثالثة عشرة : إضافة الله إياها إلى رسوله بلفظ البيت في قوله : « كَمَا أُخْرِجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ » <sup>(٣)</sup> على ماتقدم في الأسماء .

(١) من سورة النساء من الآية ٩٧ (٢) من سورة الأنفال من الآية ٢٦

(٣) من سورة الأنفال من الآية ٥

الرابعة عشرة: إقسام الله تعالى بها في قوله «لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ»<sup>(١)</sup> على ماسبق في الأسماء، أي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بك، و«لا» زائدة للتأكيد، ويدل عليه قراءة الحسن والأعمش «لَا أُقْسِمُ».

الخامسة عشرة: أن الله بدأ بها في قوله: «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ»<sup>(٢)</sup> فمدخل صدق هي، ومخرجه مكة كما تقدم، مع أن القياس البداءة بالمخرج لموافقة الواقع. فإن قيل: التقديم للاهتمام بأمر المدخل، قلنا: في الاهتمام به كفاية.

السادسة عشرة: تسميتها في التوراة بالرحومة ونحوه، ومخاطبة الله إياها كما تقدم. السابعة عشرة: دعاؤه صلى الله عليه وسلم بحبها كمكة وأشد، وتسميتها بالحبيبة وغيره مما تقدم، ودعاؤه أن يجعل الله له بها قراراً ورزقاً حسناً.

الثامنة عشرة: تحريكه صلى الله عليه وسلم دابته أو إيضاعها إذا أبصر جدرانها عند قدومها، وأنه كان إذا أقبل من مكة فكان بالأثنية<sup>(٣)</sup> طرح رداءه عن منكبيه وقال «هذه أرواح طيبة» كما تقدم.

التاسعة عشرة: اهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر الدعاء لها بالبركة وغير ذلك. العشرون: تحریمها على لسان أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه إكراماً له، وكونه لاجزاء فيها على القول به دليل عظيم حرمتها حيث لم يشرع فيها جابر. الحادية والعشرون: تأسيس مسجد الشریف على يده صلى الله عليه وسلم، وتعلُّقه فيه بنفسه، ومعه خير الأمة المهاجرون الأولون والأنصار المقدمون. الثانية والعشرون: اختصاصها بالمسجد الذي أنزل الله فيه «لِمَسْجِدٍ أُسِّسُ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ»<sup>(٤)</sup>.

الثالثة والعشرون: كون ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة، وفي

(١) من سورة البلد من الآية ١ (٢) من سورة الإسراء من الآية ٨٠

(٣) الأثنية: موضع بين مكة والمدينة فيه مسجد نبوي، أو بثردون العرج

عليها مسجد نبوي (٤) من سورة التوبة من الآية ١٠٨



رواية « ما بين منبري وهذه الحُجَرِ » يعنى حُجَرَه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتى بيان أن ذلك يعم مسجده صلى الله عليه وسلم على ما هو المشهور بين الناس في تحديد المسجد الشريف ؛ ولهذا قال بعضهم : هذا المسجد هو المسجد الذى لا تُعرف بقعة في الأرض من الجنة غيره .

الرابعة والعشرون : كون منبره الشريف على تُرعة من تُرَع الجنة ، وأن قوائمه رواتب في الجنة ، وفي رواية « ومنبري على حوضي » .

الخامسة والعشرون : ما ورد في مسجده الشريف من المضاعفة الآتى بيانها .  
السادسة والعشرون : حديث « مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي هَذَا أَرْبَعِينَ صَلَاةً كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ ، وَبَرِيءٌ مِنَ النِّفَاقِ » رواه الطبراني في الأوسط .

السابعة والعشرون : ماسيأتي أن مَنْ خرج على طهر لا يريد إلا الصلاة فيه كان بمنزلة حَجَّة ، وأن الخارج إليه من حين يخرج من منزله فَرَجْلٌ تَكْتَسِبُ حَسَنَةً وَرَجْلٌ تَحْطُ خَطِيئَةً .

الثامنة والعشرون : أن إتيان مسجد قباء يعدل عمرة كما سيأتى .  
التاسعة والعشرون : حديث « صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ فِي الْمَدِينَةِ كَصِيَامِ أَلْفِ شَهْرٍ فِيهَا سِوَاهَا ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي الْمَدِينَةِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهَا » فسائر أفعال البر كذلك كما قيل به في مكة ، وبه صرح أبو سليمان داود الشاذلي في الانتصار ، ثم رأيت في الإحياء ، قال : إن الأعمال في المدينة تتضاعف ، قال صلى الله عليه وسلم : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا » الحديث ، ثم قال : فكذلك كل عمل بالمدينة بألف انتهى ، وقال ابن الرفعة في المطلب : وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الصيام بالمدينة أفضل من الصلاة ، والصلاة بمكة أفضل من الصيام ، مراعاة لنزول فرضيهما<sup>(١)</sup> ، انتهى

---

(١) يريد أن الصلاة شرعت بمكة فيكون فعلها بها أفضل من الصيام بها ، وأن الصيام شرع في المدينة ففعله بها أفضل من الصلاة بها .

قلت : ويؤخذ من هذه العلة أن كل عبادة شرعت بالمدينة فهي بها أفضل منها بمكة ، ولك أن تعد هذا خاصة مستقلة .

الثلاثون : حديث « لا يَسْمَعُ النداءُ في مسجدى هذا ثم يخرج منه إلا الحاجة ثم لا يرجع إليه إلا منافق » .

الحادية والثلاثون : تأكد التعلم والتعليم بمسجدها كما سيأتى .

الثانية والثلاثون : اختصاصه بمزيد الأدب وخَفَضُ الصوت ؛ لكونه بحضرة سيد المرسلين<sup>(١)</sup> ، واختصاصه عند بعضهم بمنع آكل الثوم ونحوه من دخوله ؛ لاختصاصه بملائكة الوحي .

الثالثة والثلاثون : أنه لا يجتهد في محرابه ؛ لأنه صواب قطعاً ؛ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى باليَمَنَةِ واليَسْرَةِ ، بخلاف محاريب المسلمين ، والمراد مكان مُصَلَّاهُ صلى الله عليه وسلم ، قال الرافعى : وفي معناه سائر البقاع التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم إذا ضبط المحراب ، قلت : وفي ضبطه بغيرها عسر أو تعذر .

الرابعة والثلاثون : أن ما بين منبره صلى الله عليه وسلم ومسجد المصلى روضة من رياض الجنة ، وهذا جانب كبير من هذه البلدة .

الخامسة والثلاثون : حديث « أَحَدٌ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ » وحديث « أَحَدٌ جَبَلٌ يَحْبِنَا وَنَحْبُهُ » .

السادسة والثلاثون : حديث « إِنْ بَطَّخَانَ عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ » .

السابعة والثلاثون : وصف العقيق بالوادي المبارك ، وأنه صلى الله عليه وسلم يحبه ، وفي رواية « يَحْبِنَا وَنَحْبُهُ » .

الثامنة والثلاثون : حثه صلى الله عليه وسلم على الإقامة بها .

التاسعة والثلاثون : حثه على اتخاذ الأصل بها .

الأربعون : حثه على الموت بها ، والوعد على ذلك بالشفاعة أو الشهادة أوهما .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ( لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ) من سورة الحجرات من الآية ٢ .

الحادية والأربعون : حرصه صلى الله عليه وسلم على موته بها .  
الثانية والأربعون : كون أهلها أول من يشفع لهم ، واختصاصهم بمزيد  
الشفاعة والإكرام كما تقدم .

الثالثة والأربعون : بَعَثَ المِيتَ بها من الأمنين على ماسياتى .  
الرابعة والأربعون : أنه يبعث مِنْ بَقِيْعِهَا سبعون ألفاً على صورة القمر  
يدخلون الجنة بغير حساب ، ومثله فى مقبرة بنى سامة ، وتوكل ملائكة بمقبرة  
البقيع كلما امتلأت أخذوا بأطرافها فكفوها فى الجنة .

الخامسة والأربعون : بَعَثُ أهلها من قبورهم قبل سائر الناس .  
السادسة والأربعون : شهادته - أو شفاعته - صلى الله عليه وسلم لمن صبر  
على لأوائها وشِدَّتِها .

السابعة والأربعون : وجوب شفاعته صلى الله عليه وسلم لمن زاره بها .  
الثامنة والأربعون : استجابة الدعاء بها عند القبر الشريف ، ويقال : إنه  
مستجاب عند الأسطوان المخلق ، وعند المنبر ، وفى زاوية دار عقيل بالبقيع ،  
وبمسجد الفتح بعد صلاة الظهر يوم الأربعاء ، واستجابة الدعاء بمسجد الإجابة  
ومسجد السقيا وبالمصلى عند القدوم ، وعند بركة السوق فى يوم العيد ، وعند  
أحجار الزيت وبالسوق ، لما سيأتى عند ذكر هذه الأماكن من ورود ذلك عنه  
صلى الله عليه وسلم بها .

التاسعة والأربعون : كونها تنفى خبثها .  
الخمسون : كونها تنفى الذنوب كما تنفى النار خبثَ الفضة .  
الحادية والخمسون : الوعيد الشديد لمن ظلم أهلها أو أخافهم .  
الثانية والخمسون : مَنْ أَرَادَهَا وَأَهْلَهَا بسوء أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء ،  
وفى رواية أذابه الله فى النار ، ويؤخذ من ترتيب الوعيد على الإرادة مساواة  
المدينة لحرم مكة فى هذا ، وفيه قال تعالى : «وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بَظْلَمٍ»<sup>(١)</sup> الآية ،

ويتمسك للمساواة أيضاً بقوله صلى الله عليه وسلم « كما حرم إبراهيم مكة » فقول ابن مسعود : ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل الفعل إلا مكة وتلا الآية مُشْكِلٌ ، وأيضاً فالهمُّ العارضُ الوارد من غير عزم لا مؤاخذه به مطلقاً بالاتفاق ، وأما الثابت الذي يصحبه التَّضَمُّيمُ فالعبد مؤاخذ به بمكة وبغيرها ، وإنما خصوصية الحرم تعظيمُ العذاب لمن همَّ فيه لجرأته ؛ ولذا روى أحد في معنى الآية بإسناد صحيح سرفوعاً « لو أن رجلاً همَّ فيه بالحاد وهو بعدن آيين<sup>(١)</sup> لأذاقه الله عذاباً أليماً » .

الثالثة والخمسون : الوعيد الشديد لمن أحدث بها حدثاً أو آوى محدثاً ، وتقدم تفسير الحديث بالإثم مطلقاً ، وأنه دالٌّ على أن الصغيرة بها كبيرة ؛ وللوعيد الشديد في ذلك ؛ لأنها حَضْرَةُ أشرف المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وسوء الأدب على بساط الملك ليس كالإساءة في أطراف المملكة .

قال بعض السلف : إياك والمعصية فإن عصيت ولا بد فليكن في مواضع الفجور ، لا في مواضع الأجور ؛ لئلا يتضاعف عليك الوزر ، أو تعجل لك العقوبة . فإن قيل : ههنا قول بتضعيف السيئات في الحرم ، والراجح خلافه ؛ لقوله تعالى « وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا<sup>(٢)</sup> » .

قلنا : تحرير النزاع أن القائل بالمضاعفة أراد مضاعفة مقدارها : أى عظمها ، لا العدد ، فإن السيئة جزاؤها سيئة ، لكن السيئات قد تتفاوت عقوبتها باختلاف الأشخاص والأماكن ، كما أن تقدير كل أحد بما يليق به في الجزر ، فجزاء السيئة مثلها ، ومن المماثلة رعاية ما اقترن بها مما دُلَّ على جرأة مرتكبها ، ولا تكتب إلا واحدة ، والله أعلم .

الرابعة والخمسون : الوعيد لمن لم يُكرم أهلها ، وأن إكرامهم وحفظهم حقٌّ على

(١) عدن آيين - على الإضافة - جزيرة باليمن ، أقام بها آيين ، وعدن لاعة :

قرية بقربه . (٢) من سورة الأنعام من الآية ١٦٠

الأمة ، وأنه صلى الله عليه وسلم شفيح — أو شهيد — لمن حفظهم فيه .  
الخامسة والخمسون : حديث « من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي » .

السادسة والخمسون : حديث « مَنْ غاب عن المدينة ثلاثة أيام جاءها وقلبه مُشْرِبٌ جَفْوَةً <sup>(١)</sup> » وإنه « لا يخرج أحد منها رغبة عنها إلا أخلف الله تعالى فيها خيراً منه » كما في حديث مسلم ، قال الحب الطبري : فيه إشعار بدم الخروج منها ، وذهب بعضهم إلى أنه مخصوص بمدة حياته صلى الله عليه وسلم ، فأما بعد وفاته فقد خرج نفر كثير من كبار الصحابة ، وذهب آخرون إلى أنه عام أبداً ، قال الطبري : وهو ظاهر اللفظ ، نعم هو مخصوص بالمستوطن ، لا مَنْ نَوَى الإقامة بها مدة ثم ينقلب <sup>(٢)</sup> إلى وطنه .

السابعة والخمسون : إكرام الله لها بنقلِ وبائها وتحويل سُجَّاتها .

الثامنة والخمسون : الاستشفاء بترابها ، وما تقدم في ثمارها .

التاسعة والخمسون : عصمتها من الطاعون .

الستون : عصمتها من الدجال ، وخروج الرجل الذي هو خير الناس — أو من خير الناس — إليه منها ، وقوله له : أشهد أنك الدجال ، وأنه لا يُسَلِّطُ عليه بآخرة الأمر ، وبهذا تتميز على مكة ، والسرفيه أن سيد المرسلين — وهو حجة الله على العباد — بالمدينة .

الحادية والستون : ما في حديث الطبراني من قوله صل الله عليه وسلم « وحق على كل مسلم زيارتها » .

الثانية والستون : سماعه صلى الله عليه وسلم سلام من سلم وصلاة من صلى عليه عند قبره الشريف ، وردده عليه .

الثالثة والستون : اختصاصها بملك الإيمان والحياء ، كما تقدم في الأسماء .

(١) مشرب جفوة — على زنة اسم المفعول — أى خالطه الجفاء .

(٢) ينقلب : يرجع ويعود

الرابعة والستون : كون الإيمان يأزرُ إليها .  
الخامسة والستون : اشتبا كلها بالملأئكة وحراستهم لها .  
السادسة والستون : كونها أولَ أرضٍ اتخذ بها مسجد لعامة المسلمين في هذه الأمة .

السابعة والستون : كون مسجدها آخرَ مساجد الأنبياء ، وآخر المساجد التي تُشدُّ إليها الرِّحالُ ، وكونه أحق المساجد أن يزار كما سيأتى .  
الثامنة والستون : كثرة المساجد والمشاهد والآثار بها ، بل البركة عامة منبثة بها ، ولهذا قيل للملك : أيما أحب إليك المقام هنا يعنى المدينة أو بمكة ؟ فقال : ههنا ، وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق إلا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام ينزل عليه من عند رب العالمين فى أقل من ساعة ؟ .  
التاسعة والستون : ما يوجد بها من رائحة الطيب الزكية ، على ما تقدم فى الأسماء

السبعون : رطيبُ العيش بها ، على ما تقدم هناك أيضاً .  
الحادية والسبعون : استحقاق مَنْ عاب تربتها للتعزير ؛ فقد أفتى مالك فيمن قال « تربة المدينة رديئة » بأن يضرب ثلاثين دِرَّةً ، وأمر بحبسه ، وكان له قَدْر ، وقال : ما أَحْوَجَه إلى ضرب عنقه ، تربةٌ دُفِن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة ؟

الثانية والسبعون : الوعيد الشديد لمن حلف يميناً فاجرة عند منبرها .  
الثالثة والسبعون : استحبابُ الدخول لها من طريق الرجوع فى أخرى ، لما سيأتى فى مسجد المعرَّس (١) .

الرابعة والسبعون : استحباب الاغتسال لدخولها .  
الخامسة والسبعون : استحباب الدعاء والطلب من الله الموت بها .

---

(١) المعرَّس - بزنة المكرم - هو والتعريس بمعنى النزول ليلاً .

السادسة والسبعون : أنها دار إسلام أبداً ؛ لحديث ، « إن الشياطين قد يُئْسِتْ أن تعبد ببلدى هذا » .

السابعة والسبعون : أنها آخر قرى الإسلام خرابا ، رواه الترمذى وقال : حسن غريب ، ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية في الإسلام خرابا المدينة »

الثامنة والسبعون : تخصيص أهلها بأبعد المواقيت وأفضلها ؛ تعظيماً لأجورهم .

التاسعة والسبعون : ذهب بعض السلف إلى تفضيل البداءة بالمدينة قبل مكة ، روى مسألة عزيزة ، وممن نص عليها ابن أبى شيبه في مُصَنَّفِهِ فروى عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون أنهم بدؤوا بالمدينة قبل مكة ، وأن نفراً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يبدؤون بالمدينة ، وفي المناسك الكبير للإمام أحمد رواية ابنه عنه : « سُئِلَ عَنْ يَبْدَأُ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ مَكَّةَ ، فَذَكَرَ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدٍ وَعَطَاءٍ وَمُجَاهِدٍ قَالُوا : إِذَا أَرَدْتَ مَكَّةَ فَلَا تَبْدَأُ بِالْمَدِينَةِ وَابْدَأُ بِمَكَّةَ ، فَإِذَا قَضَيْتَ حَجَّكَ فَامْرُرْ بِالْمَدِينَةِ إِنْ شِئْتَ ، وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ وَمُجَاهِدٍ : إِذَا أَرَدْتَ مَكَّةَ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَاجْعَلْ كُلَّ شَيْءٍ لَهَا تَبَعًا ، ثُمَّ رَوَى أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَبْدَوْنَ بِالْمَدِينَةِ إِذَا حَجَّجُوا ، يَقُولُونَ : نَبْدَأُ مِنْ حَيْثُ أَحْرَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْتُ : وَهَذَا أَرْجَحُ ؛ لِتَفْضِيلِ مِيقَاتِ الْمَدِينَةِ ، وَإِتْيَانِ الْمَدِينَةِ أَوَّلًا وَصَلَةً إِلَيْهِ ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْبَدَاءَةِ بِزِيَارَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِثَارِهَا ، وَلَعَلَّ السَّبَبَ عِنْدَ مَنْ بَدَأَ بِالْمَدِينَةِ مِمَّنْ تَقْدُمُ ذِكْرُهُ مِنَ التَّابِعِينَ كَمَا قَالَ السُّبْكِيُّ . وَنَقَلَ الزَّرْكَشِيُّ عَنِ الْعَبْدِيِّ شَارِحَ الرِّسَالَةِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أَنَّهُ قَالَ : الْمَشْيُ إِلَى الْمَدِينَةِ لِزِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ وَمِنْ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ، انْتَهَى . وَالْخِلَافُ فِيمَا إِذَا لَمْ تَكُنْ الْمَدِينَةَ عَلَى طَرِيقِهِ ؛ لِأَنَّهُ مَأْخُذٌ مَنْ رَجَّحَ الْبَدَاءَةَ بِمَكَّةَ الْمُبَادَرَةَ إِلَى قِضَاءِ الْفَرَضِ ، وَهَذَا قَالَ الْمُوْفَّقُ ابْنُ قَدَامَةَ : قَالَ أَحْمَدُ : وَإِذَا حَجَّ الَّذِي لَمْ يَحْجِ قَطْ — يَعْنِي مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ

الشام - لا يأخذ على طريق المدينة ؛ لأنى أخاف أن يحدث به حدث ، فينبغى أن يقصد مكة من أقصر الطرق ولا يتشاغل بغيره ، قال السبكي : وهو فى العمرة متجه ؛ لإمكان فعلها متى وصل ، وأما الحج فله وقت مخصوص فإذا كان متسعا لم يفت بمروره بالمدينة شىء . قلت : ومع ذلك فهو فى الفرض ، ولهذا قال فى الفصول : نقل صالح وأبو طالب : إذا حج للفرض لم يمر بالمدينة ؛ لأنه إن حدث به حدث الموت كان فى سبيل الحج ، وإن كان تطوعا بدأ بالمدينة ، انتهى . ومن نص على المسألة أيضا الإمام أبو حنيفة على ما نقله أبو الليث السمرقندى ، وقال : إن الأحسن البداءة بمكة .

التمانون : اختصاص أهلها فى قيام رمضان بستة وثلاثين ركعة ، على المشهور عند الشافعية ، قال الرافعى والنوى : قال الشافعى : رأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين ركعة ، منها ثلاث للوتر ، قال أصحابنا : وليس لغير أهل المدينة ذلك ؛ لشرفهم بمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره ، ثم قال الرافعى : وسبب فصل أهل المدينة ذلك أن الركعات العشرين خمس تروى بحات ، وكان أهل مكة يطوفون بين كل ترويتين أسبوعا<sup>(١)</sup> ، ويصَلُّون ركعتي الطواف أفرادا ، وكانوا لا يفعلون ذلك بين الفريضة والتراويح ولا بين التراويح والوتر ، فأراد أهل المدينة أن يساووهم فى الفضيلة ، فجعلوا مكان كل أسبوع - أى مع كل ركعتيه - تروية ؛ فحصل أربع ترويات هى ستة عشر ركعة ، انتهى .

ونقل الرويانى فى البحر هذا السبب عن الشافعى . وقال القاضى أبو الطيب الطبرى : قال الشافعى : لا يجوز لغير أهل المدينة أن يماروا أهل مكة ولا ينافسوهم لأن الله فضلهم على سائر البلاد ، انتهى . وحاصل التوجيه أن الحسد فى الخير مطلوب ، وهو فى الحقيقة غبطة كما حسد المهاجرون - لما لم يكن لهم ما يتصدقون به به - الأنصار فقالوا : ذهب أهل الدُّنُور بالأجور<sup>(٢)</sup> ، فأثبت أهل المدينة هذا العدد

(١) يريد سبعة أشواط (٢) أى ذهب الأغنياء بالشواب ؛ لأنهم يتمكنون من الصدقة بسبب ما لهم ، وهى مستوجبة للأجر ، ولا يستطيعها الفقراء .



بضرب من الاجتهاد ليلحقوا بأهل مكة ، وقد تشارك البلدان في الفضائل حتى اختلف في تفضيل كل منهما على الأخرى ، وجعل لأهل المدينة ما يحصل به ثواب الاعمار والحج ، وامتازت المدينة بالمهاجر والقبر ، فجعل لأهلها طريق إلى تحصيل تلك الفضيلة السابقة مع إقامتهم بها ، ولعله لو لم يشرع لهم ذلك لملأتهم الرغبة في الخير على الانتقال إلى مكة ، وسكنى المدينة مطلوباً ، وأما غيرهم فليس له شيء من هذا الفضل ، فكيف يتأتى له مساواة أهل مكة ؟ فلم يشرع لهم ذلك ، هذا ، وإجماع أهل المدينة حجة عند مالك ، والقيام بهذا العدد بالمدينة باقٍ إلى اليوم إلا أنهم يقومون بعشرين ركعة عقب العشاء ، ثم يأتون آخر الليل فيقومون بستة عشر<sup>(١)</sup> ركعة ، فوقع لهم خلل في أمر الوتر نبهنا عليه في كتاب « مصابيح القيام ، في شهر الصيام » وكنت قد ذكرت لهم ما يحصل به إزالة ذلك ، ففعلوه مدة ، ثم غلبت الحظوظ النفسية على بعضهم فعاد الأمر كما كان .

الحادية الثمانون : زيادة البركة بها ، على مكة المشرفة ، وقد قدمنا حديثاً يشير إلى أن المدعوبه لها ستة أضعاف ما بمكة من البركة ، والمصرح به في الأحاديث « ضعفي ما جعلت بمكة من البركة » وفي بعضها « مثل ما جعلت بمكة من البركة ومع البركة بركتين » .

الثانية والثمانون : نقل عن مالك أن خبر الواحد إذا عارضه إجماع أهل المدينة قدم إجماعهم ، ولهذا روى حديث خيار المجلس ثم قال : وليس لهذا عندنا حدم معلوم ولا أمر معمول به ؛ لما اختص<sup>(٢)</sup> به أهل المدينة من سكنهم منهيّط الوحي ومعرفتهم بالناسخ والمنسوخ ، فمخالفتهم تقتضى علمهم بما أوجب ترك العمل من ناسخ أو دليل راجح ، والمحققون على أن البقاع لا أثر لها في ذلك ، وقد بلغ ابن أبي ذئب - وهو من أقران مالك - مخالفته للحديث فأغلظ في ذلك لأن العصمة إنما

(١) كذا ، وحق العربية أن يقول « بست عشرة ركعة » .

(٢) هذا تعليل لتقديم إجماع أهل المدينة .

ثبت في إجماع جميع الأمة ، ويؤخذ من كلام مالك اختصاص ذلك بعمل أهل ذلك العصر من أهل المدينة<sup>(١)</sup> .

الثالثة والثمانون : حديث النسائي والبخاري واللفظ له « يوشك الناس أن يضر بوا أ كباد الإبل فلا يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة » وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، وقد كان ابن عيينة يقول : نرى هذا العالم مالك بن أنس ، انتهى . قال الزركشي : وفيما حكاه عن سفيان نظر ؛ لما في صحيح ابن حبان أن إسحاق بن موسى قال : بلغني عن ابن جريح أنه كان يقول : نرى أنه مالك ابن أنس ، فذكرت ذلك لسفيان بن عيينة فقال : إنما العالم من يخشى الله ، ولا نعلم أحداً كان أخشى لله من العمرى ، قال التوربشتي في شرح المصابيح : يعني عبدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، كان من عباد الله الصالحين المشائين في بلاده وعباده بالنصيحة . بلغنا أنه كان يخرج إلى البادية ليتفقد أهلها شفقة عليهم وأداء لحق النصيحة فيهم ، وقد أخرج الترمذي الحديث وحسنه ، وتكلم ابن حزم فيه ، ثم قال : ولم يتعين هذا في مالك ؛ لأنه كان في عصره جماعة لا يفضل على واحد منهم ، وكان بالمدينة من هو أجل منه كسعيد بن المسيب ؛ فهذا الحديث أولى به . وقال ابن عيينة : لو سئل : أيُّ الناس أعلم ؟ لقالوا : سفيان الثوري ، قال ابن حزم : وإن صح هذا الحديث فإنما يكون إذا قرب قيام الساعة وأررز الإيمان إلى المدينة وغلب الدجال على الأرض خلا مكة والمدينة ، وأما حتى الآن فلم يأت صفة ذلك الحديث ؛ لأن الفقه انقطع من المدينة جملةً ، واستقر في الآفاق ، انتهى . ولا يخلو عن نزاع .

الرابعة والثمانون : تحريم نقل أحجار حرمها وترا به كما سيأتي بيانه .

---

(١) لأن أهل ذلك العصر هم الذين شاهدوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأوا ما يفعلون وما يتركون ؛ فإذا اتفقوا على فعل شيء أو تركه دل على أنه لم يكن في الصحابة من يخالف ذلك ، وإلا لوجد من يعمل على غرار عمل المخالف من الصحابة .

الخامسة والثمانون : لو نذر تطيبَ مسجد المدينة وكذا الأقصى ففيه تردد لإمام الحرمين ؛ لأننا إن نظرنا إلى التعظيم ألحقناهما بالكعبة ، أو إلى امتياز الكعبة بالفضل فلا ، وكلام الغزالي في آخر باب النذر يقتضي اختصاصه بالمسجدين كما فرضناه ، لافي غيرهما من المساجد ، والإمام طرّده في الكل ، وحيث كان الملحظ ما ذكر فينبغي أن لا يتوقف فيما لو نذر تطيب القبر الشريف .

السادسة والثمانون : إذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء بذلك وجهاً واحداً ، وفي وجوب الوفاء في زيارة قبر غيره وجهان ، قاله ابن كجب ، وأقره عليه الرافعي والنووي وغيرهما .

السابعة والثمانون : قيامُ مسجدها مقام المسجد الأقصى كالمسجد الحرام فيما لو نذر الصلاة أو الاعتكاف في الأقصى ؛ فإن الأصح لزومه به ، وأجزأ مسجد المدينة لزيادة فضله ، ولو نذرهما بمسجد المدينة لم يجزئه فعل ذلك بالأقصى ويجزيه بالمسجد الحرام .

الثامنة والثمانون : الاكتفاء بزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن نذر إتيان مسجد المدينة ، كما قال الشيخ أبو علي تفرعاً على القول بلزوم إتيانه كما قاله الشافعي والبؤنطي وعلى أنه لا بد من ضم قرربة إلى الإتيان كما هو الأصح تفرعاً على اللزوم ، وعلاه الشيخ أبو علي بأن زيارته صلى الله عليه وسلم من أعظم القربات ، وتوقف في ذلك الإمام من جهة أنها لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه ، قال : وقياسه أنه لو تصدق في المسجد أو صام يوماً كفاه ، وفيه نظر ، على أن الصحيح مانص عليه في المختصر من عدم لزوم الإتيان ، وإن كان اللزوم أرجح دليلاً ، ورجح الرافعي تفرعاً على اللزوم ضم صلاة أو اعتكاف ، وكذا إذا نذر إتيان الأقصى ، فإن نفس المرور لما لم يكن في نفسه مزية انصرف النذر إلى ما يقصد فيه من القرب وبهذا يترجح ما قاله الشيخ أبو علي ؛ لأن إتيان مسجد المدينة يقصد للصلاة والاعتكاف والزيارة بخلاف غيره

التاسعة والثمانون : قال ابن المنذر: إذا نذر أن يمشى إلى مسجد الرسول والمسجد الحرام لزمه الوفاء به لأنه طاعة ؛ ومن نذر أن يمشى إلى بيت المقدس كان بالخيار : إن شاء مشى إلى المسجد الأقصى ، وإن شاء مشى إلى المسجد الحرام ؛ لحديث أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في مسجد بيت المقدس ، قال صلى الله عليه وسلم «صَلِّ هُنَا ، ثَلَاثًا» انتهى . ويعلم مما تقرر في أجزاء مسجد المدينة عن الأقصى في الإتيان والصلاة إجزاءه هنا كالمسجد الحرام ، والذي اقتضاه كلام البغوي تصحيح عدم لزوم المشى في مسجد المدينة والأقصى ، وهو الذي رجحوه .

التسعون : قوله صلى الله عليه وسلم في أحاديث تحريمها « وَلَا يُحْمَلُ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ » .

الحادية والتسعون : قوله فيها أيضاً « وَلَا تَلْتَقِطْ لِقَطَّتِهِ إِلَّا مَنْ أَشَادَ بِهَا <sup>(١)</sup> » .  
الثانية والتسعون : إذا قلنا بضمن صيدها وقطع شجرها فالصحيح أنه يُسَلَبُ الصائد كما يسلب قَتِيلُ الكفار ، وهذا أبلغ في الزجر من الجزاء <sup>(٢)</sup> .  
الثالثة والتسعون : جواز نقل ترابها للتداوى .

الرابعة والتسعون : ظهور نار الحجاز التي أخبر بها صلى الله عليه وسلم عما حولها ؛ لأنها للإنذار ، فاختصت ببلد النذير ، ثم لما بلغت الحرم وكان مُحَرَّمَةً المبعوث بالرحمة خمدت وطفئت ، على ماسياتي .

الخامسة والتسعون : دعاؤه صلى الله عليه وسلم بالبركة في سوقها .  
السادسة والتسعون : ماسياتي في سوقها من أن الجالب إليه كالجاهد في سبيل الله .

السابعة والتسعون : أن المحتكر فيه كالمحدد في كتاب الله .  
الثامنة والتسعون : ماسياتي في بئر غرس من أنه صلى الله عليه وسلم « رَأَى

---

(١) أشاد بها : عرفها ونوه بها ، والمراد أنه لا يجوز التقاطها للتملك .

(٢) قد شرع الله جزاء لمن قتل صيد مكة وهو محرم .

أنه أصبح على بئر من آبار الجنة ، فأصبح على بئر غرس » ورؤيا الأنبياء حق ، عليهم الصلاة والسلام ! .

التاسعة والتسعون : ما سبق في ثمارها من أن العَجْوَة من الجنة ؛ فقد اشتملت المدينة على شيء من أرض الجنة ومياهها وثمارها ، والله أعلم .

### الفصل الثامن

في الأحاديث الواردة في تحريمها ، وهي كثيرة

روينا في الصحيحين منها حديث عبد الله بن زيد : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لها » ، وفي لفظ « ودعا لأهلها » ، وإن حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة » الحديث .

وفي البخاري حديث أبي هريرة رضي الله عنه « حرم ما بين لَابَتَي<sup>(١)</sup> المدينة على لساني » قال : وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بنى حارثة فقال : « أراكم يا بنى حارثة قد خرجتم من الحرم ، ثم التفت فقال : بل أتم فيه » وسيأتي بيان منازلهم<sup>(٢)</sup> ، وفيه أيضاً عنه : لو رأيت الظباء بالمدينة تززع ما ذعرتها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما بين لَابَتَيْهَا<sup>(١)</sup> حرام » وهو في مسلم بزيادة ، ولفظه « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لَابَتَي<sup>(١)</sup> المدينة » قال أبو هريرة : فلو وجدت الظباء ما بين لَابَتَيْهَا<sup>(١)</sup> ما ذعرتها ، وجعل اثني عشر ميلاً حول المدينة حرمي .

وفي مسلم أيضاً عن عاصم الأحول : « سألت أنسا أحرمت رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؟ قال : نعم ، هي حرام : لا يُخْتَلَى خَلَاؤها<sup>(٣)</sup> ، فمن فعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وفيه أيضاً حديث رافع بن خديج رضي الله عنه « إن إبراهيم حرم مكة ، وإنى أحرمت ما بين<sup>(١)</sup> لَابَتَيْهَا » يريد المدينة .

(١) اللابتان : مثني لابتة ، وهي الحرة على ماسيأتي للمؤلف ( ص ٩١ ) .

٢ انظر ص ٩١ .

(٣) لا يختلى : أى لا يحز ولا يقطع ، والختلى : الرطب من النبات .

وفيه أيضاً حديث جابر « إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها : لا تقطع عِصَاهُهَا ، ولا يصاد صيدها » .

وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري « أللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها ، أن لا يهرأق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا يخبط<sup>(١)</sup> فيها شجرة إلا لعلف » الحديث .  
وفيه أيضاً من حديث أنس « أللهم إني أحرم ما بين جبليها مثل ما حرم إبراهيم عليه السلام مكة » .

قلت : المراد بجبليها عَيْر وَثُور ، وهما المعبر عنهما في الحديث قبله بمأزميها على ما صوّبه النووي ، ونسبة تحريم مكة لإبراهيم عليه السلام دليل لما ذهب إليه جماعة من أنها لم تزل حلالاً كغيرها إلى زمن إبراهيم عليه السلام ، فحرمت ، والثاني — وصححه النووي ، ونقل عن الأكثرين — أنها لم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض ، ثم أظهر الله تعالى ذلك على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام . قال الزركشي : وفيه جمع بين الأحاديث . قلت : الأحكام قديمة ؛ لأنها خطاباته تعالى ، والحادث إنما هو تعلقاتها بالمكلفين ، فإذا كان ظهور تحريمها على لسان إبراهيم عليه السلام فذلك أول تعلق الحكم التكليفي ، فما معنى ما يقوله الثاني من تحريمها يوم خلق الله السموات والأرض مع انتفاء التعلق التكليفي حينئذ ؟ ويجوز أن يكون بمعنى أن الله تعالى أظهر ذلك للملائكة يوم خلق السموات والأرض وعرفهم به ، وتأخر تعلق التكليف به حتى ظهر على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام وهذا لا يأباه القول الأول ، بل يسلمه ، وهو حسن ، و به يجتمع معنى الأحاديث ، ولا يخفى أن خطاب الله تعالى بتحريم المدينة قديم أيضاً ، وتأخره من حيث التكليف إلى أن أظهره النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه حط لرتبتها ، بل دليل كمالها حيث ادّخر الله ذلك حتى جعله على لسان أشرف المرسلين صلوات الله

---

(١) لا يخبط شجرها : أي لا تشد أغصانها وينفض ورقها .

وسلامه عليه ، مع أنهم ذكروا في معنى تحريم إبراهيم لها احتمالين : أحدهما : أنه بأمر الله تعالى له ، والثاني : أنه دَعَا لها فحرمها الله بدعوته ، ويقال مثله في تحريمه صلى الله عليه وسلم للمدينة .

وقوله : « ما بين لا بَتَيْهَا » أى حَرَّتَيْهَا الشرقية والغربية والمدينةُ بينهما ، ولها أيضاً حَرَّةٌ بالقبلة وحَرَّةٌ بالشام ، لكنهما يرجعان إلى الشرقية والغربية لاتصالهما بهما ، ولهذا جمعها صلى الله عليه وسلم كلها في اللابتين كما نبه عليه الطبرى .

قال النووى : وهو حد الحرم من جهة المشرق والمغرب ، وما بين جبليها بيان لحدّه من جهة الجنوب والشمال ، قال : ومعنى قوله « ما بين لا بَتَيْهَا » اللابتان وما بينهما ، والمراد تحريم المدينة ولا بَتَيْهَا .

قلت : ويؤيده أن اللابتين شرقا وغربا في محاذة أحد الجبلين الآتى ببيانهما ، وأن منازل بنى حارثة في محاذة اللابة الغربية على ما اقتضاه كلام المطرى فيما قدمناه عنه من الباب الأول في ترجمة أثرب ، والذي ترجح عندي أن منازلهم كانت باللابة الشرقية مما يلي العريض وما قارب ذلك ؛ لأن الإسماعيلي روى الحديث المتقدم بلفظ « ثم جاء بنى حارثة وهم في سَنَدِ الحرة » أى الجانب المرتفع منها ، وسيأتى في منازلهم ما يبين أن المراد الحرة الشرقية ، وليس الموضع الذى ذكره المطرى في سَنَدِ واحدة من الحرتين ، والله أعلم . ويؤيد أيضاً ما قاله النووى أن البيهقى روى في المعرفة حديثَ الصحيفة عن علي بلفظ « إن إبراهيم حرم مكة ، وإني أحرم المدينة ما بين حرتيها وجمامها<sup>(١)</sup> : لا يُحْتَمَى خَلَاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا يلتقط لقطتها إلا لمن أشاد بها » يعنى أنشد « ولا يقطع شجرها إلا أن يعلن

---

(١) جمام المدينة - بكسر الجيم في أوله - هى ثلاثة أجبل في وادى العقيق على يمين الذهاب إلى مكة ويسار الذهاب فى المسيل إلى جهة القبليتين والجرف ، وهى مشهورة بالجمאות (مكى) .

رجل بعيرا ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال » الحديث ، ورواه أحد كذلك أيضاً ، وهو حديث صحيح ، وجام المدينة ثلاثة كما سيأتى ، وهى مما يلى حرتها الغربية من جهة المغرب والحرّة بين الجمام والمدينة .

وروى مسلم حديثَ الصحيفة بلفظ « المدينة حرّم ما بين عَيْرٍ إلى ثَوْرٍ » والبخارى بلفظ « المدينة حرم ما بين عاير إلى كذا » وأبو داود بلفظ « المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور » ثم زاد فيه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يَخْتَلِي خَلَاها ، ولا يَنْفِر صيدها ، ولا يَلْقَط لِقَطتها إلا من أشاد بها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيها السلاح لقتال ، ولا أن يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره » ورواه الطبرانى رجال موثّقين مختصرا ، ولفظه عن أبى جُحيفة أنه دخل على علىّ رضى الله عنه فدعا بسيفه ، فأخرج من بطن السيف أدما عربياً ، فقال : ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً غير كتاب الله الذى أنزل إلا وقد بلغتّه غير هذا ، فإذا : بسم الله الرحمن الرحيم ، محمد رسول الله قال : « لكل نبي حرّم وحرّم المدينة » .

### الفصل التاسع

فى بيان عَيْرٍ وثور

وهما المراد بجبلها كما تقدم .

أما عَيْرٌ — بفتح العين المهملة وسكون الياء آخر الحروف بلفظ العير مرادف الحمار ، ويقال : عاير — فجبل كبير مشهور فى قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة .

موقع  
جبل عير

وأما ثور — بالمثلثة بلفظ الثور فَحُلِ البقر — فجبل صغير خلف أحد كما سنحققه ، فإنه خفى على جماعة من فحول العلماء فاستشكلوا الحديث ، وقالوا : ليس بالمدينة ثور ، إنما هو بمكة ، ولهذا فى أكثر روايات البخارى من عاير إلى كذا ، وفى بعضها من عير إلى كذا ، ولم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم فأسقطه ،

موقع  
جبل ثور



وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه .  
وقال المسازري : نقل بعض أهل العلم أن ذكر ثور هنا وهم من الراوى ؛ لأن  
ثورا بمكة ، والصحيح « إلى أحد » .  
الاختلاف  
في وجود جبل  
ثور بالمدينة

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : غير وثور جبلان بالمدينة ، وأهل المدينة  
لا يعرفون بها جبلا يقال له ثور ، وإنما ثور بمكة ، قال : فإذا نرى أن الحديث  
أصله « ما بين غير إلى أحد » .

قلت : وكذا رواه الطبراني برجال ثقات ، بلفظ « ما بين غير وأحد حرام ،  
حرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهو كذلك في رواية لابن زبالة .

وقال الحازمي : الرواية الصحيحة « ما بين غير إلى أحد » وقيل : « إلى ثور »  
وليس له معنى ، وتكلف بعضهم فقال : إلى بمعنى مع ، كدأنه جعل المدينة مضافة  
إلى مكة في التحريم لأن ثورا بها .

وقال الموفق بن قدامة : يحتمل أن المراد تحريم قدر ما بين ثور وغير الذين  
بمكة ، أو سمى النبي صلى الله عليه وسلم الجبّائين الذين بطرفي المدينة عيرا وثورا  
ارتجالا ، انتهى . وهو يقتضى إنكار وجود غير بالمدينة أيضا .

وقد قال الزركشي : نقل عياض عن بعضهم أنه ليس بالمدينة ولا ما يقرب  
منها جبل يعرف بأحد هذين الاسمين ، أعنى عيرا وثورا . قال ياقوت في معجمه :  
وهذا وهم ، فإن عيرا جبل مشهور بالمدينة ، وقال ابن السّيد : غير جبل بقرب  
المدينة ، وعبرة عياض في المشرق : غير وعير المذكوران في حرّم المدينة في أكثر  
الروايات غير ، وفي حديث عليّ عاير ، قال الزبير بن بكار : هو جبل بالمدينة ،  
وقال عنه مصعب : لا يعرف بالمدينة غير ولا ثور ، انتهى .

وقال في المطالع : أكثر رواة البخاري ذكروا عيرا ، وأما ثور فمنهم من كنى  
عنه بكذا ، ومنهم من ترك مكانه بياضا ، والأصل في هذا التوقف قول

مصعب الزبيري: ليس بالمدينة غير ولا ثور، وأثبت غيره غيرا، ووافقه على إنكار ثور .  
قلت : سيأتى فى ترجمة غير من فصل البقاع عن مصعب الزبيري ما يقتضى  
إثباته له ، وشهرة غير غير خافية بين العلماء ، إما الغرابة فى ثور .

وقال النووى عقب نقل الحازمى المتقدم : ويحتمل أن ثورا كان اسما لجبل  
هناك : إما أحد ، وإما غيره ، فحفى اسمه .

وقال صاحب البيان والانتصار : قد صحت الرواية بلفظ ثور ؛ فلا ينبغى  
الإقدام على توهيم الرواة بمجرد عدم العرفان ، فإن أسماء الأماكن قد تتغير ،  
أو تنسى ولا يعلمها كثير من الناس ، قال : وقد سألت بمكة عن وادى  
مُحَسَّر وغيره من أماكن تتعلق بالنُّسك ، فلم أخبر عنها مع تكرر محيى الناس  
إليها ، فما ظنك بغيرها ؟ وأيضا فقد يكون للشئ اسمان فيعرف أحدهما دون الآخر .

وقال المجد : لا أدري كيف وقعت المسارعة من هؤلاء الأعلام إلى إثبات  
وهم فى الحديث المتفق على صحته ، بمجرد ادعاء أن أهل المدينة لا يعرفون جبلا  
يسمى ثورا ، وذكر احتمال طرق التغيير فى الأسماء والنسيان لبعضها ، قال : حتى  
إنى سألت جماعة من فقهاء المدينة وأمرائها وغيرهم من الأشراف عن فذلك<sup>(١)</sup> ومكانها  
فكلهم أجابوا بعدم معرفة موضع يسمى بذلك فى بلادهم ، مع أن هذه القرية  
لم تهرح فى أيدي الأشراف والخلفاء يتداولونها إلى أواخر الدولة العباسية ، فكيف  
بجبل صغير لا يتعلق به كبير أمر ، مع أنه معروف بين أهل العلم بالمدينة ، ونقل  
بعض الحفاظ وصفه بذلك خلفا عن سلف ؟ اهـ .

قلت : قد حكى البيهقي فى المعرفة قول أبى عبيد : أهل المدينة لا يعرفون جبلا يقال له  
ثور ، ثم قال البيهقي : وبلغنى عن أبى عبيدة أنه قال فى كتاب الجبال : بلغنى أن  
بالمدينة جبلا يقال له ثور ، انتهى .

---

(١) فذلك : قرية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى التى طالبت فاطمة  
الزهراء أبا بكر الصديق بأن يورثها إياها ؛ فروى لها حديث « نحن معاشر الأنبياء  
لا نورث ما تركناه صدقة » .

وتقل المجد في ترجمة عير عن نصر أنه قال : عير جبل يقابل الثنية المعروفة بشعب الجوز ، وثور جبل عند أحد ، انتهى . فدل على أن ما اشتهر في زماننا وقبله من وجود ثور بالمدينة له أصل في الزمن القديم ، وإن خفي على بعضهم ، وقد أخبرني بوجوده جماعة كثيرة من الخواص ، وأروني إياه خلف أحد ، ونقل جماعة عن المحدث أبي محمد عفيف الدين عبد السلام بن مزروع البصري نزيل المدينة المشرفة أنه رآه غير مرة ، وأنه لما خرج رسولا من صاحب المدينة إلى العراق كان معه دليل يذكر له الأماكن والأجبل ، فلما وصلا إلى أحد إذا بقَرْبِهِ جبل صغير ، فسأله : ما اسم هذا الجبل ؟ فقال له : يسمى ثورا ، وقد حكى عنه نحو هذا القطب الحلبي في شرح البخاري ، وقال الحب الطبري : أخبرني الثقة الصدوق الحافظ العالم المجاور بحرم رسول صلى الله عليه وسلم عبد السلام البصري أن حذاء أحد عن يساره جانحا إلى ورائه جبل صغير يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه لطوائف من العرب العارفين بتلك الأرض وما فيها من الجبال ، فكل أخبر أن ذلك الجبل اسمه ثور ، قال الطبري : فعلنا بذلك أن ما تضمنه الحديث صحيح ، وعدم علم أكابر العلماء به لعدم شهرته وعدم بحثهم عنه ، انتهى .

وقد رد الجمال المطري في تاريخه على من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خلف أحد من شماليه ، صغير مدور ، يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف . وقال الأقشيري : وقد استقصينا<sup>(١)</sup> من أهل المدينة تحقيق خبر جبل يقال له ثور عندهم ، فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة ، والذي يعلم حجة على من لا يعلم ، اه . وقال العلامة أبو العباس بن تيمية : عير جبل عند الميقات يشبه العير ، وهو الحمار ، وثور جبل في ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذي بمكة .

وروي بعض شراح المصابيح أن الله تعالى لما كلم موسى عليه السلام على الجبل

(١) استقصينا : تتبعنا ، يريد أنه بالغ في سؤالهم عنه فعلم من أجوبتهم أن القدامى

هم العارفون بموضعه .

تقطع سِتَّ قطع ، فصارت ثلاث بمكة : حراء ، و تمبير ، و ثور ، و ثلاث بالمدينة : عير ، و ثور ، و رَضْوَى ، و كأن ثورا سمى باسم فَحْلِ البَقَرِ لشبهه به ، وهو إلى الحمرة أقرب ، و قد صحَّ بما قدمناه أن أحداً من الحرم ؛ لأن ثورا حده من جهة الشام كما أن عيرا حده من جهة القبلة ، و يقوم ذلك على الرواية التي فيها ذكر أحد بدل ثور ، لما في ذلك من الزيادة عليها ، و أنها من باب ذكر فردٍ مما شمله ذلك العموم بحكم العموم فلا تخصص ، مع إفادتها لإدخال ما حاذى أطراف أحدٍ شرقا و غربا ، و ما وقع في الشرحين و الروضة و غيرهما من التحديد بما بين اللابتين و بما بين عَيْرٍ و أحدٍ مبنى على ما تقدم من أن الرواية الصحيحة «أحد» لعدم وجود ثور ؛ فقد اتضح الحال ، و لله الحمد .

#### الفصل العاشر

في أحاديث تقتضى زيادة الحرم  
على ذلك التحديد ، و أنه مقدر بريد

أعلم أن قوله في حديث مسلم « وجعل اثني عشر ميلا حول المدينة حَمَى » ظاهر في التحريم لذلك القدر ؛ إذ حول المدينة إنما هو حرمها ، و حمى النبي صلى الله عليه وسلم الذي ليس بحرم لم يكن حول المدينة على ما سيأتى بيانه ، و لأن التقي السبكي قال : إن في سنن أبي داود تحديد حرم المدينة بريد من كل ناحية ، قال : و إسناده ليس بالقوى ، والذي رأيته في أبي داود عن عدى بن يزيد « حَمَى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ناحية من المدينة بريدا بريدا ، لا يُحْبَطُ شجره ، ولا يُعْضَدُ إلا ما يساق به الجمل » رواه البزار بنحوه ، و رواه ابن زبالة بلفظ « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم شجر المدينة بريدا في بريد منها ، و أذن في المسد<sup>(١)</sup> و المنجدة و متاع الناضح أن يقطع منه » و المنجدة : عصا الناضح<sup>(٢)</sup>

و روى الفضل الجندی عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أنه قال ، في

(١) المسد : مرود البكرة ، و سيفسره المؤلف بهذا في الفصل التالى .

(٢) المنجدة : عصا صغيرة تحث بها الدابة على السير ، أو ينفش بها الصوف ،

و عود يحشى به حقيبة الرجل .

قصة العبد الذي وجدته يعضد - أو يخبط - عضاها بالعقيق : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مَنْ وجد من يعضد أو يخبط <sup>(١)</sup> شيئاً من عِصَاهِ المدينة بريدًا في بريد فله سَلْبُهُ ، فلم أكن لأرد شيئاً أعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم »  
وروى البزار عن جابر قال : « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة بريدًا من نواحيها ».

وفي الأوسط للطبراني - وفيه ضعيف - عن كعب بن مالك قال : « حَرَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجر بالمدينة بريدًا في بريد ، وأرسلني فأعلمت على الحرم : على شرف ذات الجيش ، وعلى شريب ، وعلى أشراف مخيض » .  
ورواه ابن النجار بلفظ « حَرَّمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة بريدًا في بريد ، وأرسلني فأعلمت على الحرم : على شرف ذات الجليس ، وعلى مشيرب ، وعلى أشراف المجتهر ، وعلى تيم » ورواه ابن زبالة بهذا اللفظ ، إلا أنه أسقط أشراف المجتهر ، وأبدل تيم بثيب ، وزاد « وعلى الحفيا ، وعلى ذى العشيرة » .  
وروى أيضا عن كعب بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم « حمى الشجر ما بين المدينة إلى وعيرة ، وإلى ثنية المحدث ، وإلى أشراف مخيض ، وإلى ثنية الحفيا ، وإلى مضرب القبة ، وإلى ذات الجيش : من الشجر أن يقطع ، وأذن لهم في متاع الناضح أن يقطع من حمى المدينة »

وروى أيضا عن سلمان بن كعب الديناري أن النبي صلى الله عليه وسلم « نَزَلَ بِمَضْرِبِ القبة وقال : ما بيني وبين المدينة حمى لا يعضد ، فقالوا : إلا المسد ، فأذن لهم في المسد » .  
وروى أيضا من طريق مالك بن أنس عن أبي بكر بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحمى : « إلى مضرب القبة » قال مالك : وذلك نحو من بريد <sup>(٢)</sup> .

(١) يعضد : يقطع ويحز ، ويخبط : يؤخذ ورقه ، وهذا هو الفرق بين اللفظين في المعنى ، والعضاء : كل شجر عظيم له شوك .

(٢) سيتكلم المؤلف في الفصل التالي عن أسماء الأماكن التي في هذه الأحاديث

وروى أيضا عن جابر مرفوعا « كل دافعة دفعت علينا من هذه الشعابِ  
فهى حرام أن تعضد - أو تحبب ، أو تقطع - إلا لعصفورٍ قتبٍ أو مسدٍ محالةٍ  
أو عصا حديدة »<sup>(١)</sup> .

وفي الأوسط للطبراني بإسناد حسن عن الحسن بن رافع أنه سأل جابر بن  
عبد الله فقال : لنا غنم وغلما ، ونحن وهم بئرير ، فهم يحبسون على غنمهم هذه  
الثمره ، يعنى الحبله - قال خارجه : وهى ثمر السمير - قال جابر : لا يحبب  
ولا يعضد حى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن هشوا هشاً ، ثم قال جابر :  
إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينع أن يقطع المسد ، قال خارجه : والمسد  
مرود البكرة .

وروى ابن زبالة عن أبي سعيد الخدرى قال : بعثنى عمى إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم تستأذنه فى مسد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقرأ  
عمتك السلام ، وقل لها : لو أذنت لكم فى مسد طلبتم ميزابا ، ولو أذنت لكم فى  
ميزاب طلبتم خشبة ، ثم قال : حمى من حيث استأقت<sup>(٢)</sup> بنو فزارة لقاحى .

#### الفصل الحادى عشر

فى بيان ما فى هذه الأحاديث من الألفاظ المتعلقة بالتحديد ، ومن ذهب إلى مقتضاها  
قوله : « شرف ذات الجيش » قال ابن زبالة : ذات الجيش : لقب ثنية الحفيرة من  
طريق مكة والمدينة ، وقال المطرى : هى وسط البيداء ، والبيداء هى التى إذا رَحَلَ  
الحجاج من ذى الحليفة استقبلوها مُصْعِدِينَ إلى جهة الغرب ، وهى على جادة الطريق .  
قلت : ويؤيده قول ياقوت : ذات الجيش موضع بعقيق المدينة ، أراد  
بقر به ، أولأن سئلها يدفع فيه كما سيأتى ، وقد رأيت أنه يُطلق ذلك على

ت لجيش

(١) القتب : رحل البعير ، وعصفوره : أحد أعواده ، والمسد : مرود البكرة كما  
قال المؤلف ، أو حبل مفتول من لحاء الشجر ، وعصا الحديدية : مثل خشبة الفأس والقدم  
(٢) فى المطبوعات هنا « من حيث اتسقت » وفيما يأتى ( ص ١٠١ ) « من  
حيث ابتسقت » وكلاهما تطبيع فيما نرى .

ما يدفع في العقيق وإن بُعد عنه . وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الأسدي في وصف الطريق بين مكة والمدينة : إن من ذى الخليفة إلى الحفيرة ستة أميال ، قال : وهى متعشا ، وبها بئر طيبة وحوض ، وعمر بن عبد العزيز هو الذى حفر البئر ، وبها أبيات ومسجد ، اه . ومقتضاه أن يكون ثنية الحفيرة بعد البئر ، فلعلها ثنية الجبل المسمى اليوم بمفرح ، وهناك وادٍ قبل وادى تربان يسمونه سُهمان ينطبق عليه الوصف المذكور ، وهو موافق لقول من قال : ذات الجيش وادٍ بين ذى الخليفة وتربان . فأطلق اسمها على الوادى التى هى فيه ، ولقول عياض : ذات الجيش على بريد من المدينة ، وهو ظاهر رواية الطبرانى المتقدمة ، لكنه مخالف لما سيأتى فى معنى التحديد بالبريد ، وهناك حُبس النبي صلى الله عليه وسلم فى ابتغاء عَقْد عائشة رضى الله عنها ، ونزلت آية التيمم ، والترديد فى حديث عائشة « حتى إذا كنا بالبيداء [أو] بذات الجيش » كأن سببه قرب الموضعين ، وهو ظاهر فى المغامرة بينهما . وقال أبو على الهجرى : ذات الجيش : شعبة على يمين الخارج إلى مكة بمذاء الحفيرة ، قال : وصدر الحفيرة وما قبل من الضِّلْصُلين يدفع فى بئر أبى عاصية ، ثم يدفع فى ذات الجيش ، وما دبر منها يدفع فى البطحاء ، ثم تدفع البطحاء من بين الجبلين فى وادى العقيق ، وذات الجيش تدفع فى وادى أبى كبير ، وهو فوق مسجد الحرم والمعرس ، وطرف أعظم الغربى يدفع فى ذات الجيش ، وطرفه الثانى يدفع فى البطحاء .

قلت : وأعظم - ويقال عظم كاسياتى - جبل معروف اليوم على جادة مكة ، قال المطرى : وهو فى شامى ذات الجيش ، ويشهد له ما سبق عن الهجرى . قوله « شريب » الظاهر أنه مشرب تصغير مشرب كما فى الرواية الأخرى ، وهو ما بين جبال فى شامى ذات الجيش ، بينها وبين خلأق الضبوعة ، والضبوعة منزل عند يَلِيل<sup>(١)</sup> .

شريب

(١) يليل - بفتح الياءين بينهما لام ساكنة - موضع قرب وادى الصفراء .

**أشراف نخيض** قوله : « أشراف نخيض » بلفظ النخيض من اللبن - هي جبال نخيض من طريق الشام ، قاله ابن زبالة ، وقال الهجرى : نخيض وادٍ يصب فى أضْم على طريق الشام من المدينة ، انتهى ؛ فكأنه يطلق على الجبال وواديها ، وقال المطرى : جبل نخيض هو الذى على يمين القادم من طريق الشام ، حين يُفْضَى من الجبال إلى البركة التى هى مَوْرِدُ الحجاج من الشام ، ويسمونها عيون حمزة .

**أشراف المجتهر** قوله : « أشراف المجتهر » كذا رواه ابن النجار ، وتبعه المطرى ، ولم يبيناه ، وقال المجد : هكذا وقع بالجيم والهاء المفتوحة ، فإن صح فهو اسم موضع بالمدينة ، وإلا فيحتمل أن يكون تصحيف « المحيصر » بالحاء والصاد المهملتين تصغير « المحصر » موضع قريب من المدينة . قلت : الأقرب أنه تصحيف النخيض ؛ لمحيطه بدله فى بقية الروايات .

**الحفيا** قوله « الحفيا » قال ابن زبالة : هى بالنسبة فى شامى المدينة ، وقال الهجرى : وراء الغابة بقليل ، وسيأتى فى ترجمتها أن بينها وبين المدينة نحو ستة أميال .

**ذوالعشيرة** قوله : « ذى العُشيرة » تصغير عشرة من العدد ، قال ابن زبالة : شرق الحفيا ، وقال المطرى : نقب فى الحفيا .

**ثيب** قوله : « ثيب » بفتح المثناة ثم مشناة تحتية ساكنة ثم موحدة - كذا فى النسخة التى وقعت عليها من ابن زبالة ، وقال : إنه جبل فى شرق المدينة ، وكذا هو فى العقيق للزبير بن بكار ، وكذا رأيت مضبوطاً بالقلم فى أصل معتمد من تهذيب ابن هشام ؛ فإنه قال فى غزوة السويق : فخرج أبو سفيان حتى نزل بصَدْر قنّاة إلى جبل يقال له ثيب من المدينة على بريد أو نحوه ، وكذا هو فى العقيق لأبي على الهجرى ، إلا أنه قال عقبه : ثيب كتيعب ، فاقتضى أن الياء الساكنة بعدها همزة ، ويشهد لذلك ما سيأتى فى أسماء البقاع فى ترجمة الشظاة من شعر عباس بن مرداس ، وفى كتاب ابن شبة فى حديث سلمة الآتى أول الباب السابع : فقلت يارسول



الله ، تباعد الصيد ، فأنا أصيد بصدور قناة نحو تيب ، كذا رأيت مضبوطاً بالقلم من غير همزة ، لكنه بالمتناة من فوق ، ووقع في كتاب ابن النجار وتبعه المطري تيم بفتح المتناة الفوقية والتحتية وبالميم . قلت : وفي شرقى المدينة جبل يعرف اليوم بهذا الاسم ، وقال المجد : إنه تصحيف ، والصواب يتيب ، بلفظ مضارع تاب<sup>(١)</sup> إذا رجع ، فهو بالناء المتناة من فوق ، ولذا ذكره في مادتها من القاموس ، وقال في مادتها أيضاً تيأب كفعلل موضع : ولم يتعرض لذلك في الناء المتلثة .

قوله : « وَعِيرة » - بفتح أوله من الوعورة ، وهى خشونة الأرض - جبل شرقى وعيرة  
ثور ، وهو أكبر من ثور وأصغر من أحد .

وقوله : « ثنية المحدث » لم أر من تكلم عليه من مؤرخى المدينة وغيرهم ، ثنية المحدث  
والعجب من المجد كيف أهمله مع إirاده الحديث فى كتابه .

قوله : « مضرب القبة » قال المجد كالمطري : ليس اليوم معروفًا ، ولا تعلم مضرب القبة  
جهته ، قال : والذي يظهر [ أنه ] ما بين ذات الجيش من غربى المدينة إلى مخيض .  
قلت : قال أبو على الهجرى : مضرب القبة بين أعظم وبين الشام نحو ستة أميال ، أى  
من المدينة ، وقد تقدم قول مالك عقب التحديد به : وذلك نحو من بريد ، ولعله  
يريد مجموع الحرم .

قوله : « بثرير » لم أر من تكلم عليه حتى المجد .

قوله : « من حيث استأقت<sup>(١)</sup> بنو فزارة لقاحى » كانت إلقاحه صلى الله عليه غزوة ذى قرد  
وسلم ترعى بالغابة وما حولها ، فأغار عليها عيينة بن حصن الفزارى يوم ذى  
قرد ، واتفق لسامة بن الأكوغ ما اتفق من استنقاذ اللقاح ووصول الفرسان  
إليه وهو يقاتلهم ويرميهم بالنبل ، وسميت غزوة ذى قرد بالموضع الذى كان  
فيه القتال .

والتحديد بهذه الأما كن مؤيد لكون مجموع الحرم بريداً ، ولذلك قال

(١) لو كان مضارع تاب بمعنى رجع لقليل « يتوب »

(٢) فى المطبوعات هنا « ابتسقت » تطبيع ، وانظر ( ص ٩٨ )

ابن زبالة عقب ما تقدم عنه : وذلك كله يشبه أن يكون بريداً في بريد ، انتهى .  
ويحمل عليه قول أبي هريرة في حديث مسلم « وجعل اثني عشر ميلاً حول  
المدينة حمى » لأن ذلك هو البريد : أى ستة أميال من جهة قبلتها ، وستة أميال  
من جهة شاميتها ، وكذلك في المشرق والمغرب ، ومثله حديث « حمى كل ناحية  
من المدينة بريداً » أى من القبلة إلى الشمال بريداً ، ومن المشرق إلى المغرب بريداً ،  
وقد أخذ بذلك مالك رحمه الله ، لكن فرّق بين حرم الشجر وحرم الصيد ، وجعل  
البريد حرم الشجر ، وما بين اللابتين حرم الصيد .

قال عياض في الإكمال : قال ابن حبيب : تحريم ما بين اللابتين مخصوص  
بالصيد ، قال : وأما قطع الشجر فبريد في بريد في دور المدينة كلها ، بذلك أخبرني  
مطرف عن مالك ، وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن وهب ، انتهى . وحكى  
الباجي في المنتقى مثله عن ابن نافع ، ونقل ابن زبالة عن مالك أنه قال : الحرم  
حرمان ؛ فحرم الطير والوحش من حرة واقم - أى وهى الحرة الشرقية - إلى  
حرة العقيق - أى وهى الغربية - وحرم الشجر بريد في بريد ، وقال البرهان  
ابن فرحون : حرم الصيد ما بين حرارها الأربع ، وسماها أربعاً لوجود الحرتين  
المذكورتين في الجهات الأربع ؛ لانعطاف بعض الشرقية والغربية من جهة الشمال  
والقبلة ، ولم يُعَوَّل أصحابنا في تحديد الحرم على البريد مع ما فيه من الزيادة ؛ لأن  
أدلتها ليست بالقوية ، فعولوا على ما اشتملت عليه الأحاديث الصحيحة من الجبلين  
واللابتين ، على أن إطلاق أحاديث التحريم مقتضى لعدم الفرق بين حرم الشجر  
وحرم الصيد ، سواء كان الحرم بريداً أو دونه ، غير أن في أحاديث البريد ما يشعر  
بأنه للشجر ، مع أن ابن زبالة - ومحمّله من الضعف معلوم<sup>(١)</sup> - روى عن ابن بشير  
المازنى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحرّم ما بين لابتيهما - يعنى المدينة - من

(١) انظر ما تقدم لنا عنه في ( ص ٨٥٣ )

الصيد ، وعن أبي هريرة وغيره نحوه ، وفي رواية له « من الطير أن يُصَادَ بها » وقد يقال : هو من باب أفراد فردٍ مما حرم بالذكر .

فإن قيل : قوله في حديث مسلم « حرم ما بين لا بَتْنِهَا ، وجَعَلَ اثْنِي عَشَرَ ميلاً حول المدينة حِمًى » دال على الفرق المذكور .

قلنا : ممنوع ؛ لأن غايته أن يراد بالحمى الحرم ، فكأنه قال : وجعل اثني عشر ميلاً حولها حرماً ؛ إذ ليس فيه أنه جعله حمى الشجر .

مقدار  
البريد  
والفرسخ  
والميل

تنمة : البريد أربع فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال ، والميل ثلاثة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع بذراع اليد على الأصح ، كما صححه ابن عبد البر وغيره ، وهو الموافق لاختيار ما ذكره من المسافات في الحرم المكي وغيره ، وذراع اليد — على ما ذكره الحب الطبراني والنووي وغيرهما — أربعة وعشرون أصبعاً ، كلُّ أصبع ست شعيرات مضمومة بعضها إلى بعض ، وغلظ النووي القلعي في قوله « ثلاث شعيرات » ومقدار الذراع المذكور من ذراع الحديد المستعمل في القماش بمصر الآن ذراع إلا ثمن ذراع ، كما اعتبرته أنا وغيري ، ومشى عليه النقي الفاسي في تاريخ مكة المشرفة ، وليكن ذلك على ذُكْرٍ منك إذا مررت بشيء مما ضبطناه في المسافات في كتابنا هذا ، وقيل : الميل ستة آلاف ذراع ، ومشى عليه النووي ، وهو بعيد ، ولعل قائله هو الذي يجعل الإصبع في الذراع ثلاث شعيرات فقط ، وقيل : الميل ألفا ذراع ، والصواب ما قدمناه ، والله أعلم .

## الفصل الثاني عشر

في حكمة تخصيص هذا المقدار المعين بالتحريم

حكمة  
التخصيص

اعلم أن المفهوم من تحريم ذلك تشريف المدينة الشريفة وتعظيمها به لحلول أشرف المخلوقين صلوات الله وسلامه عليه ، وانتشار أنواره وبركاته بأرضها ، وكما

أن الله تعالى جعل لبيته حرماً تعظيماً له جعل لحبيبه وأكرم الخلق عليه ما أحاط بمحله حرماً : تلتزم أحكامه ، وتُنال بركاته ، ويوجد فيه من الخير والبركة والأنوار المنتشرة والسلامة العاجلة والآجلة ما لا يوجد في غيره ، ولهذا حث النبي صلى الله عليه وسلم بنى حارثة على الكون به كما أشار إليه بقوله « أراك يا بنى حارثة قد خرجت من الحرم » ثم التفت فقال « بل أنتم فيه » وذلك لخصوصية الكون فيه على الكون خارجه ، وتخصيص ذلك المقدار إما أن يكون لما شاهده صلى الله عليه وسلم فيه من أمر ربّاني ، وسر روحاني بثه الله فيه إلى تلك الحدود المتقدمة ، وقد ذكر أهل الشهود أنهم يشاهدون الأنوار مُنبئة في الحرم وأهله إلى حدوده ، ولها منابع تفيض عنها ، وذلك في الحرمين جميعاً ، فترتبت الأحكام الظاهرة على تلك الحقائق الباطنة ، ولهذا لما بلغت النار الآتي ذكرها طرف هذا الحرم الشريف طَفِئَتْ كما سيأتي ، وإما أن يكون بمقتضى أمر إلهي ، ووحى رباني لا ندركه نحن ؛ إذ العقول البشرية قاصرة عن إدراك معاني الأحكام المتلَقَّاة عن النبوة ، وإنما يظهر لها لا يحج من شوارق مطالعها عند التأييد والتسديد ، هدايا الله لإدراكها بمنه وكرمه .

وقد قيل في حكمة تحديد الحرم المسكى أشياء يمكن مثلها هنا ؛ فقيل : لما أهبط آدم إلى الأرض أرسل الله ملائكة حَفَّوا بمكة من كل جانب ووقفوا في موضع أنصاب الحرم يَحْرُسُون آدم عليه السلام ، فصار ذلك حرماً . وقيل : لما وضع الخليل عليه السلام الحجرَ الأسود في الكعبة حين بناها -- وهو من أحجار الجنة -- أضاء الحجر من الجهات الأربع ، فحرم الله تعالى الحرم من حيث انتهى النور . وقيل : إن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن ينزل بياقوتة من الجنة ، فنزل بها ، فمسح بها رأس آدم ، فتنثر الشعر منه ، فحيثُ بلغ نورها صار حرماً ، وهو من جنس ما قبله . وقيل غير ذلك ؛ وحينئذ فيحتمل أن تكون الملائكة الموكلة بحراسته صلى الله عليه وسلم وحراسة بلده الشريف قائمة بتلك الحدود ، فانتهى الحرم

وجوه  
تذكر في حكمة  
التحديد

إليها ، ويحتمل أن درته الشريفة التي خلق منها لما كان مأخذها موضع قبره الشريف ، وهو أعظم رياض الجنة ، واشتمل مسجده أيضاً على روضة من رياض الجنة ، انبثت الأنوار من ذلك إلى ما لا يعلم غايته إلا الله ، ولكن أبصار الذاظرين لها غايات ؛ فقد يكون انتهاؤها إلى تلك الحدود فانتهى الحرم إليها ، ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم يوم قدومه إلى المدينة انتشرت الإضاءة ، وشوهد وصولها إلى تلك الحدود ، وسيأتى قول أنس بن مالك في وصف يوم قدومه صلى الله عليه وسلم : ما رأيت مثل ذلك اليوم قط ، والله لقد أضاء منها كل شيء ، يعنى المدينة ، والله أعلم .

### الفصل الثالث عشر

القول في  
تحريم الصيد  
وقطع الشجر

في أحكام هذا الحرم الشريف ، وفيه مسائل

الأولى : اتفق الشافعى ومالك وأحمد على تحريم صيد حرم المدينة ، واصطياده ، وقطع شجره . وقال أبو حنيفة : لا يحرم شيء من ذلك ، والأحاديث الصحيحة الصريحة حجة عليه ، وقد قدمنا جملة منها ، ولو لم يكن إلا قوله صلى الله عليه وسلم « كما حرم إبراهيم مكة » لكان كفاية ؛ فإنه يتمسك به في كل ما لم يقيم دليل على افتراق الحرمين فيه . وروى أبو داود<sup>(١)</sup> — وسكت عليه ، قال النووى : وهو صحيح أو حسن ، أى كما هو قاعدته فيما يسكت عليه — أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أخذ رجلاً يصيد في حرم المدينة الذى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلبه ثيابه ، فجاء مواليه فكلموه فيه ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم « حرّم هذا الحرم » ، وقال : من أخذ أحداً يصيد فيه فلنيسلبنه فلا أرد عليكم طعمة أطعمنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن إن شئتم

(١) قد أثر المؤلف حديث سعد رضى الله تعالى عنه عن الفضل الجندى ، ( وانظر ص ١٠٦ وما بعدها ) .

دفعت إليكم ثمنه » وسيأتى عنه نحوه فى قطع الشجر ، وفى الموطأ عن أبى أيوب الأنصارى أنه وجد غلماناً قد أجبثوا ثعلباً إلى زاوية ، فطردهم عنه ، قال مالك : لا أعلم إلا أنه قال : أفى حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع <sup>(١)</sup> هذا ؟ وروى الطبرانى برجال الصحيح مثله عن زيد بن ثابت بدل أبى أيوب ، وفى الموطأ أيضاً أن رجلاً قال : دخل على زيد بن ثابت وأنا بالأسواف <sup>(١)</sup> ، وقد اصطدت نُهساً <sup>(٢)</sup> فأخذه من يدي ، فأرسله <sup>(١)</sup> . ورواه الطبرانى أيضاً مع تسمية المبهمة ، ولفظه : عن شرحبيل بن سعيد قال : أخذت نُهساً <sup>(٢)</sup> - يعنى طائراً - بالأسواف ، فأخذه منى زيد بن ثابت فأرسله ، وقال : أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها . وفى رواية له «أتانا زيد بن ثابت ونحن فى حائط لنا ، ومعنا فيخاخ ننصب بها ، فصاح وطردها ، وقال : ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيدها . ورواه أحمد أيضاً - وكذا الشافعى فى حرمله - عن شرحبيل بن سعد ، وقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، ولفظه : دخل علينا زيد بن ثابت حائطاً ونحن غلمان ننصب فيخاخاً للطير ، فطردها وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيدها . ورواه ابن زبالة بلفظ : كنت مع بنى زيد بن ثابت بالأسواف <sup>(١)</sup> ، فأخذوا نُهساً <sup>(٢)</sup> ، فاستفتح زيد بن ثابت وهو فى أيديهم ، فدفعوه فى يدي وفروا ، فدخل زيد ، فأخذه من يدي فأرسله ، ثم لطم فى قفاى وقال : لا أم لك ، ألم تعلم ، وذكر الحديث المتقدم . وروى الطبرانى عن حاجب مولى زيد بن ثابت قال : دخل على زيد بن ثابت وأنا بالأسواف <sup>(١)</sup> قد اصطدت نُهساً <sup>(٢)</sup> ، فأخذ بأذنى من قفاى وقال : تصيد هاهنا وقد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتيها ؟ .

والنَّهْس ، كَصُرْد : طائر يشبهه <sup>(٢)</sup> وليس بالصرْد ، وقيل : إنه اليمام .

وفى الكبير للطبرانى برجال ثقات عن عبد الله بن عباد الزرقى - قال الهيثمى :

(١) انظر موطأ الإمام مالك ( ٨٩٠ ط الحلبي ) والأسواف : موضع ببعض

أطراف المدينة بين الحرتين . (٢) النَّهْس : هو أبو براقش .

ولم أجد من ترجمه — قال : كنت أصيد العصفير في بئر أهاب ، وكانت لهم ، قال : فرآني عبادة بن الصامت وقد أخذت العصفور ، فبرزه مني فبرسه ، ويقول : أي بُنيّ ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم ما بين لابتيها كما حرم إبراهيم مكة .

وروى ابن زبالة ومن طريقه البزار عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال : اصطدت طيرا بالقنبلة<sup>(١)</sup> ، فلقيني أبي عبد الرحمن ، فَعَرَكْتُ أذني ، ثم أخذه مني فأرسله ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم صيد ما بين لابتيها .

وفي أبي داود عن مولى لسعد ، أن سعداً وجد عبداً من عبدة المدينة يقطعون شجراً من شجر المدينة ، قال : فأخذ متاعهم ، وقال يعني لمواليهم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم « يَنْهَى أَنْ يُقَطَعَ مِنْ شَجَرِ الْمَدِينَةِ شَيْءٌ » ، وقال : مَنْ قَطَعَ شَيْئاً فَلَمْ يَأْخُذْهُ سَلْبُهُ » ورواه مسلم عن إسماعيل بن محمد بن عامر بن سعد ، ولفظه : أن سعداً ركب إلى قصره بالعقيق ، فوجد عبداً يقطع شجراً ، أو يخبطه ، فسلبه ، فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلّموه أن يرد على غلامهم — أو عليهم — ما أخذ من غلامهم ، فقال : « معاذ الله أن أرد شيئاً نفّلني رسول الله صلى الله عليه وسلم » ورواه المفضل الجندی عنه ، ولفظه : أن سعداً ركب إلى قصره بالعقيق ، فوجد عبداً يقطع شجرة ، فأخذ سلبه ، وذكره بنحوه . ورواه أيضاً عن عبد الله بن عمر ، ولفظه : أن سعداً وجد إنساناً يَعْصِدُ ، أو يخبط ، عَصَاها بالعقيق ، فأخذ فأسه ونطعته وشيئاً سوى ذلك ، فاطلع العبد إلى ساداته فأخبرهم الخبر ، فركبوا إلى سعد فقالوا : الغلام غلامنا ، فاردد إليه ما أخذت منه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر ما قدمناه عنه في الفصل العاشر ، وقال في آخره « فلم أكن لأرد شيئاً أعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ورواه ابن زبالة من طرق بنحوه . وفي بعضها أن سعد بن أبي وقاص وجد جارية لعاصية السامية تقطع الحمى

(١) القنبلة — بضم القاف والباء بينهما نون ساكنة — مصيدة يصطاد بها النمس — بوزن صرد — وهو أبو براقش .

فضربها وسلبها شملة لها وفأسا كانت معها ، فدخلت عاصية السامية إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستعدت على سعد ، فقال : ارضى إليها يا أبا إسحاق شملتها وفأسها ، فقال : « لا والله لا أرد إليها غنيمة غنمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول : مَنْ وجدتموه يقطع الحمى فاضربوه واسلبوه » واتخذ من فأسها مسحاة فما زال يعمل بها حتى لقي الله . وفي بعضها : أخذ سعد بن أبي وقاص جارية لعاصيه السامية تقطع شجراً بالعقيق ، فنزع سلبها ، وذكر نحوه . وروى أيضا عن سعد قال : غَنَمْنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ وجدناه يقطع من شجر حرم المدينة الرطب منه . وعن زيد بن أسلم نحوه . وروى الجندی عن عبد الكريم بن أبي المخارق قال : أتى عمر بن الخطاب ناحية من المدينة فوجد غلاما لبعضهم في حائط ، فقال : هل يأتيك ههنا أحد يحطّط ؟ قال : نعم ، فقال له عمر : إن رأيت منهم أحدا فخذ فأسه وحبله ، قال : وثوبه ؟ قال : فأبى ، وفي نسخة فأفتى ، وفي رواية عنه : أن عمر قال لغلام قدامة بن مظعون : أنت على هؤلاء الخطابين ، فمن وجدته احتطّط فيما بين لابتي المدينة فلك فأسه وحبله ، قال : وثوباه ؟ قال عمر : ذلك كثير . وقد اختلف القائلون بالتحريم في حرم المدينة بالنسبة إلى الضمان بالجزاء ، فعن أحد روايتان ، وللشافعي أيضا قولان كالروايتين : الجديدُ منهما عدمُ الضمان وهو قول مالك ؛ لأنه ليس بمحل نُسك ، فأشبهه مواضع الحمى ووج الطائف <sup>(١)</sup> ، والقديمُ الضمان ، وهو المختار كما قاله النووي وغيره ؛ لحديث سعد المتقدم ، والجواب عنه مشكل ، وعلى هذا فالأصح أنه يسلب الصائد وقاطع الشجر والكلأ كما يسلب القتل من الكفار حتى يؤخذ فرسه وسلاحه ، وقيل : الثياب فقط ، ويكون ذلك للسالب على الأصح ، وقيل : لفقراء المدينة كما أن جزاء صيد مكة لفقرائها ، وقيل : يوضع في بيت المال وسبيله سبيل السهم المرصّد للمصالح . قال الشيخ أبو محمد : ويعطى المسلوبُ إزاراً يستر به عورته ، فإذا قدر على ما يستر به

(١) وج : واد بالطائف ، كما قاله المجد ، وقيل : هو الطائف نفسه ، وقيل : واد بينه وبين مكة .



عورته أخذ منه ، واختار الروياني أنه يترك له ، وصوبه النووي . قال الرافعي :  
والذى يسبق إلى الفهم من الحديث وكلام الأئمة أنه يسلب إذا اصطاد ، ولا يشترط  
الإتلاف ، ولفظ الغزالي في الوسيط : لا يسلب حتى يصطاد أو يرسل الكلب ،  
ويحتمل التأخير إلى الإتلاف ، انتهى . ولا فرق في هذا بين صيد وصيد ، ولا بين  
شجرة وشجرة ، وكأن السلب في معنى العقوبة لم تعاطى ذلك . قال السراج  
البلقيني : ولو كان الصائد أو قاطع الشجر في حرم المدينة عبداً هل يسلب ثيابه كما  
اتفق لسعد بن أبي وقاص ؟ قال : والذي يقتضيه النظر أنه لا يسلب العبد ؛ فإنه  
لا ملك له ، وكذلك لو كان على الصائد ثوب مستأجر أو مستعار فإنه لا يسلب ،  
ولم أر من تعرض له ، انتهى . قلت : التحقيق التفصيل بين ما إذا أمر السيد أو من  
في معناه بذلك وبين ما إذا لم يأمره ، ويُحتمل ما اتفق لسعد على الأول ، ولو كان على  
الصائد والمحتطب ثياب مفضولة لم تسلب بلا خلاف ، كما نقله في شرح المذهب ،  
ونقله في المطلب عن البحر ، ثم قال : وينبغي أن تكون المستعارة كذلك ، ولو لم  
يشاهده أحد يصطاد فالظاهر أنه يجب عليه حمل السلب إلى نائب الإمام ، ولو  
تحدث بحضرة أحد فسمعه فهل يجوز له أن يسلبه ؟ الظاهر عندي لا ، انتهى . ولو  
أدخل إلى حرم المدينة صيدا لم يلزمه إرساله ، وله ذبحه به اتفاقا ، وكذا حرم مكة  
عندنا . وقد روى البيهقي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقدمون  
مكة فيرون بها في الأقفاص القماري<sup>(١)</sup> واليعاقب<sup>(٢)</sup> ، وهذا محمل حديث « يا أبا عمير ،  
ما فعل النغير<sup>(٣)</sup> » أو أنه كان قبل تحريم المدينة ؛ لأنه في أول الهجرة ، وتحريم  
المدينة كان بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من خيبر ، كما أوضح ذلك الحافظ ابن  
حجر . وقد تمسك أبو حنيفة بقصة أبي عمير فيما ذهب إليه من عدم تحريم صيد  
المدينة ؛ لذهابه في حرم مكة إلى وجوب الإرسال على من أدخل إليه صيدا من  
خارجه ، قال : فلو حرم النبي صلى الله عليه وسلم صيد المدينة لما أقر النغير في يد أبي  
عمير .

(١) القماري : جمع قمرى ، وهو ضرب من الحمام ، واليعاقب : جمع يعقوب ، وهو ذكر  
الحجل . (٢) النغير : مصغر النغر - نرقة صرد - وهو طائر يشبه العصفور أحمر المنقار ،  
وأبو عمير : أخو أنس .

عمير . وجوابه ما تقدم ، قال البيهقي : والذاهب إلى عدم تحريم الصيد وغيره بالمدينة زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أراد بقاء زينة المدينة وبهجتها لتستوطن كما منع من هدم أطام المدينة لذلك ، قال أبو هريرة رضى الله عنه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هدم أطام المدينة ، وقال : إنها زينة المدينة ، أى فالنهي للتنزيه . قال البيهقي : والنهي عندنا على التحريم حتى تقوم دلالة على التنزيه ، قال : واستدل الخالف بحديث سلمة « أما إنك لو كنت تصيد بالعقيق لشيئتك إذا ذهبت وتلقيت إذا جئت ، فإنى أحب العقيق » قال البيهقي : وهو حديث ضعيف ، ومن يدعى العلم بالآثار لا ينبغي له أن يعارض الأحاديث الثابتة في حرم المدينة لهذا الحديث الضعيف ، وقد يجوز أن يكون الموضع الذى كان سلمة يصيد فيه خارجاً من حرم المدينة ، والموضع الذى رأى فيه سعد بن أبي وقاص غلاماً يقطع شجراً من حرم المدينة داخله ، حتى لا يتنافيان ، ولو اختلفا كان الحكم لرواية سعد لصحة حديثه وثقة رجاله ، دون حديث سلمة . قلت : مع أن الذى فى الصحيح من حديث سعد لا تعرض فيه لأن القطع كان بالعقيق ، وركوبه إلى قصره بالعقيق لا يقتضى أن القطع كان به ، بل يقتضى أن القطع فى موضع من الحرم خارج ، على أن ما يلى ذا الحليفة من العقيق ليس من الحرم عندنا لخروجه عما بين اللابتين ، والمالكية وإن اعتبروا البريد لحرم الصيد عندهم ما بين اللابتين كما تقدم ، مع امتداد العقيق إلى النقيع<sup>(١)</sup> ؛ فبعضه خارج عن الحرم بكل حال ، فصح ما قاله البيهقي ، وقصر سعد مع قصور العقيق فى الطرف الداخل منه فى الحرم عندنا ؛ لكونه بالحرة الغربية . هذا ، مع احتمال حديث سلمة لكونه كان قبل تحريم المدينة ، والله أعلم .

الثانية — استثنى المطرى تبعاً لابن النجار جواز أخذ ما تدعو الحاجة إليه للرحل — بالحاء المهملة — والوسائد ، من شجر حرم المدينة ، وما تدعو الحاجة

ما يستثنى  
مما يحرم

(١) النقيع : موضع قريب من المدينة كان يستنقع فيه الماء أى يجتمع ، وقد حمى عمر رضى الله عنه غرز النقيع لنعم النوى وخيل المجاهدين فلا يرعاه غيرها .

ليه من حشيشه للعلف ، بخلاف مكة ، هكذا قالاه ، وسبقهما إليه ابن الجوزى من الخنابلة فقال فى منسكه : إن المدينة تفارق مكة فى أنه يجوز أن يؤخذ من شجر المدينة ما تدعو الضرورة إليه للرحل وشبهه ، انتهى ، ومأخذهم فى ذلك ما تقدم فى الفصل العاشر فى بعض تلك الأحاديث المشتملة على الترخيص فى ذلك ومحوه ، مع ما رواه ابن زبالة من حديث : يا رسول الله ، إنا أصحاب عمل ونضح ، وإنا لا نستطيع أن ننتاب أرضا ، فرخص لهم فى القائمتين والوسادة والعارضة والأسنان ، فأما غير ذلك فلا يعضد ولا يخبط ، والكلامُ أولا فى توجه الاستدلال بذلك من حيث الإسناد ، مع أنا قدمنا فى غصون تلك الأحاديث ما يقتضى المنع ، سيما حديث الطبرانى بإسناد حسن إذ فيه قول جابر : لا يخبط ولا يعضد حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن هُشُوا هشا ، ثم قال جابر : إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمنع أن يقطع المسد . قال خارجه : والمسد مرود البكرة ، ومن تأمل كلام أصحابنا الشافعية لا يفهم منه سوى استواء الحرمين فى ذلك ؛ لقولهم : إنه يجوز أخذ حشيش حرم مكة لعلف الدواب على الأصح . وقد قال النووى فى الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث مسلم المتقدم « ولا يخبط شجره إلا لعلف » : إن فيه جواز أخذ أوراق الشجر للعلف ، بخلاف خبط الأغصان وقطعها فإنه حرام ، انتهى . وقد قال هو وغيره فى شجر مكة : إنه يجوز أخذ أوراقها لكنها لا تهش حاراً من أن يصيب لحاها . وفى شرح المذهب : يجوز أخذ ورقها والأغصان الصغيرة للسواك ونحوه ، انتهى ؛ فقد استوى الحرمان فى ذلك . وقد قال الغزالى فى البسيط والوسيط فى حرم مكة : إنه لو قطع منه للحاجة التى يقطع لها الإذخر<sup>(١)</sup> كتسقيف البيوت ونحوه ففيه الخلاف فى قطعه للدواء : أى والأصح جوازه ، وتبعه على ذلك صاحب الحاوى الصغير ؛ فجوز الققطع للحاجة مطلقاً ، ولم يخص الدواء ، وقل من تعرض للمسألة ، ومنه يؤخذ جواز ما استثناه المطرى ، لكن

(١) الإذخر : حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب .

مع استواء الحرمين في ذلك . وقال القاضى عياض : قال المهلب : قطعَ النبي صلى الله عليه وسلم النخل من المدينة حين بنى مسجده ، وذلك يدل على أن النهى لا يتوجه لقطع شجرها للعمارة وجهة الإفساد ، وأن يقطع شجرها ليتخذ موضعه جناناً وعمارة ، وأن توجه النهى إنما هو لقطع الإفساد واستبقاء بهجة المدينة<sup>(١)</sup> وخضرتها في عين الوارد إليها ، انتهى . ونحوه ما روى ابنُ زبالة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبني حارثة في طرف من الحمى « أعطاكم على أنه مَنْ قطع شجرة غرس مكانها نخلة » ومحل ابن زبالة من الضعف معروف ، والنبي صلى الله عليه وسلم إنما قطع النخل وهو شجر يستنبته الآدميون ، وفيه خلاف ؛ فالذى ذهب إليه المالكية والحنفية جواز قطعه في حرم مكة فضلاً عن المدينة ، وهو أحد القولين عندنا ، لكن الأصح إلحاقه بالذى ينبت بنفسه ، والجواب عنه باحتمال كونه قبل تحریم المدينة ، أو أنه قطعه لحاجة العمارة ؛ فإن المتجه جوازه كما تقدم عن الغزالي ، ولم يزل أهل المدينة يسقفون بيوتهم بما يقطعون من نخلها . وقد نقل الواقدي في الحرم المكي عن ابن الزبير الترخيصَ في قطع شجر الحرم المكي للعمارة لكن مع القداء ، على أن الماوردى قال فيما يستنبته الآدميون : محل الخلاف فيما أنبت في مَوَات الحرم ، فإن أنبته في أملاكه لم يحرم بلا خلاف ، انتهى . وأما ما يستنبت من غير الشجر كالحنطة والخضرَوَات فيجوز قطعه بلا خلاف ، وكذا ما يتغذى به مما ينبت بنفسه كالرجلة المسماة بالبقلة الحقاء ونحو ذلك ؛ لأنه في معنى الزرع ، صريح باستثنائه الحب الطبرى في شرح التنبيه ، وهو ظاهر ؛ لأنه إذا جاز الأخذ لإطعام البهائم فالأدعى أولى .

الثالثة — ما ذكره في الأخذ للدواء ونحوه يتناول تحصيله وادخاره لذلك الغرض ، وإن لم يكن السبب قائماً ، إلا أن عبارة الروضة : ولو احتيج إلى شيء من نبات الحرم للدواء . وفي شرح المهذب أنه يجوز أخذ النبات للعلف ، ولو

(١) في المطبوعات « واستبقاء لهجة المدينة — إلخ » تطبيع

أخذه لبيعه ممن يعلف به لم يجز ، ومقتضاه أن الدواء كذلك ، وظاهر إطلاق  
الماوردي الجواز مطلقاً ، وهو ظاهر استناد بعضهم إلى نقل السنن المسكي من  
غير تكبير .

الرابعة — تُغْلَظُ الدية في الخطأ على القاتل في حرم المدينة كمكة في وجه  
الصحيح خلافه ، وما أخذهُ عموم قوله « كما حرم إبراهيم مكة » .  
دية القتل  
الخطأ في المدينة  
مغلظة

وقد اختار السراج البلقيني هذا الوجه ، قال : لأن الخلاف في ذلك مبني  
على الخلاف في ضمان صيدها ، واختار عند النووي ضمان صيدها بسلب الصائد .  
قلت : وما قاله متبجه ؛ لعموم قوله « كما حرم إبراهيم مكة » وإنما اختصت مكة  
بمنع الكافر من دخولها مطلقاً ، بخلاف المدينة فيجوز أن يدخلها بإذن الإمام  
أو نائبه للمصلحة ؛ لأن المشركين أخرجوا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فعاقبهم الله بالمنع من دخولها بكل حال تعظيماً لرسوله صلى الله عليه وسلم ،  
واستحسن الرويانى فى البحر التسوية بين مكة والمدينة فى أن من مات من الكفار  
بهما يخرج ويدفن خارجهما ، وعلى القول باختصاصه بمكة موجبُهُ ما قدمناه .

الخامسة — سوى صاحبُ الانتصار من أصحابنا بين حرم مكة والمدينة فى  
أن لقطتهما لا تحل للتملك ، بل للحفظ أبداً ، وقال الدارمى : لا تلحق لقطه حرم  
المدينة بحرم مكة فى ذلك . قلت : والذي يقتضيه الدليل ترجيح الأول ؛ لأن نص على  
ذلك فى الأحاديث المتقدمة فى الفصل الثامن ، وإن كان الأصحاب خصوا  
مكة بالذكر .

السادسة : مقتضى قوله صلى الله عليه وسلم فى الأحاديث المتقدمة أيضاً « ولا يحمل  
فيها سلاح لقتال » أن يأتى فيها ما نقل من خلاف فى حرم مكة من أن المقاتلة  
الجائزة فى غيره تحرم فيه كقتال البغاة به <sup>(١)</sup> ، بل يُضَيَّقُ عليهم إلى أن يخرجوا

(١) البغاة : جمع باغ ، والبغاة : جماعة من المسلمين لهم شوكة خرجوا عن  
طاعة الإمام على تأويل لهم .

أَوْ يَفِيؤُا<sup>(١)</sup> كَذَهَبَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ . وَقَالَ الْجُمْهُورُ : يَقَاتُونَ ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقِتَالُ مِنْ حَقِّهِ  
 اللَّهُ ، وَحِفْظُهَا فِي الْحَرَمِ أَوْلَى ، وَالْحَرَمُ لَا يَعْيِذُ عَاصِيًا . وَذَهَبَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ إِلَى  
 أَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ ؛ لِلنَّهْيِ عَنِ الْقِتَالِ فِيهِ ، فَلَا يَحْمِلُ مَا هُوَ  
 مِنْ أَسْبَابِهِ ، وَلَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ السِّلَاحَ بِمَكَّةَ »  
 رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

حُكْمُ الاسْتِنْجَاءِ السَّابِعَةُ : حَكَى الْمَوْرِدِيُّ وَجْهَيْنِ فِي جَوَازِ الاسْتِنْجَاءِ بِمُجَارَاةِ الْحَرَمِ ، قَالَ :  
 بِمُجَارَاةِ الْحَرَمِ ظَاهِرُ الْمَذْهَبِ سَقُوطُ الْفَرْضِ بِذَلِكَ مَعَ تَأْتِيهِ . قُلْتُ : يَنْبَغِي حَمْلُهُ عَلَى مَنْ نَقَلَهُ  
 مِنَ الْحَرَمِ لَيْسَتْ يَجِبُ بِهِ فِي الْحُلِّ مِثْلًا ، وَإِلَّا فَهُوَ مُشْكَلٌ ؛ إِذْ لَخِلَافٌ فِي إِبَاحَةِ  
 الْبَوْلِ فِي الْحَرَمِ ، فَالْاسْتِنْجَاءُ بِالْمُجَارَاةِ كَذَلِكَ ، وَعِبَارَةٌ شَرَحَ الْمَذْهَبُ فِي النُّقْلِ  
 عَنِ الْمَوْرِدِيِّ بَعْدَ حِكَايَةِ الْوَجْهَيْنِ فِي سَقُوطِ فَرْضِ الاسْتِنْجَاءِ بِالذَّهَبِ وَالذِّبَاغِ :  
 وَطَرْدَهُمَا الْمَوْرِدِيُّ فِي الاسْتِنْجَاءِ بِمُجَارَاةِ الْحَرَمِ ، اِتَّهَمَ . وَهِيَ مُحْتَمَلَةٌ لِمَا  
 قَرَّرْنَاهُ ، وَقَدْ نَقَلَ النَّوَوِيُّ عَدَمَ جَوَازِ الْأَكْلِ فِي الْأَوَانِي الْمَعْمُولَةِ مِنْ تَرَابِ الْحَرَمِ ،  
 عَلَى مَا قَالَهُ الدِّمِيرِيُّ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ إِنَّمَا عَنَى بِهِ الْمَنْعَ مِنْهُ لِمَنْ أَخْرَجَهَا مِنَ الْحَرَمِ  
 كَمَا لَا يَخْفَى .

الثَّامِنَةُ : جَزَمَ النَّوَوِيُّ بِتَحْرِيمِ نَقْلِ تَرَابِ الْحَرَمِ الْمَدَنِيِّ وَأَحْبَارَهُ ، اِكْتِفَاءً  
 بِمَا ذَكَرَهُ مِنَ الْخِلَافِ فِي الْحَرَمِ الْمَكِّيِّ ، وَصَحَّحَ فِيهِ التَّحْرِيمَ ، وَالرَّافِعِيُّ الْكِرَاهَةَ ،  
 وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ عَنْ كَثِيرِينَ أَوْ الْأَكْثَرِينَ ، وَنَقَلَ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ عَنْ نَصِ  
 الشَّافِعِيِّ فِي الْقَدِيمِ ، وَنَقَلَ التَّحْرِيمَ عَنْ نَصِهِ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ ؛ وَقَالَ فِي الْأَمِّ فِي  
 حُجَارَةِ الْحَرَمِ وَتَرَابِهِ : لَا خَيْرَ فِي أَنْ يُخْرَجَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَى الْحُلِّ ، لِأَنَّ لَهُ حُرْمَةً بَيِّنَةً  
 بِهَا مَا سِوَاهَا مِنَ الْبُلْدَانِ ، فَلَا أَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنْ جَائِزًا لِأَحَدٍ أَنْ يَزِيلَهُ مِنَ  
 الْمَوْضِعِ الَّذِي بَيَّنَّ بِهِ الْبُلْدَانُ ؛ إِذْ يَصِيرُ كَغَيْرِهِ .

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنْ إِبْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كِرَاهَةَ ذَلِكَ . قَالَ  
 الشَّافِعِيُّ : وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ : لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْحَرَمِ شَيْءٌ إِلَى  
 (١) يَفِيؤُا : يَرْجِعُوا إِلَى الطَّاعَةِ .

حُكْمُ  
 نَقْلِ تَرَابِ  
 الْحَرَمِ الْمَدَنِيِّ

غيره . وحكى الشافعى عن أبى يوسف أنه قال : سألت أبا حنيفة عن ذلك فقال : لا بأس به . قال أبو يوسف : وحدثنا شيخ عن رُزَيْن مولى على بن عبد الله بن عباس أن ثلثيا كتب إليه أن يبعث إليه بقطعة من المروة<sup>(١)</sup> فيتخذهُ مُصَلًّى يسجد عليه ، ونقل القاضى أبو الطيب عن الشافعى أنه قال : رخص بعضُ الناس فى ذلك ، واحتج بشراء البرام من مكة ، وهو غلط ؛ فإن البرام ليست من حجارة الحرم ، بل تحمل من مسيرة يومين وثلاثة من الحرم ، وحكى فى شرح المذهب اتفاق الأصحاب على أن الأولى أن لا يحمل تراب الحِلِّ وأحجاره إلى الحرم ؛ لئلا يحدث لها حرمة لم تكن ، قال : ولا يقال « إنه مكروه » مع إطلاقه فى الروضة والمناسك كراهته ، فكأنه أراد بهما معنى خلاف الأولى . وقولُ صاحب البيان « قال الشيخ أبو إسحاق : لا يجوز إدخالُ شىء من تراب الحل وأحجاره إلى الحرم » محمولٌ على نفي الإباحة بمعنى استواء الطرفين ، كما وقع مثله فى مواضع ، وبناء آدم البيت من أجْبُلٍ ليست من الحرم كَلْبُنَّانَ وطور سيناء : إما لأن تحريم الحرم إنما تعلق حكمه وظهر على لسان إبراهيم عليه السلام ، وإما لأن شرعه اقتضى ذلك ، مع أن الظاهر استثناء نقل حجارة الحل لمصلحة يقتضيها الحال ، وما نقله أهل السير من أنهم كانوا يأخذون من تراب قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمرت عائشة رضى الله عنها بجِدَارٍ فُضِرَ عليهم ، لا مُتَمَسَّكٍ فيه ؛ إذ لم يعرف الفاعل ، بل الظاهر أنه بمن لا يحتج بفعله ، وأمرُ عائشة بضرب الجدار يقتضى المنع من ذلك ، على أنه ليس فيه أنه كان يؤخذ للنقل من الحرم ، وقد نقل أبو المعلى السبتي - وكذا خليل والتادلى المالكيون - كلامَ النووى فى المنع من نقل تراب الحرم وأقرَّوه ؛ فالظاهر أنه جارٍ على قواعدهم ؛ إذ منها سدُّ الذرائع . وقد قيل فى سبب عبادة الأصنام : إن بعضهم كان يصحب معه الحجر من الحرم ليتبرك به ، واستشكله البرهان بن فرَّحون بأمور : منها ما تقدمت الإشارة إلى جوابه ، ومنها

---

(١) المرو : الحجارة البيض البراقة ، واحدها مروة .

الإجماع على نقل ماء زمزم واستهداء النبي صلى الله عليه وسلم له من سُهَيْل بن عمرو فبعث إليه منه ، وجوابه أن ماء زمزم طعام طعم وشفاء سقم ، مع أنه يخلف ؛ فأشبهه الحشيش الذى يخلف ، ولهذا قال الشافعى : فأما ماء زمزم فلا أكره الخروج به ، والماء ليس بشيء يزول ولا يعود ، انتهى . مع أن الحذور المتقدم فى الأحجار لا يتوقع مثله فى الماء ؛ إذ المقصود من نقله شُرْبُهُ وهو ظاهر ، بخلاف الحجر وشبهه ؛ فإن القصد التبرك به ، وهو شيء لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولذا أقول : إن من نقل من فخار الحرم كالسكراريز<sup>(١)</sup> حاجة استعمالها جازله ، ويحمل كلام من أطلق المنع على ما يراد للتبرك أو مع عدم الحاجة إليه ، وإذا جاز أخذ حشيش الحرم للتداوى فهذا أولى ، وإذا كان الاحتياج إلى آنية الذهب والفضة يجوز استعمالها فهذا أولى ، فإن أريد نقل ذلك لحاجة متوقعة فى المستقبل فينبغى تخريجه على ما تقدم فى أخذ نبات الحرم للدواء ونحوه ، وقد قدمنا فيما جاء فى ترابها استثناء تربة صُعَيْب لما جاء فيها من التداوى ، وأن الزركشى استثنى تربة حمزة رضى الله عنه لإطباق الناس على نقلها للتداوى بهامن الصُّدَاع ، وحكى البرهان ابن فرحون عن الإمام العالم أبى محمد عبد السلام بن إبراهيم بن ومصال الحاحانى ، قال : نقلت من كتاب الشيخ العالم أبى محمد صالح الهزميرى قال : قال صالح بن عبد الحليم : سمعت أبا محمد عبد السلام بن يزيد الصنهاجى يقول : سألت أحمد بن يَكُوت عن تراب المقابر الذى كان الناس يحملونه للتبرك هل يجوز أو يمنع ؟ فقال : هو جائز ، وما زال الناس يتبركون بقبور العلماء والشهداء والصالحين ، وكان الناس يحملون تراب قبر سيدنا حمزة بن عبد المطلب فى القديم من الزمان . قال ابن فرحون عقبه : والناس اليوم يأخذون من تربة قريبة من مشهد سيدنا حمزة ، ويعملون منها خرزا يشبه السبح ، واستدل ابن فرحون بذلك على جواز نقل تراب المدينة ، وقد علمت مما تقدم أن نقل تربة حمزة رضى الله عنه إنما هو للتداوى ؛

---

(١) السكراريز : جمع كراز - بزنة رمان ، ويقال بتخفيف الراء أيضا بزنة دخان - وهو القارورة ، وقيل : كوز ضيق الرأس ، قال ابن دريد : تكلموا به ولا أدري أعربى أم عجمى .



ولهذا لا يأخذونها من نفس القبر ، بل من المسيل الذى عنده المسجد<sup>(١)</sup> ، ولئن صح مشروعية التبرك بتراب قبور الصالحين فهو أمر خاص بها لا دلالة فيه على جواز نقل مطلق تراب الحرم ، وهو أمر لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ، والخير كله فى الاتباع ، وقد قالت الحنابلة أيضاً : يكره نقل حصى الحرم وترابه إلى غيره ، ولا يدخل غيره إليه ، وتقلوا عن أحمد أنه قال : الإخراج أشد ، انتهى . ويجب على من أخرج شيئاً من تراب الحرم أو حجره أن يرده إليه ، ولا ضمان عليه فى ترك الرد ، قال السكّال الدميرى : وإذا نقل تراب أحد الحرمين إلى الآخر هل يزول التحريم - أى فينقطع وجوب الرد - أو يفرق بين نقله للأشرف وعكسه ؟ فيه نظر ، والله أعلم .

#### الفصل الرابع عشر

فى ذكر بدء شأنها ، وما يؤل إليه أمرها

روى ابن لهيعة بسنده إلى عائشة مرفوعاً « إن مكة بلد عظمه الله ، وعظم حرمة ، خلق مكة وحققها بالملائكة قبل أن يخلق شيئاً من الأرض كلها بألف عام ، ووصلها بالمدينة ، ووصل المدينة ببيت المقدس ، ثم خلق الأرض كلها بعد ألف عام خلقاً واحداً » قال العلامة المقدسى فى بعض تأليفاته : هذا حديث غريب جداً ، بل منكر .

وعن سليمان عن أبى عمرو الشيبانى عن على رضى الله عنه : كانت الأرض ماء ، فبعث الله ريحاً فمسحت الأرض مسحاً ، فظهرت على الأرض زبدة ، فقسمها أربع قطع ، خلق من قطعة مكة ، والثانية للمدينة ، والثالثة لبيت المقدس ، والرابعة الكوفة . وهو أثر واه .

ورويننا فى الكبير للطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله

(١) المسيل الذى كان به مصرع حمزة رضى الله عنه هو المسيل الذى من جهة أحد ، لا من القبلة (مكى) .

عز وجلّ اطلع إلى أهل المدينة وهى بطحاء قبل أن تعمّر ليس فيها مدّر ولا بَشَر، فقال : يا أهل يثرب ، إني مشترط عليكم ثلاثاً وسائق إليكم من كل الثمرات : لا تَغْصِي ، ولا تَعْلِي ، ولا تَكْبَرِي ، فإن فعلت شيئاً من ذلك تركتك كالجزور لا يمنع من أكله .

وأخرج النسائي من رواية يزيد بن أبي مالك عن أنس في حديث الإسراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أُتيتُ بدابة فوق الحمار ودون البغل » الحديث ، وفيه « فركبت ومعى جبريل ، فسرت فقال : انزل فصلّ ، ففعلت ، فقال : أتدرى أين صليت ؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرُ » بمعنى بفتح الجيم .  
ووقع في حديث شداد بن أوس عند البزار والطبراني أنه [قال] « أول ما أُسْرِيَ به صلى الله عليه وسلم مرّ بأرض ذات نخل ، فقال له جبريل : انزل فصلّ ، فنزل فصلى ، فقال : صليت يثرب » الحديث .

وروى رزين عن أنس يرفعه « لما تجلّى الله لجبل طور سيناء تشظّى ستة أشظاظ<sup>(١)</sup> » وفي رواية غير رزين « شظايا ، فنزلت بمكة ثلاثة : حرّاء ، وثبير ، وثور ، وفي المدينة : أحد ، وعير ، وورقان » وفي رواية « ورَضَوَى » بدل عير ، ولا يشكل ذلك بكون رَضَوَى ينبع ؛ لأن ينبع من توابع المدينة ومضافاتها كما سيأتى ، ورواه بعضُ شراح المصابيح بلفظ « عير ، وثور ، ورضوى » ومنه يؤخذ حكمة أخرى في تحديد الحرم بعير وثور ، وسيأتى بيان أول من سكنها بعد الطوفان في أخبار سكانها .

وروي في الأم للشافعي حديث « أسكنت أقل الأرض مطرا ، وهى بين عيني السماء عين الشام وعين اليمن » ورواه ابن زبالة بزيادة « فاتخذوا الغنم على خمس ليال من المدينة » .

وروى أيضاً حديث « يامعشر المهاجرين إنكم بأقلّ الأرض مطرا ، فأقلوا من الماشية ، وعليكم بالزرع ، وأكثروا فيه من الجاجم » .

(١) تشظى : تفرق شظايا ، والأشظاظ : الفلق كل فلق شظ أو شظية كفضية .

وروى الشافعي أيضاً حديث «توشك المدينة أن تمطر مطراً لا يكون أهلها<sup>(١)</sup> البيوت ، ولا يكنهم إلا مظالُّ الشعر» .  
وروى أيضاً «توشك المدينة أن يصيبها مطر أربعين ليلة لا يكون أهلها<sup>(١)</sup> بيت من مَدَر» .

وروى ابن زبالة حديث «كيف بك يا عائشة إذا رجع الناسُ بالمدينة وكانت كالرمانة المحشوة؟ قالت: فنأين يأكلون يا نبي الله؟ قال: يطعمهم الله من فوقهم ومن تحت أرجلهم ومن جنات عدن» .

وأورد المرجاني في كتابه أخبار المدينة عن جابر مرفوعاً «ليعودنَّ هـذا الأمر إلى المدينة كما بدأ منها ، حتى لا يكون إيمان إلا بها» الحديث .

وروى أحمد برجال ثقات «يوشك أن يرجع الناسُ إلى المدينة حتى يصير مسألهم بسلاح» ومسألهم : جمع مسلح ، وهم القوم الذين يحفظون الثغور . وسلاح - كقطام - موضع بقرب خيبر<sup>(٢)</sup> .

وفي مسلم حديث ، «تبلغ المساكن أهاب أو يهاب» بكسر المنة التهجنية .  
وروى أحمد في حديث طويل أنه صلى الله عليه وسلم «خرج حتى أتى بئر الأهاب ، قال : يوشك البنيان أن يأتي هذا المكان» وبئر أهاب : سيأتي أنها بالحرّة الغربية .

وروى أبو يعلى عن زيد بن وهب قال : حدثني أبو ذر رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا بلغ البناء - أى بالمدينة - سلماً فارتحل إلى الشام» فلما بلغ البناء سلماً قدمت الشام .

وروى ابن زبالة حديث «ليوشكنَّ الدينُ أن ينزوى إلى هذين المسجدين ، ويوشكن أن يتشاحوا على موضع الوتد بالحى كشح أحدكم أن ينقص من داره

(١) لا يمكنهم : لا يسترهم ولا يقيهم .

(٢) والمعنى على ذلك : حتى يصير القوم الذين يرقبون عدوهم مقيمين في هذا الموضع ؛ لاتساع رقعة المدينة وكثرة أهلها .

إلى جانب المسجد ، وليوشكن أن يبلغ بنيانهم يهيقاً « قالوا : يا رسول الله ، فمن أين يأكلون ؟ قال « من هنا وههنا » يشير إلى السماء والأرض .

ويهيقاً أوله آخر الحروف : موضع بقرب المدينة على ماسياتى عن المجد آخر الباب السابع وذكر ابن زبالة الشجرة التى يضاف إليها مسجد ذى الحليفة ، ثم روى عن أبى هريرة رضى الله عنه « لا تقوم الساعة حتى يبلغ البناء الشجرة » .  
وروى أيضاً عنه « أَرَيْتَكَ شَرَفَ السَّيَالَةِ وشرف الروحاء ؛ فإنه منازل أهل الأردن إذا أجزى الناس إلى المدينة » .

وفى الكبير للطبرانى حديث « سيبلغ البناء سلعاً ، ثم يأتى على المدينة زمان يمر السفّر<sup>(١)</sup> على بعض أقطارها فيقول : قد كانت هذه مدة عامرة من طول الزمان وعفوا الأثر » .  
وروى النسائى عن أبى هريرة حديث « آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة » ورواه الترمذى بنحوه ، وقال : حسن غريب ، ورواه ابن حبان بلفظ « آخر قرية فى الإسلام خرابا المدينة » .

وروى أبو داود عن معاذ مرفوعاً « عُمرَانُ بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتح القسطنطينية خروج الدجال » .

وروى أبو داود أيضاً عنه مرفوعاً « الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال فى سبعة أشهر » .

وفى ابن شبة عن أبى هريرة « ليخرجنَّ أهلُ المدينة من المدينة خير ما كانت ، نصفاً زهواً<sup>(٢)</sup> ، ونصفاً رطباً ، قيل : مَنْ يخرجهم منها يا أبا هريرة ؟ قال : أمراء السوء » .

وفيه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً نحوه ، وأن عبد الله بن عمر كان يردُّ عليه ، فقال له أبو هريرة : لِمَ تَرُدُّ عَلَى ؟ فوالله لقد كنت أنا وأنت فى

(١) السفر : الجماعة المسافرين ، ونظيره ركب وتجر وشرب

(٢) الزهو : البسر الملون .

بيت حين قال النبي صلى الله عليه وسلم « يخرج منها أهلها خير ما كانت » فقال ابن عمر : أجل ، قد كنت أنا وأنت في بيت ، ولكن لم يقله ، إنما قال «أعمر ما كانت » ولو قال « خير ما كانت » لكان ذلك وهو حي وأصحابه ، فقال أبو هريرة : صدقت والذي نفسى بيده ، وفيه عنه أيضاً « ليحييَنَّ الثعلبُ حتى يقيلَ في ظل المنبر ، ثم يروح لا ينهنهه<sup>(١)</sup> أحد » .

وفي رواية عنه « لا تقوم الساعة حتى يحىء الثعلبُ فيربضَ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهنهه أحد<sup>(١)</sup> » وفيه أيضاً عن شريح بن عبيد أنه قرأ كتابا لكعب « ليغشينَّ أهلَ المدينة أمرٌ يفزعهم حتى يتركوها وهي مذللة<sup>(٢)</sup> ، وحتى يبول السنائيرُ على قطايف الخز ما يروعها شيء ، وحتى يخرق الثعالب في أسواقها ما يروعها شيء » .

وفي الصحيحين حديث « لتتروكون المدينة » ولفظُ مسلمٍ « لتتركنَّ المدينةَ على خير ما كانت مذلة<sup>(٢)</sup> ثمارها لا يغشاها إلا العوافى » يريد عوافى الطير والسباع « وآخر من يحشُرُ منها راعيان من مُزينة يُريدان المدينة ينعانان بغنمهما فيجدانها وحوشاً » ولفظُ مسلمٍ « حتى إذا بلغا ثنية الوداع خَرَّا على وجوههما » وهو في الموطأ بلفظ « لتتركنَّ المدينةَ على أحسن ما كانت حتى يدخل الكلبُ أو الذئب فيغذى على بعض سوارى المسجد » .

ورواه ابن شعبة ولفظه « فيغذى على سوارى المسجد أو المنبر » ويغذى - بالغين والذال المعجمتين - أى يبول عليها دفعة دفعة ، يقال : غذت المرأة ولدها بالتشديد ، إذا أبالته ، وبالتخفيف إذا أطعمته .

وفي ابن زبالة - وتبعه ابن النجار - حديث « لا تقوم الساعة حتى يغلب على مسجدى هذا الكلابُ والذئبُ والضباع فيمر الرجل ببابه فيريد أن يصلى فيه فما يقدر عليه » .

(١) ما ينهنهه : ما يخيفه وما يفزعه وما يردعه .

(٢) مذلة : سهلة لا شقة في المعيشة بها .

وفى ابن شبة بسند صحيح حديث « أما والله أكتدعُها مذلة أربعين عاما للعوافي ، أتدرون ما العوافي ؟ الطير والسباع » ورواه ابن زبالة بنحوه .  
وروى أحمد برجال الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم « صَعَدَ أَحْدًا ، فأقبل على المدينة وقال : ويل أمها قرية ، يَدْعُهَا أَهْلُهَا كَأَيْنَعٍ ما تكون » الحديث ، وفى رواية له « ويل أمك قرية ، يَدْعُكَ أَهْلُكَ وأنت خير ما تكونين »  
وروى أيضا بإسناد حسن حديث للبشير بن ركب فى حب وادى المدينة « فليقولنَّ لقد كان فى هذه مرة حاضرة من المؤمنين » .  
وروى أيضا برجال ثقات حديث « المدينة يتركها أهلها وهى مُرْطِبة ، قالوا : فمن يأكلها ؟ قال : السباع والعائف » .

#### الفصل الخامس عشر

فما ذكر من وقوع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من خروج أهلها وتركها ، وذكر كائنة الحرية المقتضية لذلك قد اختلف الناس : متى يكون هذا الترك ؟ فقال القاضى عياض : إن هذا جَرَى فى العصر الأول ، وإنه من المعجزات <sup>(١)</sup> ، فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة إلى الشام والعراق ، وذلك أحسن ما كانت من حيث الدين والدنيا : أما الدين فلكثره العلماء بها ، وأما الدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها ، قال : وذكر الأخباريون فى بعض الفتن التى جرت بالمدينة وخاف أهلها أنه رَحَلَ عنها أكثر الناس ، وبقيت ثمارها للعوافي <sup>(٢)</sup> ، وخَلَّتْ مدة ، ثم تراجع الناس إليها .  
وحكى البدر ابن فرحون فى شرح الموطأ ، ومن خطه نقلت ، عن القاضى أيضا أنه قال : وقد حكى قوم كثيرون أنهم رأوا ما أنذر به النبي صلى الله عليه وسلم من تغذية الكلاب على سَوَارِى مسجدها ، انتهى .

(١) أى لكونه إخباراً من النبي صلى الله عليه وسلم عما سيكون من بعده بإعلام الله تعالى إياه .

(٢) العوافي : المراد الطير ، كما فى الأحاديث التى مرت قريباً .

وقال النووى : الظاهر المختار أن الترك للمدينة يكون آخر الزمان عند قيام الساعة ، ويوضحه قصة الراعيين من مُزَيْنَةٍ ، فإنهما يَخْرُجَانِ على وجوههما حين تدرکہما الساعة ، ولفظ مسلم واضح فى ذلك ؛ فإنه قال « ثم يحشر راعيان » ويؤيده كونها آخر قرى الإسلام خرابا .

قلت : ويؤيده رواية ابن شبة المتقدمة « لَيَدْعُنَّهَا مَذَلَّةُ أَرْبَعِينَ عَامًا لِلْعَوَافِ » وهذا لم يقع اتفاقا ، على أنه ورد ما يقتضى أن الترك للمدينة يكون متعديداً ، فلعل ما ذكره القاضى هو المرة الأولى ، وبقي الترك الذى يكون آخر الزمان ؛ لأن ابن شبة روى حديث « ليخرجنَّ أهلُ المدينة من المدينة ، ثم ليعودنَّ إليها ، ثم ليخرجنَّ منها ، ثم لا يعودون إليها ، وليدعُنَّها وهى خير ما يكون مونة<sup>(١)</sup> » . وروى أيضا عن عمر مرفوعا « يخرج أهلُ المدينة منها ثم يعودون إليها فيعمرونها حتى تمتلىء وتبنى ، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبداً »

وروى ابن شبة عن أبى هريرة قال : « آخر من يحشر رجلان رجلٌ من جُهينة وآخر من مُزَيْنَةٍ فيقولان : أين الناس ؟ فيأتیان المدينة فلا يرَيان إلا الثعلب ، فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلحقاهما بالناس » وروى أيضا عن حذيفة بن أسيد قال : « آخر الناس محشراً رجلان من مُزَيْنَةٍ يفقدان الناس ، فيقول أحدهما لصاحبه : قد قَدَّنا الناس منذ حين ، انطلق بنا إلى شخص من بنى فلان ، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا<sup>(٢)</sup> ، ثم يقول : انطلق بنا إلى المدينة ، فينطلقان فلا يجدان بها أحدا ، ثم يقول : انطلق بنا إلى منزل قريش بقيق الغرقَد ، فينطلقان فلا يريان إلا السباع والثعالب ، فيوجهان نحو البيت الحرام » .

قلت : وكأنهما إذا توجهتا نحو البيت الحرام ينزل إليهما الملكان قبل ذهابهما؛ فلا يخالف ما تقدم ، فالظاهر أن ما ذكره القاضى هو الترك الأول ، وسببه فيما

(١) مونة : اسم الفاعل من « أينع الزرع » إذا أدرك وطاب وحن قطافه .

(٢) كذا ، ولعل كلمة « بها » مقحمة فى هذا الموضع .

يظهر كائنة الحرة ، وقد تقدم من حديث أبي هريرة أنه قيل له : مَنْ يخرجهم منها يا أبا هريرة ؟ قال : أمراء السوء ، وروى الشيخان — واللفظ لمسلم — عن أبي هريرة مرفوعاً « يهلك أمتي هذا الحى من قريش ، قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : لو أن الناس اعتزلوهم » .

وروى مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه مَنْ حفظه ونسيه مَنْ نسيه » الحديث ، وفي رواية عنه : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بما هو كائن إلى أن تقوم القيامة ، فما من شيء إلا قد سألته ، إلا أنى لم أسأله ما يُخرجُ أهل المدينة من المدينة ، وروى الترمذى حديثاً « إذا مشت أمتي المطيطا ، وخدمتهم بنات فارس والروم ، ردَّ الله بأسهم بينهم ، وسلَّط شِرَارهم على خيارهم » . وروى ابن شبة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : « والذى نفسى بيده ليكوننَّ بالمدينة مَلَحَمَةٌ يقال لها الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ، ولكن حالقة الدين ، فاخرُجُوا من المدينة ولو على قدر بريد » .

وروى ابن أبي شيبة عنه أنه قال : اللهم لا تدركنى سنة ستين ، ولا إمرة الصبيان ، يشير إلى أن أول الأغيمة كان في سنة ستين ، وهو كذلك ، كما قاله الحافظ ابن حجر ؛ فإن يزيد بن معاوية استُخْلِفَ فيها ، فأشار إلى دولة يزيد وفيها كانت وقعت الحرة ، وتسمى حرّة واقم ، وحرّة زهرة

وروى الواقدى في كتاب الحرة عن أيوب بن بشير المعادى أن النبى صلى الله عليه وسلم « خرجَ سَفَرًا من أسفاره ، فلما سر بجرة زهرة وقف واسترجع ، فسئى بذلك مَنْ معه ، فظنُّوا أن ذلك من أمر بسفرهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، ما الذى رأيت ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما إنَّ ذلك ليس من سفركم هذا ، قالوا : فما هو يا رسول الله ؟ قال : يُقْتَلُ في هذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي » .

(١) المطيطاء — بفتح الميم وكسر الطاء ممدودا — والمطيطى — بضم ففتح ممدودا أو مقصورا — التبختر ومد اليدين في المشى .



وروى أيضا عن سفيان بن أبي أحمد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشرف على بني عبد الأشهل أشار بيده ، فقال : « يقتل بهذه الحرة خيار أمتي » وروى أيضا عن كعب قال : نجد في التوراة أن في حرة شرقي المدينة مقتلة تضيء وجوههم يوم القيامة صنعا » وروى أيضا أنه ذكر عند ابن عباس قتلى الحرة ، فقال ابن عباس : يرحمهم الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقتل بحرة زهرة خيار أمتي » .

وروى البيهقي في الدلائل خبر أيوب بن بشير المتقدم ، ثم قال : هذا مرسل وقد روى عن ابن عباس في تأويل قوله تعالى « وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا <sup>(١)</sup> » قال : لأعطوها ، يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على أهل المدينة . ورواه بالسند إلى ابن عباس وقال : إنه مؤكد لمرسل ابن بشير ، وسيأتي في حرة واقم ما رواه ابن زبالة من أن السماء مطرت على عهد عمر رضي الله عنه ، فخرج مع أصحابه حتى أتوا حرة واقم وشراحها تطرد ، فقال كعب : أما والله يا أمير المؤمنين لتسيل هذه الشراج بدماء الناس كما تسيل بهذا الماء ، فدنا منه ابن الزبير فقال : يا أبا إسحاق ومتى ذلك ؟ فقال : إياك أن تكون على رجلك أو يدك ! .

وروى ابن زبالة عن كعب أيضا : إنا نجد في كتاب الله : حرة شرقي المدينة يُقتل بها مقتله تضيء وجوههم يوم القيامة كما يضيء القمر ليلة البدر .

قلت : وسياق كلام القرطبي يقتضي أنها هي السبب في خروج أهل المدينة المذكور في كلام عياض ؛ فإنه ذكر نحو كلام عياض ، وقال : فلما انتهى حالها — يعني المدينة — كمالا وحسنا تناقص أمرها إلى أن أفقرت جهاتها ، وتوالت الفتن فيها ؛ فخاف أهلها ، فارتحلوا عنها ، ووجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش عظيم من أهل الشام ، فنزل بالمدينة ، فقاتل أهلها ، فهزمهم

تلهم بحرة المدينة قتلا ذريعا<sup>(١)</sup>، واستباح المدينة ثلاثة أيام ، فسميت وقعة الحرة لذلك ، ويقال لها : حرة زهرة ، وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من المسجد النبوي ، فمُتِلَ بقايا المهاجرين والأنصار وخيار التابعين، وهم ألف وسبعمائة، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان ، وقتل بها من حَمَلَة القرآن سبعمائة رجل ، ومن قریش سبعة وتسعون قتلوا ظلما في الحرب صَبْرًا ، قال : وقال الإمام الحافظ ابن حزم في المرتبة الرابعة : وجالت الخيلُ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبالت ، ورائت بين القبر والمنبر أدام الله تشریفها وأكرهوا الناس أن يبایعوا ليزید على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق ، وذكر له يزيد بن عبد الله بن زمعة البيعة على حكم القرآن والسنة ، فأمر بقتله ، فضربت عنقه صبرا ، وذكر الأخباريون أنها خَلَّتْ من أهلها ، وبقيت ثمارها للعوافي كما قال صلى الله عليه وسلم ، وفي حال خلاؤها غدت الكلابُ على سوارى المسجد ، انتهى كلام القرطبي .

وروى الطبراني في خبر طويل عن عروة بن الزبير قال : لما مات معاوية سبب نقمة يزيد بن معاوية على أهل المدينة رضى الله عنه تشاقل عبدُ الله بن الزبير عن طاعة ابنه يزيد ، وأظهر شتمه ، فبلغ ذلك يزيد ، فأقسم لا يؤتى به إلا مغلولاً ، وإلا أرسل إليه ، فقبل لابن الزبير : ألا نصنع لك أغلالاً من فضة تلبس عليها الثوب وتبر قسمه فالصلح أجمل بك ؟ قال : فلا أبرَّ الله قسمه ، ثم قال :

ولا أَلينُ لغير الحق أسألهُ \* حتى يَلينَ لِضُرِّسِ الماضِغِ الحَجَرُ  
ثم دعا إلى نفسه ، فوجه إليه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش أهل الشام ، وأمرهم بقتال أهل المدينة ، فإذا فرغ من ذلك صار إلى مكة ، قال : فدخل مسلم بن عقبة المدينة ، وهَرَبَ منه يومئذ بقايا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاث فيها<sup>(٢)</sup> ، وأسرف في القتل ، ثم خرج منها ، فلما كان في بعض

(١) قتلا ذريعا : شديدا كثيرا مع فظاعة (٢) عاث : أفسد

الطريق مات واستخلف حصين بن نمير الكندي ، ثم ذكر حصاره ابن الزبير ،  
ورميه بالمنجنيق ، واحتراق الكعبة ، قال : وبلغ حصين بن نمير موت يزيد  
ابن معاوية فهرب .

قلت : وسبب أمر يزيد بقتال أهل المدينة ما ذكره الإمام ابن الجوزي  
قال : لما دخلت سنة اثنين وستين ولّى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة ،  
فبعث إلى يزيد وفداً من المدينة ، فلما رجع الوفد أظهروا شتم يزيد ، وقالوا :  
قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ، ويعزف بالطناير ، ويلعب  
بالكلاب ؛ وإنا نشهدكم أنا قد خلعناه . وقال المنذر : أما والله لقد أجازني مائة  
ألف درهم ، ولا يمنعني ما صنع أن أصدقكم عنده ؛ والله إنه يشرب الخمر ، وإنه  
ليسكر حتى يدع الصلاة ؛ ثم بايعوا لعبد الله بن حنظلة الغسيل ؛ وأخرجوا عثمان  
ابن محمد عامل يزيد ؛ وكان ابن حنظلة يقول : يا قوم ؛ ما خرجنا على يزيد حتى  
خِفْتُ أن تُرْمَى بالحجارة من السماء ؛ والله لو لم يكن معي أحدٌ من الناس لأبليتُ  
الله فيه بلاء حسناً ؛ وكانت قصة الحرة سنة ثلاث وستين ؛ وفي هذه السنة أخرج  
أهل المدينة عامل يزيد المتقدم ذكره .

قلت : وفي كتاب الحرة للواقدي ما ملخصه : أن أول ما هاج أمر الحرة أن ابن  
ميناء كان عاملاً على صَوافي<sup>(١)</sup> المدينة - وبها يومئذ صواف كثيرة - حتى كان معاوية  
يحدُّ بالمدينة وأعراضها مائة ألفٍ وَسَقٍ وخمسين ألفٍ وَسَقٍ ، ويحصد مائة ألف  
وَسَقٍ حنطة ، واستعمل يزيدُ على المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان ؛ وأن ابن  
ميناء أقبل بشرح له من الحرة يريد الأموال التي كانت لمعاوية ؛ فلم يزل يسوقه  
ولا يصدّه عنه أحد حتى انتهى إلى بَلْحَارِث بن الخزرج ، فنقب النقيب فيهم ،  
فقالوا : ليس ذلك لك ، هذا حدث وضرر علينا ، فأعلم الأمير عثمان بن محمد بذلك ،  
فأرسل إلى ثلاثة من بَلْحَارِث ، فأجابوه إلى أن يمر به ، فأعلم ابن مينا فغدا بأصحابه  
(١) الصوافي : جمع صافية ، وهي النخلة الكثيرة الحمل ، لكن المستعمل  
المنصوص عليه في كتب اللغة الصفية وجمعها الصفايا . مثل قضية وقضايا .

فَذَبُّوهُمْ<sup>(١)</sup>، فرجع إلى الأمير فقال: اجمع لهم مَنْ قَدَّرْتَ، وبعث معه بعض جند، وقال: مر به ولو على بطونهم، فغدا ابن مينا مُتَطَاوِلًا عليهم، وعدا من يذهبهم من الأنصار، ورفدَّتْهم قریش<sup>(٢)</sup> فَذَبُّوهُمْ حتى تفارقم الأمر؛ فرجع ولم يعمل شيئاً. وكتب عثمان بن محمد إلى يزيد يخبره بذلك، ويحرضه على أهل المدينة جميعاً؛ فاستشاط غضباً؛ وقال: والله لأبعثن إليهم الجيوش، ولأوطئنها الخيل؛ انتهى. وقال ابن الجوزي: قال أبو الحسن المدايني — وكان من الثقات —: أتى أهل المدينة المنبر فخلعوا يزيد، فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص الخزومي: قد خلعت يزيد كما خلعت عمامتي، ونزعها عن رأسه، إني لأقول هذا وقد وصَلَنِي وَأُحْسَنَ جَائِزَتِي، ولكن عدو الله سيكبر. وقال آخر: قد خلعته كما خلعت نعلي؛ حتى كثرت العائم والنعال.

ثم ولَّوْا على قریش عبد الله بن مطيع؛ وعلى الأنصار عبد الله بن حنظلة. ثم حاصر القوم مَنْ كان بالمدينة من بني أمية في دار مروان. فكتب مروان ومن معه إلى يزيد: إنا قد حُصِرْنَا وَمُنِعْنَا العذب، فيا غوثاًه. فوصل الكتاب إليه. فبعث إلى مسلم بن عُبَيْة — وهو شيخ كبير — فجاء حتى دخل عليه، وقال له: اخرجُ وسِرْ بالناس، فخرج مناديه، فنادى: أن تسيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كَمَلًا ومَعُونَةً مائة دينار توضع في يد الرجل من ساعته. فانتدب لذلك اثنا عشر ألف رجل. وكتب يزيد إلى ابن مَرْجَانَةَ<sup>(٣)</sup> أن اغزُ ابن الزبير، فقال: لا والله لا أجمعها للفاستق أبداً قَتَلَ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإغزاء البيت وقال يزيد لمسلم: إن حَدَّثَ بك حادث فاستخلف حُصَيْن بن نَمِر السكوني. وقال له: ادعُ القوم ثلاثاً، فإنهم أجابوك وإلا فقاتلهم، وإذا ظَهَرَتْ عليهم فأبْحَها ثلاثاً بما فيها من مال أو سلاح أو طعام فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف

(١) ذبُّوهم: منعوهم وطردهوهم. (٢) رفدَّتْهم: أعانَتْهم.

(٣) ابن مرجانة: هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، وكان على الجيش الذي قتل الحسين بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عنهم ، وانظر على بن الحسين فاستَوْص به ؛ فإنه لم يدخل في شيء مما دخلوا فيه ، فلما بلغ أهل المدينة إقبالُ الحصين وثبوا على من كان محصوراً من بني أمية ، وقالوا : لا نكف عنكم حتى نضرب أعناقكم أو تعطونا عهد الله وميثاقه ألا تبغوا غائلة<sup>(١)</sup> ، ولا تدلُّوا لنا على عورة ، ولا تظاهروا علينا عدوا ، فأعطوهم العهد على ذلك ، فأخرجوهم من المدينة ، فخرجوا حتى لَقُوا مسلم بن عقبة ، وأرسل إليه مروان ابنه عبد الملك فأشار عليه أن يأتيهم من ناحية الحرة ، وأن ينتظرهم ثلاثاً ففعل ، فلما مضت الثلاث قال : يا أهل المدينة ، ماتصنعون؟ قالوا : نحارب ، قال : لا تفعلوا وادخلوا في الطاعة ، قالوا : لا نفعل ، وكانوا قد اتخذوا خندقاً ، فنزل منهم جماعة ، وحمل ابنُ الغسل<sup>(٢)</sup> على الخيل حتى كشفها ، وقتلوا قتلاً شديداً ، وجعل مسلم يحرّض أصحابه ، وكان به مرض ؛ فنصب له سرير بين الصفين وقال : قاتلوا عن أميركم ؛ وأباح مسلم المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون الأموال ، ورفعوا على النساء ؛ وقاتل عبد الله بن مطيع حتى قتل هو وبنون له سبعة ؛ وبعث برأسه إلى يزيد ؛ فأفزع ما جرى من المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقل الواقديُّ أن القوم لما قربوا تشاور أهلُ المدينة في الخندق خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وشكُّوا المدينة بالبنين من كل ناحية ؛ وعملوا في الخندق خمسة عشر يوماً ، وكان لقريش ما بين راتج إلى مسجد الأحزاب ، والأنصار ما بين مسجد الأحزاب إلى بني سلمة ، وللموال ما بين راتج إلى بني عبد الأشهل ، فلما وصل القوم عسكروا بالجُرْف ، وبعثوا رجالاً من رجالهم ، فأحدقوا بالمدينة من كل ناحية ، فما يجدون مدخلاً ، والناس متلبسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق يرمون بالنبل والحجارة ، وجلس مسلم بناحية واقم ، فرأى أمراً هائلاً ، فاستعان بمروان وكان وعده بوجه في ذلك لما لقيه بوادي القرى ؛ فخرج مروان

(١) الغائلة : الداهية والفساد والشر . (٢) في المطبوعات كلها « وحمل ابن

القتيل » تطبيع ، وابن الغسيل : هو عبد الله بن حنظلة الذي ولاه الأنصار عليهم .

( ٩ — وفاة ١ )

حتى جاء بنى حارثة ، فكلّم رجلا منهم ورغبه في الصنيعة<sup>(١)</sup> ، وقال : تفتح لنا طريقا فأكتب بذلك إلى يزيد فيصّل أرحامكم ، ففتح لهم طريقا من قبلهم حتى أدخل له الرجال من بنى حارثة إلى بنى عبد الأشهل ، وجاء الخبرُ عبد الله بن حنظلة وكان بناحية الصوريين في أصحابه ، وأقبل عبد الله بن مطيع وكان من ناحية ذباب ، وأقبل ابن هريرة في الموالى يطوف بهم على الخنادق ، وأقبل ابن ربيعة وكان من ناحية بطحان ، فاجتمعوا جميعا من حيث يدخل أهل الشام ، قال محمود ابن لبيد : قد حضرت يومئذ ، فإنما أتينا من قومنا بنى حارثة ، وكان مروان حين أخرج عمل به عمل قبيح ، فكلّم رجلا فأدخله ومعه فارس ثم جعلت الخيل تتحدر على أثره ، وقد وقفنا ببني عبد الأشهل فقاتلنا ما وجدنا حتى عاينا الموت وكثرت القوم وتفرق الناس فقتلوا في كل وجه .

وروى الواقدي أيضاً أن قصر بنى حارثة كان أمانا لمن أراد أهل الشام أن يؤمنوه ، وكانت بنو حارثة آمنين ، وأول دار انتهيت والحرب بعد لم ينقطع دار بنى عبد الله الأشهل ، انتهى .

وأخرج ابن أبي خيثمة بسند صحيح إلى جارية بن أسماء : سمعت أسيّاح أهل المدينة يتحدثون أن معاوية رضى الله عنه لما احتضر دعا يزيد فقال له : إن لك من أهل المدينة يوما ، فإن فعلوا فأرهم بمسلم بن عقبة فإنى عرفت نصيحته ، فلما ولي يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة وجماعة ، فأكرمهم وأجازهم ، فرجع فخرّص الناس على يزيد ، وعابه ، ودعاهم إلى خلع يزيد ، فأجابوه ، فبلغ ذلك يزيد ، فجهز إليهم مسلم بن عقبة ، فاستقبلهم أهل المدينة بجموع كثيرة ، فهابهم أهل الشام وكرهوا قتالهم ، فلما نشب القتال سمعوا في جوف المدينة التكبير ؛ وذلك أن بنى حارثة أدخلوا قوماً من الشاميين من جانب المدينة ، فترك أهل المدينة القتال ، ودخلوا المدينة خوفا على أهلهم ، فكانت الهزيمة ، وقتل من

---

(١) الصنيعة : أصلها الإحسان ، ويقال « فلان صنيعة فلان » أى أنه هو الذى

خرجه ورباه واختصه بالجميل .

قتل ، وباع مسلم الناس على أنهم خول<sup>(١)</sup> ليزيد يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم بما شاء ، انتهى .

وأخرج يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند صحيح عن ابن عباس قال : جاء تاويل هذه<sup>(٢)</sup> الآية على رأس ستين سنة « ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها » يعنى إدخال بنى حارثة أهل الشام على أهل المدينة في وقعة الحرّة ، قال يعقوب : وكانت وقعة الحرّة سنة ثلاث وستين ، هـ .

قالوا : وكلت امرأة مسلم بن عقبة في ولدها ، وقالت : أنا مولاتك ، وابنى في الأسر ؛ فقال : عجلوه لها ؛ فضربت عنقه وقال : أعطوها رأسه ، أماتر ضين أن لا تقتلى حتى تكلمى في ابنك ؟ ! .

قلت : وسموه مُسْرِفًا لإسرافه في القتل .

ونقل الواقدي في كتاب الحرّة أن يزيد دخل على مُسْرِف وكان قد جعله في عِلِّيَّةٍ لمرضه ؛ فقال له : لولا مرضك لكنت أنت صاحب هذا الأمر ، لما أعرف نصيحتك ، قال مسرف : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا<sup>(٣)</sup> تولى أمرهم غيرى ؛ فإني والله أنا صاحبهم ، رأيت في النوم شجرة غرقده تصيح بأغصانها : يا ثارات عثمان ، فأقبلت وجعلت الشجرة تقول : على يدى مسلم بن عقبة ، حتى جثتها فأخذتها ، فعبرت ذلك أنى أكون القائم بأمر عثمان ؛ فهم قتلته ، قال يزيد : فسر إليهم على بركة الله ، فأنت صاحبهم ، وانظر إذا قدمت المدينة ، فمن عاقلك عن دخولها أو نصب لك حرًا بالسيف السيف ، لا تُبقِ فيهم ، وأنهبها ثلاثا ، وأجهز على جريحهم ، واقتل مدبرهم ، وإياك أن تُبقِ عليهم ، وإن لم يعرضوا لك فامض إلى ابن الزبير . وروى ابن الجوزى من طريق المداينى عن جويرية أن مسامًا نظر إلى قتلى الحرّة فقال : لئن دخلت النار بعدها إني لَشَقِيٌّ<sup>(٤)</sup> ، وأسر أسرى فحبسهم ثلاثة

(١) الخول — بالتحريك — الخدم والعبيد .

(٢) من سورة الأحزاب من الآية ١٤ (٣) في المطبوعات « أن تولى أمرهم غيرى » تطبيع (٤) في المطبوعات « لأن دخلت النار بعدها ولا إني لشقى » تطبيع وانظر ص ١٣٦ .

أيام لم يطعموا ، وجاءوا بسعيد بن المسيب<sup>(١)</sup> فقالوا : بايع ، فقال : أباع على سيرة أبي بكر وعمر ، فأمر بضرب عنقه ، فشهد رجل أنه مجنون ، فخلى عنه .  
عدد القتلى  
في وقعة الحرة كانت القتلى يوم الحرة ؟ قال : سبعمائة من وجوه الناس قریش والأنصار والمهاجرين ، ومن وجوه الموالى ومن لا يعرف من عبد وحر وامرأة عشرة آلاف ، وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

وفي كتاب الحرة للواقدي قال : حدثني عبد الله بن جعفر قال : سألت الزهري : كم قتل من الناس يومئذ ؟ قال : أما من وجوه الناس فأكثر من سبعمائة من قریش والأنصار ووجوه الموالى ، ثم عدّ عليّ من قتل حتى ما كنت أرى أنه بقي أحد إلا قتل يومئذ ، ثم قال الزهري : ولقد قتل ممن لا يعرف من الموالى والعبيد والصبيان والنساء أكثر من عشرة آلاف ، ودخلوها لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين .

قلت : وقال القرطبي لليلتين بقيتا من ذى الحجة ، وعن الأفتشهرى عن أبي معشر والواقدي أنها يوم الأربعاء لليلتين خلتا من ذى الحجة ، قلت : ولم أره في كتاب الواقدي ، وأعله سبق قلم ، والله أعلم .

وذكر المجد أنهم سبّوا الذرية ، واستباحوا الفروج ، وأنه كان يقال لأولئك الأولاد من النساء اللاتي حملن : أولاد الحرة ، قال : ثم أخضر الأعيان لمبايعة يزيد ، فلم يرض إلا أن يبايعوه على أنهم عبيد يزيد ، فمن تلكا أمر بضرب عنقه ، وجاءوا بعلي بن عبد الله بن عباس ، فقال الحصين بن نمير : يا معشر المين عليكم ابن أختكم ، فقام معه أربعة آلاف رجل ، فقال لهم مسلم : أخلعتم أيديكم من الطاعة ؟ فقالوا : أما فيه فنعم ، فبايعه على أنه ابن عم يزيد ، انتهى .

وعن المدائني أيضاً عن محمد بن عمر قال : قال ذكوان مولى مروان : شرب

(١) سعيد بن المسيب : رأس علماء التابعين وفردهم وقيهم ، مات في سنة ٩٣ ، وقال الواقدي : في سنة ٩٤ من الهجرة .



مسلم بن عقبة دواء بعد ما أنهب المدينة ، ودعا بالغداء ، فقال له الطيب : لا تعجل ! فإني أخاف عليك إن أكلت قبل أن تكمل الدواء ، قال : ويحك ! إنما كنت أحب البقاء حتى أشفى نفسي من قتل عثمان ، فقد أدركت ما أردت ، فليس شيء أحب إلي من الموت على طهارتي ؛ فإني لا أشك أن الله قد طهرني من ذنوبي بقتل هؤلاء الأرجاس .

قلت : هذا من عظيم حقه ، قاتله الله وأشقاه ! فإن هذا مما يزيد في عظيم جرمه .  
ومن قتل صبرا يومئذ من الصحابة : عبد الله بن حنظلة الغسيل - قال ابن حزم : قتل مع ثمانية من بنيهِ - وعبد الله بن زيد حاكى وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ، ومقل بن سنان الأشجعي - وكان شهد فتح مكة ، وكان معه راية قومه يومئذ - وفيه يقول الشاعر :

ألا تلکمُ الأنصارُ تبکی سرّاتها      وأشجعُ تبکی مَعْقِلَ بنِ سنانِ  
ومحمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وقد ذكر ابن جرير الطبري الإمام أن عبد الله بن الغسيل كان يقول :

بعداً لمن رام الفسادَ وطغى      وجانبَ القصدِ وأسبابَ الهدى  
لا يبعدِ الرحمنُ إلا مَنْ عصى

ثم تقدم فقاتل حتى قتل ، وقتل معه أخوه لأمه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، وأبوه كان خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ورد وفدُ تميم ، وجعل مسلم بن عقبة يطوف على القتلى ومعه مروان بن الحكم ، حتى مر على عبد الله بن الغسيل وهو مادّ أصبعه السبابة ، فقال مروان : أما والله لئن نصبتّها ميتاً لطلما نصبتّها حياً .

وروى عن محمد بن كعب القرظي<sup>(١)</sup> قال : قال مروان لعبد الله بن حنظلة

(١) في المطبوعات «محمد بن كعب القرظي» تطبيع، ومحمد بن كعب القرظي ، أحد العلماء الأكابر ، مدني ، كوفي ، قال ابن سعد : كان ثقة ورعا كثير الحديث ، مات في سنة ١١٩ ، وقيل : في سنة ١٢٠ من الهجرة .

الغسيل وقد رآه مشيراً بأصبعه وقد يبست : لئن أشرتَ بها ميتاً لطلما دَعَوْتَ وتضرعتَ بها إلى الله تعالى ، فقال رجل من أهل الشام : إن كان هو<sup>(١)</sup> كما تقول فما دعوتنا إلا لقتل أهل الجنة ، فقال مروان : خالفوا ونكثوا .

وفى الذيل على ابن النجار للعراقى : ذكر محمد بن سعد فى الطبقات أن مروان ابن الحكم كان يُحرِّضُ مسلم بن عقبة على أهل المدينة ، وجاء معه معيناً له حتى ظفر بهم ، وانتهبت المدينة ، فلما قدم مروان على يزيد شكر له ذلك وأدناه .

وروى ابن الجوزى بسنده إلى سعيد بن المسيب قال : ما أصلى لله تعالى صلاة إلا دعوت على بنى مروان

وبسنده أيضاً إليه قال : لقد رَأَيْتُ لِيَالِي الحرة ما فى المسجد أحَدٌ من خَلْقِ الله غيرى ، وإن أهل الشام لَيَدْخُلُونَ زُمرّاً يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ الجنون ، ولا يأتى وقت صلاة إلا سمعتُ أذاناً من القبر ، ثم أقيمت الصلاة فتقدمت فصليت وما فى المسجد أحد غيرى .

وبسنده أيضاً إلى المدائنى عن أبى قرّة قال : قال هشام بن حسان : وَلَدَتْ بعد الحرة ألفُ امرأةٍ من غير زوج .

وعن المدائنى أيضاً عن أبى عبد الرحمن القرشى عن خالد الكندى عن عمته أم الهيثم بنت يزيد قالت : رأيت امرأة من قريش تطوف ، فعَرَضَ لها أسودُ فعانقته وقبلته ، فقلت : يا أمة الله ، أتفعلين هذا بهذا الأسود ؟ فقالت : هو ابنى ، وَقَعَ على أبوه يوم الحرة .

ونقل العراقى فى ذيله عن شيخه أبى المظفر السمعانى أنه روى بسنده إلى أبى غزيرة الأنصارى قال : كان قوم من أهل المدينة يجتمعون فى مجلس لهم بالليل يسهرُونَ فيه ، فلما قتل الناس قتلوا ونجا منهم رجل فجاء إلى مجلسه فلم يحسَّ منهم أحداً ، ثم جاء الليلة الثانية فكذلك ، ثم جاء الثالثة فكذلك ، فتمثل بهذا البيت :

---

(١) فى المطبوعات « إن كان مولا كما تقول » تطبيع لا معنى له .

أَلَا ذَهَبَ الْكُمَاةُ وَخَلَّفُونِي كَفِي حَزَنًا بِذِكْرِي لِلْكَمَاةِ

قال : فنودي من المجلس :

فَدَعَّ عَنْكَ الْكُمَاةَ فَقَدْتَوَلَّتْ وَنَفْسُكَ فَأَبْكِيهَا قَبْلَ الْمَاتِ  
فَكُلُّ جَمَاعَةٍ لَا بَدَّ يَوْمًا يُفَرِّقُ بَيْنَهَا شَعْبُ الشَّتَاتِ

وروى الطبراني عن أبي هارون العبدى قال : رأيت أبا سعيد الخدري رضى الله عنه مُمَعَّطَ اللحية <sup>(١)</sup> ، فقلت : تعبت بلحيتك ؟ قال : لا ، هذا ما لقيتُ من ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ ، دَخَلُوا زَمَنَ الْحَرَّةِ ، فَأَخَذُوا مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ خُرْقَةٍ <sup>(٢)</sup> ، ثُمَّ دَخَلَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى فَلَمْ يَجِدُوا فِي الْبَيْتِ شَيْئًا فَاسْفُؤا أَنْ يَخْرُجُوا بِغَيْرِ شَيْءٍ ، فَقَالُوا : أَضْجِعُوا الشَّيْخَ ، فَجَعَلَ كُلُّ يَأْخُذُ مِنْ لِحْيَتِي خَصْلَةً .

وروى أيضا عن محمد بن سعيد خبرا قال فيه : فلما جاء يزيد خلافاً ابن الزبير ودعاؤه <sup>(٣)</sup> إلى نفسه دعا مسلم بن عقبة المري وقد أصابه الفالج وقال : إن أمير المؤمنين — يعنى أباه — عهد إلىَّ في مرضه إن رآبني من أهل الحجاز رَيْبٌ أَنْ أَوْجَّهَكَ إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ رَأَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي كَمَا ظَنُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، أُعْقِدُ لِي وَعَبَّ الْجِيُوشِ ، قَالَ : فَوَرَدَ الْمَدِينَةَ فَأَبَاحَهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ دَعَا إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ عَلَى أَنَّهُمْ أُعْبِدُ لَهُ قِنٌّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ ، فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ ، إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مِنْ قُرَيْشٍ أُمُّهُ أُمُ وَلَدٍ ، فَقَالَ لَهُ : بَايِعْ لِيَزِيدَ عَلَى أَنَّكَ عَبْدٌ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَعْصِيَتِهِ ، قَالَ : بَلْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَقَتَلَهُ ، فَأَقْسَمَتْ أُمُّهُ قَسَمًا لَنْ أَمْكُنَهَا مِنْ مُسْلِمٍ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا أَنْ تَحْرَقَ بِالنَّارِ ، فَلَمَّا خَرَجَ مُسْلِمُ بْنُ عَقْبَةَ مِنَ الْمَدِينَةِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ فَمَاتَ ، فَخَرَجَتْ أُمُّ الْقُرَشِيِّ بِأَعْبُدِ لَهَا إِلَى قَبْرِ مُسْلِمٍ ، فَأَمْرَتْ بِهِ أَنْ يُنْبَشَ مِنْ عِنْدِ رَأْسِهِ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهِ إِذَا بِشُعْبَانٍ قَدْ التَوَى عَلَى عُنُقِهِ قَابِضًا بِأَرْنَبَةٍ أَنْفَهُ يَمْشُهَا ، قَالَ : فَكَاعَ <sup>(٤)</sup> الْقَوْمُ عَنْهُ ، وَقَالُوا : يَا مَوْلَاتِنَا انصرفي فقد كفأك الله شره ، وأخبروها ، فقالت : لَأَوْفِيَنَّ اللَّهُ بِمَا وَعَدْتَهُ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَنْبَشُوهُ مِنْ عِنْدِ الرَّجُلَيْنِ ، فَنَبَشُوا ، فَإِذَا

(١) ممعط اللحية : ساقط شعرها (٢) الخُرْقَى : أردأ المتاع .

(٣) في المطبوعات « ودعابه إلى نفسه » تطبيع (٤) كاعوا : نكصوا وتأخروا

حرق  
مسلم بن عقبة  
والخلافاً فيه

بالثعبان لآو ذنبه برجليه ، قال : فتَنَجَّتْ وَصَلَّتْ رَكَعَتَيْنِ ، ثم قالت : اللهم إنك تعلم [أنى] إنما غضبت على مسلم بن عقبة اليوم لك فَخَلَّ بيني وبينه ، ثم تناولت عوداً فمضت إلى ذنب الثعبان فأنسلت من مؤخر رأسه فخرج من القبر ، ثم أمرت به ؛ فأخرج من القبر ثم أحرق بالنار .

قلت : وفي كتاب الحرة للواقدي أن الثابت بالبلد عندنا أن مُسْرِفاً لما دفن بثنية المشلل<sup>(٢)</sup> وكانت أم ولد ليزيد بن عبد الله بن ربيعة تسير وراء العسكر بيومين أو ثلاثة حتى جاءها الخبر بذلك ، فانتهدت إليه ، فنبشته ثم صلبته على المشلل<sup>(١)</sup> ، قال الضحاك : فحدثني من رآه مَصْلُوباً يُرْمَى كما يرمى قبر أبي رغال<sup>(٣)</sup> .

وحدثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عبد الرحمن بن الحارث قال : والله ما خلصت إليه ، ولقد نبشت عنه ولكنها لما انتهت إلى لحديه وجدت أسوداً من الأساود مُنْطَوياً على رقبته فاتحاه ، فأنصرفت عنه .

وقال ابن الجوزي : لما دخلت سنة أربع وستين - وقد فرغ مسلم من قتال أهل المدينة - سارمتوجها إلى مكة ، واستخلف على المدينة روح بن زنباع ، وسار إلى ابن الزبير ؛ فمات في الطريق .

قلت : وذلك مضداً لما جاء في مَنْ يقصد أهل المدينة بسوء ؛ فأهلكه الله سريعاً . قال القرطبي : أهلكه الله مُنْصَرَفَهُ عن المدينة ، ابتلاه الله بالماء الأصفر في بطنه ؛ فمات بقد يد بعد الوقعة بثلاث ليال .

وقال الطبري : مات بِهَرَشَى بعد الوقعة بثلاث ليال ، وكان لحاقته الموفرة يقول عند موته : اللهم إني لم أعمل عملاً قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله أحب إليّ من قتال أهل المدينة ، ولئن دخلت النار بعدها إني لشقي ، ثم دعا حصين ابن نمير السكوني وقال له : أمير المؤمنين ولألك بعدى ، فأُسْرِع السير ، ولا تؤخر

(١) المشلل : جبل يهبط منه إلى قديد من ناحية البحر .

(٢) في المطبوعات «أبي دغال» تطبيع ، وقبر أبي رغال في طريق الطائف ، وانظر القاموس ( رغل - غمس ) وفي شعر جرير يهجو الفرزدق :  
إذا مات الفرزدق فارجوه كما يرمون قبر أبي رغال

ابن الزبير ، وأمره أن يَنْصِبَ المجانيق على مكة ، وقال : إن تَعَوَّذُوا بالبيت فأَرْمِهِ ، وحاصر مكة أربعة وستين يوماً جرى فيها قتال شديد ، وقذفت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأول ، وأخذ رجل قَبَسًا في رأس رُمح فطارت به الريح فاحترق البيت ، فجاءهم نعي يزيد بن معاوية إهلالَ ربيع الآخر ، وكان بين الحرّة وبين موته ثلاثة أشهر ، وقال القرطبي : دون ثلاثة أشهر ؛ لأنه توفي بالذبح وذات الجنب في نصف ربيع الأول ، فلقد ذاب ذَوْبَ الرصاص ، واجترأ أهلُ المدينة وأهلُ الحجاز على أهل الشام ، فذلوا حتى كان لا ينفرد منهم رجل إلا أخذ بلجام دابته فنكس عنها ، فقال لهم بنو أمية : لا تبرحوا حتى تحملونا معكم إلى الشام ، ففعلوا ، ومضى ذلك الجيش حتى دخلوا الشام وكانت وقعة الحرّة ، وقتل الحسين ، ورمى الكعبة بالمنجنيق من أشنع شيء جرى في أيام يزيد .

وقال عبد الرحمن بن سعيد بن زيد أحد العشرة رضى الله عنهم :  
 فَإِنْ تَقْتُلُونَا يَوْمَ حَرَّةٍ وَأَقِمْ      فنحنُ على الإسلام أولُ مَنْ قُتِلَ  
 ونحن قتلناكم بيْدَرٍ أَذْلَةً      وأُبْنَا بأسلاب لنا منكم نَفَلٌ  
 فَإِنْ يَنْجُ مِنْهَا عَائِدُ الْبَيْتِ سَالِمًا      فَكُلُّ الَّذِي قَدْ نَابَنَا مِنْكُمْ جَلَلٌ<sup>(١)</sup>  
 يعنى بعائد البيت عبد الله بن الزبير .

وهذه الكائنة غير الإغزاء المذكور في حديث البيداء ؛ ولهذا روى ابنُ شبة عن أبي المهزم عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : يحىء جيش من قِبَلِ الشام حتى يدخل المدينة ، فيقتلون المقاتلة ، وَيَبْقُرُونَ بطون النساء ، ويقولون : الحملي في البطن : اقتلوا صُبابَةَ الشر ، فإذا عَلَوْا البيداء من ذى الحُلَيْفَةِ خسف بهم فلا يدرك أسفلهم أعلامهم ولا أعلام أسفلهم ، قال أبو المهزم : فلما جاء جيشُ ابن ذُبْحَةَ قلنا : هم ، فلم يكونوا هم<sup>(٢)</sup> .

(١) جلال ، هنا : بمعنى يسير سهل ، وهو من الأضداد .

(٢) في هذا الخبر ألفاظ لم يستقم لى أمرها .

قلت : وقد جاء في بعض الأخبار ببيان أن ذلك الجيش جيش السفيناني ،  
يبعثه لقتال المهدي .

وقال يحيى بن سعيد : لم تترك الصلاة في هذا المسجد منذ كان رسول الله  
صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة أيام : يوم قتل عثمان ، ويوم الحرة ، قال مالك : ونسيت  
الثالث ، وفي العتبية عن مالك أنه بلغه ذلك عن سعيد بن المسيب معناه ، قال  
ابن رشد : واليوم الثالث الذي ذكر مالك أنه نسيه ، قال محمد بن عبد الحكم :  
هو يوم خرج به أبو حمزة الخارجي ، وكان خروجه - فيما ذكروا - في دولة مروان بن  
محمد بن مروان بن الحكم آخر خلفاء بني أمية .

قال خليفة بن خياط<sup>(١)</sup> : سار أبو حمزة في أول سنة ثلاثين ومائة ، يُريدُ  
المدينة ، واستخلف على مكة إبراهيم بن الصباح الحميري ، وجعل على مُقَدِّمته  
فلاح بن عقبة السعدي ، وخرج أهل المدينة والتقوا بقُدَيْد يوم الخميس لتسع خلون  
من صفر سنة ثلاثين ومائة ، وفلاح في ثلاثين ألف فارس ، فقال لهم : خلُّوا طريقنا  
فأتى هؤلاء الذين بَعَوْا علينا وجاروا في الحكم فإنا لا نريد قتالكم ، فأبوا ؛ فقاتلوهم  
فانهزم أهل المدينة ، وجاءهم أبو حمزة فقال له علي بن الحصين : اتبع هؤلاء القوم ،  
وأئخِزْ على جريحهم ، فإن لكل زمان حكما ، والإئخِزْ في مثل هؤلاء أمثلُ ،  
قال : ما أرى ذلك ، ومضى أبو حمزة إلى المدينة فدخلها يوم الاثنين لثلاث عشر  
خلت من صفر ، ففي يوم دخوله إياها - والله أعلم - خُلِّيَ مسجد النبي صلى الله عليه  
وسلم من أن يجمع فيه ، وأصيب من قریش يومئذ ثلثمائة رجل ، ومن آل الزبير  
اثنا عشر رجلا ، فما سمع الناس بَوَاركِي أوجع للقلوب من بواكي قُدَيْد ، ما بقي  
بالمدينة أهل بيت إلا فيهم بكاء ، وقالت نائحة تبكيهم :

ما للزمان ومآليته أفنى قديد رجاليته  
فلأبكين سريرة ولأبكين علانيته

(١) انظر خبر هذه الواقعة في تاريخ الطبري ( ١٠٦/٩ ط الحسينية ) وتاريخ  
ابن الأثير ( ١٥٧/٥ ) والبداية لابن كثير ( ٣٥/١٠ ) والنجوم الزاهرة ( ٣١١/١ ) .

مسير  
أبي حمزة  
إلى المدينة

قلت : وذكر الذهبي عن خليفة بن خياط في خبر أبي حمزة هذا ما ملخصه :  
أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندي المسمى طالب الحق - بعد أن ملك حضرموت  
وصنعاء - بعث إلى مكة أبا حمزة الخارجي الأباضي المذكور ، فخاف عبد الواحد  
ابن سليمان بن عبد الملك - وكان والياً على مكة والمدينة - وخذله أهل مكة ،  
ففارقها في النفر الأول ، وقصد المدينة ، فغلب أبو حمزة على مكة ، ثم سار منها  
بعد أن استخلف عليها ، فالتقى بقديد الجيش الذي أرسله عبد الواحد بن سليمان  
لقتاله ، فظفر أبو حمزة ، وسار إلى المدينة فدخلها ، وقتل فيها جماعة منهم أربعون  
رجلاً من بني عبد العزى ، وجهز إليه مروان عسكراً ، فالتقى بوادي القرى فاجأ ،  
وهو على مقدمة أبي حمزة ، فاقتتلوا ، فقتل فلح وعامة أصحابه ، ثم أدركوا  
أبا حمزة بمكة ، فقتلوه في خلق من أصحابه ، ثم ساروا لطالب الحق فقتلوه ،  
انتهى ملخصاً .

قلت : ويحتمل أن ما نقل عن الأخباريين في الخروج من المدينة إنما كان  
في هذه الكائنة أو قبل ذلك كله في كائنة بشر<sup>(١)</sup> بن أرطاة ، فإن القرطبي قال :  
وذكر أبو عمرو الشيباني قال : لما وجه معاوية رضي الله عنه بسر بن أرطاة لقتل  
شيعة على رضي الله عنه سار إلى أن أتى المدينة ، فقتل ابن عبيد الله بن العباس  
رضي الله عنهما ، وفر أهل المدينة حتى دخلوا الحرة حرة بني سليم ، ولكنه بعيد ،  
والأقرب ما قدمناه ، والله أعلم .

#### الفصل السادس عشر

في ظهور نار الحجاز التي أنذر بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فظهرت بأرض  
المدينة وأطفأها الله تعالى عند وصولها إلى حرمها ، كما سنوضحه .

روينا في مسند أحمد رجال ثقات عن أبي ذر قال : أقبلنا مع رسول الله صلى

الأحاديث  
الواردة في  
هذه النار

(١) في المطبوعات كلها «بشر بن أرطاة» بالشين المعجمة - تطبيع .

الله عليه وسلم ، فرأينا ذا الخليفة ، فتعجل رجال<sup>(١)</sup> إلى المدينة ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبتنا معه ، فلما أصبح سأل عنهم ، فقيل : تعجلوا إلى المدينة ، فقال : « تعجلوا إلى المدينة والنساء ، أما إنهم سيدعونها أحسن ما كانت » ثم قال : « ليت شعري متى تخرج نار بأرض اليمن من جبل الوراق تضيء منها أعناق الإبل ببُصرى بروكا كضوء النهار » ورواه ابن شبة من غير ذكر « بأرض اليمن » ولفظه « ليركنها أحسن ما كانت ، ليت شعري متى تخرج نار من جبل الوراق تضيء لها أعناق الإبل ببُصرى بروكا كضوء النهار » .

وأخرج الطبراني في آخر حديث لحذيفة بن أسد : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من رومان - أو ركوبة - تضيء منها أعناق الإبل ببُصرى » .

قلت : وركوبة كما سيأتى : ثنية قريبة من ورقان ، ولعله المراد بجبل الوراق ، قال الحافظ ابن حجر : ورومان لم يذكره البكري ، ولعل المراد رومة البئر المعروفة بالمدينة ، ثم نقل عن البكري أن ركوبة بين المدينة والشام ، وسيأتى رده .

وهذه النار مذكورة في الصحيحين في حديث « لا تقوم الساعة حتى تظهر نار بالحجاز » ، ولفظ البخاري : « تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى » .

وروى الطبراني بسند فيه ضعف عن عاصم بن عدى الأنصاري قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حَدَّثَنَا مَا قَدِمَ ، فقال : « أين حُبْسُ سَيْل<sup>(١)</sup> ؟ » قلنا : لا ندري ، فمر بي رجل من بني سليم ، فقلت : من أين جئت ؟ فقال : من حُبْسِ سَيْل<sup>(١)</sup> ، فدعوت بنعلي ، فأنحدرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، سألتنا عن حبس سَيْل<sup>(١)</sup> ، فقلنا : لا علم لنا به ، وإنه

(١) في المطبوعات كلها كما في خلاصة الوفا « حبس وسيل » تطبيع ، والصواب بغير واو كما في مجمع البحار ، ومعجم البلدان ، ونهاية ابن الأثير ، وقع فيما سيأتى (في ص ١٤٢) على الصواب ، وقرأ الهامشة الآتية في ص ١٤١ .



مرَّ بي هذا الرجل فسألته فزعم أن به أهله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « أين أهلك » ؟ فقال : بحبس سيل<sup>(١)</sup> ، فقال : « أخرج أهلك منها ؛ فإنه يُوشك أن تخرج منه نار تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

وحديث « يوشك نار تخرج من حبس سيل<sup>(١)</sup> تسير سيرة بطيئة الإبل ، تسير النهار وتقيم الليل » الحديث أخرجه أحمد وأبو يعلى من رواية رافع بن بشير السلمي عن أبيه . قال الحافظ الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح ، غير رافع ، وهو ثقة ، انتهى .

وفي مسند الفردوس عن عمر حديث « لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من أودية الحجاز بالنار يضيء له أعناق الإبل ببصرى » وأخرجه ابن عدي في كامله من طريق عمر بن سعيد التنوخي عن ابن شهاب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رفعه ، وعمر بن سعيد ذكره ابن حبان في الثقات ، وكتبه ابن عدي والدارقطني . وقد ظهرت هذه النار بالمدينة الشريفة كما سنبينه ، ولا إشكال في كون المدينة

بيان أن المدينة  
يمانية كما أنها  
حجازية

حجازية ، وأما كونها يمانية فقد نص عليه الشافعي . قال البيهقي في المعرفة : قال الشافعي : ومكة والمدينة يمانيتان . قلت : وقد ذكر الشافعي في الأم حديث « أتاكم أهل اليمن هم أليّن قلوبا » الحديث ، ثم روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم وقف على ثنية تبوك فقال : ما ههنا شام ، وأشار بيده إلى جهة الشام ، وما ههنا يمن ، وأشار بيده إلى جهة المدينة » هكذا نقلته من الأم بهذا اللفظ ، وهو في مسند الشافعي بلفظ « ما ههنا شام ، وأشار بيده إلى الشام ، ومن ههنا يمن ، وأشار بيده إلى جهة المدينة » قال ابن الأثير في شرحه : الغرض منه بيان حد الشام واليمن ، وقد جعل المدينة من اليمن ، اهـ . والعجب أن النووي قال في فتاويه :

(١) في المطبوعات « حبس وسيل » والصواب « حبس سيل » بغير واو ، قال ياقوت : قال الزمخشري : الحبس - بالضم - جبل لبني قرة ، وقال غيره : الحبس بين حرة بني سليم والسوارقية ، وفي حديث عبدالله بن حبشي : تخرج نار من حبس سيل ، قال أبو الفتح نصر : حبس سيل - ورواه بالفتح - إحدى حرتي بني سليم ، وهما حرتان بينهما فضاء كلتاهما أقل من ميلين ، اهـ . وانظر أيضا النهاية لابن الأثير (١/١٩٦) .

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ليست يمانية ولا شامية ، بل هي حجازية ، قال :  
وهذا لا خلاف فيه بين العلماء ، وكأنه لم يقف على هذا

وأما حبس سيل فقد قيل : إن حبس - بالضم ثم السكون - بين حرة بنى  
سليم والسوارقية ، وقد كان إقبال هذه النار من المشرق في جهة طريق السوارقية  
كما سيأتى ، وقال نصر : حبس سيل - بالفتح - إحدى حرتى بنى سليم . قلت :  
وأهل المدينة اليوم يسمون السد الآتى وصفه فيما أحدثته هذه النار بالحبس .  
وفى كلام ياقوت ما يقتضى أنه كان يسمى بالسد قبل هذه النار ؛ فإنه لم يذكرها ،  
ومع ذلك قال : إن أعلى وادى قناة عند السد يسمى بالشظاة ، اهـ .

وظهور النار المذكورة بالمدينة الشريفة قد اشتهر اشتهاها بلغ حد التواتر عند  
أهل الأخبار ، وكان ظهورها لإندار العباد بما حدث بعدها ؛ فلهذا ظهرت على  
قرب مرحلة من بلد النذير صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدمها زلازل مهولة ،  
وقد قال تعالى : « وما نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا <sup>(١)</sup> » وقال تعالى : « ذلك يخوف  
الله به عباده يا عباد فاتقون <sup>(٢)</sup> » ولما ظهرت النار العظيمة الآتى وصفها ، وأشفق  
منها أهل المدينة غاية الإشفاق ، والتجؤوا إلى نبيهم المبعوث بالرحمة ، صُرِفَتْ عنهم  
ذات الشمال ، وزاحت عنهم الأوجال ، وظهرت بركة تربته صلى الله عليه وسلم  
فى أمته ، ولعل الحكمة فى تخصيصها بهذا الحل - مع ما قدمناه من كونه حضرة  
النذير - الرحمة لهذه الأمة فإنها لو ظهرت بغيره وسلطان القهر والعظمة التى هى من  
آثاره قائم لربما استولت على ذلك القطر ولم تجد صارفا ؛ فيعظم ضررها على الأمة ،  
فظهرت بهذا الحل الشريف لحكمة الإنذار ، فإذا تمت قابلتها الرحمة فجعلتها برءا  
وسلاما ، إلى غير ذلك من الأسرار

ابتداء الزلزلة  
التي حدثت  
بالمدينة

وكان ابتداء الزلزلة بالمدينة الشريفة مُسْتَهْلَ جُمَادَى الآخرة أو آخر جمادى  
الأولى سنة أربع وخمسين وستمائة ، لكنها كانت خفيفة لم يدركها بعضهم مع  
تكررها بعد ذلك ، واشتدت فى يوم الثلاثاء على ما حكاه القطب القسطلانى ،

(١) من سورة الإسراء من الآية ٥٩ (٢) من سورة الزمر من الآية ١٦ .

وظهرت ظهوراً عظيماً اشترك في إدراكه العام والخاص ، ثم لما كان ليلة الأربعاء ثالث الشهر أو رابعه في الثالث الأخير من الليل حدث بالمدينة زلزلة عظيمة أشفق الناس منها ، وانزعجت القلوب لهيبتها ، واستمرت تزلزل بقية الليل ، واستمرت إلى يوم الجمعة ولها دوى أعظم من الرعد ، فتموج الأرض ، وتتحرك الجدران ، حتى وقع في يوم واحد دون ليلة ثمانية عشر حركة على ما حكاه القسطلاني

وقال القرطبي : قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة ، وكان بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة ، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت ، وظهرت بقريظه بطرف الحوة ، ترى في صفة البلد العظيم ، عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج وموان ، وترى رجال يقودونها ، لا تمر على جبل إلا دكته وأذايته ، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوى كدوى الرعد ، يأخذ الصخور بين يديه ، وينتهي إلى محط الركب العراقي ، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم ، فاتته النار إلى قرب المدينة ، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد ، وشوهد لهذه النار غلمان كغليان البحر ، وقال لى بعض أصحابنا : رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام ، وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى ، اه .

وقال النووى : تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام ونقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضى المدينة الشريفة وغيره أن في ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة حدث بالمدينة في الثالث الأخير من الليل زلزلة عظيمة أشفقنا منها وباتت في تلك الليلة تزلزل ، ثم استمرت تزلزل كل يوم وليلة مقدار عشر مرات - وفي كتاب بعضهم أربع عشرة<sup>(١)</sup> مرة - قال : والله لقد زلزلت مرة ونحن حول الحجرة فاضطرب لها المنبر إلى أن سمعنا منه صوتاً للحديد الذى فيه ، واضطربت قناديل الحرم الشريف ، زاد القاشانى : ثم في اليوم الثالث - وهو يوم الجمعة - زلزلت الأرض زلزلة عظيمة ، إلى أن اضطربت منام

(١) فى الأصل «أربعة عشر مرة» والعربية تقتضى ما أثبتناه .

المسجد، وسمع لسقف المسجد صرير<sup>(١)</sup> عظيم، قال القطب : فلما كان يوم الجمعة نصف النهار ظهرت تلك النار، فثار من محل ظهورها في الجودُ خان متراكم غشى الأفق سواده، فلما تراكت الظلمات وأقبل الليل سَطَعَ شعاعُ النار، فظهرت مثل المدينة العظيمة في جهة المشرق، والحكمة في ظهورها في يوم الجمعة غير خافية، ففي الحديث « من أفضل أيامكم يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على » الحديث، وفي الحديث أيضاً « خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيبَ عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهى مُصيخة<sup>(٢)</sup> حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » رواه أبو داود، وهو اليوم الذى أدخره الله لهذه الأمة، وأكمل فيه دينهم؛ فأراد الله أن يخوف عباده فيه بذلك ليردهم إليه، فتلك النار نعمة في صورة نقمة، ولهذا وجَّلت<sup>(٣)</sup> منها القلوب وأشفتت، وأيقن الناس أن العذاب قد أحاط بهم. قال القاضي سنان : وطلعت إلى الأمير- وكان عز الدين منيف بن شيحة- وقلت له: قد أحاط بنا العذاب، أَرْجِعْ إلى الله، فَأَعْتَقْ كُلَّ مَمَالِيكِهِ، وَرَدَّ عَلَى النَّاسِ مَظَالِمَهُمْ - زاد القاشانى : وأبطل المكس- ثم هبط الأمير للنبي صلى الله عليه وسلم، وبات في المسجد ليلة الجمعة وليلة السبت، ومعه جميعُ أهل المدينة حتى النساء والصغار، ولم يبق أحد في النخل إلا جاء إلى الحرم الشريف، وبات الناس يتضرعون ويبكون، وأحاطوا بالحجرة الشريفة كاشفين رؤسهم مُقرِّين بذنوبهم مبتهلين مستجيرين بنبيهم صلى الله عليه وسلم. قال القطب : ولما عين أميرُ المدينة ذلك أقلع عن المخالفة، واعتبر، ورجع عما كان عليه من المظالم وانزجر، وأظهر التوبة والإنابة، وأعتق جميع مَمَالِيكِهِ، وشرع في رد المظالم، وعزم أهلُ المدينة

(١) الصرير : الصوت (٢) مصيخة : منصتة .

(٣) وجَّلت القلوب توجل : خافت أشد الخوف .

على الإقلاع عن الإصرار وارتكاب الأوزار ، وفزعوا إلى التضرع والاستغفار ، وهبط أميرهم من القلعة مع قاضيهما الشريف سنان وأعيان البلد ، والتجؤا إلى الحجرة الشريفة ، وباتوا بالمسجد الشريف بأجمعهم حتى النساء والأطفال ؛ فصرف الله تعالى عنهم تلك النار العظيمة ذات الشمال ، ونجوا من الأوجال ، فسارت تلك النار من مخرجها وسالت ببحر عظيم من النار ، وأخذت في وادي أخيليين وأهل المدينة يشاهدونها من دورهم كأنها عندهم ، ومالت من مخرجها إلى جهة الشمال واستمرت مدة ثلاثة أشهر على ما ذكره المؤرخون .

وذكر القطب القسطلاني<sup>(١)</sup> في كتاب أفرده لهذه النار ، وهو من أدركها ، مدة النار لكنه كان بمكة فلم يشاهدها : أن ابتداءها يوم الجمعة السادس من شهر جمادى الآخرة ، وأنها دامت إلى يوم الأحد السابع والعشرين من رجب ، ثم خمدت ، فجعل ما أقامت اثنان وخمسون يوماً ، لكنه ذكر بعد ذلك أنها أقامت منطقية أياماً ، ثم ظهرت ، قال : وهى كذلك تسكن مرة وتظهر أخرى ؛ فهى لا يؤمن عودها ، وإن طفيء وقودها ، انتهى ؛ فكان ما ذكره المؤرخون من المدة باعتبار انقطاعها بالكلية ، وطالت مدتها ليشتهر أمرها فينجزر بها عامة الخلق ويشهدوا من عظمها عنوان النار التى أنذرهم بها حبيب الحق .

وذكر القسطلاني<sup>(٢)</sup> عن يثى به أن أمير المدينة أرسل عدة من الفرسان إلى هذه النار للاتيان بخبرها ، فلم تجسر الخيل على القرب منها ، فترجّل أصحابها وقربوا منها ، فذكروا أنها ترمى بشرار كالقصر ، ولم يظفروا بجلية أمرها ، فجرد عزمه للاحاطة بخبرها ، فذكر أنه وصل منها إلى قدر غلوتين بالحجر ولم يستطع

(١) من نافلة القول أن نبيه هنا إلى أن قطب الدين القسطلاني الذى ينقل عنه المؤلف غير شهاب الدين القسطلاني شارح البخارى ؛ فإن شارح البخارى متأخر عن المؤلف ؛ إذ وفاة شارح البخارى فى سنة ٩٢٣ - ويقال : ٩٢٢ من الهجرة - وذلك بعد وفاة السهمودى بأحد عشر ، أو - اثني عشر - عاماً ، ثم إن النار كانت فى سنة ٦٥٤ ، والقسطلاني المنقول عنه قد أدركها ، والمؤلف يصرح فى غير موضع بذلك .

أن يجاوز موقفه من حرارة الأرض وأحجار كالمسامير تحتها نار سارية ومقابله ما يتصاعد من اللهب ، فعين ناراً كالجبال الراسيات ، والثلال المجتمعة السائرات ، تقذف بزبد الأحجار كالبحار المتلاطمة الأمواج ، وعقد لهيبها في الأفق قتاما حتى ظن الظان أن الشمس والقمر كسفا إذ سلبا بهجة الإشراف في الآفاق ، ولولا كفاية الله كفتها لأكلت ما تقدم عليه من الحيوان والنبات والحجر ، انتهى .

وذكر الجلال المطري ما يخالف بعض هذا ؛ فإنه قال : أخبرني علم الدين سنجر العزى من عتقاء الأمير عز الدين منيف بن شيحة صاحب المدينة قال : أرسلني مولاي الأمير عز الدين بعد ظهور النار بأيام ، ومعى شخص من العرب ، وقال لنا ونحن فارسان : أقربا من هذه النار ، وانظرا هل يقدر أحد على القرب منها ، فإن الناس يهابونها لعظمتها ، فخرجت أفا وصاحبي إلى أن قربنا منها ؛ فلم نجد لها حراً ، فنزلت عن فرسى ، وسرت إلى أن وصلت إليها ، وهى تأكل الصخر والحجر ، فأخذت سهماً من كنانتي ، ومددت به يدي إلى أن وصل النصل إليها فلم أجد لذلك ألماً ولا حراً ، فعرق النصل ولم يحترق العود ، فأدّرت السهم وأدخلت فيها الريش فاحترق الريش ولم يؤثر في العود .

وذكر المطري قبل ذلك أنها كانت تأكل كل ما مرت عليه من جبل وحجر ، ولا تأكل الشجر ، قال : وظهر لى فى معنى ذلك أنه لتحریم النبى صلى الله عليه وسلم شجرة المدينة ؛ فمنعت من أكل شجرها لوجوب طاعته صلى الله عليه وسلم على كل مخلوق .

قلت : وذكر القسطلانى أن هذه النار لم تزل مارة على سبيلها حتى اتصلت بالحرة ووادى الشظاة ، وهى تسحق ما والاها<sup>(١)</sup> ، وتذيب ما لاقاها من الشجر الأخضر والخصى من قوة اللظى ، وأن طرفها الشرقى أخذ بين الجبال فعالت دونه ثم وقفت ، وأن طرفها الشامى — وهو الذى يلى الحرم — اتصل بجبل يقال له وعيرة

(١) والاها : دنا منها ، وفى المطبوعات « ماوالها » تطبيع .

على قرب من شرق جبل أحد ، ومَضَتْ في الشَّطَاة الذي في طرفه وادى حمزة رضى الله عنه ، ثم استمرت حتى استقرت تُجَاهَ حرم النبي صلى الله عليه وسلم فطفئت ، قال : وأخبرني شخص أعتد عليه أنه عين حَجراً ضخماً من حجارة الحرة كان بعضه خارجاً عن حد الحرم ، فعُلقت بما خرج منه ، فلما وصلت إلى ما دخل منه في الحرم طفئت وخذت ، انتهى .

وهذا أولى بالاعتماد من كلام المطري ؛ لأن المطري لم يدرك هذه النار وإن أدرك مَنْ أدركها ، بخلاف القطب فإنه أدركها ، واعتنى بجمع أخبارها ، وأفردها بالتصنيف ، ولم يقف عليه المطري ، وهذا أبلغ في الإعجاز ، حيث لم تدخل هذه النار حرمة الشريف ؛ إذ هي للأنذار والتخويف وهو نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم .

وقد نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب القاضي سنان الحسيني أن سبل النار ضوء النار انحدر مع وادى الشَّطَاة حتى حاذى جبل أحد ، وكادت النار تقارب حرة العريض وخاف الناس منها خوفاً عظيماً ، ثم سكن قَعِيرُهَا الذي يلي المدينة ، وطفئت مما يلي العريض بقدرته الله تعالى ، فرجعت تسير في الشرق ، وهو مؤيد لما ذكره القطب ، ومشاهدة آثارها اليوم تقضى بذلك .

قال المطري : وأخبرني بعض من أدركها من النساء أنهم كن يغزلن على ضوئها بالليل على أسطح البيوت بالمدينة الشريفة .

وقال القسطلاني : إن ضوؤها استوى على ما بَطَّن من القيعان<sup>(١)</sup> ، وظهر من القلاع ، حتى كأن الحرم النبوي عليه الشمس مشرقة ، وجملة أما كن المدينة بأنوارها محدقة ، ودام على ذلك لها حتى تأثر له النيران ، وصار نور الشمس على الأرض تعتريه صُفْرة ، ولونها من تصاعد الالتهاب يعتريه حمرة ، والقمر كأنه قد كسف من اضمحلال نوره ، قال : وأخبرني جمع ممن توجه للزيارة على طريق

(١) القيعان : جمع قاع ، وهو أرض سهلة مطمئنة .

المشيان أنهم شاهدوا ضوءها على ثلاثة مراحل للمجد ، وآخرون أنهم شاهدوها من جبال ساية .

قلت : نقل أبو شامة عن مشاهدة كتاب الشريف سنان قاضي المدينة أن هذه النار رؤيت من مكة ومن الفلاة جميعها ، وراها أهل ينبع .

قال أبو شامة : وأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدوها بالمدينة أنه بلغه أنه كتب بتياء على ضوءها الكتب .

وقال المجد : والشمس والقمر في المدة التي ظهرت بها ما يطلعان إلا كاسفين .

قال أبو شامة : وظهر عندنا بدمشق أثر ذلك الكسوف من ضعف النور على الحيطان ، وكنا حيارى من سبب ذلك ، إلى أن بلغنا الخبر عن هذه النار ، وكل من ذكر هذه النار يقول في آخر كلامه : وعجائب هذه النار وعظمتها يكمل عن وصفها البنان والأقلام<sup>(١)</sup> ، وتجمل عن أن يحيط بشرحها البيان والكلام ؛ فظهر بظهورها معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لوقوع ما أخبر به وهي هذه النار ؛ إذ لم تظهر من زمنه صلى الله عليه وسلم قبلها ولا بعدها نار مثلها .

هل رؤيت النار ببصرى  
وقال القسطلاني : إن جاء من أخبر برؤيتها ببصرى فلا كلام ، وإلا فيحتمل أن يكون ذكر ذلك في الحديث على وجه المبالغة في ظهورها ، وأنها بحيث ترى ، وقد جاء من أخبر أنه أبصرها بتياء ، وبصرى منها مثل ما هي من المدينة في البعد .

قلت : قد تقدم عن القرطبي أنه بلغه أنها رؤيت من جبال بصرى ، وصرح الشيخ عماد الدين بن كثير بما يقتضى أنه أضاءت من هذه النار أعناق الإبل ببصرى ، فقال : أخبرني قاضي القضاة صدر الدين الحنفى قال : أخبرني والدى الشيخ صفى الدين مدرس مدرسة بصرى أنه أخبره غير واحد من الأعراب

(١) يكمل : يضعف ويعجز .



صبيحةَ الليلة التي ظهرت فيها هذه النار من كان يحضره بيلد بصرى أنهم رأوا صفحات أعناق إبليس في ضوء تلك النار ، فقد تحقق بذلك أنها الموعودُ بها ، والحكمة في إنارتها بالأماكن البعيدة من هذا المظهر الشريف حصولُ الإنذار ، ليتم به الانزجار ، كما اتفق لأهل المدينة ، وفي هذا المعنى يقول قائلهم :

يا كاشفَ الضرِّ صَفْحًا عن جرائمنا	لقد أحاطت بنا يا ربَّ بأساء
نشكو إليك خطوبًا لا نطيق لها	تَحَلًّا ونحن بها حقا أَحْقَاءُ (١)
زلازلًا تخشع الصَّمُّ الصَّلابُ لها	وكيف تَقْوَى على الزلازل شَمَاءُ (٢)
أقام سباعا يرجُّ الأرضَ فانصدعت	عن منظر منه عينُ الشمسِ عَشْوَاء
بَحْرٌ من النار تجرى فوقه سُفُن	من الهِصَابِ لها في الأرضِ إرساء
ترمى لها شَرَرًا كالْقَصْرِ طائشة	كأنها دِيمَةٌ تنصبُّ هَطَلَاء
تنشقُّ منها بيوتُ الصخر إن زَفَرَتْ	رُغْبًا ، وترعد مثل السعف أضواء
منها تكاثفٌ في الجو الدخانُ إلى	أن عَادَتِ الشمسُ منه وهى دَهْمَاء
قد أثرت سعة في البدر لفتحها	فليلة التَم بعد النور عَمَاء
تحدثِ النيراتِ السبعَ ألسنها	بما تلاقى بها تحت الثرى الماء
وقد أحاط لظاها بالبروج إلى	أن صار يلفحها بالأرض أهواء
فباسمك الأعظم المكنون إن عظمت	منا الذنوب وساء القلبُ أسواء
فانمَحْ وهَبْ وتفضلْ بالرضى كرما	وارحم فكلَّ لفرط الجهل خَطَاء
فقوم يونس لما آمنوا كشف التـ	عذيب عنهم وعمَّ القوم نعاء
ونحن أمة هذا المصطفى ، ولنا	منه إلى عفوك المرجو دَعَاء
هذا الرسول الذي لولاه ماسدك	محبة في سبيل الله بيضاء
فارحم وصلِّ على المختار ما خطبت	على علا منبر الأوراق ورَقَاء

(١) أَحْقَاءُ : جمع حقيق ، ومعناه مستحق

(٢) شَمَاءُ : أراد الجبال .

مبدأ  
ظهور النار  
قال المؤرخون : وكان ظهور هذه النار من صدر وادي يقال له وادي الأحيليين  
وقال البدر ابن فرحون : إنها سالت في وادي أحيليين ، وموضعها شرق المدينة على  
طريق السوارقية مسيرة من الصبح إلى الظهر .

قال القطب القسطلاني : ظهرت في جهة المشرق على مرحلة متوسطة من  
المدينة في موضع يقال له قارع الهيلاء على قرب من مساكن قريظة شرق قباء ،  
فهى بين قريظة وموضع يقال له أحيليين ، فثارت من هذا القاع ، ثم امتدت فيه  
أخذة في الشرق إلى قريب من أحيليين ، ثم عرجت واستقبلت الشام سائلة  
إلى أن وصلت إلى موضع يقال له قرين الأرنب بقرب من أحد ، فوقفت وانطفت  
وانصرفت ، انتهى .

من فوائد  
هذه النار  
قال المؤرخون : واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار والجبال ،  
وتسيل سيلاً ذريعاً في وادي يكون طوله مقدار أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال  
وعمقه قائمة ونصف ، وهى تجرى على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل  
الآنك<sup>(١)</sup> ، فإذا خمد اسودَّ بعد أن كان أحمر ، ولم يزل يجتمع من هذه الحجارة  
المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى قطعت في وسط وادي الشظاة إلى  
جهة جبل وعيرة ، فسدت الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبوك بالنار  
ولا كسد ذى القرنين ، يعجز عن وصفه الواصف ، ولا مَسَلَكَ لإنسان  
فيه ولا دابة .

قلت : وهذا من فوائد إرسال هذه النار ؛ فإن تلك الجهة كثيراً ما يطرق  
منها المفسدون لكثرة الأعراب بها ؛ فصار السلوك إلى المدينة متعسراً  
عليهم جداً .

قال القسطلاني : أخبرني جمع ممن أركن إلى قولهم أن النار تركت على  
الأرض من الحجر ارتفاع رمح طويل على الأرض الأصلية .

(١) الآنك - بمد الهمة وضم النون - الرصاص ، وهو مفرد وليس بجمع

قال المؤرخون : وانقطع وادى الشظاة بسبب ذلك ، وصار السيل إذا سال  
ينحبس خلف السد المذكور حتى يصير بحراً مَدَّ البصر عرضاً وطولاً<sup>(١)</sup> ، فانخرق من  
تحتة في سنة تسعين وستمائة لتكاثر الماء من خلفه ، فجرى في الوادى المذكور  
سنتين كاملتين ، أما السنة الأولى فكان قد ملأ ما بين جانبي الوادى ، وأما الثانية  
فدون ذلك ، ثم انخرق مرة أخرى في العشر الأول بعد السبعماية فجرى سنة كاملة  
أو أزيد ، ثم انخرق في سنة أربع وثلاثين وسبعماية وكان ذلك بعد تواتر أمطار  
عظيمة في الحجاز ، فسكثر الماء وعلا من جانبي السد ومن دونه مما يلي جبل وعيرة  
وتلك النواحي ، فجاء سيل طام لا يوصف ، ولوزاد مقدار ذراع في الارتفاع وصل  
إلى المدينة ، وكان أهل المدينة يقفون خارج باب البقيع على التل الذى هناك  
فيشاهدونه ويسمعون خيراً تَوَجَّل القلوب دونه ، فسبحان القادر على ما يشاء !.

ومن العجائب أن في السنة التى ظهرت فيها هذه النار احترق المسجد  
الشريف النبوى<sup>(٢)</sup> بعد انطفائها كما سيأتى ، وزادت دجلة زيادة عظيمة ففرق أكثر  
بغداد وتهدمت دار الوزير ، وكان ذلك إنذاراً لهم ، وليتهم اتعظوا .

النذر الحادثة  
في عام النار  
والذى يليه

ثم في أول السنة التى تلى هذه السنة وقعت الطامة الكبرى ، وهى أخذ  
التار لبغداد وقتل الخليفة المستعصم وبعده المسلمون ، وبذل السيف ببغداد نيفاً  
وثلاثين يوماً ، وأخرجت الكتب فألقيت تحت أرجل الدواب ، وشوهد بالمدرسة  
المستنصرية معالف الدواب مبنية بالكتب موضع اللب<sup>(٣)</sup> ، وخلصت بغداد من أهلها ،  
واستولى عليها الحريق على ما ذكره سعيد الدهلى ، واحترقت دار الخلافة ، وعم  
الحريق أكثر الأماكن حتى القصور البرانية وترب الرصافة مدفون ولادة الخلافة ،  
وشوهد على بعض حيطان منها مكتوب :

(١) وهو اليوم غدیر يسمى بالعاقول (مكى) .

(٢) هذا هو الحريق الأول

(٣) اللب - بفتح اللام وكسر الباء - الطوب النبىء .

إن تُرِدْ عِبْرَةً فِهْذِي بِنُو الْعَبَّاسِ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَاتُ  
اِسْتُبِيحَ الْحَرِيمُ إِذْ قَتَلَ الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَأَحْرَقَ الْأَمْوَاتُ  
ثُمَّ كَثُرَ الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ بِبَغْدَادَ ، وَطَوَى بِسَاطِ الْخِلَافَةِ مِنْهَا مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانُ ،  
فَلِلَّهِ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ! .

وَقَدْ نَظَّمُ بَعْضَهُمْ خُرُوجَ هَذِهِ النَّارِ وَغَرَقَ بِبَغْدَادَ ، وَأَصْلَحَهُ أَبُو شَامَةَ مِنْهَا عَلَى  
أَنَّ الْأَمْرَيْنِ فِي سَنَةِ بَقُولِهِ :

سَبَّحَانَ مَنْ أَصْبَحَتْ مَشِيتُهُ جَارِيَةً فِي الْوَرَى بِمَقْدَارِ  
فِي سَنَةِ أَغْرَقَ الْعِرَاقُ ، وَقَدْ أَحْرَقَ أَرْضُ الْحِجَازِ بِالنَّارِ  
قَالَ الْجَدُّ : وَمَا يَنْسَابُ هَذِهِ النَّارُ وَيُضَاهِيهَا مَا حَكَاهُ ابْنُ جُبَيْرٍ أَنَّهُ رَأَى مَنْ  
أَخْبَرَهُ أَنَّ فِي بَحْرِ رُومِيَّةٍ جَزِيرَتَيْنِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا النَّارُ دَائِمًا ، قَالَ : وَأَبْصَرْنَا الدِّخَانَ  
صَاعِدًا مِنْهُمَا ، وَتَظْهَرُ بِاللَّيْلِ نَارَ حَمْرَاءَ ذَاتِ الْأُسُنِ تَصْعَدُ فِي الْجَوِّ ، قَالَ : وَأَعْلَمْنَا  
أَنَّ خُرُوجَهَا مِنْ جَبَلَيْنِ يَصْعَدُ مِنْهُمَا نَفْسٌ بَارِي شَدِيدٍ ، وَرَبَّمَا قَذَفَ فِيهَا الْحَجَرُ  
فَتَلْقَى بِهِ مَسُودًا إِلَى الْهَوَاءِ بِقُوَّةِ ذَلِكَ النَّفْسِ ، وَتَمْنَعُهُ مِنَ الْإِتِّهَاءِ إِلَى الْقَعْرِ ، قَالَ :  
وَأَمَّا الْجَبَلُ الشَّامِخُ الَّذِي بِالْجَزِيرَةِ الْمَعْرُوفِ بِجَبَلِ النَّارِ فَشَأْنُهُ أَيْضًا عَجِيبٌ ، وَذَلِكَ  
أَنَّ نَارًا تَخْرُجُ مِنْهُ فِي بَعْضِ السَّنِينَ كَالسَّيْلِ الْعَرِمِ ؛ فَلَا تَمُرُّ بِشَيْءٍ إِلَّا أَحْرَقَتْهُ ، حَتَّى  
تَنْتَهِيَ إِلَى الْبَحْرِ فَتَرْكَبُ ثَبَجَهُ <sup>(١)</sup> طَائِرَةً عَلَى صَفْحَتِهِ حَتَّى تَغُوصَ فِيهِ .

بعض  
ما يناسب  
هذه النار

قُلْتُ : وَأَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ فِي مَنَاسِبَةِ هَذِهِ النَّارِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ شُبَّةٍ فِي أَخْبَارِ  
الْمَدِينَةِ - عِنْدَ ذِكْرِ خَالِدِ بْنِ سَنَانِ الْعَبَّاسِيِّ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا جَاءَتْهُ  
بَنَاتُهُ « هَذِهِ ابْنَةُ نَبِيِّ ضَيْعِهِ قَوْمِهِ » - فَرَوَى ابْنُ شُبَّةٍ فِي خَبَرِهِ مِنْ طَرُقٍ مَامْلُخَصِهِ  
أَنَّهُ كَانَ بِأَرْضِ الْحِجَازِ نَارٌ يُقَالُ لَهَا نَارُ الْحَدَثَانِ ( حَرَّةُ بَارِضِ بْنِ عَبْسٍ ) تَغْشَى  
الْإِبِلَ <sup>(٢)</sup> بَضُوءُهَا مِنْ مَسِيرَةِ ثَمَانِي لَيَالٍ ، وَرَبَّمَا خَرَجَ مِنْهَا الْعَنْقُ فَذَهَبَ فِي الْأَرْضِ

شأن  
خالد بن سنان  
العبسي

(١) ثَبَجُ الْبَحْرِ - بِفَتْحِ الثَّاءِ وَالْبَاءِ جَمِيعًا - مَعْظَمُهُ ، وَأَرَادَ مُوجَهُ

(٢) تَغْشَى : مُضَارِعٌ مِنَ الْعَشَا ، وَهُوَ ضَعْفُ الْبَصَرِ

فلا يُبقي شيئاً إلا أكله ، ثم يرجع حتى يعود إلى مكانه ، وإن الله تعالى أرسل إليها خالد بن سنان ، فقال لقومه : يا قوم ، إن الله أمرني أن أطفى هذه النار التي قد أضرت بكم فليقيم معي من كل بطن رجل ، فخرج بهم حتى انتهى إلى النار فخط عليهم خطاً ثم قال : إياكم أن يخرج أحد منكم من هذا الخط فيحترق ، ولا ينوهن باسمي فأهلك ، وجعل يضرب النار ويقول : <sup>(١)</sup> بَدْءاً بَدْءاً <sup>(٢)</sup> كل هدى لله موداً ، حتى عادت من حيث جاءت ، وخرج يتبعها حتى ألجأها في بئر في وسط الحرة منها تخرج النار ، فأنحدر فيها خالد . وفي درة الغواص : فإذا هو بكتلاب تحتها فرضهن بالحجارة ، وضرب النار حتى أطفأها الله على يده ، ومعهم ابن عم له ، فجعل يقول : هلك خالد ، فخرج وعليه بردان ينطفان <sup>(٣)</sup> من العرق وهو يقول : كذب ابن راعية المعزى لأخرجن منها وثيابي تندي ، فسموا بني ذلك الرجل « بني راعية المعزى » إلى اليوم ، وفي رواية أن قومه سألت عليهم نار من حرة النار في ناحية خير ، والناس في وسطها ، وهي تأتي من ناحيتين جميعاً ، فخافها الناس خوفاً شديداً . وفي رواية : وهي تخرج من شق جبل من حرة يقال لها حرة أشجع ، فقال لهم خالد بن سنان : ابعثوا معي إنساناً حتى أطفئها من أصلها ، فخرج معه راعي غنم ، وهو ابن راعية ، حتى جاء غاراً تخرج منه النار . وفي رواية : أنها كانت تخرج من بئر ، ثم قال خالد للراعي : أمسك ثوبين ، ثم دخل في الغار ، وفي رواية : أنه انطلق في ناس من قومه حتى أتوها ، وقال لهم : إن أبطأت عنكم فلا تدعوني باسمي ، فخرجت كأنها خيل شقر يتبع بعضها بعضاً ، فاستقبلها خالد فجعل يضربها بعصاه ويقول : هدياً هدياً <sup>(٣)</sup> ، كل نهب مودى ، زعم ابن راعية المعزى ، أني لأخرج منها وثيابي تندي ، حتى دخل معها الشعب ، فأبطأ عليهم ، فقال بعضهم : لو كان حياً لخرج إليكم ، فقالوا : إنه قد نهانا أن ندعوه باسمه ، قال :

(١) بدا بدا : مصدر يراد به الأمر ، أي تبددى وتفرق

(٢) ينطفان : يسيلان ماء ، وهو العرق (٣) كذا ، ولعله « هدا هدا »

ادعوه باسمه ، فوالله لو كان حياً لخرج إليكم بعد ، فدَعَوْهُ باسمه ، فخرج وهو آخذ برأسه ؛ فقال : ألم أنْهَكُم أن تدعوني باسمي ؟ قد والله قتلتموني ، احملوني وادفنوني ، فإذا مرت بكم مُحَرٌّ معها حمار أبتر ، وفي رواية فإذا دفنتموني وأتى على ثلاثة أيام فأتوا قبري ، فإذا عرضت لكم عانة<sup>(١)</sup> من مُحَرٍّ وحشٍ وبين يديها عِزْفَانِشُونِي فإني أقوم فأخبركم ماهو كائن إلى يوم القيامة ، فأتوا القبر بعد ثلاث وسَنَحَتَ لهم الحمر ، فأرادوا نبشه ، فمنعهم قوم من أهل بيته ، وقالوا : لا ندْعُكم تَنْبِشُون صاحبنا فنغير بذلك ، وفي رواية : فيكون سبة علينا ، فتركوه .

وفي رواية لابن القعقاع بن خليلد العبسي عن أبيه عن جده ، قال : بعث الله خالد بن سنان نبياً إلى بني عبس ، فدعاهم فكذبوه ، فقال قيس بن زهير : إن دعوت فأسيل علينا هذه الحرة ناراً اتبعناك ؛ فإنك إنما تخوفنا بالنار ، وإن لم تَسِلْ ناراً كذبتك ، قال : فذلك بيني وبينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فتوضأ ثم قال : اللهم إن قومي كذَّبوني ولم يؤمنوا برسالي إلا أن تسيل عليهم هذه الحرة ناراً ، فأسلها عليهم ناراً ، قال : فطلع مثل رأس الحريش<sup>(٢)</sup> ، ثم عظمت حتى عرضت أكثر من ميل ، فسالت عليهم ، فقالوا : يا خالد أَرُدُّها فإننا مؤمنون بك ، فتناول عصاً ثم استقبلها بعد ثلاث ليال فدخل فيها فضربها بالعصا ، فلم يزل يضربها حتى رجعت ، قال : فرأيتنا نعشى الإبل على ضوء نارها ضلعاً الرَبْذة<sup>(٣)</sup> وبين ذلك ثلاث ليال .

وروى له ابن شبة أخباراً أخرى مع قومه ، وروى البيهقي في دلائل النبوة في باب « ما جاء في الكرامة التي ظهرت على تميم الداري شرفاً للمصطفى صلى الله عليه وسلم وتنوياً باسم مَنْ آمَنَ به ، عن معاوية بن حرملة ، وذكر خبراً في قدومه

قف  
على كرامة  
لتميم الداري

(١) العانة : الجماعة من حمر الوحش ، والعير - بفتح العين - الحمار

(٢) الحريش - بفتح الحاء - دويبة قدر الإصبع بأرجل كثيرة ، وهي التي

يسمونها العامة « أم أربعة وأربعين » (٣) لم تستقم لي هذه العبارة

المدينة ، وقول عمر له : اذهب إلى خير المؤمنين فانزل عليه ، ثم قال : فبينما نحن ذات يوم إذ خرجت نار بالحَرَّة ، فجاء عمر رضى الله عنه إلى تميم الدارى رضى الله عنه ، فقلل : قم إلى هذه النار ، فقال : يا أمير المؤمنين ومن أنا ؟ وما أنا ؟ قال : فلم يزل به حتى قام معه ، قال : وتبعتهما فانطلقا إلى النار ، فجعل تميم يحوشها<sup>(١)</sup> بيده حتى دخلت الشعب ، ودخل تميم خلفها ، فجعل عمر يقول : ليس من رأى كمن لم يرَ ، قالها ثلاثا ، والله أعلم .

---

(١) يحوشها : أصله قولهم « حاش فلان الصيد يحوشه حوشاً » إذا جاءه من حواله ليصرفه إلى الحباله ، وقولهم « حاش فلان الإبل » إذا جمعها وساقها

## الباب الثالث

في أخبار سكانها في سالف الزمان ، ومقدمه صلى الله عليه وسلم إليها ،  
وما كان من أمره بها في سنين الهجرة<sup>(١)</sup> ، وفيه اثنا عشر فصلا  
الفصل الأول

في سكانها بعد الطوفان ، وما ذكر في سبب نزول اليهود بها ، و بيان منازلهم  
أسند الكلبي عن ابن عباس أن مخرج الناس من السفينة نزلوا طرف بابل ،  
وكانوا ثمانين نفساً ، فسمى الموضع سوق الثمانين ، قال : وطول بابل مسيرة عشرة  
أيام واثني عشر فرسخاً ، فمكثوا بها حتى كثروا ، وصار ملكهم نمرود بن كنعان  
ابن حام ، فلما كفروا ببليلوا ، ففترقت ألسنتهم على اثنين وسبعين لساناً ،  
ففهم الله العربية منهم عمليق وطشم ابني لوزا بن سام ، وعادا وعييل ابني عوص  
ابن أرم بن سام ، وشمود وجديس ابني جائق بن أرم بن سام ، وقنطور بن عابر  
ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فنزلت عييل يثرب ، ويثرب اسم ابن عييل ،  
ثم أخرجوا منها فنزلوا الجحفة ، فجاءهم سيل أجحفهم فيه ، فلهذا سميت جحفة ،  
فرثاهم رجل منهم فقال<sup>(٢)</sup> :

نزول  
عييل يثرب

عين جودي على عييل وهل ير جمع من فات بيضها بالسحام ؟  
عمرؤا يثربا وليس بها شفر ولا صارخ ولا ذو سنام  
غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام  
وقال أبو القاسم الزجاجي : أول من سكن المدينة عند التفرق يثرب بن قانية<sup>(٣)</sup>  
ابن مهلائيل بن أرم بن عييل بن عوص بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام ،  
وبه سميت يثرب ، وروى عن ابن عباس ما يدل له .

ول من  
سكن يثرب

(١) كذا ، والعربية الفصحى أن يقال « في سني الهجرة » ولكن ما بالأصل لغة  
(٢) أقنأ ميل هذه الآيات بعد أن كانت محرفة وناقصة في الأصول  
(٣) في ياقوت « قانية »



وقال ياقوت : كان أول من زرع بالمدينة ، واتخذ بها النخل ، وعمر بها الدور والآطام ، واتخذ بها الضياع ، العماليق ، وهم بنو عملاق بن أرفخشذ بن سام ابن نوح ، وكانت العماليق ممن انبسط في البلاد ، فأخذوا ما بين البحرين وعمان والحجاز كله إلى الشام ومصر ، وجبارة الشام وفراغة مصر منهم ، وكان منهم بالبحرين وعمان أمة يسمون جاسم ، وكان ساكن المدينة منهم بنوهف<sup>(١)</sup> وبنو مطرويل ، وكان ملكهم بالحجاز الأرقم بن أبي الأرقم .

وأُسند ابن زبالة عن زيد بن أسلم أن ضُبعا رؤيت وأولادها رابضة في حِجَاجٍ عَيْنِ رجلٍ من العماليق — والحِجَاجُ ، بكسر أوله وفتح هاء العظم الذي ينبت عليه الحَاجِبُ — قال زيد بن أسلم : وكان تمضي أربع مائة سنة وما يُسَمَّعُ بِمِجَازَةٍ .

وأُسند رزين عن أبي المنذر<sup>(٢)</sup> الشرقي قال : سمعت حديث تأسيس المدينة من قوم من اليهود سليمان بن عبيد الله بن حنظلة الغسيل ، قال : وسمعت أيضاً بعض ذلك من رجل ينزلون المدينة من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر<sup>(٣)</sup> ، قال : فجمعت حديثهما لكثرة اتفاقهما وقلة اختلافهما ، قالوا : بلغنا أنه لما حجَّ موسى صلوات الله عليه حجج معه أناس من بني إسرائيل ، فلما كان في انصرافهم أتوا على المدينة ، فرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بني قَيْنُقَاعَ ، ثم تألفت إليهم أناس من العرب فرجعوا على دينهم ، فكانوا أول من سكن موضع المدينة .

وذكر بعض أهل التواريخ أن قوما من العمالة سكنوه قبلهم ، قلت : وهو الأرجح .

(١) عبارة ياقوت ٤٢٧/٧ : « وكان ساكنو المدينة منهم بنو هفان وسعد بن هفان وبنو مطرويل ، وكان بنجد منهم بنو بديل بن راحل وأهل تيماء ونواحيها . وكان ملك الحجاز الأرقم بن أبي الأرقم » .

(٢) في المطبوعات « عن ابن المنذر الشرقي » وسيأتي على الصواب في ص ١٧٠

(٣) كذا ، وأبو عبيدة اسمه محمد وأبوه محمد بن عمار

داود النبي  
يفوز سكان  
المدينة

وأُسند ابن زبالة مُصَدِّراً به كتابه في بدء مَنْ سَكَنها عن مشيخة من أهل المدينة قالوا : كان ساكن المدينة في سالف الزمان صعل وفالج ، ففزاهم داود النبي عليه الصلاة والسلام ، وأخذ منهم مائة ألف عذراء ، قالوا : وسلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التي في السهل والجبل ، وهي التي بناحية الجرف ، وبقيت امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ، فأُكثرت من رجل وأرادت الخروج إلى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لتركب غشياً الدود ، فقيل لها : إنا لنرى دوداً يغشاك ، فقالت : بهذا هلك قومي ، ثم قالت : رَبِّ جسد مَصُون ، ومال مدفون ، بين زهرة وارانون ، قالوا : وقتلها الدود . قلت : وداود بعد موسى عليهما السلام ، وكان يدعو إلى شريعته .

وقد عبر ابن النجار عما سبق بقوله : قال أهل السير : أول من نزل المدينة بعد غرق قوم نوح قومٌ يقال لهم صعل وفالج ، وذكر قصة داود ملخصة ، ثم قال : قالوا : وكان قومٌ من الأمم يقال لهم بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق فيما بين مخيض إلى غراب الضائلة إلى القصاصين إلى طرف أحد : فتلك آمارهم هنالك . وروى ابن زبالة عند ذكر جماء أم خالد بوادي العقيق عن عثمان بن عبد الرحمن قال : وجد قبر في الجلاء عليه حجير مكتوب فيه فهبط بالحجير فقرأه رجل من أهل اليمن ، فإذا فيه : أنا عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان بن داود إلى أهل يثرب ، وأنا يومئذ على الشمال .

وروى أيضاً عن عمر بن سليم الزرقى قال : رقينا الجلاء فوجدنا قبراً لإرمياً على رأسها عنده حجيران مكتوبان لا تقرأ كتابتهما ، فحملناهما ، فنقل علينا أحدهما فرميناه في الجلاء ، وأخذت الآخر ، فكان عندي ، فعرضته على أهل التوراة من يهود فلم يعرفوه ، ثم عرضته على أهل الإنجيل من النصارى فلم يعرفوه ، فأقام عندي حتى دخل المدينة رجلان من أهل ماء ، فسألتهما : هل كان لكم كتاب ؟ قالوا : نعم ، فأخرجت إليهما الحجير ، فقرأه فإذا فيه : أنا عبد الله الأسود رسول

رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل قرى عريضة ، وقالوا : نحن كنا أهل هذه القرية في أس<sup>(١)</sup> الدهر ، وسيأتى بقية ما جاء في ذلك في رابع فصول الباب السابع .

وأُسند ابن زبالة أيضاً عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا مهلك العماليق في البلاد ، فسكنوا مكة والمدينة والحجاز كله ، وَعَتَوْا عُنُوتًا كبيراً ، فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطيء الشام وأهلك مَنْ بها ، يعنى من الكنعانيين وقيل : بعث إليهم بعثاً ، فأهلك من كان بها منهم ، ثم بعث بعثاً آخر إلى الحجاز للعماليق ، وأمرهم أن لا يَسْتَبِقُوا أحداً منهم بلغ الحِلْمُ ، فقدموا عليهم ، فأظهرهم الله فقتلهم ، حتى انتهوا إلى ملكهم الأرقم بن أبى الأرقم فقتلوه ، وأصابوا ابنه له — وكان شاباً من أحسن الناس — فضنوا به عن القتل ، وقالوا : نستحيه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه ، فأقبلوا وهو معهم ، فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش ، فلما سمع بهم الناس تلقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح ، وقالوا : لم نستبق منهم إلا هذا الفتى ، فإننا لم نر شاباً أحسن منه ، فتركناه حتى تقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه ، فقالت لهم بنو إسرائيل : إن هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم ، لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبداً ، فقال الجيش : ما بلد إذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذى خرجتم منه ، وكان الحجاز إذ ذاك أشجرَ بلاد الله وأظهره ماء ، قال : وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق .

سبب نزول اليهود المدينة  
وفي الروض الأنف عن أبى الفرج الأصبهاني أن السبب في كون اليهود بالمدينة — وهى وسط أرض العرب — أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز ، وكانت منازلهم يثرب والجحفة إلى مكة ، فشكت بنو إسرائيل ذلك إلى موسى ، فوجه إليهم جيشاً ، وذكر نحو ما تقدم ، ثم قال : وأصح من

(١) الأس — بضم الهمزة وتشديد السين — الأصل ، يريد في قديم الزمان

هذا ما ذكره الطبري أن نزول بني إسرائيل بالحجاز كان حين وطىء بمُخْتَصَر بلادهم بالشام وخرب بيت المقدس ، انتهى .

وحكى ابن النجار عن بعض العلماء أن سببه أن علماءهم كانوا يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، وأنه يهاجر إلى بلده فيه نخل بين حَرَّتَيْن ، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة ، فلما رأوا تيماء وفيها النخل نزلها طائفة منهم ، وظن طائفة أنها خير فزولوها ، ومضى أشرفهم وأكثرم فلما رأوا يثرب سبخة وحرّة وفيها النخل قالوا : هذه البلد التي تكون مهاجرة النبي العربي عليه الصلاة والسلام ، فنزل النصير بَطْعَان ، ثم حكى ماسياتى من نزول قريظة والنضير بمذنيب ومهزور .

وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود أن سبب نزولهم الحجاز أن ملك الروم حين ظهر على بني إسرائيل وملك الشام خطب إلى بني هرون ، وفي دينهم أن لا يزوجوا النصارى ، فخافوه وأنعموا له ؛ وسألوه أن يشرفهم بإتيانه إليهم ، فأتاهم ، ففتكوا به وبمن معه ، ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها ، وزعم بنو قريظة أن الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهدل هاربين من الشام يريدون أن كان بالحجاز من بني إسرائيل ، فوجّه ملك الروم في طلبهم ؛ فأعجزوا رسله ، وانتهى الرسل إلى ثمد<sup>(١)</sup> بين الحجاز والشام فأتوا عنده عَطَشًا ، فسمى الموضع « ثمد الروم » وهو معروف بذلك ، والله أعلم أى ذلك كان . وروى بعض أهل السير عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال : بلغنى أن بني

إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بِمُخْتَصَر عليهم وفرقتهم وذلتهم تفرقوا ، وكانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم مَنَعُوتًا في كتابهم ، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية في قرية ذاتِ نخل ، ولما خرجوا من أرض الشام كانوا يعبرون كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتا نعت يثرب ، فينزل بها طائفة منهم ، ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعونه ، حتى نزل من بني

(١) أصل الثمد - بفتح الثاء وميمه مفتوحة أو ساكنة - ماء المطر يبقى محقونا تحت رمل ، فإذا كشف عنه أدته الأرض ، وقيل : هو الماء القليل لا مادة له .

هرون ممن حمل التوراة يثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه جاء ، ويحثون أبناءهم على اتباعه إذا جاء ، فأدركه مَنْ أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه : أى حسداً للأنصار حيث سبقوهم إليه .

وقال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه من عود الجيش من بنى إسرائيل إلى الحجاز وسكنهم المدينة : فركحوا منها حيث شاؤا — أى تفسحوا وتبوءوا — فكان جميعهم بزهرة ، وكانت لهم الأموال بالسافلة ، وزهرة ثبرة — أى أرض سهلة بين الحرة والسافلة مما يلي القف — ونزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب بمجتمع السيول مما يلي زغابة ، قالوا : وكانت يثرب سقيفة طويلة فيها بغايا يضرب إليهن من البلدان ، وكانوا يروحون في قرية يثرب ثمانين جلاًجلاً<sup>(١)</sup> سوى سائر الألوان .

ثم أسند عن محمد بن كعب القرظي أنه قال : وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هذيل وعمر وأبناء الخزرج بن الصريح بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى ابن جبر بن النحام بن عازر بن عيرز بن هرون بن عمران عليه السلام والنضير بن النحام بن الخزرج بن الصريح بعدهؤلاء ، فتبعوا آثارهم ، فنزلوا بالعالية على واديين يقال لهما مذيئيب ومهزور<sup>(٢)</sup> ، فنزلت بنو النضير على مذيئيب واتخذوا عليه الأموال فكانوا أول من احتفر بها — أى بالعالية — الآبار وغرس الأموال ، قال : ونزل عليهم بعض قبائل العرب فكانوا معهم ، فاتخذوا الأموال ، وابتقوا الآطام والمنازل . وأسند هو وابن شبة أيضاً عن جابر مرفوعاً : أقبل موسى وهارون حاجين فمرا بالمدينة ، فخافا من يهود ، فخرجا مستخفيين ، فنزلا أحداً ، فغشى هارون

(١) الجون : الأسود .

(٢) قال ياقوت (٣٤٧/٧) : «مذيئيب واد بالمدينة ، وقيل : مذيئيب يسيل بماء المطر خاصة ، وقد روى مالك في موطئه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في سيل مهزور ومذيئيب : يمسك حق الكعبين ثم يرسل الأعلى على الأسفل» اهـ . وقد ذكرنا أن مذيئيبا يصدر من جبلين كبيرين بحذاء جبل الأغوات على نحو سبعة أميال من المدينة ، ويصب في زغابة ، وكانت عليه مساكن بنى النضير ، فلما غدروا بالرسول أجلاهم بعد الحندق ، ثم قسم أملاكهم على المهاجرين . وأما مهزور فصدره من حرة واقم . ويعرف اليوم باسم «الغوى»

الموت ، فقام موسى فخفر له ولحد ، ثم قال : يا أخى إنك تموت ، فقام هارون فدخل في لحده ، فقبض <sup>(١)</sup> عليه موسى التراب .

قلت : وإسناد ابن شبة لا بأس به ، غير أن فيه رجلا لم يُسمَّ ، وسماء ابن زبالة ، وذلك المسمى لا بأس به أيضا ، لكن ابن زبالة لا يُعتمد عليه في ذلك ، وهو دال على أن اليهود نزلوا المدينة في زمن موسى عليه السلام ، وطالت مدتهم بها في حياته ، حتى وقع منهم ما يقتضى خوفه منهم عند مروره ، وهو إنما يتأتى على ما قدمناه من أنه لما حجَّ ومعه ناس من بنى إسرائيل فرأوا موضع المدينة صفة بلد خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، ويكون ما اتفق لموسى وهارون عليهما السلام في حجة أخرى بعد ذلك ، وسيأتى في مسجد عرق الظبية بالروحاء حديث « ولقد مرَّ به موسى بن عمران حاجا ومعتمرا في سبعين ألفا من بنى إسرائيل » ومن الغريب ما نقل الحافظ ابن حجر عن كتاب الأنواء لعبد الملك بن يوسف قال : إن قربطة كانوا يزعمون أنهم من ذرية شعيب نبي الله عليه السلام ، وإن ذلك محتمل ؛ فإن شعيبا كان من بنى جذام القبيلة المشهورة — قال الحافظ ابن حجر : وهو بعيد جدا — ونقل ابن زبالة ما حاصله أن ممن كان من العرب مع يهود قبل الأنصار بنو أنيف حتى من بلى ، ويقال : إنهم بقية من العماليق ، وبنو مريد حتى من بلى ، وبنو معاوية بن الحارث بن بهثة بن سليم ، وبنو الجذماء حتى من اليمن ، وكانت الآطام عزَّ أهل المدينة ومنعتهم التي كانوا يتحصنون فيها من عدوهم ، وروى حديث النهى عن هدم آطام المدينة ، قال : وكان لبني أنيف بقاء : الأجش عند البئر التي يقال لها لاوة ، وأطمان فيما بين المال الذي يقال لها المائة والمال الذي يقال له القائم ، وآطام عند بئر عذق وغيرها ، قال شاعرهم فيها :

وَلَوْ نَطَقْتُ يَوْمَ قَبَاءَ لَخَبَرْتُ      بِأَنَا نَزَلْنَا قَبْلَ عَادٍ وَتُبَعِ

(١) يقال : حشا التراب يحشوه ، وحشاه يحشيه ، إذا صبه وأهاله .

بقايا اليهود  
بالمدينة

وَأَطَامَنَا عَادِيَّةٌ مُشْمَخِرَةٌ تُلَوِّحُ فِتْنَتَكِي مِنْ نَعَادِي وَتَمْنَعُ  
وكان ممن بقي من اليهود — حين نزلت عليهم الأوس والخزرج —  
جماعات منها بنو القصيص وبنو ناغصة كانوا مع بني أنيف بقباء ، وكان بقباء  
رجلٌ من اليهود يقال « إيه من بني النضير » كان له أطمٌ يقال له «عاصم» كان  
في دار ثوبة بن حسين بن السائب بن أبي لبابة ، وفيه البئر الذي يقال لها قباء ،  
وقيل : إن بني ناغصة حى من اليمن كانت منازلهم في شعب بني حرام حتى  
نقلهم عمر بن الخطاب إلى مسجد الفتح ، ومنها بنو قريظة في دارهم المعروفة بهم  
اليوم ، وكان لهم بها أطام : من ذلك أطمُ الزبير بن باطا القرظي ، كان موضعه في  
موضع مسجد بني قريظة ، وأطمُ كعب بن أسد يقال له بلحان بالمال الذي يقال له  
الشجر ، وله يقول الشاعر :

من سره رطبٌ وماء باردٌ فليأتِ أهلَ المجدِ من بلحان

وكان مع قريظة في دارهم إخوتهم بنو هدل وبنو عمرو المقدم ذكرهم ، وإنما  
سمى هدلا بهدل كان في شفته ، ومن ولده ثعلبة وأسد ابنا سعيّة وأسد بن عبيد  
ورفاعه بن سموأل وسُخيت ومنبه ابنا هدل ، ومنها بنو النضير في النواعم ، ومنهم  
كعب بن الأشرف ، وكان لهم عامة أطم في المال الذي يقال له فاضجة ، وأطمٌ  
في زقاق الحارث دبر قصر ابن هشام دون بني أمية بن زيد كان لعمر بن جحاش ،  
وأطم البويلة ، وغير ذلك ، هذا ما ذكره ابن زبالة

ونقل ابنُ عساكر عن الواقدي أنه قال : كانت منازل بني النضير بناحية الغرس  
قلت : والظاهر أنهم كانوا بالنواعم ، وتمتد منازلهم وأموالهم إلى ناحية  
الغرس وإلى ناحية الصافية وما معها من صدقات النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعض  
منازلهم كانت بجفاف ؛ لأن فاضجة به ، ورأيتُ بالحرّة في شرقي النواعم آثار  
حصون وقرية بقرب مذيئيب يظهر أنها من جملة منازلهم ، وأن ما في قبلة ذلك  
في شرقي العين من منازل بني أمية بن زيد كما سيأتي ، ومنها بنو مريد في بني

خطمة وناعمة إبراهيم بن هشام ، وكان لهم أطم يعرف بهم فيه بُزْ ، ومنها بنو معاوية في بني أمية بن زيد ، ومنها بنو ماسكة بقرب صدقة مروان بن الحكم مما يلي صدقة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان لهم الأَطْمَانِ اللذان في القف في القرية ، ومنها بنو محم في المكان الذي يقال له بنو محم ، وكان لهم المسال الذي يقال له خُنافة ، معروف اليوم ، وكان رجل منهم قَطَعَ يَدَ رجلٍ في الجاهلية فقال المقطوع : أُعْطِنِي خُنافة عَقْلاً بيدي ، فأبى ، وحفر للذي قطعه كوة في خُنافة ، ثم أخرج يده منها من وراء الحائط وقال : اقطع . ، فقطع يده ، فقال حين قطع يده :

الآن قد طابت ذرى خُنافة      طابت فلا جوع ولا خُنافة

ومنها بنو زَعُوراً عند مشربة أم إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهم الأَطْم الذي عندها ، وكان الأَطْم الذي في مال جحاف لبعض مَنْ كان هناك من اليهود ، ومنها بنو زيد اللات ، قال ابن زبالة : وهم رهط عبد الله بن سلام ، كانوا قريباً من بني غصينة ، ومنها بنو قَيْنُقَاع عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية ، وكان هناك سوق من أسواق المدينة ، وكان لهم الأَطْمَانِ اللذان عند منقطع الجسر على يمينك وأنت ذاهب من المدينة إلى العالية إذا سلكت الجسر ، وغير ذلك ، وفي صحيح البخاري عن ابن عمر أن بني قَيْنُقَاع هم رهط عبد الله بن سلام ، خلاف ما تقدم عن ابن زبالة ، قال الحافظ ابن حجر : وهم من ذرية يوسف الصديق عليه السلام ، ومنها بنو حُجْر عند المشربة التي عند الجسر ، ولهم أَطْمٌ يعرف بهم ، ومنها بنو ثعلبة وأهل زهرة بزهرة ، وهم رهط الفُطَيَّونَ ، وهو ملكهم الذي كان يفتض نساء أهل المدينة قبل أن يدخُلْنَ على أزواجهن ، وكان لهم الأَطْمَانِ اللذان على طريق العريض حين يهبط من الحرة ، وكانت بزهرة جُماع من اليهود وكانت من أعظم قرى المدينة ، وقد بادوا ، ومنها ناس كانوا بالجَوَّانية - يفتح الجيم وتشديد الواو والياء المثناة من تحت : موضع بقرب أحد في شمالي



المدينة كما سيأتى - ولهم أطمأن صارا لبني حارثة بن الحارث وهما صرار والريان ،  
ولذلك يقول نهيك بن سيف :

لعل صراراً أن تعيش بياره      ويسمع بالريان تبني مشاربه

وكانت بنو الخدماء المتقدم ذكرهم - وهم حى من اليمين - مابين مقبرة بنى  
عبد الأشهل وبين قصر ابن عراك ، ثم انتقلوا إلى راتج ، ومنها بنو عكوة فى  
يمانى بنى حارثة ، ومنها بنو مرابة فى شامى بنى حارثة ، ولهم الأطم الذى يقال له  
الشبعان فى ثمغ صدقة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومنها ناس براتج ، وهو  
أطم سميت به الناحية ، وهو الذى يقول له قيس بن الخطيم :

ألا إنا بين الشرعى وراتج      ضراباً كتحديم السبال المعضد

ومنها ناس بالشوط والعنابس والوالج وزبالة إلى عين فاطمة حيث كان يطبخ  
الآجر لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان لأهل الشوط الأطم الذى يقال  
له الشرعى ، وهو الأطم الذى دون ذباب ، وقد صار لبني جشم بن الحارث بن  
الخرزج أى الأصغر يعنى إخوة بنى عبد الأشهل ، وكان لأهل الواج أطم بطرفه  
مما يلى قناة ، وكان لبعض من هناك من اليهود الأطم الذى يقال لهما الشيعان  
بمفضاهما المسجد الذى صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى أحد ،  
وكان لأهل زبالة الأطم عند كومة أبى الحمراء الرابض الذى دونهما ، ومنها  
أهل يثرب ، وكانوا جُماعاً من اليهود بها ، وقد بادوا فلم يبق منهم أحد .

قلت : ونقل رزين عن الشرقى أن يهود كانوا نيفاً وعشرين قبيلة ، وقال  
ابن النجار : إن آطامهم كانت تسعة وخمسين أطماً ، وللعرب النازلين عليهم قبل  
الأنصار ثلاثة عشر أطماً ، وقد ذكر ابن زبالة أسماء كثير منها حذفناه لعدم معرفته  
فى زماننا .

فهذا علم من سكن المدينة بعد الطوفان إلى قدوم الأوس والخرزج .

## الفصل الثانى

فى سبب سُكْنَى الأنصار بها

قصة مأرب وسيل العرم  
نقل ابنُ زبالة وغيره أن اليهود لم تزل هى الغالبة بالمدينة ، الظاهرة عليها ، حتى كان من أمر سَيْلِ العَرَمِ ما كان وما قص الله من قصته فى مائِهِ يعنى قصة أهل مأرب ، ومأرب مهموز: أرض سبأ المعنية بقوله تعالى : «بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ»<sup>(١)</sup> عن ابن عباس أنها كانت أخصبَ البلاد وأطيبها ، تخرج المرأة وعلى رأسها المِكَتَل فتعمل يديها أى بمغزلها وتسير بين ذلك الشجر ، فيمتلىء مما يتساقط فيه من الثمر ، فطَفَنُوا ، وقيل : بعث الله إليهم ثلاثة عشر نبياً يدعوهم إلى الله ، ويذكرونهم نعمة الله عليهم ، فكذبوهم ، وقالوا : ما نعرف الله نعمة ، قال المسعودى : وكان طول بلدهم أكثر من شهرين للراكب الجدد ، وكذلك عَرَضُهَا ، وكان أهلها فى غاية السكثرة مع اجتماع الكلمة والقوة ، وكانوا كما قص الله من خبرهم بقوله : «وَجَمَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا» يعنى قرى الشام «قُرَى ظَاهِرَةٌ»<sup>(٢)</sup> يعنى متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها ، فكانوا آمنين فى بلادهم ، تخرج المرأة لا تتزود شيئاً ، تبيت فى قرية ، وتَقِيلُ فى أخرى حتى تأتى الشام ، فقالوا : «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»<sup>(٣)</sup> لأنهم يَطْرَوْنَ النعمة ومَلَوْهَا ، وقالوا : لو كان جَنَى جَنَاتِنَا أبعدَ كان أجْدَرَ أَنْ نَشْتَهِيَهُ ، وتمنوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوِزَ ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد ، فجعل الله لهم الإجابة كما قال : «فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ»<sup>(٤)</sup> وعن الضحاك أنهم كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، فسلط عليهم سَيْلُ العَرَمِ ، قيل : العرم : المطر الشديد ، وقيل : جُرْدٌ<sup>(٥)</sup> أعمى فنَقَبَ عليهم السد ، وكان فرسخاً فى فرسخ بناء لقمان الأكبر العادى ، وكان بناءً للدهر على زعمه ، وكان يجتمع إليه مياه اليمن ثم تنفرق فى مجارى على قدر حاجة جناتهم ، وقيل : بناء سَبَأَ بنِ يَشْجُبَ

(١) من سورة سبأ من الآية ١٥ (٢) من سورة سبأ من الآية ١٨

(٣) من سورة سبأ من الآية ١٩ (٤) من سورة سبأ من الآية ١٩

(٥) الجرذ - بضم الجيم - ضرب من الفئران

ابن يعرب بن قحطان ، وساق إليه سبعين وادياً ، ومات قبل أن يكمله فأكمله بعده  
ملوك حير ، وكان أولاد حخير بن سبأ وأولاد كهلان بن سبأ سادة اليمن في ذلك  
الزمان ، وكان كبيرهم وسيدهم جد الأنصار عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء <sup>(١)</sup>  
ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، ويقال : الأسد ، بن  
الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ،  
ذكر نسبه كذلك ابن هشام وابن حزم وابن الكلبي فيما نقله عنه ابن عبد البر ،  
ونقل غيره عنه أنه جعل ثعلبة بين حارثة وبين امرئ القيس ، وكانت الأنصار  
تقول : سمى عمرو مزيقياء لأنه كان يلبس في كل يوم حلتين ثم يمزقهما ثلثا يلبسهما  
أحد بعده ، وقيل لأبيه « ماء السماء » لجوده وقيامه عند الجدب مقام الغيث ،  
وكان لعمر مزيقياء أخ كاهن لم يُعقب يسمى عمران ، وكانت زوجة عمرو مزيقياء  
يقال لها طريفة من حير ، وكانت كاهنة ، فولدت له ثلاثة عشر رجلاً ، ولدت  
ثعلبة وهو الذي أخرج جرهم من مكة هو وأخوته ، ومن انخرج معه من الأزد  
على ما نقله رزين ، ونقل أن والد ثعلبة — وهو عمرو بن عامر — توفي قبل غلبة ثعلبة  
لجرهم ، وثعلبة أبو الأوس والخزرج ، وولدت له أيضاً حارثة والد خزاعة على  
ما سيأتي ، وقيل غير ذلك ، وولدت له أيضاً جفنة والد غسان ، سُموا باسم ماء  
نزلوا عليه يقال له غسان ، والأشهر أنهم بنو مازن بن الأزد بن الغوث ، وولدت له  
أيضاً وداعة ، وأباً حارثة ، والحارث ، وعوفا ، وكعبا ، ومالكا ، وعمران ،  
هؤلاء أعقبوا كلهم ، والثلاثة الباقون لم يعقبوا .

غسان

وقال ابن حزم : إن غسان هم بنو الحارث وجفنة ومالك وكعب بنى عمرو  
مزيقياء ، شربوا كلهم من ماء غسان ، بخلاف بقية ولد عمرو مزيقياء فلم يشربوا  
من ذلك الماء ، فليسوا غسان ، وكان لعمر بن عامر بمأرب من القصور والأموال  
ما لم يكن لأحد .

(١) في المطبوعات « ماء السماء مزيقياء بن حارثة » تطبيع ، وفيه وفي ماء السماء  
يقول شاعرهم : أنا ابن مزيقيا عمرو ، وجدى أبوه عامر ماء السماء

أول خبر  
سيل العرم

ونقل رزين أنه كان أول شيء وقع بمأرب من أمر سيل العرم أن عمران بن عامر رأى في كهانه أن قومه سيمزقون ويبدأعد بين أسفارهم ، وأن بلادهم ستخرب ، فذكر ذلك لأخيه عمرو بن عامر ؛ فكان بين التصديق والتكذيب ، فبينما طريفة امرأته ذات يوم نائمة إذ رأت فيما يرى النائم أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت ، فذعرت ذُعراً شديداً ، فسكنوها ، فقالت : يا عمرو بن عامر ، الذي رأيت في النعيم ، أذهب عني النوم ، رأيت غماً أرعد وأبرق ، طويلاً ثم أصعق ، فما وقع على شيء إلا احترق ؛ فما بعده إلا الفرق<sup>(١)</sup> ، فلما رأوا ما بها خفصوها<sup>(٢)</sup> حتى سكنت ، ثم إن عمرو بن عامر دخل حديقةً ومعه جاريتان له ، فبلغ ذلك طريفة فخرجت نحوه ، فلما خرجت من بيتها عارضها ثلاث مناجذ - وهى دواب تشبه اليرابيع - منتصبات على أرجلهن واضعات أيديهن على أعينهن ، فلما رأتهن طريفة وضعت يدها على عينها وقعدت على الأرض ، فلما ذهبت المناجذ خرجت مسرعة ، فلما عارضها خليج الحديقة التي فيها عمرو وثبت من الماء سلحفأة فوقعت في الطريق على ظهرها ، وجعلت تروم الانقلاب<sup>(٣)</sup> وتستعين بيدها فلا تستطيع ، فتحذف التراب على نفسها ، وتقذف بالبول من تحتها ، فلما رأت طريفة ذلك جلست على الأرض حتى عادت السلحفأة إلى الماء ، ثم مضت طريفة حتى دخلت الحديقة التي فيها عمرو بن عامر حين انتصف النهار في ساعةٍ شديدة حرّها ، وإذا الشجرة من غير ريح تتكفأ ، فمرت حتى دخلت على عمرو ، فلما رآها قال : هلمى يا طريفة ، فقالت : والنور والظلماء ، والأرض والسماء ، إن الماء لغائر ، وإن الشجر لهالك ، فقال عمرو : ومن أخبرك بذلك ؟ قالت : أخبرتنى المناجذ ، بسنين شدائد ، يقطع فيها الولد الوالد ، وسلحفأة تحذف بالتراب حذفاً ، وتقذف بالبول قذفاً ، ورأيت الشجر من غير ريح ولا مطر تكفأ ، قال : وما ترين ذلك ؟ قالت : داهية وكيمة<sup>(٤)</sup> ، وأمور جسيمة ، قال : أما إن كان ذلك فلك الويل . قالت : أجل ، وما لعمرو

(١) الفرق : الخوف ، ولعله « الفرق » بالغين المعجمة والراء المهملة .

(٢) خفصوها : هداؤها وسكنوا خوفها وأزالوا ما نزل بها من هم .

(٣) تروم : تطلب

(٤) وكيمة : محزنة

فيها من نيل ، مما يجيء به السيل ، فألقى بنفسه على الفراش وقال : ما هذا الذي تقولين إلا أمر جليل ، وخلف قليل ، وأخذُ القليل خيرٌ من تركه ، قال عمرو : وما علامة ماتدكرين ؟ قالت : إذا رأيت جُرْذاً يكثر في السد الحفر ، ويقلب منه يديه الصخر ، فاعلم أن قد وقع الأمر . فانطلق عمرو إلى السد ينظر فإذا جُرْدٌ يقلب يديه ورجليه الصخرة ما يقلها<sup>(١)</sup> خمسون رجلاً من أسد ، فرجع إلى طريقته فأخبرها . ثم رأى عمرو رؤيا أنه لا بد من سيل العرم ، وقيل : إن آية ذلك أن ترى الحصى قد ظَهَرَ في شَرَبِ النخل ، فذهب فرأى ذلك ، فعرف أن ذلك واقع ، وأن بلادهم ستخرب ، فسكتم ذلك وأخفاه ، وأجمع على أن يبيع كل شيء له بأرض سبأ ويخرج منها هو وولده ، فخشى أن يستنكر الناس ذلك ، فاحتال في الأمر ، فأمرَ بابل ففحرت ، وبغتم فذبحت ، وصنع طعاماً واسعاً ، وبعث إلى أهل مأرب بأجمعهم ، وكان فيمن دعا يتيماً كان رباًه وأنكحه ، وقال له فيما بينه وبينه : إذا أنا جلستُ أُطعمُ الناسَ فاجلس بجنبى ثم نازعني الحديث وارْدُدْ على مثل ما أقول لك ، وافعل بى مثل ما أفعل بك ، فكلمه عمرو في شيء ، فردَّ عليه ، فضرب عمرو وجهه وشمته ، ففعل اليتيم به مثله ، فصاح عمرو : واؤلَّاه ، اليوم ذهب فخر عمرو ومجده ، فحلف ليقْتلَنه ، فلم يزالوا به حتى تركه ، وقال : والله لا أقيم ببلدة صنع بى هذا فيه أبداً ، ولأبيعن أموالى كلها وأرحلُ عنكم ، فاغتنم الناسُ غضبه واشتروا منه أمواله ، فباع جميع عقاره ، وتبعه ناس من الأزْد فباعوا أموالهم ، ولما كثر البيع استنكر الناس ذلك ، فأمسكوا ، فلما اجتمع عند عمرو بن عامر اثمانُ أمواله أخبر الناس بأمر سيل العرم ، فخرج من مأرب ناس كثير ، وأقام بها مَنْ قُضِيَ عليه بالهلاك ، هذا ما نقله رزين في تاريخه وقد اقتفيت أثره في ذلك في كتابى .

وذكر ابن هشام في سيرته نحوه ، وقال : إن الأسد يعنى الأزْد قالوا : لا تتخلف

(١) ما يقلها : ما يستطيع أن يرفعها .

عن عمرو بن عامر ، فباعوا أموالهم وخرجوا معه ، وقيل : كانت طريفة زوجة ثعلبة ، وإنه صاحب القصة والمحتال في بيع ماله .

وقال ياقوت : إن عمرو بن عامر مات قبل سيل العرم ، وصارت الرئاسة إلى أخيه عمران بن عامر الكاهن ، وكان عاقراً لا يُؤَلِّد له ، وإنه صاحب القصة مع طريفة الكاهنة ، وإنها أقبلت عليه يوماً وقالت : والظلمة والضياء ، والأرض والسماء ، ليقبلنَّ إليكم الماء ، كالبحر إذا طما ، فيدع أرضكم فلا يسف على الصبا ، وذكر القصة ، وأنه احتال لبيع أمواله بأن قال لحارثة أحد أولاد أخيه عمرو بن عامر : إذا اجتمع الناس إلىّ فإني سأمرُك بأمرٍ فأظهر فيه العصيان فإذا ضربت رأسك بالعصا فقم إلىّ والطمئي ، فقال : وكيف يلطم الرجل عمه ؟ فقال : افعل يا بني فإن في ذلك صلاحك وصلاح قومك ، وذكر القصة ، قال : فجاء بعد رحيلهم بمُديدة<sup>(١)</sup> السيلُ وقد خرب الجرذُ السدَّ فلم يجد مانعاً ، ففرق البلاد حتى لم يبق من جميع الأرضين والكروم إلا ما كان في رؤس الجبال والأمكنة البعيدة مثل ذمار<sup>(٢)</sup> وحضرموت وعدن ، وذهبت الضياع والحداثق والجنان ، وجاء السيل بالرمل وطمها ، فمضى على ذلك إلى اليوم ، وبعاد الله بين أسفارهم كما سألوا .

ونقل رزين أن عمرو بن عامر الكاهن قال لهم عند خروجهم : سأصِفُ لكم البلاد ، فقال : مَنْ كان منكم ذا هم بعيد ، وجل شديد ، ومراد حديد ، فليلحق بقصر عُمان المشيد ؛ فسكنها أزد عمان . قال : ومن كان منكم ذا هم غير بعيد ، وجل غير شديد ، ومراد غير حديد ؛ فليلحق بالشعب من كرود - وهي من أرض همدان - فسكان الذين سكنوه وداعة بن عمرو بن عامر فاتسبوا في همدان . قال : ومن كان منكم ذا هم مدن ، وجل مُعَن<sup>(٣)</sup> ، فليلحق بالثني من شن ، وهو بالسراة ، فسكنه أزد شنوة . قال : ومن كان منكم ذا جلد وبصر ، وإه صبر على أزمت الدهر ، فليلحق ببطن مر ، فسكنته خزاعة . قال : ومن كان منكم يريد

عمرو بن عامر  
يصف البلاد  
لقومه

(١) في المطبوعات « بهديدة » تطبيع .

(٢) ذمار - بوزن قطام - قرية على مرحلتين من صنعاء .

(٣) في المطبوعات « جل معنى » .

الراسخات في الوَحْل ، المَطْعَمَات في المَحْل ، فليَلْحَق بالحرة ذات النخل ؛ فكان الذين سكنوها الأوس والخزرج . قال : ومن كان يريد الخمر والخمير ، والديباج والحريز ، والأمر والتأخير ، فليَلْحَق بِبُضْرَى وسَدِير - وهما من أرض الشام - فكان الذين سكنوه آل جَفْنَةَ بن غَسَّان . قال : ومن كان يريد الثياب الرِّقَاق ، وأُلْحِيُول العِتَاق ، والسكنوز من الأرزاق ، فليَلْحَق بالعراق ؛ فكان الذين لحقوا بالعراق جَذِيْمَةَ الأبرش ومن كان بالحيرة من غَسَّان .

قلت : وقيل : إن الذي سَجَّع لهم بذلك طريفة الكاهنة ، وإنها قالت : ومن كان منكم يريد الراسخات في الوَحْل ، المَطْعَمَات في المَحْل ، فليَلْحَق بيثرب ذات النخل . وروى ابن زباله سَجَّع عمرو بن عامر في المدينة بلفظ : من كان يريد الراسيات في الوَحْل ، المَطْعَمَات في المَحْل ، المدركات بالذَّحْل<sup>(١)</sup> ، فليَلْحَق بيثرب ذات النخل ؛ فلما سمعوا ذلك القول خرج عمرو بن عامر بجميع ولده ومن معه من الأزديريد أرضا يقيمون بها ، ففارقهم وداعة بن عامر فسكن همدان ، ثم سار عمرو حتى [ إذا ] كان بين السراة<sup>(٢)</sup> ومكة أقام هنالك ناس من الأزدي ، وأقام معهم عمران بن عمرو بن عامر ، ثم سار عمرو في باقي ولده وفي ناس من بني مازن من الأزدي حتى نزلوا ماء يقال له غسان ، وغلب عليهم اسمه حتى قال شاعرهم :  
إِذَا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعْشَرُ نَجْبٍ      الْأَزْدُ نَسَبَتَهَا وَالْمَاءُ غَسَّانُ<sup>(٣)</sup>

قال أبو المنذر الشريقي : ومن ماء غسان أُنْخَزَعَ لِحَى - واسمه ربيعة بن حارثة ابن عمرو بن حارثة - فأتى مكة فتزوج بنت عامر الجرهمي ملك جرهم ، فولدت له عمرو بن لحي الذي غيّر دين إبراهيم ، فسمى ولده خزاعة لأن أباهم أُنْخَزَعَ من غسان وقال غيره ما يخالف ذلك ؛ فروى الأزرق أن عمرو بن عامر سار هو وقومه لَا يَطَوُّنَ بِلْدًا إِلَّا غَلَبُوا عَلَيْهِ ، فلما انتهوا إلى مكة - وأهلها جرهم قد قهرروا الناس

(١) الدحل - بالفتح - الثأر

(٢) في المطبوعات « السراة » تطبيع ، وإنه ليقال « أزد السراة »

(٣) حفظي « الأزدي نسبته الماء غسان »

وحازوا ولاية البيت على بنى إسماعيل وغيرهم أرسل إليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يقول : يا قوم إنا خرجنا من بلادنا ، فلم نزل بلدا إلا فسّح أهلُه لنا فنقيم معهم حتى نرسل رؤّادنا إلى الشام والمشرق ، فحيث ما قيل لنا إنه أمثل لحقنا به ، فأبّت جرم ذلك ، فأرسل إليهم ثعلبة : إنه لا بد لي من المقام ، فإن تركتموني نزلت وحمدتكم وواسيتكم في الماء والمرعى ، وإن أبيتم أفت على كرهكم ثم لم ترتعوا معي إلا فضلا ولا تشربوا إلا رنقا - يعنى البكر - فإن قاتلتُموني قاتلتكم ، ثم إن ظهرت عليكم سبّيت النساء وقتلت الرجال ، ولم أترك أحداً منكم ينزل الحرم أبداً ، فأبّت جرم ، فاقتتلوا ثلاثة أيام ، ثم انهزمت جرم ، فلم ينفلت منهم إلا الشريد ، وأقام ثعلبة بمكة وما حولها بعساكره حولا ، فأصابتهم الحمى ، وكانوا يبذلوا لا يدرون فيه ما الحمى ، فدَعَوْا طريفة الكاهنة فشكّوا إليها الذى أصابهم ، فقالت : قد أصابني الذى تشكون ، ثم ذكر الأزرق سَجَعَهَا في أمر الدلالة على البلاد في هذا المحل [و] <sup>(١)</sup> هو غير سجع عمران بن عامر عند تفرقهم من سبأ ، ثم ذكر لحوق كل فرقة منهم ببلدها على النحو الذى قدمناه ، وأن الأوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر - وهم الأنصار - نزلوا بالمدينة ، ثم قال : وانخرعت خزاعة بمكة ، فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لَحِيٌّ ، فولى أمر مكة ، فهذا يقتضى أنهم إنما اُتْرِقُوا من مكة ، ولا شك أن منها اُتْرِقَ الذين وصلوا إليها .

نزل ثعلبة  
ابن عمرو  
في المدينة

وقال ياقوت : إنهم لما ساروا من اليمن عطف ثعلبة العنقاء بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السما بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول ابن مازن الراد <sup>(٢)</sup> بن الغوث نحو الحجاز ، فأقام ما بين الثعلبية إلى ذى قار ، وباسمه سميت الثعلبية ، فنزلها بأهله وولده ومَنْ تبعه ، فأقام هناك يتبع مواقع القطر ، فلما كثر ولده وقوى ركنه سار بهم نحو المدينة وبها يهود فاستوطنوها ؛ فأقاموا بها بين قريظة والنضير وخيبر وتيما ووادي القرى ، ونزل أكثرهم بالمدينة .

(١) زيادة يلتئم بها الكلام .

(٢) كذا ، وفي التاج «مازن البراح» وليس في ياقوت لقب مازن .



## الفصل الثالث

### في نسبهم

قد قدمنا انتسابهم إلى عمرو مُزَيَّقِيَاء ، وانتساب عمرو إلى قحطان .  
وقال ابن رزين نقلا عن الشرقي : أصل الأنصار الأوس والخزرج وهما من  
ولد ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن  
الغوث بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان ، وكأنه سقط  
من النسخة بعد الغوث « بن نبت » فإنه بين مالك والغوث كما قدمناه ، وجماع قبائل  
اليمين تنتهي إلى قحطان ، وقحطان اختلف في نسبه ، فالأكثرون قالوا : إنه عابر نسب قحطان  
ابن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقيل : هو من ولد هود نفسه ، وقيل :  
ابن أخيه ، ويقال : قحطان أول من تكلم بالعربية ، وهو والد العرب المتعربة ،  
وأما إسماعيل فهو والد العرب المستعربة ، وأما العرب العاربة فكانوا قبل ذلك  
كعاد وثمود وطسم وجدريس وعمليق وغيرهم ، وقيل : إن قحطان أول من قيل له :  
أُيْنِتَ اللَّعْنُ<sup>(١)</sup> ، وعِمَّ صَبَاحًا . وذهب الزبير بن بكار إلى أن قحطان من ذرية  
إسماعيل عليه السلام ، وأنه قحطان بن الهميسع بن تيم بن نبت بن إسماعيل عليه  
السلام ، ويدل له تبويب البخاري بأن نسبة اليمين إلى إسماعيل ، وأورد فيه  
الحديث المتضمن لمخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بنى أسلم بأنهم من بنى إسماعيل ،  
وأسلم هو ابن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس  
صاحب النسب المتقدم ، فدل على أن اليمين بنى قحطان من بنى إسماعيل ، وهو  
ظاهر قول أبي هريرة في الصحيحين في قصة هاجر « فتلك أمكم يا بنى ماء  
السماء » يخاطب الأنصار ؛ لأن جدهم عامراً والد عمرو كان يلقب بذلك ، كما

---

(١) هي من تحايا ادوك ، ومعناها : أبيت أن تفعل شيئاً تسب به .

تقدم ، أو أراد أبو هريرة رضى الله عنه العرب كلهم ؛ لكثرة ملازمتهم الفلوات التى بها مواقع القطر ، وهذا مُتَمَسِّكٌ مَنْ ذهب إلى أن جميع العرب من ولد إسماعيل عليه السلام .

قال ابن حبان فى صحيحه : كل من كان من ولد إسماعيل يقال له «ابن ماء السماء» لأن إسماعيل ولد هاجر ، وقد ربي بماء زمزم وهى من ماء السماء، ورجح عياض أن مراد أبى هريرة الأنصار خاصة ، ونسبتهم إلى جدهم المعروف بماء السماء ، انتهى . ودلالته على أن قبائل اليمن كلها من ولد إسماعيل ظاهرة .<sup>(١)</sup>

قال الحافظ ابن حجر: وهو الذى يترجح فى نقدى، وقد ذكر ابن عبد البر من طريق القعقاع بن أبى حذر أن النبى صلى الله عليه وسلم «مرَّ بناس من أسلم وخزاعة وهم يتناضلون فقال : ازموا بنى إسماعيل» وأسلم وخزاعة قد تقدم نسبهما فى قبائل اليمن التى جماع نسبتهما قحطان، ومما يؤيد ذلك قول المنذر بن عمرو جد حسان بن ثابت الأنصارى:

ورثنا من البهلول عمرو بن عامر وحارثة الغطريف مجذأ مؤنلاً  
مأثر من آل ابن نبت بن مالك ونبت بن إسماعيل ما إن تحوَّلاً

وأول ذلك كله المخالفون بتأويلات بعيدة ، بل الذى أميل إليه أن العرب كلهم من ولد إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ، وإن لم يتم ذلك فالعرب الذين لهم الشرف بالتقديم فى الكفاءة وغيرها شرعاً هم بنو إسماعيل ، ويدل له قول بعض أصحابنا فى الإمامة : إذا لم يوجد قرشى مستجمع للشروط نصَّبَ كَنَانِي ، فإن لم يكن فرجل من ولد إسماعيل صلوات الله وسلامه عليه ، فإن تعذر انتقلنا إلى العجم ، ولم يقولوا انتقلنا إلى بقية العرب ، لكن فى التتمة للمتولى : فإن لم يوجد من ولد إسماعيل عليه السلام يولَّى جرهمى ، وجرهم أصل العرب ، فإن لم يوجد فرجل من ولد إسحاق عليه السلام ، اه . وهو مخالف لقول البغوى فى

(١) خلاصة هذا الكلام أن كلمة «ماء السماء» قد تطلق ويراد بها معنى العام ، وهو لقب عامر بن حارثة خاصة ، وقد تطلق ويراد بها اسم الجنس على معنى يابى الماء ، سواء أكان ماء المطر أم كان ماء زمزم ، وعلى الإطلاق الأول لا يقال إلا لمن اتصل نسبه بعامر بن الحارث ، على الثانى تطلق على كل عربى ، بل ويجوز أن تطلق على كل من يعيش عيش البدو .

التهذيب : فإن لم يوجد ولد لإسماعيل فن العجم ، وأيضاً فالمتولى جعل جرهما متأخرين عن ولد إسماعيل ، وجعل لهم فضلاً في الجملة على العجم ، كذا قدم بعض العجم على بعض ، وإسماعيل أبو العرب الذين شَرَفَ نسبهم بمشاركة نسبة أشرف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، وهو الأسُّ في ذلك ، وعربي اللسان لا عبرة به ، على أن في مستدرك الحاكم من حديث ابن عباس « أول من نطق بالعربية إسماعيل » لكن في الصحيح أن إسماعيل تعلم العربية من جرهم الذين نزلوا مع أمه .

قال ابن إسحاق : وكان جرهم وأخوه قطورا ابنا قحطان أول من تكلم بالعربية أول من تكلم بالعربية عند تبلبل الألسن .

قلت : وهو جارٍ على رأى من يقول : إن العرب كلها ليست من ولد إسماعيل .

وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث عليّ بإسناد حسن قال : أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ؛ فهذا القيد يجمع بين الخبر المتقدم وبين ما في الصحيح ، فيكون أوليته في ذلك بحسب الزيادة في البيان ، لا الأولية المطلقة ، فيكون بعد تعلم أصل العربية من جرهم ألهمه الله العربية الفصيحة المبينة ؛ فعلى تقدير تسليم أن العرب كلهم ليسوا من ولد إسماعيل فالمستحق للشرف إنما هو عربية إسماعيل ، فيمتاز بنوه بما تقدم .

وقال ابن دريد في الوشاح : أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان ، ثم إسماعيل ، ونقل ابن هشام عن الشرق أن عرييه إسماعيل كانت أفصح من عربية يعرب بن قحطان وبقايا حمير وجرهم ، وكله جارٍ على خلاف ما قدمناه من أن العرب كلها من ولد إسماعيل ، والله أعلم .

وأم الأنصار في قول الكلبي : قَيْلَة بنت عمرو بن جَفْنَة ، وقال ابن حزم : أم الأنصار هي بنت الأرقم بن عمرو بن جَفْنَة بن عمرو مُزَيْقياء ، ويقال : بنت كاهل بن ونسبها

عذرة من قُضَاعَة ، وقضاعة من حمير عند الأكثر ، واشتهرت الأنصار ببني قَيْلَة ولهم يقول القائل :

بَهَائِلُ من أولاد قَيْلَة ، لم يَجِدْ عليهم خَلِيطٌ من مَخَالِطِ عَثَبَا  
مَطَاعِيمُ في المَقَرَى ، مطاعين في الوغَى ، يَرَوْنَ عليهم فَعَلَ آبَاؤُهُمْ نَجْبًا<sup>(١)</sup>  
وذكر رزين عن الشرقي عقب ما قدمناه عنه من أن الأنصار أصلهم الأوس  
والخزرج وهما من ولد ثعلبة بن عمرو ، فقال : فَوُلِدَ لثعلبة بن عمرو بن حارثة  
الأوسُ والخزرج ، وأمه قَيْلَة ؛ فولد الأوس مالكا ، ومن مالكا قبائل الأوس  
كلها ، فولد لمالك عمرو وعوف ومرة ، ويقال لهم أوس الله ، وهم الجعادرة ، سمو  
بذلك لقصر فيهم .

قلت : وسيأتي ما يخالف هذا مع بيان قبائل الأوس المنتشرة من هؤلاء .  
وروى الخرائطي أنه لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو الوفاة  
اجتمع عليه قوم — هـ ، فقالوا : قد حضر من أمر الله ما ترى ، وقد كنا نأمرك في  
شبابك أن تتزوج فتاة ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين وليس لك ولد غير  
مالك ، فقال : لن يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، إن الذي يخرج النار من الرينة<sup>(٢)</sup>  
قادر أن يجعل لمالك نسلا ، ورجالا بُسْلا ، وكل إلى موت ، ثم أقبل على مالك  
فقال : أي بُنَى ، المنية ولا الدَّيْنِيَة ، وذكر حكما سجع بها ، قال : ثم  
أنشأ يقول :

شَهِدْتُ السَّبايا يوم آلٍ مُحَرَّقِ وَأَدْرَكَ عُمرِي صَنِيعَةَ الله في الحِجْرِ  
فلم أر ذا مُلْكٍ من النَّاسِ واحداً ولا شوقه إلا إلى الموت والقبر  
فَعَلَّ الذي أَرَدَى ثموداً وَجَرُّها سَيِّعَتُ لِي نَسْلا على آخر الدهر  
تَقَرَّبَهُم من آل عمرو بن عامر عيون لدى الداعي إلى طلب الوترِ  
فإن تكن الأيام أَبْلَيْنَ جِدَّتِي وشين رأسي والمشيبُ مع العمر

(١) المَقَرَى : اسم مكان من القرى ، وهو الضيافة ، والنجب ، بالفتح ، النذر  
أراد أنهم يرون الاقتداء بآبائهم نذراً يجب الوفاء به . (٢) كذا

فإن لنا رباً علا فوق عرشِهِ      علياً بما يأتي من الخير والشر  
 ألم يأت قومي أن الله دَعَوَةٌ      يفوز بها أهلُ السعادة والبرِّ  
 إذا بُعِثَ المبعوث من آل غالب      بمكة فيما بين زمزم والحِجْرِ  
 هنالك فابغُوا نصرَه ببلادكم      بنى عامر؛ إن السعادة في النصر<sup>(١)</sup>  
 ثم قضى من ساعته .

وقال ابن حزم : إن بنى عامر بن عمرو بن مالك بن الأوس كانوا كلهم بعمان  
 لم يكن منهم بالمدينة أحد ؛ فليسوا من الأنصار .  
 قال الشرقى : وولد الخزرج بن حارثة أخو الأوس أيضاً خمس بنين ، وتفرقوا  
 بطوناً كثيرة .

قلت : وهم عمرو ، وعوف ، وجُشَم ، وكعب ، والحارث ، وسيأتى بيان  
 ما انتشر من قبائلهم .

وقال ابن حزم : إن عقب السائب بن قطن بن عوف بن الخزرج لم يكن  
 منهم أحد بالمدينة ، كانوا بعمان ؛ فليسوا من الأنصار ، وذكر نحو ذلك فى بعض  
 بنى الحارث بن الخزرج الأكبر كما سيأتى ، وذكر أيضاً أن بعض بنى جَفَنَةَ بن  
 عمرو مزيقياء كانوا بالمدينة فى عداد الأنصار ، والله أعلم .

#### الفصل الرابع

فى تمكّنهم بالمدينة ، وظهورهم على يهود ، وما اتفق لهم مع تبع  
 قال الشرقى : لما قدمت الأوس والخزرج المدينة تفرقوا فى عالياتها وسافلتها ،  
 ومنهم من نزل مع قوم من بنى إسرائيل فى قراهم ، ومنهم من نزل وحده لا مع  
 بنى إسرائيل ولا مع العرب الذين كانوا قد تألفوا إلى بنى إسرائيل ، وكانت  
 الثروة فى بنى إسرائيل ، كانوا نيفاً على عشرين قبيلة ، ولهم قُرَى أعدوا بها  
 الآطام ، فنزلت الأوس والخزرج بينهم وحواليهم .

(١) ابغوا : اطلبوا ، يأمرهم إذا بعث النبى العربى أن ينصروه ويؤيدوه .

وقال ابن زبالة عن مشيخة من أهل المدينة قالوا : أقامت الأوس والخزرج بالمدينة ، ووجدوا الأموال والآطام والنخيل في أيدي اليهود ، ووجدوا العدد والقوة معهم ، فكثت الأوس والخزرج ما شاء الله ، ثم إنهم سألوهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفاً يأمن به بعضهم من بعض ، ويمتنعون به من سواهم ، فتعاقدوا وتحالفوا واشتركووا وتعاملوا ، فلم يزالوا على ذلك زمناً طويلاً ، وأمرت<sup>(١)</sup> الأوس والخزرج وصار لهم مال وعدد ، فامارات قريظة والنضير حاهم خافوهم أن يغلبوهم على دورهم وأموالهم ، فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم ، وكانت قريظة والنضير أعداء<sup>(٢)</sup> وأكثر ، وكان يقال لهما الكاهنان ، وبنو الصريح ، وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم مثنياً عليهم :

كنا إذا رامنا قومٌ بمظامة شدت لنا الكاهنان الخيل واعتزموا  
نسوا الرهون وآسونا بأنفسهم بنو الصريح فقد عفوا وقد كرموا

فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم خائفين أن تجلبهم يهود ، حتى نجح<sup>(٣)</sup> منهم مالك بن العجلان أخو بني سالم بن عوف بن الخزرج وسودده<sup>(٤)</sup> الحيان الأوس والخزرج ، وكان الفطيوون — أى بالنساء المكسورة ، وقال ياقوت : الفيطوان — ملك اليهود بزهره ، وكانت لا تهدي عروس بيثرب من الحيين الأوس والخزرج حتى تدخل عليه فيكون هو الذي يفتضها قبل زوجها ، فتزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من قومها ، فبينما مالك في نادى قومه إذ خرجت أخته فضلاً ، فنظر إليها أهل المجلس ، فشق ذلك على مالك ، ودخل فعنفها وأنها ، فقالت : ما يصنع بي غداً أعظم من ذلك ، أهدى إلى غير زوجي ، فلما أمسى مالك اشتمل على السيف ودخل على الفطيوون متكرراً مع النساء ، فلما خف من<sup>(٥)</sup> عنده عدا عليه فقتله وانصرف إلى دار قومه ، ثم بعث هو

قصة الفطيوون  
ملك اليهود  
الطاغية

(١) أمرت - بكسر الميم - زادت وكثرت . (٢) أعد : أكثر عدداً  
(٣) نجم : ظهر . (٤) سودده : صيره سيدياً عليهم . (٥) خف من عنده : ذهبوا

وجماعة من قومه إلى مَنْ وقع بالشام من قومهم يخبرونهم بحالهم ويشكون إليهم غلبة اليهود ، وكان رسولهم الرمق بن زيد بن امرئ القيس أحد بني سالم بن عوف بن الخزرج ، وكان قبيحاً دميماً شاعراً بليغاً ، فمضى حتى قدم على أبي جُبَيْلَة أحد بني جُشَم بن الخزرج الذين ساروا من يثرب إلى الشام ، وقال بعضهم : كان أبو جُبَيْلَة من ولد جَفْنَة بن عمرو بن عامر قد أصاب ملكاً بالشام وشرقاً . قلت : قد تقدم أن أبناء جَفْنَة من غَسَّان ، وكانوا بالشام ملوكاً .

ولم ذكر ابن حزم<sup>(١)</sup> بني جُشَم بن الخزرج قال : فولد جُشَم غضب ، فولد غضب مالك ، فولد مالك عبد حارثة ، فولد عبد حارثة حبيب ، فولد حبيب عبد الله ، فولد عبد الله أبا جُبَيْلَة الملك الغساني الذي جَلَبَه مالكُ بن العَجْلان لقتل اليهود ، انتهى .

وفيه نظر ؛ إذ ليس من بطون الخزرج غساني كما يؤخذ مما قدمناه عن ابن حزم أيضاً ، والمشهور ما قدمناه ، قالوا : فشكا إليه حالهم وغلبة اليهود عليهم ، وما يتخوفون منهم ، وأنهم يخشون أن يخرجوهم . وأنشده من شعره . فتعجب من شعره وبلاغته وقبحه ودمايته ، وقال : عَسَل طيب في وعاء خبيث . فقال الرمق : أيها الملك ، إنما يُحْتَاج من الرجل إلى أَصْغَرِيهِ لسانِهِ وقلبه . فقال : صدقت ؛ وأقبل أبو جُبَيْلَة في جمع كثير لنصرة الأوس والخزرج . كذا قاله ابن زبالة .

وقد نقل رزين عن الشرقى ما يقتضى أن مالك بن العجلان هو الذي توجه بنفسه ، وأن ما ذكر من سيرة الفُطَيْوُن في افتضاض الأبقار إنما كانت في غير الأوس والخزرج ، وأنه أراد أن يسير فيهم بذلك ، فقتله مالك بن العجلان ، فإنه قال : إن الفطيوون كان قد شَرَطَ أن لا تدخل امرأة على زوجها حتى تدخل عليه ، فلما سكن الأوسُ والخزرجُ المدينةَ أراد أن يسير فيهم بتلك السيرة ؛ فزوجت أخت مالك بن العجلان رجلاً من بني سليم ، فأرسل الفُطَيْوُنُ رسولا في ذلك

(١) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٣٣٦

وكان مالك أخوها غائباً ، فخرجت تطلبه ، فمرت بقوم أخوها فيهم ، فنادته ، فقال أخوها : لقد جئت بسببة ياهنتاه ، تناديني ولا تستحي ؟ فقالت : الذي يراد بي أكبر ، فأخبرته ، فقال لها : أكفيك ذلك ، فقالت : وكيف ؟ فقال : أترياً بزى النساء وأدخل معك عليه بالسيف فأقتله ، ففعل ، ثم خرج حتى قدم الشام فنزل على أبي جُبَيْلة ، وكان نزها حين نزلوا هم المدينة ، فجيش جيشاً عظيماً ، وأقبل كأنه يريد اليمن واختفى معهم مالك بن العَجَلَان ، فجاء فنزل بذى حُرْض ، وأرسل إلى أهل المدينة من الأوس والخزرج فأتوا إليه فوصلهم وأعطاهم ، ثم أرسل إلى بنى إسرائيل — يعنى اليهود — وقال : مَنْ أراد الحباء <sup>(١)</sup> من الملك فليخرج إليه ، وإنما فعل ذلك خيفة أن يتحصنوا فى الحصون فلا يقدر عليهم ، فخرج إليه أشراف بنى إسرائيل كلهم ، فأمرهم بطعام حتى اجتمعوا ، فقتلهم من عند آخرهم ، فلما فعل ذلك صار الأوس والخزرج أعز أهل المدينة ؛ ففى ذلك يقول التَّالُوى يمدح مالكا فيما فعل :

فليشهدنَّ بما أقولُ عصابةً      بَلَوِيَّةٌ وعصابة من سالم  
هل كان للفِطْيُونِ عُقرنساكم      حكم النصيب وليس حكم الحاكم  
حتى حباه مالكٌ عن عرسِهِ      حمراء تضحك عن نجيع قائم

ثم ذكر أرباباً نسبها إلى أبي يزيد بن سالم أحد بنى سالم بن عوف بن الخزرج مدح بها أبا جُبَيْلة ونسبها ابنُ زبالة للرمق فإنه قال : إن الأوس والخزرج قالوا لأبي جُبَيْلة لما قدم لنصرهم : إن علم القوم ما تريد تحصنوا فى أطامهم فلم تقدر عليهم ، ولكن ادعهم للقائك وتلطفهم حتى يأمنوك ويعطئوك فتستمكن منهم ، فصنع لهم طعاماً وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم ، فلم يبق من وجوههم أحد إلا أتااه ، وجعل الرجل منهم يأتى بجماعته وحشمه <sup>(٢)</sup> رجاء أن يحبهم ، وكان قد بنى لهم حيزاً وجعل فيه قوماً فأمرهم أن يقتلوا مَنْ دخل عليهم منهم ، ففعلوا حتى أتوا على

(١) الحباء — بزنة الكتاب — العطاء

(٢) حامة الرجل : خاصته من أهله وولده ، والحشم : كالخدم وزنا ومعنى



وجوههم ورؤسائهم ، فمزت الأوس والخزرج بالمدينة ، واتخذوا الديار والأموال والآطام ، فقال الرميثي على أبي جُبَيْلَة :

لم تقض دينك من حسان      وقد عنيت وقد عنينا  
قضيت همك في الحسان      فقد عنيت وقد عنينا

وفي رواية رزين :

الراشقات المرشقا      تالجازيات بماجزينا  
أمثال غزلان الصّرا      ثم يأتزرن ويرتدينا  
الرّيظ والديباج      والحقى المفصل والبرينا<sup>(١)</sup>  
وأبو جُبَيْلَة خير من      يمشى ، وأوفاه يميننا  
وأبرئهم براً وأعلمهم بهدى الصالحينا  
القائد الخليل الصوا      نع بالكماة المعلمينا  
أبقت لنا الأيام      والحرّبُ الملمة تفترينا  
كباشاً له در يغفل      متونها الذكر السميننا  
ومعاقلاً شماً وأسيفاً      يقمن وينحنينا  
ومحالة زوراء      تنجحف بالرجال الظالمينا

وفي بعض الروايات أن مالك بن العجلان لما قتل الفطيمون قصد اليمن إلى تبع الأصغر ؛ فشكا إليه ما كان الفطيمون يسير فيهم ، فعاهد أن لا يقرب امرأة ولا يمس طيباً ولا يشرب خمرًا حتى يسير إلى المدينة ويذل من بها من اليهود ؛ ففعل ذلك .

وذكر ابن قتيبة في معارفه تبع بن حسان ، قال : وهو تبع الأصغر آخر التبابعة ، وذكر أنه صار إلى الشام وملكها غسان فأطاعته ، قال : وصار إلى ابن أخيه الحارث وهو بالمستقر من ناحية هجر فأتاه قوم كانوا وقعوا إلى يثرب ممن

(١) البرين : جمع برة - بضم الباء وفتح الراء مخففة - كل حلقة من سوار أو قرط أو خلخال ، وتجمع أيضاً على برى مثل مدى

خرج مع عمرو مزيقياء وحالفوا اليهود ييثرب - أي وهم الأنصار - فشكوا اليهود ، وذكروا سوء مجاورتهم ، ونقضهم الشرط الذي شرطوه لهم عند نزولهم ، ومثوا<sup>(١)</sup> إليه بالرحم ، فأخفظه ذلك<sup>(٢)</sup> ، فصار إلى يثرب ونزل في سَفْحِ أَحَدٍ ، وبعث إلى اليهود ، فقتل منهم ثلاث مائة وخمسين رجلاً صَبْرًا ، وأراد خرابها ، فقام إليه رجل من اليهود قد أتت عليه مائتان وخمسون سنة فقال : أيها الملك ، مثلك لا يقتل على الغضب ، وأمرك أعظم من أن يطير بك برق أو يسرع بك لجاج ، فإنك لا تستطيع أن تخرب هذه القرية ، قال : ولم ؟ قال : لأنها مأجَرُ نبي من ولد إسماعيل يخرج من عندهذه البَيْتَةِ ، يعنى البيت الحرام ، فكفَّ تبع ومضى ومعه هذا اليهودي ورجل آخر من اليهود عالم ، وهما الخبران ، فأتى مكة ، وكسا البيت ثم رجع إلى اليمن ومعه الخبران وقد دَانَ بدينهما وآمن بموسى صلى الله عليه وسلم ، اه .

فلعل مالك بن العجلان كان قد توجه إلى جهة ملك غَسَّان وبها تُبَعِّع المذكور فوقع من كل منهما نصره ، فأضافه قوم إلى تبع ، وقوم إلى أبي جُبَيْلَةَ الغساني . قالوا : ولعننا اليهودُ مالكَ بن العجلان في كنائسهم وبيوت عباداتهم ، فبلغه ذلك ، فقال :

تحامى اليهود بَتَلْعَانِيَا تحامى الحمير بأبوالها<sup>(٣)</sup>  
وماذا على بأن يلعنوا وتأتى المنايا بإذلالها

وقالت سارة القرظية ترى من قتل من قومها :

بأهلي رِمَّةٌ لم تنغن شيئًا بذى حرض تعفَّيها الرياحُ  
كهول من قريظة أتلفتهم سيوف الخزرجية والرماحُ  
ولو أذنوا بأمرهم كَلَّاتِ هنالك دونهم حرب رَدَّاحُ<sup>(٤)</sup>

قال أهل السير : ثم انصرف أبو جُبَيْلَةَ راجعا إلى الشام ، وقد ذلَّ الحجاز والمدينة ، ومَهَّدَهَا للأوس والخزرج .

(١) تقول : مت فلان إلى فلان بأصرة ، تريد أنه وصل نفسه به (٢) أخفظه : أغضبه

(٣) التلعان : اللعن (٤) حرب رَدَّاح - بزنة سحاب - ثقيلة تضم كتائب جرارة

ونقل المجد عن ياقوت أن تُبَعَّا كان بالمدينة ، فإنه قال : وعكس ياقوت قصة افتضاض الأبقار ؛ فجعل أنها كانت باليامة ، وأن أهل المدينة مع تُبَعِّع هم الذين أزالوا هذه الفضيحة من اليامة ، ثم أورد كلام ياقوت ، وليس مضمونه ما ذكره ؛ بل مضمونه أن مَنْ كان يُفَعِّلُ فيهم هذه الفضيحة باليامة احتالوا في دفعها وقتلوا من كان يفعل بهم ذلك وغلبوا عليهم ، فهرب منهم شخص ولحق بتبع فنصره تبع مع أهل المدينة ، وهو خبر ممتنع فلم يورده تبع المجد ، قال ياقوت : إن طَسَمًا وجد يسا من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام أقاموا باليامة ، وكثروا بها ، حتى ملكوا عليهم عمليق الطَّسَمِي - وكان جبارا غشوما ، وكان قد قضى بقضاء جائر بين امرأة وزوجها من جديس ، فأنشدت المرأة أبياتا بلغته ، فأمر ألا لا تُزَوَّجَ بكر من جديس حتى تدخل عليه فيكون هو الذي يفتريها<sup>(١)</sup> - ولقوا منه ذلا ، حتى زوجت منهم أخت الأسود بن غفار سيد جديس ، وكان جَلْدًا ، فلما كانت ليلة الإهداء خرجت والقيان<sup>(٢)</sup> حولها لتُحْمَلَ إلى عمليق وهن يضربن بمعازفهن ويَقْلُن :

أَبْدَى بِعَمَلِيقٍ وَقُوْمِي فَارْكَبِي      وَبَادِرِي الصَّبْحَ بِأَمْرِ مَعْجَبٍ  
فَسَوْفَ تَلْقَيْنَ الَّذِي لَمْ تَطْلُبِي      وَمَا لِبَكْرٍ دُونَهُ مِنْ مَهْرَبٍ  
ثم أدخلت على عمليق فافتريها ، وقيل : كانت أَيْدَةً<sup>(٣)</sup> ، فامتنعت عليه ، فخاف العار فَوَجَّأَهَا<sup>(٤)</sup> بحديدة في قُبْلِهَا فأدماها ، فخرجت وقد تقاصرت إليها نفسها فشَقَّتْ ثوبها من خلفها ودماؤها تسيل ، فمرت بأخيها في جمع من قومه وهي تبكي وتقول :

لَا أَحَدٌ أَذَلَّ مِنْ جَدِيسٍ      أَهْلُكَذَا يَفْعَلُ بِالْعُرُوسِ<sup>(٥)</sup>

في أبيات ، فأغضب ذلك أخاها ، ووقفها على نادى قومه ، وهي تقول :

(١) يفتريها : يفتضها ويزيل بكارتها (٢) القيان : جمع فينة ، وهي الجارية المغنية

(٣) أَيْدَةً : شديدة قوية (٤) وَجَّأَهَا : ضربها ووخزها

(٥) ذكر ياقوت مع هذا البيت بيتين آخرين (٥٧/٨)

أَيَحْمِلُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى فَتَيَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رَجَالٌ فِيكُمْ عَدَدُ الرَّمْلِ (١)  
 أَيَحْمِلُ تَمْشِي فِي الدِّمَا فِتْيَاتِكُمْ صَبِيحَةَ زُفَّتْ فِي الْعِشَاءِ إِلَى بَغْلِ (٢)  
 فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَغْضَبُوا بَعْدَ هَذِهِ فَكُونُوا نِسَاءً لَا تَغِبُ مِنَ الْكُحْلِ  
 وَدُونَكُمْ ثَوْبَ الْعُرُوسِ فَإِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِأَثْوَابِ الْعُرُوسِ وَلِلْفِغْلِ  
 فَلَوْ أَنْتُمْ أَكُنَّا رَجَالًا وَكُنْتُمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقْرُ عَلَى الذَّلِّ  
 فَمُوتُوا كِرَامًا أَوْ أَمِيتُوا عَدُوَّكُمْ وَكُونُوا كُنَارِ شَبِّ الْحَطَبِ الْجَزَلِ  
 وَإِلَّا فَخَلَوْا بَطْنَهُمْ وَتَحَمَّلُوا إِلَى بَلَدٍ قَفَرٍ وَهَزَلٍ مِنَ الْهَزَلِ  
 فَلَمُوتَ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى أَذَى وَلِلْفَقْرِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى مُسْكَلٍ (٣)  
 فَدَبُّوا إِلَيْهِ بِالصَّوَارِمِ وَالْقَنَاقِ وَكُلُّ حُسَامٍ مُحَدَّثِ الْعَهْدِ بِالصَّقْلِ  
 وَلَا تَجْزَعُوا لِلْحَرْبِ قَوْمِي فَإِنَّمَا يَقُومُ رَجَالٌ لِلرَّجَالِ عَلَى رَجُلٍ  
 فِيهِلَاكٌ فِيهَا كُلُّ وَغْلٍ مَوْا كُلِّ وَيَسْلُمُ فِيهَا ذُو الْجِلَادَةِ وَالْفَضْلِ  
 فَامْتَلَأَتْ جَدِيسٌ غِيظًا ، وَنَكَسُوا رُءُوسَهُمْ حَيَاءً ، وَتَشَاوَرُوا فِي الْأَمْرِ ، فَقَالَ  
 الْأَسْوَدُ : أَطِيعُونِي فَإِنَّهُ عِزُّ الدَّهْرِ ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَصْنَعَ لِلْمَلِكِ طَعَامًا ثُمَّ أَدْعُوهُ  
 وَقَوْمَهُ ، فَإِذَا جَاؤُنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ ، وَقَامَ كُلُّ مَنْكَمٍ إِلَى رَئِيسٍ مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، فَلَا يَبْقَى  
 لِلْبَاقِينَ قُوَّةٌ ، فَتَهَنَّتُهُمْ أُخْتُ الْأَسْوَدِ عَنِ الْغَدْرِ ، وَقَالَتْ : نَاجِزُوهُمْ فَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ  
 يَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ لظلمهم ؛ فَعَصَوْهَا فَقَالَتْ :  
 لَا تَغْدِرُنَّ فَإِنَّ الْغَدْرَ مَنَقَصَةٌ وَكُلُّ عَيْبٍ يُرَى عَيْنًا وَإِنْ صَغُرَا  
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ تِلْكَ غَدَاً وَفِي الْأُمُورِ تَدَايِيرُ لِمَنْ نَظَرَا  
 حُشُّوا سَعِيرًا لَهُمْ فِيهَا مُنَاجَزَةٌ فَكَلِّمُوا بِاسْلُ أَرْجُو لَهُ الظَّفَرَا (٤)  
 فَأَجَابَهَا أَخُوهَا :

شَتَانُ بَاغٍ عَلَيْنَا غَيْرُ مَتْنَدٍ يَغْشَى الظَّلَامَةَ لَا يَبْقَى وَلَنْ يَذَرَا  
 إِنَّا لَعَمْرُكَ لَا نَبْدِي مُنَاجَزَةً نَخَافُ مِنْهَا صُرُوفَ الدَّهْرِ مِنْ ظَفَرَا

(١) حفظي من عهد الطلب « أَيَحْمِلُ مَا يَأْتِي إِلَى فَتَيَاتِكُمْ »  
 (٢) حفظي « وَتَصْبِحُ تَمْشِي فِي الدِّمَا عَفِيرَةً » (٣) فِي يَاقُوتَ « وَلِلْهَزَلِ خَيْرٌ مِنْ مَقَامٍ عَلَى مُسْكَلٍ »  
 (٤) حَشَّ النَّارَ : أَوْقَدَهَا ، وَفِي الْمَطْبُوعَاتِ « جِيشُوا » وَفِي يَاقُوتَ « حَسُوا »  
 وَكِلَاهُمَا تَطْيِيعٌ .

إني زعيم بطسم حين تحضرنا عند الطعام بضرب يهتك الفقر<sup>(١)</sup>  
وصنع الأسود الطعام ، ودفن كل منهم سيفه تحته في الرمل مُجَرَّدًا ، فلما  
جلس الملك وقومه للأكل وثبت عليهم جدبس حتى أبادوهم ، ثم قتلوا باقيهم ،  
فهرب رجل من طسم حتى لحق بتبع تبان أسعد بن كلبيكرب ، وقيل :  
بحسان بن تبع الحيرى وكان بالمدينة ، فاستغاثه ، وذكر آياتا فيها غدرُ جدبس  
بهم ، فوعده بنصره ، ثم رأى منه تباطؤاً فقال :

إني طلبت لأوتارى ومظلمتي بآل حسان آل العز والكرم  
المنعمين إذا ما نعمة ذكرت والواصلين بلا قرُبي ولا رحم

قصة  
زرقاء اليمامة

في آيات أخرى ، فسار تبع من المدينة في جيوشه ، حتى [إذا] كان عند جبل على  
ليلة من اليمامة قال له الطسمى : توقف أيها الملك فإن لى أختا متزوجة في جدبس  
يقال لها يمامة أبصر خلق الله على بعد ، وإني أخاف أن ترانا فتُنذِرهم بنا ، فأقام  
تبع ، وأمر رجلا فصعد الجبل ليرى ما هناك ، فدخل في رِجله شوكة بالجبل ،  
فأكب يستخرجها ، فأبصرته اليمامة ، وكانت زرقاء العين ، فقالت لهم : إني أرى  
على الجبل الفلاني رجلا وما ظنه إلا عينا<sup>(٢)</sup> ، فقالوا : ما يصنع ؟ فقالت : إما يَخْصِف<sup>(٣)</sup>  
نَعْلًا أو يَنْهَشُ كَتِفًا ، فكذبوها ، ثم قال الطسمى لتبع : إن بصرها بالليل أنفذ  
فر أصحابك ليقطعوا من الشجر أغصانا ليستروا بها فيشبهوا<sup>(٤)</sup> عليها الأمر ، ففعلوا ،  
حتى إذا دنوا من اليمامة ليلا ؛ فنظرت اليمامة فقالت : يا جدبس سارت إليك  
الشجر ، أو جاءكم أوائل خيل حمير ، فكذبوها ، فصَبَّحتهم حمير ، فهرب  
الأسود في نفر من قومه لجبل طيء وفتح أهل المدينة حصون اليمامة ، وامتنع  
عليهم حصن زرقاء اليمامة ؛ فصابره تبع حتى افتتحه ، وقبضَ عليها ، وسألها :  
كيف أبصرتهم ؟ فأخبرته بخبر الذي صعد الجبل ، فسأله تبع ، فقال : صعدت  
فانقطع شِرَاكُ نعلي وأصابتنى شوكة ؛ فعالجت إصلاحها وإصلاح قبالي بقمي ،

(١) الفقر : جمع قفرة ، وهى الواحدة من خرزات الظهر

(٢) العين ، هنا : الجاسوس (٣) يَخْصِف : يرقع (٤) يشبهوا عليها : يلبسوا عليها الأمر

فقال لها: أنى لك هذا<sup>(١)</sup>؟ قالت: كنت آخذ حَجَرًا أَسود فأدقّه وأكتمحل به: فكان يقوى بصرى، فيقال: إنها أول من اكتحل بالإثمد، فأمر تبع بقلع عينيها ليرى ما فيهما، فوجد عروقهما كلها محشوة بالإثمد، وخربت اليمامة يومئذ؛ لأن تبعًا قتل أهلها، ولم يخلف بها أحدا، ورجع إلى المدينة.

هذا ما ذكره المجد عن ياقوت باختصار، وليس فيه عكس القضية؛ فيجوز أن يقع بكل من اليمامة والمدينة مثل هذا، والظاهر أن قصة اليمامة كانت بعد قصة المدينة.

ونقل رزين عن الشرق أن أباجبيلة لما فرغ من نصر أهل المدينة رجع إلى الشام؛ فأقبل تبع الأخير - وهو كرب بن حسان بن أسعد الحميري، والتبابعة كلهم من حمير - يريد المشرق كما كانت التبابعة تفعل؛ فمرّ بالمدينة، فحلف فيها ابنا له ومضى حتى قدم الشام، ثم سار حتى قدم العراق، فلما كان بالعراق قُتِلَ ابنه بالمدينة غيلة<sup>(٢)</sup> فأقبل راجعا يريد تخريب المدينة، فنزل بسفح أحد، فاحتفر بئرا ثم أرسل إلى أشرف المدينة، فلما جاءهم الرسول قال بعضهم: إنما أراد أن يملكنا على قومنا، وقال أحيدة: والله ما دعاكم لخير، وكان لأحيدة رثى من الجن<sup>(٣)</sup> فخرجوا وخرج أحيدة معه بقينة وخرم وخباء، فضرب الخباء وجعل فيه القينة والخمر، ثم دخل على تبع أول الناس. فتحدث معه، ففطن بالشر، ثم قال: إن أصحابي يبصّلونك إلى الظهر، فاستأذن في الخروج إلى الخيمة، فأذن له، فشرب وجعلت القينة تُغْنِيهِ بأبيات صنّعها لها تقول:

- 
- (١) أنى لك هذا: من أين لك هذا، وفي القرآن الكريم: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال: يا مريم أنى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله) (٢) قتله غيلة: أى غدرًا من غير أن يظهر القاتل له ويناجزه (٣) كان أهل الجاهلية يعتقدون أن لكل كاهن صاحبًا من الجن يسترق له السمع ويلقى عليه ما يسمعه، وقد حكى القرآن الكريم استراق السمع على لسان الجن.

لتبكِني قينة ومزهرها وتبكِني قهوة وشاربها  
وتبكِني عصبه إذا اجتمعت لا يعلم الناس ما عواقبها

وهو يقلُّ من الشراب ، وجاء أصحابه قريبا من الليل ، فأمر لهم تبعٌ بضيافة ، فلما كان في جوف الليل أرسل إليهم ليقتلهم ، ففطن أحبيحة ، فقال للقينة : أنا سائر إلى أهلي ، فإذا طلبني الملك فقل : هو نائم ، فإذا ألحوا فقل : يقول لك : أما أحبيحة فقد ذهب فاغدرْ بقينته أو دَعْ ، وانطلق فتحصن في حصنه ، فحاصروه ثلاثا يقاتلهم بالنهار ، وإذا كان بالليل يرمي إليهم بتمر ويقول : هذا ضيافتكم . فأخبروا تبعا أنه في حصن حصين ، فأمرهم أن يحرقوا نخله ، واشتعلت الحرب بين تبع وأهل المدينة من اليهود والأوس والخزرج ، وتحصَّنوا في الآطام ، فخرج رجل من أصحاب تبع حتى جاء بني عدي بن النجار ، فدخل لهم حديقة ، فرقى على عذق منها . فأخذ يحمده <sup>(١)</sup> ، فنزل إليه صاحب العذق فقتله وجره إلى بئر وألقاه فيها ، وهو يقول :

جانا يجدُ نخيلنا وكان الجداد لمن قد أبر <sup>(٢)</sup>

فزاد ذلك تبعا حنقا <sup>(٣)</sup> ، وجرد إلى بني النجار خيلا ، فقاتلهم بنو النجار ورئيسهم يومئذ عمرو بن طلحة أخو بني معاوية بن مالك بن النجار ، ورمى عسكر تبع حصون الأنصار بالنبل ، فلقد جاء الإسلام والنبل فيها ، وجزع في القتال فرس تبع خلف لا يبرح حتى يخربها بزعمه ، فسمع بذلك أحبار من اليهود فنزلوا إليه وقالوا : أيها الملك إن هذه البلدة محفوظة ، فإننا نجد اسمها في الكتاب طيبة ، وإنها مهاجر بني <sup>(٤)</sup> من بني إسماعيل من الحرم ، وهي تكون قراره فلن تسلط عليها ، فأعجب تبع بقولهم ، فصرف تبع نيته عنها ، وأمر أهل المدينة فتبايعوا مع العسكر ، وكان تبع قد استوبا

(١) يحمده : يقطعه ، والعذق ، بالكسر : سباطة النخل

(٢) أبر النخل يأبره - من باب ضرب - أصلحه ، والبيت لا يستقيم صدره مع عجزه

(٣) الحنق - بالتحريك - الغضب (٤) مهاجر بني : مكان هجرته

بثره<sup>(١)</sup> التي حفر، ففرض، فجاءته امرأة من بنى زريق اسمها فكهة براوية<sup>(٢)</sup> من بئر رؤومة فأعجبه فاستلذه، فلما كان رجليه قال لها: يافكهة ما تترك في موضعنا من شيء إذا رحلنا فهو لك، فأخذت ذلك، فاستغنت منه، وخرج تبع يريد اليمن ومعه من الأخبار الذين نهوه عن خراب المدينة رجلان أو ثلاثة، فقال لهم: تسيرون معي أياما آنسُ بمحدثكم، فكانوا يحدثونه عن الكتاب وعن قصة النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يتركهم حتى وصلوا معه إلى اليمن؛ فهم كانوا أول يهودي دخل اليمن، واتفق في مسيره قصة إكسانه الكعبة.

وقد قدمنا في بعض الروايات أن مالك بن العجلان لما قتل ملك اليهود قصد اليمن إلى تبع الأصغر، وأنه الذي نصرهم على يهود، ولعل هذا مراد ياقوت لقوله «إن يهود كانوا أهل المدينة حتى أتاهم تبع فأزل معهم بنى عمرو بن عوف» لكن نقل المجد وغيره عن المبتدأ لابن إسحاق أنه قال في بيت أبي أيوب الذي نزل به النبي صلى الله عليه وسلم متقدمة<sup>(٣)</sup> المدينة: إن تبعاً الأول بناه لما سر بالمدينة، قال في المبتدأ: واسمه تبان أسعد بن كل-كيس كرب، وكان معه أربع مائة عالم، فتعاقدوا على أن لا يخرجوا منها، فسألهم تبع عن سر ذلك، فقالوا: إنا نجد في كتبنا أن نبياً اسمه محمد هذه دار مهاجرة؛ فنحن نقيم لعل أن نلقاه، فأراد تبع الإقامة معهم، ثم بنى لكل واحد من أولئك دارا واشترى له جارية وزوجها منه وأعطاه مالا جزيلا، وكتب كتاباً فيه إسلامه، ومنه:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم<sup>(٤)</sup>  
فلو مدَّ عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه إلى كبيرهم، وسأله أن يدفعه إلى النبي صلى الله عليه

(١) استوبأه: وجده وبثأه (٢) الراوية: المزايدة مملوءة ماء

(٣) مقدمة المدينة: يعني في وقت قدومه إليها.

(٤) الباري: أصله الباريء، ومعناه الخالق، والنسم: جمع نسمة



وسلم إن أدركه ، وإلا فَمَنْ أدركه من ولده أو ولد ولده ، وَبَنَى للنبي صلى الله عليه وسلم دارا لينزلها إذا قدم المدينة ، فتداول الدارَ الملاكُ إلى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم ، وأهل المدينة الذين نصره كلهم من أولاد أولئك العلماء ، انتهى .

زاد غير المجحد : ويقال : إن الكتاب الذي فيه الشعر كان عند أبي أيوب حين نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعه له ، وهو غريب ، وكتب التواريخ متظاهرة<sup>(١)</sup> على ما قدمناه في أمر الأنصار ونسبهم .

وقد ذكر السهيلي إيمان تَبَعَ بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر البيهقي ، وروى حديث « لَا تَسُبُّوا تَبِعًا فَإِنَّهُ كَانَ مُؤْمِنًا » .

وروى عبد الرزاق عن وَهْب بن منبه قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد وهو تبع . قال وهب : وكان على دين إبراهيم .

وروى أحمد من حديث سهل بن سعيد رفعه « لَا تَسُبُّوا تَبِعًا فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ » وأخرجه الطبراني من حديث ابن عباس مثله ، وإسناده أصلح من إسناد سهل ، وأما ما رواه عبد الرزاق عن أبي هريرة مرفوعا « لَا أَدْرِي تَبِعٌ كَانَ لَعِينًا أَمْ لَا » فمحمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم بحاله .

وقال المرجاني : إن أبا كرب بن أسعد الحميري آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعائة سنة ، وقال : \* شهدت على أحمد — البيهقيين المتقدمين \* وإن أباه أسعد هو تَبِعٌ الذي كسا الكعبة ، ونقله عن حكاية ابن قتيبة ، والذي رأيته في المعارف<sup>(٢)</sup> لابن قتيبة أن أسعد أبا كرب الحميري هو الموصوف بما ذكره ..

(١) متظاهرة : متساندة يقوى بعضها بعضا ؛ لأنها متفقة في هذا الذي يذكره .

(٢) انظر المعارف لابن قتيبة ( طبع الإسلامية في سنة ١٣٥٣ ص ٢٧٤ ) وقد

أشار إلى خلاف فيمن كسا البيت أهو تبع الأوسط أم تبع الآخر ، ولكنه لم يذكر خلافا في أن الذي آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم هو أسعد أبو كرب بن كليكرب ، كما ذكر أن الذي ذهب إلى جديس هو حسان بن تبع

وروى ابن زبالة أن تبعاً لما قدم المدينة وأراد إخراجها جاءه خبر أن من قريظة يقال لها سحيت ومنبه فقالا : أيها الملك انصرف عن هذه البلدة فإنها محفوظة ، وإنها مهاجر نبي من بني إسماعيل اسمه أحمد يخرج في آخر الزمان ، فأعجبه ما سمع منهما ، فصدقهما وكف<sup>(١)</sup> عن أهل المدينة .

#### الفصل الخامس

في منازل قبائل الأنصار بعد إذلال اليهود ، وشيء من آطامهم ، ومادخل بينهم من الحروب ، وهو نافع في معرفة جهات المساجد التي لا تعرف اليوم ، وغير ذلك .  
اعلم أن ابن زبالة نقل ما حصله أن الأوس والخزرج بعد انصراف أبي جُبَيْلَة ونصره لهم تفرقوا في عالية المدينة وسافلتها ، واتخذوا الأموال والآطام ، فنزل بنو عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج الأصغر وبنو حارثة بن الحارث ابن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة فكلاهما من الأوس دَارَ بنى عبد الأشهل قبلى دار بنى ظفر مع طرف الحرة الشرقية ، قاله المطرى ، والذي يظهر لى أن منازلهم كانت قريبة من منازل بنى ظفر فى شاميهما وتمتد إلى الحرة المعروفة اليوم بدشم وما حولها ، بل سيأتى فى ترجمة الخنقاء ما يقتضى أن منازلهم كانت بالقرب من الشيخين<sup>(٢)</sup> . وابتنى بنو عبد الأشهل أطماً يقال له « واقم » وبه سميت الناحية واقما ، وكان لحضير بن سمالك ، وله يقول شاعرهم :  
نحن بنينا واقماً بالحرة      بلأزب الطين وبالأصرة  
وله يقول خُفَّاف بن نَدْبَة :

---

(١) كف عنهم : تركهم

(٢) قال ياقوت (٣١٩/٥) : « شيخان بلفظ تثنية شيخ : كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد ، وهناك عرض الناس فأجاز من رأى ورد من رأى ، قال أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : كنت ممن رد من الشيخين يوم أحد ، وقيل : هما أطان ، سميا به لأن شيخا وشيخة كانا يتحدثان هناك » اهـ .

لَوْ أَنَّ الْمَنَايَا جُزْنَ عَنْ ذِي مَهَابَةٍ      لَهُنَّ حَضِيرًا يَوْمَ أَغْلَقَ وَأَقَامَ<sup>(١)</sup>  
يَطِيفُ بِهِ حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ جَنَّتْهُ      تَبَوَّأَ مِنْهُ مَضْجَعًا مَتْنَعًا  
وَأُطْمَأِئِنَّ لَهُ «الرَّعْلُ» بِالْمَالِ الَّذِي يَقَالُ لَهُ      وَاسْطَ لَصَخْرَةٍ أُمِّ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ ،  
وَلَهُ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ يَوْمَ بُعِثَتْ :

\* نَحْنُ بَنُو صَخْرَةٍ أَرْبَابُ الرَّعْلِ \*

وَأُطْمَأِئِنَّ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَابْتَنَى بَنُو حَارِثَةَ أُطْمَأِئِنَّا سَمَهُ «الْمُسَيَّرُ» صَارَ لِبَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ  
بَعْدَ خُرُوجِ بَنِي حَارِثَةَ مِنْ دَارِهِمْ ؛ فَإِنَّ بَنِي حَارِثَةَ تَحَوَّلُوا مِنْ دَارِهِمْ هَذِهِ إِلَى  
غَرْبِيٍّ مَشْهُدٍ سَيِّدِنَا حِمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَوْضِعِ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بِيَثْرِبَ ؛ فَكَانَتْ  
بِهَا مَنَازِلُهُمْ عَلَى مَا قَدَّمَاهُ مِنَ الْمَطَرِ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ . وَالَّذِي تَحَرَّرَ لِي مِنْ  
مَجْمُوعِ كَلَامِ الْوَاقِدِيِّ وَابْنِ زُبَالَةَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّ مَنَازِلَهُمْ الَّتِي اسْتَقَرُّوا بِهَا وَجَاءَ الْإِسْلَامَ  
وَهُمْ فِيهَا كَانَتْ فِي شَامِيٍّ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بِالْحَرَةِ الشَّرْقِيَّةِ . وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا سَيَأْتِي  
فِي تَرْجُمَةِ الْخَنْدَقِ مِنْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَّهُ مِنْ أَجْمَةِ الشَّيْخِينَ طَرَفَ  
بَنِي حَارِثَةَ كَمَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ .

وَقَدْ قَالَ الْمَطَرِيُّ كَمَا سَيَأْتِي عَنْهُ : الشَّيْخَانِ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَبَيْنَ جَبَلِ  
أَحَدَ ، عَلَى الطَّرِيقِ الشَّرْقِيِّ مَعَ الْحَرَةِ إِلَى جَبَلِ أَحَدَ . وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا أَنَّ الْمَطَرِيَّ قَدْ  
ذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَا إِلَى أَحَدَ يَوْمَ وَقَعَتْهُ عَلَى الطَّرِيقِ الشَّرْقِيِّ  
الْمَذْكُورَةِ ، وَسَيَأْتِي أَنَّهُ بَاتَ بِالشَّيْخِينَ .

وَفِي الْمَعَارِفِ لِابْنِ قَتَيْبَةَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا سَارَتْ قَرِيشٌ لِلْحَرْبِ رَسُولَ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى نَزَلُوا  
بُيُوتَ بَنِي حَارِثَةَ ، فَأَقَامُوا بِقِيَّةِ يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ . ثُمَّ خَرَجَ فِي غَدٍ ، وَذَكَرَ  
الْخَزَالِيُّ<sup>(٢)</sup> عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي ؛ فَتَحَرَّرَ أَنَّ بُيُوتَ بَنِي حَارِثَةَ عِنْدَ الشَّيْخِينَ  
وَفِي نَاحِيَّتِهِمَا .

(١) جَزَنَ عَنْهُ : تَجَاوَزَنَهُ وَلَمْ يَنْزِلْ بِهِ ، وَذُو الْمَهَابَةِ : الَّذِي يَهَابُهُ النَّاسُ وَيَخَافُونَهُ ،  
وَهُنَّ حَضِيرًا : خَفْنَهُ ، وَوَقَعَ فِي الْمَطْبُوعَاتِ «لَهُنَّ حَضِيرًا» تَطْلِيلًا .

(٢) الْخَزَلُ : تَخَاذُلٌ وَرَجْعٌ عَنِ الْحَرْبِ

وقد ذكر ابن إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز ذلك اليوم في حائط لمربع بن قبيظ ، واتفق له معه ما سيأتي ذكره : ومربع هذا من بني حارثة وأيضاً فقد قدمنا في الفصل الرابع في تحريمها قول أبي هريرة في رواية الإسماعيلي : ثم جاء — يعني النبي صلى الله عليه وسلم — بني حارثة وهم في سَند الحرة . اهـ . وليس الموضع الذي ذكره المطري في سَند الحرة ، بخلاف الموضع الذي قدمناه ، مع أنه يحتمل أن بعض منازل بني حارثة كانت بالموضع الذي ذكره المطري أيضاً .

قال ابن زبالة : وابتنوا بها — أى بدارهم الثانية — أطماً يقال له « الريان » عند مسجد بني حارثة كان لبني مجذعة بن حارثة ، وسبب خروج بني حارثة من دار بني عبد الأشهل حرب كانت بينهم وبين بني عبد الأشهل ، ووالى بنو ظفر بني عبد الأشهل ، ثم هزمهم بنو حارثة وقتلوا سمالك بن رافع وكان باغياً ، قتله مسعود أبو محيصة الحارثي ، وظفرت بهم بنو حارثة فأجلوهم أولاً ؛ فلحقوا بأرض بني سليم ، فسار حضير بن سمالك ببني سليم حتى قاتل بني حارثة ، فقتل منهم ، واشتد عليهم الحصار بأطهم المسير المتقدم ذكره في دار بني عبد الأشهل ، فسارت بنو عمرو بن عوف وبنو خطمة إليهم ، وقالوا : إما أن تُخلّوا سبيلهم ، وإما أن تأخذوا عقل<sup>(١)</sup> صاحبكم ، وإما أن تصالحوهم ، فاخترأوا أن يُجْلَوْهم ، فخرج بنو حارثة إلى خيبر فكانوا بها قريباً من سنة ، ثم رَقَّ لهم حضير وطلب صلحهم ، فخرجت الشفراء في ذلك حتى اصطلحوا ، وأبّت بنو حارثة أن ينزلوا دارهم مع بني عبد الأشهل ، ونزلوا الدار المعروفة بهم اليوم ، اهـ .

ونزل بنو ظفر وهو كعب بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك بن الأوس دارهم شرقي البقيع عند مسجدهم : أى المعروف بمسجد البغلة بجوار بني عبد الأشهل .

(١) العقل : الدية ، سموها بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل ونحوها ، وكانت قبيلة القاتل تأتى بالإبل فتعقلها بفناء دار القتيل أو حولها ، ومعنى تعقلها تربطها

وذكر ابن حزم في الجمهرة أن بطون بني عمرو بن مالك بن الأوس [ وهم ]<sup>(١)</sup>  
النبيت : منهم ظفر ، وحارثة ، وبنو عبد الأشهل ، وبنو زَعُورَا بن جُشَم  
ابن الحارث أخى عبد الأشهل بن جُشَم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك  
ابن الأوس .

ولم يذكر ابن زبالة بنى زعورا في هذه البطون ، بل ولا فى بطون  
الأنصار كلها .

وذكر ابن حزم أن منهم مالك بن التيهان وبنى أوس بن عتيك وغيرهم ،  
وقال فى موضع آخر : فولد جُشَم عبد الأشهل ، بطن ضخم ، وزعورا بطن ، وهم  
أهل راتج .

ونزل بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قباء ؛ فابتنوا أطما يقال له  
« الشَّنِيف » عند دار أبى سفيان بن الحارث بين أحجار المراء وبين مجلس بنى  
الموالى ، كان لبنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف ، وأطما فى دار عبد الله بن  
أبى أحمد ، كان لكثوم بن الهدم من بنى عبيد بن زيد بن أظلم أخى بنى عبيد  
ابن زيد بن مالك ، وأطما يقال له واقم كان بقاء لأحيحة بن الجلاح الجحجبي  
ثم صار لبنى عبد المنذر بن رفاعه فى دية جدهم رفاعه بن زر بن زيد بن أمية بن  
مالك بن عوف بن عمرو بن عوف ، وله يقول كعب بن مالك :

فلا تنهدّذ بالوعيد سَفَاهَةً وَأوعِدْ شُنَيْفًا إن عصيت وواقما

وكان فى رحبة بنى زيد بن مالك بن عوف أربعة عشر أطما يقال لها الصَّيَاصَى ،  
وكان لهم أطم بالمسكبة شرقى مسجد قباء ، وأطم يقال له « المستظل » كان  
موضعه عند بئر غرس ، كان لأحيحة ثم صار لبنى عبد المنذر فى دية جدهم رفاعه ،  
ثم خرجت بنو جحجبا بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف من قباء حين قتلوا

(١) هذه الكلمة عن جمهرة أنساب العرب لابن حزم ( ص ٣١٩ ) وظفر عنده  
ابن الخزرج بن عمرو بن مالك ، واسمه كعب ، وأما جُشَم وحارثة فمن ولد الحارث  
ابن الخزرج ، وزعورا وعبد الأشهل ابنا جُشَم بن الحارث بن الخزرج

رفاعة بن زر وغنما أخا بني عمرو بن عوف فسكنوا العصابة ، وهى غربى مسجد  
قباء ، قال سعد بن عمرو الجعفي لبشر بن السائب : تدرى لم سكنوا العصابة ؟  
قال : لا ، قال : لأننا قتلنا قتيلا منكم فى الجاهلية ، فقال بشر : والأمانة لوددت  
أنكم قتلتم منا آخر وأنكم وراء غير ، يعنى الجبل الذى غربى العصابة .

وابتنى أحيحة بن الجلاح بالعصابة أطما يقال له «الضحيان» وهو الأطم الأسود  
الذى بالعصابة ، وكان عرضه قريباً من طوله ، بنّاه أولاً من بثرة بيضاء<sup>(١)</sup>  
فسقط ، يعنى من حجارة الحرار البيض . وكان يُرى من المكان البعيد ، وفيه  
يقول أحيحة :

وقد أعددتُ للجِدْثَانِ حصناً      لَوْ أَنَّ المرءَ تنفعه العقول

طويل الرأس أبيض مُشْمَخِرٌ      يلوح كأنه سيف صقيل

وابتنواهم وبنو مجدعة أطما يقال له «الهجيم» عند المسجد الذى صلى فيه  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم أن بنى أنيف كانوا مع اليهود بقباء ، وأنهم  
حى من بلى ؛ فلذلك لم يذكروا ابن زبالة منازلهم هنا ، وسيأتى فى المساجد عن  
المطرى وتبعه المجد أن بنى أنيف بطن من الأوس ، وأن منازلهم كانت بين  
بنى عمرو بن عوف وبين العصابة ، ومأخذ المطرى فى نسبتهم إلى الأوس قول أهل  
السيرة فى المغازى : شهد من الأوس كذا وكذا رجلا ، ثم يذكرون فيهم بعض  
بنى أنيف ؛ وذلك لأنهم حلفاء الأوس ، لا لأنهم منهم ، نبه عليه ابن إسحاق  
حيث قال : شهد بدراناً من الأوس بضع وستون رجلا ، فذكر من بنى جمعجبا  
جماعة ، ثم قال : ومن حلفائهم من بنى أنيف أبو عقيل ، ثم نسبته إلى بلى بن عمرو  
ابن الحاف بن قضاة ، لكن استفدنا من كلام المطرى أن منازلهم بين العصابة  
وقباء ، ويستفاد مما قدمناه عن ابن زبالة أن من منازلهم بثر عذق وما حولها والمال  
الذى يقال له القائم ، وذلك معروف بقباء .

(١) بثرة بيضاء : أى حجارة بيض ، كما سيصرح به .

وخرجت بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف فسكنوا دارهم التي وراء بقيع الغرقد المعروفة بهم ، ولا يشكل عليه ما سيأتى فى دور بنى النجار من الخزرج من أن حُدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> لقب لمعاوية بن عمرو بن مالك بن النجار للاشتراك فى الاسم ، ولسكن الشجرة بينى معاوية لهؤلاء ، وأولئك يعرفون ببني حُدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> ، وقد اشتبه ذلك على المطرى فقال فى مسجد بنى معاوية - وهو مسجد الإجابة - مألظه : هو مسجد بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، ثم قال فى دور بنى النجار : إن بنى حُدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> هم بنو معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار ، ودارهم عند بئر حاء . ثم قال : ودار بنى دينار بين دار بنى معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أهل مسجد الإجابة ، ودار بنى حُدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> ، فذكر أولاً أنهم هم ، ثم غاير بينهما ، والصواب المغيرة ، وأن بنى حُدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> من الخزرج ، وبنى معاوية من الأوس ، وقد صرح بتغايرها أهل السير ، ونسبوها كما ذكرنا ، ومسجد الإجابة لبنى معاوية من الأوس ، والذي أوقع المطرى فى هذا ما سيأتى عن عياض فى بنى حُدَيْلَةَ<sup>(١)</sup> إن شاء الله تعالى .

ومن بنى معاوية هؤلاء حاطبُ بن قَيْس ، وفيه كانت حرب حاطب كما ذكره ابن حزم .

وخرجت بنو السميمة - وهم بنو لوزان بن عمرو بن عوف - فسكنوا عند زقاق ركيح ، وابتدئوا أطماً يقال له « السعدان » وموضعه فى الربع ( حائط هناك ) ذكره ابن زبالة ، ولعل الربع هو الحديقة المعروفة اليوم بالربيع ، وكان بنو السميمة يدعون فى الجاهلية بنو الصماء ، فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم بنى السميمة . ونزل بنو واقف والسلم ابنا امرئ القيس بن مالك بن الأوس عند مسجد الفضيل ، فكانا هنالك وولدهما .

وابتنى بنو واقف أطماً يقال له « الزيدان » وله يقول قيس بن رفاعه :

(١) وقع فى المطبوعات « بنو جديلة » بالميم - فى كل المواضع ، وهو كذلك فى الخلاصة ، والصواب أنه بالحاء المهملة المضمومة ، على زنة المصغر

وكيف أرجو لذيد العيش بعدهمُ وبعد مَنْ قد مَضَى من أهل زيدان  
كان لهم عامة موضعه في قبلة مسجد الفضيلخ ، وأطما كان موضعه عند بئر  
عائشة الواقفي ، وغير ذلك ، ثم كان بين السَّلم وواقف كلام ، فلطم واقف وهو  
الأَكْبَرُ عَيْنَ السَّلم - وكان شرساً - فحلف لا يساكنه ، فنزل السَّلم على بني عمرو  
ابن عوف ، فلم يزل ولده فيهم ، ( ومن بقيتهم سعد بن خيثمة بن الحارث ) ثم  
انقضوا سنة تسع وتسعين ومائة .

وكان لبني السَّلم حصن شرقي مسجد قباء ، ذكره ابن زبالة ، وقد ذكر ابن  
حزم انقراض جميع بني السَّلم ، قال : وكان قد بلغ عددهم في الجاهلية  
ألف مقاتل .

قلت : وفي قبلة مسجد الفضيلخ عند الحديقة المعروفة بالأشرفية والسابور آثار  
أطام وقرية وحصن عظيم ، فهي منازل بني واقف .

ونزل بنو وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس في  
دارهم المعروفة بهم ، وابتنوا أطما يقال له « الموجا » كان موضعه في مسجد بني وائل  
ونزل بنو أمية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس في  
دارهم المعروفة بهم التي بها الكبا يمر فيها سيل مذيئيب بين بيوتهم ثم يلتقي هو  
وسيل بني قُرَيْظَة بفضاء بني خطمة ، ويؤخذ مما ذكره ابن زبالة في منازل بني  
النضير بالنواغم قر به منزل بني أمية بن زيد منهم .

وفي صحيح البخاري عن عمر رضى الله عنه قال : كنت أنا وجار لي من  
الأَنْصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالى المدينة ، تتناوب النزول على رسول  
الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن زبالة : وابتنوا أطما يقال له « أطم العذق » كان عند الكبا المواجهة  
مسجد بني أمية ، وأطما كان في دار آل رُوَيْفَع التي في شرقي مسجد بني أمية .  
ونزل بنو عطية بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس



بَصْفَنَةَ فوق بنى الحُبْلَى ، وصفنة - كجفنة - بإهمال أوله سميت بذلك لارتفاعها عن السيول فلم تشرب بشيء منها ، وابتنوا فيها أطما اسمه « شاس »<sup>(١)</sup> كان لشاس بن قيس أخى بنى عطية بن زيد ، وهو الذى على يسارك فى رَحْبَةِ مسجد قباء مستقبل القبلة ، ووائل وأمىة وعطية بنو زيد هم الجمادِرة<sup>(٢)</sup> ، سموا به لأنهم [كانوا] إذا أجاروا جارا قالوا له : جعدر حيث شئت : أى اذهب حيث شئت ، فلا بأس عليك ، فقال الرمق بن زيد :

وإن لنا بين الجوارى وليدة      مقابلة بين الجمادر والكسر  
متى تدعُ فى الزيد بن مالك      وزيد بن قيس تأتها عزة النصر  
قالوا : والكسر أمىة وعبيد وضبيعة بنو زيد بن مالك بن عوف ، كان يقال لهم كسر الذهب وذلك أراد الرمق بقوله « والكسر » كذا قاله ابن زبالة ، ونقل رزين أن الجمادِرة الأوس كلهم فإنه قال فيما نقل عن الشرقى : فولد الأوس مالكا . ومن مالكا قبائل الأوس كلها ، فولد للمالك عمرو وعوف ومرة ، ويقال لهم : أوس الله ، وهم الجمادِرة ، سموا بذلك لقصر فيهم ، اه .

قلت : وسيأتى عن ابن إسحاق فى آخر الفصل السابع ما يقتضى أن أوس الله هم بنو أمىة بن زيد ووائل وواقف وخطمة ، والله أعلم .

ونزل بنو خطمة - وخطمة هو عبد الله بن جُشم بن مالك بن الأوس - دارهم المعروفة بهم ، وابتنوا بها الآطام ، وغرسوا النخيل ، فابتنوا بها أطما يقال له « صبع ذرع » ليس فيه بيوت ، جعلوه كالحصن الذى يتحصنون فيه للقتال ، وكان لخطمة كلها ، وكان موضعه عند مھراس بنى خطمة ، وإنما سمي « صبع ذرع » لأنه كان عند بئر بنى خطمة التى يقال لها ذرع ، وابتنى أمىة بن عامر بن خطمة أطما كان موضعه فى مال الماحشون الذى يلى صدقة أبان بن أبى حدير .

(١) فى خلاصة الوفا « شاس » بشينين معجمتين

(٢) فى المطبوعات « الجمادِرة » بالذال المعجمة ، وفى القاموس « والجمادِرة :

بنو مرة بن مالك بن الأوس » بالذال مهملة

قلت : والظاهر أنه المسمى اليوم « بالمجشونية » فإن اسمه الأصلي « الماخشونية »  
على ما تقدم في تربة صُعَيْب .

وقال المطري : منازل بني خطمة لا يعرف مكانها اليوم ، إلا أن الأظهر أنهم  
كانوا بالعـوالى شرقى مسجد الشمس ؛ لأن تلك النواحي كلها ديار الأوس ،  
وما سَقَلَ من ذلك إلى المدينة ديار الخزرج ، اهـ .

وفي قوله « وما سفل إلخ » نظر ، والذي يظهر أن أول منازل الخزرج في هذه  
الجهة منازل بني الحارث كما سيأتى ، وفوقها بنو خطمة ، وسيأتى في وادى بُطْحَانَ  
ووادى مهزور ما يؤيد ذلك .

وكان بنو خطمة متفرقين في أطامهم ، لم يكن في قصبة دارهم منهم أحد ،  
فلما جاء الإسلام اتخذوا مسجدهم ، وابتنى رجل منهم عند المسجد بيتاً سكنه ،  
فكانوا يسألون عنه كل غداة مخافة أن يكون السبع عدّاً عليه ، ثم كثروا في  
الدار حتى كان يقال لهم غزاة ، تشبهاً بغزاة الشام من كثرة أهلها  
وقد انتهى الكلام في منازل الأوس وهذه منازل الخزرج .

قال ابن زبالة : ونزل بنو الحارث بن الخزرج الأَكْبَر بن حارثة وهم بلحارث  
دارهم المعروفة بهم بالعـوالى : أى شرقى وادى بُطْحَانَ وتربة صُعَيْب ، يعرف  
اليوم بالحارث بإسقاط بنى ، وابتنوا أطماً كان لبنى امرئ القيس بن مالك  
وخرج جشم وزيد ابنا الحارث بن الخزرج وهما التوءمان فسكننا السنج ، وهذا  
المراد بقول ابن حزم : كان سكنى بنى الحارث بالسَّنَج<sup>(١)</sup> على ميل من مسجد الرسول  
صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال ابن زبالة : وابتنوا أطماً يقال له « السَّنَج<sup>(١)</sup> » وبه سميت الناحية ، ويقال

---

(١) قال ياقوت (١٤٨/٥) « سنج : بضم أوله وسكون ثانية وآخره حا  
مهمله ، إحدى محال المدينة ، كان بها منزل أبى بكر الصديق حين تزوج مليكة -  
وقيل حبيبة - بنت خارجة بن زيد بن زهير بن مالك بن امرئ القيس » .

بل اسمه « الريان » انتهى . وبالسُّنْح كان منزل أبي بكر الصديق رضي الله عنه  
بزوجته بنت خارجة بن زيد ، قاله عياض ، قال : وهو منازل بني الحارث بن  
الخزرج بعوالى المدينة ، وبينه وبين منزل النبي صلى الله عليه وسلم ميل ، انتهى .  
فكان السُّنْح - وهو كما قال عياض وغيره بالسَّين المهملثة ثم النون - بالقرب من  
منازل بني الحارث بالعوالى<sup>(١)</sup> . وخرج عتبة بن عمر بن خديج بن عامر بن حُشَم بن  
الحارث بن الخزرج فسكن الشوط وكوم السكومة يقال لها « كومة أبي الحمراء »  
ثم رجع في السُّنْح . وخرجت بنو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج حتى  
سكنوا الدار التي يقال لها « جرار سعد » مما يلي سوق المدينة ، وخرجت بنو الأبحر  
وهو خُدْرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وهم بنو خُدْرة أخوة بني خُدْرة  
فسكنوا دارهم المعروفة ببني خُدْرة ، وابتنوا أطما يقال له « الأجرد » وهو الأطم  
الذى يقال لبئر البصة ، كان لمالك بن سنان جد أبي سعيد الخُدْرى ، وذكر  
ابن حزم للحارث بن الخزرج الأكبر ابناً اسمه الخزرج بن الحارث ، وقال فيه :  
فولد الخزرج كعباً ، فسار بعض بنيهِ إلى الشام مع غسان ، فليس من الأنصار ،  
ثم سمي مَنْ بقي منهم الأنصار .

ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدار التي  
يقال لها « دار بني سالم » على طرف الحرة الغربية غربى الوادى الذى به مسجد  
الجمعة ببطن رانونا ، وابتنوا آطاما : منها « المزدلف » أطم عتبان بن مالك ، قاله  
المطري ، وقال : المزدلف هو الأطم الذى بناه عتبان بن مالك ، كان لمالك بن  
العجلان السالى ، وله يقول مالك \* إني بنيتُ للحروب المَزْدَلِفَ \* ومنها  
« الشماخ » كان خارجاً عن بيوت بني سالم من جهة القبلة ، ومنها أطم « القواقل »  
وهو الذى فى طرف بيوت بني سالم مما يلي ناحية العصبة ، كان لبني سالم بن  
عوف ، وتسميته بذلك يرجح ما ذكره ابنُ سيد الناس من أن القواقل<sup>(٢)</sup> بنو غنم

(١) فى الخلاصة « أول العالية »

(٢) فى القاموس « القوقل : اسمُ أبي بطن من الأنصار لأنه كان إذا أناه إنسان  
يستجير به أو يثرب قال له : قوقل فى هذا الجبل وقد أمنت ، أى ارتقى ، وهم القواقل »

وبنو سالم ابني عوف ، سموا بذلك لأنهم كانوا إذا أجاروا جارا قال له : قوئل  
حيث شئت ، وأفهم سياقُ بعضهم أن القواقل بعضُ بني سالم بن غنم ، وهم  
بنو الحبلى ، وما قدمناه هو الظاهر ؛ لما سيأتى فى خروجه صلى الله عليه وسلم من قُبَاءَ  
إلى المدينة . وقال ابن حزم : ولَدُ عوف بن عمرو سالم بطن ، وغنم بطن ، وعز بطن ،  
وهو قوئل ، وذكر من ولده عُبَادَةُ بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة  
ابن قوئل بن عوف بن عمرو .

ونزل بنو غصينة حَيٍّ من بلى حُلَفَاءَ لبني سالم عند مسجد بني غصينة .

ونزل بنو الحبلى — بلفظ المرأة الحبلى — واسمه مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن  
عمرو بن عوف بن الخزرج الأكبر الدارَ المعروفةَ بهم بين قباء وبين دار ابني الحارث بن  
الخزرج التى شرقى وادى بَطْحَانَ وصُعَيْب ، كذا قاله المطرى ، وأظن مستنده  
ما تقدم فى منازل الأوس من قول ابن زبالة : ونزل بنو عطية بن زيد بن قيس  
بصَفْنَةَ فوق بني الحبلى إلى آخره ، وقال ابن حزم : كانت دار بني الحبلى بين دار  
بني النجار وبين بني ساعدة .

قلت : وسيأتى فى خروجه صلى الله عليه وسلم من قُبَاءَ إلى المدينة ما يؤيده ،  
وكذلك مروره صلى الله عليه وسلم بعبد الله بن أبيّ فى ذهابه لعيادة سعد بن عبادَةَ ،  
وما ذكره من أن الحبلى اسمه مالك بن سالم ذكره ابن زبالة ، وقال ابن هشام :  
الحبلى سالم بن غنم بن عوف ، وإنما سُمى الحبلى لعظم بطنه ، انتهى .

وذكر ابن حزم نحوه ، والظاهر أن الحبلى كان يطلق على سالم والد مالك  
المذكور ، ثم اشتهر به ابنه هذا من بين بنيه ، وحينئذ فيحمل ما تقدم عن ابن  
زبالة فى نزول بني عطية بن زيد بصَفْنَةَ فوق بني الحبلى ، على أن المراد دار سالم  
ابن غنم فى دار بني سالم ؛ لكونه ذكر فى أطام بني الحبلى هؤلاء ما يوافق كلام  
ابن حزم فى نزولهم قرب دار بني ساعدة ، فقال : وابتنوا أطاماً منها « مزاحم »  
بين ظهران بيوت بني الحبلى ، وهو لعبد الله بن أبيّ بن سُلَول . ومنها أطم كان

بين مال عمارة بن نعيم البياضى وبين مال ابن زمانة . ومنها أطم كان في جوف بيوتهم . انتهى . وسيأتى في منازل بنى ساعدة ذكر الحمضة ، وهى مذكورة في منازل بنى ييَاضة ، وقد صرح ابن حزم وغيره من أهل السير وعلماء النسب بأن عبد الله بن أبى من بنى الخُثَلى من الخُزرج ؛ فالظاهر أن ما وقع للحافظ ابن حجر في حديث زوجة ثابت بن قيس بن شماس<sup>(١)</sup> في الخلع من أن عبد الله بن أبى من بنى مَعَالَة من بنى النجار وَهُمْ . نعم داره غربى المسجد قريبة من دار بنى مَعَالَة فيما يظهر . والله أعلم .

ونزل بنو سَلَمَة بن سعد بن على بن أسد بن شاردة بن يزيد ( بالمشقة من فوق ) بن جُشَم بن الخُزرج الأكبر ما بين مسجد القبلتين إلى المذاد أطم بنى حرام في سَنَد تلك الحرة ، وكانت دارهم هذه تسمى خُرْبَى . قال ابن زبالة : قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم « طلحة » كذا هو في نسخة ابن زبالة بالطاء ، ونقله عنه الزين المراغى أيضاً كذلك كما رأيت بخطه . ولعل الصواب ما ذكره المجد في تاريخه أن النبى صلى الله عليه وسلم سماها « صَلْحَة » بضم الصاد المهملة وسكون اللام ، وقال في قاموسه : خُرْبَا كحبل : منزلة كانت لبني سَلَمَة غَيْرَهَا صلى الله عليه وسلم وسماها صالحة .

ونزل بنو سواد بن غنم بن كعب بن سَلَمَة عند مسجد القبلتين إلى أرض ابن عبيد الدينارى ، ولهم مسجد القبلتين ، قاله ابن زبالة ، وهو يرد ماسياتى عن المطرى وغيره من أن المسجد لبني حَرَام ، وابتنوا أطما يقال له « الأغلب » كان على المهد الذى عليه الأحجار التى يستريح عليها السقاؤن حين يُفِيضُونَ من زقاق رُومَة إلى بُطْحَانَ ، وأطما يقال له « خيط » في شرقى مسجد القبلتين على شرف الحرة وعند منقطع السهل من أرض بنى سَلَمَة ، وأطما يقال له « منيع » في يمانى مسجد القبلتين على ظهر الحرة يمين الحزن الذى في أرض ابن أبان أو دوى ذلك قليلا .

(١) في المطبوعات « بن شماس » بشينين معجمتين - تطبيع

ونزل بنو عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد الخربة إلى الجبل الذى يقال له الدويخل جبل بنى عبيد ، ولهم مسجد الخربة ، وابتنوا « الأشنق » وهو المواجه لمسجد الخربة ، كان للبراء بن معرور صخر بن حسان ابن سنان بن عبيد ، وابتنوا « الأطول » عند قبلة مسجد الخربة أو عن يسارها . ونزل بنو حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عند مسجد بنى حرام الصغير الذى بالقاع بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك والأرض التى كانت لمعبد بن مالك ، وكانوا بين مقبرة بنى سلمة إلى المذاد ، والمذاد : هو الذى يقول له كعب بن مالك :

فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المذاد وبين جزع الخندق وهو أطم لهم سميت به الناحية ، وابتنوا أطما يقال له « جاعس » كان فى السهل بين الأرض التى كانت لجابر بن عتيك وبين العين التى عملها معاوية بن أبى سفيان ، كان لعمر بن الجُمُوح جد جابر بن عبد الله بن عمرو . قلت : وهذه العين لعلها التى ذكر ابن النجار أنها تأتى إلى النخل الذى بأسفل المدينة حوالى مسجد الفتح ، يعنى فى غربيه ، ويعرف ذلك الموضع بالسَّيح - بالسين المهملة والمثناة التحتيّة - كما قال المطرى ، والله أعلم . وابتنى بنو مر<sup>(١)</sup> بن كعب بن سلمة - وهم حلفاء بنى حرام - أطما يقال له « أخنس » وهو الأسود القائم فى بنى سلمة فى غربى الحائط الذى كان لجابر بن عتيك مما يلى جبل بنى عبيد ، ذكره ابن زبالة .

وقوله « عند مسجد بنى حرام الصغير » يفهم أن لهم مسجداً آخر كبيراً ، وهو الآتى فى منزلهم الثانى بشعب سلم ، وسيأتى فى المساجد وصف مسجد بنى حرام الذى صلى فيه النبی صلى الله عليه وسلم بأنه بالقاع ، وأنه لم يصل فى مسجدهم الأكبر . وكل هؤلاء بنو سلمة ، وكانوا بهذه الدور ، وكلمتهم واحدة ، وملكوا عليهم

---

(١) فى المطبوعات كلها « بنو مرى بن كعب » تطبيع

أمة بن حرام ، فلبث فيهم زماناً حتى هلك رجل من بنى عبيد ذو أموال كثيرة ، له ولد واحد اسمه صخر ، فأراد أمة أن ينزع طائفة من أمواله فيقسمها في بنى سلمة ، فعظم ذلك على صخر ، وشكا ذلك على بنى عبيد و بنى سواد ، وقال : إن فعل أمة ذلك لأضر بنه بالسيف ، وسألهم أن يمنعوه إن هو فعل ، فأطاعوا له ، فلما فعل أمة ذلك ضرب به صخر فقطع حبل عاتقه ، وقامت دونه بنو عبيد و بنو سواد ، فنذر أمة أن لا يؤويه ظل بيت ماعاش حتى يقتل بنو سلمة صخراً أو يأتوه به فيرى فيه رأيه ، وجلس أمة عند الضرب الذي فوق مسجد الفتح مما يلي الجرف في الشمس ، فمرت به وليدة حطابة فقالت : مالك يا سيدى هنا في الشمس ؟ فقال :

إن قومي أجمعوا لي أمرهم ثم نادوا إلى صخراً فضرب  
إنتى آليت لا يسئرنى سقف بيت من حرور ولهب  
أبدا مادام صخر آمناً بينهم يمشى ولا يخشى العطب

فذهبت الجارية ، فأخبرتهم ، فربطوا صخراً ثم أتوه به ، فعفا عنهم وأخذ الذى كان يريد أن يأخذ من أمواله ؛ فهذا خبر ما دخل بين بنى سلمة .

وروى ابن شبة عن جابر بن عبد الله أن بنى سلمة قالوا : يا رسول الله ، نبيع دورنا ونتحول إليك ؛ فإن بيننا وبينك وادياً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اثبتوا فإنكم أوتادها ، وما من عبد يخطو إلى الصلاة خطوة إلا كتب الله له أجراً » .

وروى أيضاً عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة قال : شكا أصحابنا - يعنى بنى سلمة - و بنى حرام - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السَّيْلَ يَحُولُ بينهم وبين الجمعة ، وكانت دورهم مما يلي نخيلهم ومزارعهم في مسجد القبلتين ومسجد الخربة ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم « وما عليكم لو تحولتم إلى سفح الجبل » يعنى سلماً ، فتحولوا ؛ فدخلت حرام الشَّعْبُ (١) ، وصارت سواد وعبيد إلى السفح .

(١) قال المؤلف في الخلاصة : والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم « اثبتوا فإنكم أوتادها » وإنما نقل بنى حرام إلى الشعب المعروف بهم عمر بن الخطاب اهـ

قلت : وشعب بنى حرام معروف بسَلْع ، وهناك آثار منازلهم وآثار مسجدهم في غربى جبل سَلْع على يمين السالك إلى مساجد الفتح من الطريق القبلية ، وعلى يسار السالك إلى المدينة وعلى مقربة من محاذاته في جهة المغرب حصن خل .

وروى ابن زبالة ويحيى من طريقه عن جابر بن عبد الله قال : كان السيلُ يحول بين بنى حرام وبين مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنقلهم عمر بن الخطاب إلى الشعب ، وكلمَ قوما كانوا فيه من أهل اليمن يقال لهم بنو ناغضة ، فانتقلوا إلى الشعب الذى تحت مسجد الفتح ، فأثارهم هناك ، واشترت بنو حرام غلاما روميا من أعطياتهم ، وكان ينقل الحجارة من الحرة وينقشها ، فبنوا مسجدهم الذى فى الشعب وسَقَفوه بخشب وجريد ، وكان عمر بن عبد العزيز زاد فيه مدامكين من أعلاه ، وطابق سقفه ، وجعل فيه زيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : وآثار خرز أساطينه وما تكسر منها موجود اليوم فيه ، يعرف محله بالشعب المذكور .

وقد روى المجد فى فضل المساجد الخبر المتقدم ، إلا أنه قال : وجعل فيه زيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : والذيت الساج الذى يظهر على الحائط ، انتهى . ولم يضبطه غير أنه بالذال فى كتابه ، والذى فى كتاب ابن زبالة ويحيى ما قدمناه ، والله أعلم .

ونزل بنو بياضة وزريق ابنا عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ابن جُشَم بن الخزرج الأكبر ، وبنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب ، وبنو عذارة<sup>(١)</sup> وهم بنو كعب بن مالك بن غضب ، وبنو اللين وهم بنو عامر بن مالك ابن غضب ، وبنو أجدة<sup>(٢)</sup> وهم بنو معاوية بن مالك بن غضب دار بنى بياضة .

(١) فى الخلاصة « بنو عذارة »

(٢) فى الخلاصة « وبنو جدع » بغير ألف هنا ، وبألف فيما يأتى .



قال المطري : فيما بين دار بنى سالم بن عوف بن الخزرج التي عند مسجد الجمعة إلى وادي بَطْحَانَ قبليّ دار بنى مازن بن النجار .

قلت : الذي يترجّح عندي أن دارهم كانت في شامي دار بنى سالم بن عوف وقبلي دار بنى مازن ، ممتدة في الحرة الغربية ، حتى إن في كلام ابن زباله ما يقتضي أن بعض منازلهم تمتد إلى منازل بنى ساعدة لما سذكروه .

وابتنوا بدارهم الآطام ، وروى ابن زباله أنه كان بدارهم تسعة عشر أطمًا ، وأن الذي أحصاه لبنى أمية بن عامر بن بياضة خاصة ثلاثة عشر أطمًا : منها أطم أسود في يمانى أرض فراس بن ميسرة ، كان في الحرة ، ومنها « عقرب » كان في شامي المزرعة المسماة بالرحابة في الحرة على الفقارة ، ومنها « سويد » كان في شامي الحائط الذي يقال له الحماسة ، وإصاحبه كانت الحماسة ، وسيأتي ذكر الحماسة في منازل بنى ساعدة ، لكن يبعد أن يكون هي المراد هنا ، ومنها « اللواء » كان موضعه في حد السرارة بينه وبين زاوية الجدار الشامي الذي يحيط على الحماسة عشرون ذراعًا ، ومنها أطم كان في السرارة ، والسرارة : ما بين أرض ابن أبي قليع إلى منتهى الحماسة ، وما بين الأطم الذي يقال له اللواء إلى الجدار الذي الذي يقال له بيوت بنى بياضة ، والجدار الذي بناه زياد بن عبيد الله لبركة السوق وسط السرارة ، قاله ابن زباله ، وهو يقتضي أن السرارة قرب سوق المدينة ، ويؤيده ذكر الحماسة في منازل بنى ساعدة ، لكن الظاهر أن المراد ببركة السوق هنا بركة كانت مما يلي سيل بَطْحَانَ ورانونا ؛ لأن ابن شَبَّه قال في سيل رانونا : إنه يقترب من صلب ، يعني موضع مسجد الجمعة ، ثم يستبطن السرارة حتى يمر على قعر البركة ، ثم يفترق فرقتين ، إلى آخر ما سيأتي عنه .

ونقل رزين أن السرارة بين بنى بياضة والحماسة . ثم ذكر ابن زباله بقية آطامهم ، وذكر ما يقتضي أن ما حول السرارة هو أقصى بيوت بنى بياضة .

ثم قال : وابتنى بنو حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج الأظم الذى فى أدنى بيوت بنى بياضة الذى دونه الجسر الذى عند ذى ريش .  
ثم قال : فلبث بنو غضب بن جشم بن الخزرج - أى الفرق المذكورين كلهم - فى دار بنى بياضة ، وأمرهم جميعاً ، ثم إن زريق بن عامر هلك فأوصى بينيه إلى عمه حبيب بن عبد حارثة ، فكان حبيب يكلفهم النضج بأيديهم ، فلما اشتد عليهم عدواؤه عليه فقتلوه ، فحالف بنو حبيب بنى بياضة على نصرهم على بنى زريق ، فخافت بنو زريق أن يكثروهم<sup>(١)</sup> . وكانت بنو بياضة حينئذ أثرى من بنى زريق ، فخرجوا من دار بنى بياضة حتى حلوا دارهم المعروفة بهم قبل المصلّى وسور المدينة الموجود اليوم وداخله بالموضع المعروف بذروان وما والاها ، وابتنوا أطاما منها أطم فى زاوية دار كبير بن الصلت بالمصلّى ، وأطما يقال له « الريان » عند سقيفة آل سُرَاقَة التى يقل لها « سقيفة الريان » وأقام بنو عمرو بن عامر بن زريق مع بنى بياضة ، ولهم الأظم الذى فى شامى أرض فراس بن ميسرة فى أدنى بيوت بنى بياضة مما يلي السبخة ، فلبثوا هناك حتى انتقل رافع بن مالك هو وولده قبيل الإسلام فسكنوا طرف السبخة ما بين الأساس إلى طرف السبخة إلى الدار التى فيها يسكن إسحاق بن عبيد بن رفاع ، وكان يقال لرافع بن مالك « الكامل » لأن أهل الجاهلية كانوا يقولون لمن كان كاتباً شاعراً « الكامل » وانتقل سائر بنى عمرو بن عامر بعد ذلك ، فاشتروا من بنى عوف بن زريق بعض دورهم وحقوقهم ، وخرجت بنو عوف بن زريق قبيل الإسلام إلى الشام ؛ فيزعمون أن هنالك ناسا منهم ، ولبث بنو بياضة وبنو حبيب زمانا لا يقاتلون بنى زريق ، والرسل تجرى بينهم ، وبنو زريق يدعونهم إلى الصلح والدية ، وعرضوا على بنى حبيب أن يقطعوا لهم طائفة من ديارهم ، فقبلوا ذلك ، ووضعوا الحرب ، وسمى الزقاق الذى دفعوه لهم « زقاق الدية »

---

(١) يكثروهم: يزيدوا عليهم فى العدد .

وانتقل بنو مالك بن زيد بن حبيب بن عبد حارثة من بنى بياضة ، ونزلوا الناحية التي ودّت بنو زريق ، وابتنوا أطمًا كان لبني المعلى بن لوزان ، وتخلف بنو الصّمة ابن حارثة بن الحارث بن زيد بن حبيب في بنى بياضة ، فابثت بنو المعلى بن لوزان في بنى زريق ماشاء الله .

ثم إن عبيد بن المعلى قتل حصن بن خالد الزرقى ، فأراد بنو زريق أن يقتلوه ، ثم بدا لهم أن يدّوا حصن بن خالد من أموالهم عن عبيد على أن يحالفهم بنو المعلى ، ويقطعون حلفهم مع بنى بياضة ، ففعلوا ، وكان عامر بن زريق بن عبد حارثة والد زريق و بياضة لما حضرته الوفاة أوصى ابنه بياضة بالصبر في الحروب وشدة البأس ، وأوصاه بأخيه زريق وكان أصغرهما ، فقال بعض شعرائهم في ذلك :

\* بالصّـبرِ أوصى عامرٌ بياضه \*  
\*

ويقال للأوس والخزرج : أبطالهم قرّة وأسرعهم كربة بنو بياضة و بنو زريق و بنو ظفر ، وإن الأوس والخزرج لم يلتقوا في موطن قطّ إلا كان لهذه القبائل فضل بيّن على غيرهم من بطون الأوس والخزرج .

وأما بنو عذارة<sup>(١)</sup> بن مالك بن غضب بن جشم فكانوا أقل بطون بنى مالك ابن غضب عددا ، وكانوا قوما ذوى شراسة وشدة أنف ، فقتلوا قتيلا من بعض بطون بنى مالك بن غضب إما من بنى اللين أو بنى أجدع ، وأبى أهل القتيل الدية ، وذهبوا إلى بنى بياضة ليعينوهم على بنى عذارة حتى يعطوهم القاتل ، فكلمت بنو بياضة بنى عذارة<sup>(١)</sup> في ذلك ، فأبوا أن يخلّوا بينهم وبينه ، فأرادت بنو بياضة أن يأخذوه عنوة<sup>(٢)</sup> ، فخرجوا من دار بنى بياضة حتى نزلوا قباء على بنى عمرو بن عوف ، فحالفوهم وصاهروهم ، وامتنعوا من بنى بياضة ، ثم إنه دخل بين بنى عذارة وبين بنى عمرو بن عوف قبيل الإسلام أمر ، فأجمعوا أن ينتقلوا من عندهم إلى بنى زريق ، وكرهوا أن يرجعوا إلى بنى بياضة ، فجاؤهم وذكروا لهم

---

(١) في الخلاصة بنو غدارة (٢) عنوة - بفتح العين المهملة وسكون النون - أى قوة وغلبة

ذلك ، فَلَقَوْهُمْ بِمَا يُحِبُّونَ ، وَسَدَّدُوا رَأْيَهُمْ<sup>(١)</sup> ، وَأَتَوْا أَبَا عُبَيْدَةَ سَعِيدَ بْنَ عُمَانَ الزُرَيْقِيَّ فَذَكَرُوا لَهُ ذَلِكَ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ وَذَكَرَ شَرَفَهُمْ وَرِزْقَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي أَشِيرُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا إِلَى أَخْوَالِكُمْ — يَعْنِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ — وَلَا تَنْتَقِلُوا إِلَى بَنِي زُرَيْقٍ ، فَإِنْ فِي أَخْلَاقِكُمْ شَرَّاسَةٌ وَفِي أَخْلَاقِ بَنِي زُرَيْقٍ مَثَلُهَا ، فَتَفَرَّقُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَلَمْ يَزَالُوا كَذَلِكَ إِلَى أَنْ فَرَضَ الْمَهْدِيُّ لِلْأَنْصَارِ سَنَةً سِتِينَ وَمِائَةً ، فَانْتَقَلُوا بِدِيَوَانِهِمْ إِلَى بَنِي بَيَاضَةَ ، وَكَانَ بَطْنَانُ مِنْ بَطْنِ بَنِي مَالِكِ بْنِ غَضَبٍ مِمَّنْ كَانَ بَدَارَ بَنِي بَيَاضَةَ — لَا نَدْرِي أَهْمَ مِنَ اللَّيْنِ أَمْ مِنْ أَجْدَعٍ — كَانَ بَيْنَهُمْ مِيرَاثٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَاشْتَجَرُوا فِيهِ ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَسْتَقِيمُونَ فِيهِ عَلَى أَمْرٍ تَدَاعَوْا إِلَى أَنْ يَدْخُلُوا حَدِيقَةَ كَانَتْ فِي بَنِي بَيَاضَةَ فَيَقْتَتِلُوا فِيهَا ، فَدَخَلُوا جَمِيعًا ثُمَّ أَغْلَقُوهَا ، فَانْتَقَلُوا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ عَيْنٌ تَطْرَفُ ، فَسَمِيتَ تِلْكَ الْحَدِيقَةُ « حَدِيقَةُ الْمَوْتِ » وَكَانَ بَنُو مَالِكِ بْنِ غَضَبٍ سِوَى بَنِي زُرَيْقٍ أَلْفَ مُقَاتِلٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَمَّا بَنُو أَجْدَعٍ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأَمَّا بَنُو اللَّيْنِ فَكَانَ بَقِيَ مِنْهُمْ رَجُلَانِ ثُمَّ انْقَرَضَا لَا عَقَبَ لِهَمَا

وَذَكَرَ ابْنُ حَزْمٍ أَنَّ زَيْدَ بْنَ حَبِيبٍ بْنَ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ غَضَبٍ الْمُتَقَدِّمَ ذَكَرَ بَنِيهِ كَانَ لَهُ أَخٌ ، وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَبِيبٍ ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَبِيبٍ هَذَا وَلَدُ<sup>(٢)</sup> أَبِي جَبِيلَةَ الْغَسَّانِي الَّذِي جَلَبَهُ مَالِكُ بْنُ الْعَجْلَانِ لِقَتْلِ الْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ كَمَا قَدَّمْنَا الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَنَزَلَ بَنُو سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ الْأَكْبَرِ مُفْتَرِقِينَ فِي أَرْبَعِ مَنَازِلَ : فَنَزَلَ بَنُو عَمْرِو وَبَنُو ثَعْلَبَةَ ابْنَا الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ دَارَ بَنِي سَاعِدَةَ الَّتِي بَيْنَ السُّوقِ — أَيِ سُوْقِ الْمَدِينَةِ — وَبَيْنَ بَنِي ضَمْرَةَ ؛ فَهِيَ فِي شَرْقِيِّ سُوْقِ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الشَّامَ . وَقَالَ الْمَطْرِيُّ : قَرْيَةُ بَنِي سَاعِدَةَ عِنْدَ بَرْ بَضَاعَةَ ، وَالْبَرْ وَسَطُ بَيْوتِهِمْ . قَالَ ابْنُ زُبَالَةَ : فَابْتَنَوْا أَطْمَأً يُقَالُ لَهُ « مُعْرَضٌ » فِي الدَّارِ الْمُوَاجِهَةِ مَسْجِدِ بَنِي سَاعِدَةَ ، وَهُوَ

(١) سَدَّدُوا رَأْيَهُمْ : صَوَّبُوهُ (٢) فِي الْمَطْبُوعَاتِ « وَالِدُ أَبِي جَبِيلَةَ — الْخ » تَطْبِيعُ

آخر أطم بُنى بالمدينة ، وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يبنونه ، فاستأذنه في إتمامه ، فأذن لهم فيه ، وله يقول شاعرهم :

ونحن حَمِينًا عن بُضَاعَةٍ كُلِّهَا      ونحن بَنِينًا معرضًا فهو مُشْرِفُ  
فأصبح معمورًا طويلًا فِدَى له      وتخرب آطام بها وتصفصف  
وأطمًا في دار أبي دُجَانَةٍ<sup>(١)</sup> الصغرى التى عند بُضَاعَةٍ ، ونزلت بنو قشبة - واسم قشبة عامر بن الخزرج بن ساعدة - قريبًا من بنى حُدَيْلَةَ ، وابتنوا أطمًا عند خوخة عمرو بن أمية الضمري .

قلت : فمَنْزِلهم في شرقيّ بنى ضَمْرَةَ ، والمنزل المذكور قبل ، والله أعلم .  
ونزلت بنو أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة -  
وهم رهط سعد بن عُبَادَةَ الدارِ التى يقال لها جِرَارُ سَعْدٍ وهى جرار كان يسقى  
الناس فيها الماء بعد موت أمه . قال ابن زبالة : عرض سوق المدينة ما بين المصلى  
إلى جرار سعد بن عُبَادَةَ .

قلت : فهى مما يلي السوق ، فإما أن يكون من جهة المشرق والمصلى حده  
من جهة المغرب ، فيشهد ذلك لأنها الموضع المعروف اليوم بين أهل درب السويقة  
بسقيفة بنى ساعدة ، ويكون إطلاق السقيفة على ذلك الحل صحيحًا ، لا كما قال  
المطري : إنها بقرية بنى ساعدة عند بئر بُضَاعَةٍ ؛ لأن سعد بن عبادَةَ لم يكن  
هناك ، وإنما كان مع رَهْطه في منزلهم ، والسقيفة كانت عند منزله ، وإما أن  
يكون جِرَارُ سَعْدٍ مما يلي السوق من جهة الشام ، ويكون المصلى حده القبلى ،  
وهذا هو الأرجح ؛ لأن الجهة التى بالمشرق مما تقدم إنما هى من منازل بنى  
زريق ، والله أعلم .

قال ابن زبالة : فابتنوا أطمًا يقال له واسط ، وقد تقدم أن بنى خدارة نزلوا  
بجرار سعد أيضًا ، فكأنها كانت منزلها ، وبنو خدارة من بنى الحارث بن الخزرج  
كما تقدم ، فدارهم المرادة في حديث عِيَادَةَ سعد بن عُبَادَةَ في بنى الحارث بن

(١) دجانة : بضم الدال ، واسم أبي دجانة سمالك بن خرشة

الخزرج ، لا دار بنى الحارث المعروفة بهم لبعدها جداً عن منازل بنى ساعدة ، وليسوا قوم سعد إلا من حيث إن السكل من الخزرج .  
وفي حديث عائشة في الصحيح بعد قول عُرْوَة لها : ما كان يعيشكم ؟ قالت :  
الأسودانِ التمرُ والماء ، إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار كانت لهم مناجح ، الحديث .

قال الحافظ ابن حجر في بيان ذلك : جيرانه صلى الله عليه وسلم من الأنصار سعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حزم وأبو أيوب وسعد بن زُرارة ؛ فيبعد كون سعد بن عبادة في دار بنى الحارث لعدم في الجيران ، وما أخذ الحافظ ابن حجر في ذلك ما رواه ابن سعد عن أم سلمة قالت : كان الأنصار يُكثِرُونَ إلطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم : سعد بن عبادة ، وسعد بن معاذ ، وعمارة ابن حزم ، وأبو أيوب ، وذلك لقرب جوارهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى ، والله أعلم .

ونزلت بنو وقش و بنو عنان ابنا ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة الدار التي يقال لها « بنو ساعدة » ويقال لها أيضاً « بنو طريف » وهي بين الحمضة وجرار سعد ، وسيأتي في ترجمة الشوط ما يقتضى أن لبني ساعدة منزلاً في شامي مسجد الراية ، والظاهر أنه هذا المنزل ، والله أعلم .

ونزل بنو مالك بن النجار دارهم المعروفة بهم ، فابتنى بنو غنم بن مالك أطماً يقال له « فويرع » وفي موضعه دار حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ! .

قلت : وهي الدار المقابلة لدار جعفر الصادق التي في قبلة المدرسة الشهابية ، كما سيأتي نقله عن ابن شبة .

وابتنى بنو مغالة - وهم بنو عدى بن عمرو بن مالك ، ومغالة أم عدى - أطماً يقال له « فارع » وهو الأطم الذي يواجه دور بني طلحة بن عبيد الله ، ودخل

في دار [ جعفر ] بن يحيى بن خالد بن برمك ، وله يقول حسان بن ثابت :  
أرقتُ لتَوَمَّاضِ البروق اللوامعِ ونحن نَشَاوَى بين سُلْعٍ وفارع  
قاله ابن زبالة .

وقال الزين المراغى : إن هذا الأطم كان لثابت والد حسان بن ثابت ، وإنه  
دخل في الدار المواجهة لباب الرحمة التي كانت دار عاتكة ، ومأخذه في ذلك أن  
دار عاتكة من جملة دار جعفر بن يحيى ، لكن سيأتى من كلام ابن زبالة ويحيى  
عند ذكر أبواب المسجد أن دار جعفر بن يحيى دخل فيها بيت عاتكة وفارع أطم  
حسان بن ثابت ، وبيننا محله هناك في شامى الدار المذكورة ، أعنى دار عاتكة ،  
وفارع هذا هو الأطم الذى كانت به صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم  
الخنديق وعندها حسان .

وفي مسلم في حديث ابن صَيَّاد « فوجده عند أطم بنى مَعَالَةَ » .  
قال عياض : بنو مَعَالَةَ كل ما كان على يمينك إذا وقفت آخر البلاط  
مستقبل المسجد النبوى .

وابتنى بنو حُدَيْلَةَ ( بضم الحاء المهملة<sup>(١)</sup> ) وهو — كما قال ابن زبالة وغيره —  
لقب معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار أطما يقال له « مشعط » كان في غربى  
مسجدهم الذى يقال له « مسجد أبى » يعنى أبى بن كعب ، وفي موضعه بيت  
يقال له « بيت أبى نبيه » وقد أسند ابن زبالة عقب ذكره الحديث المتقدم « إن  
كان الوباء فى شىء فهو فى ظل مشعط » وذكر ابن شبة قصر بنى حُدَيْلَةَ ، وقال :  
بناه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ليكون حصناً ، قال : وله بابان : باب  
شارع على خط بنى حُدَيْلَةَ ، وباب فى الزاوية الشرقية اليمانية عند دار محمد  
ابن طلحة التميمى ، وفى وسطه بئر حاء ، انتهى .

وقال عياض فى المشارق : بئر حاء : موضع يعرف بقصر بنى حُدَيْلَةَ ، وقد قال  
ابن إسحاق : بنو عمرو بن مالك بن النجار هم بنو حُدَيْلَةَ ، أى لأن حُدَيْلَةَ بطن  
(١) كذا وقع هنا وفيما يلى ( ص ٢١٢ س ٨ ) وضبطت فى الخلاصة بالجيم

منهم ؛ لما قدمناه من أنه لقب أبيهم معاوية بن عمرو بن مالك .  
قلت : فليس بنو حُدَيْلَة هؤلاء بنى معاوية من الأوس أهل مسجد الإجابة  
كما قدمناه ، ولكن الاشتراك فى الاسم أوجب الوهم ، فقد وقع للقاضى عياض فى  
المشارك ما يخالف كلام عامة الناس ، فقال : قال الزبير : كل ما كان من المدينة عن  
يمينك إذا وقفت آخر البلاط مستقبل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بنومغالة ،  
والجهة الأخرى أى التى على يسارك بنو حُدَيْلَة ، وهم بنو معاوية وهم من الأوس .  
قال الجوهري : هى قرية من قرى الأنصار ، قال القاضى : هم بطن من  
الأنصار سميت جهتهم بهم ، وهم أيضاً بنو حُدَيْلَة ( بحاء ودال مهملتين ) وحُدَيْلَة  
أهمهم ، انتهى .

والذى نقله غيره عن الزبير أن بنى حُدَيْلَة من بنى النجار من الخزرج ،  
و بنو معاوية من الأوس غيرهم ، وقد قدمناه عن ابن زبالة شيخ الزبير ، وقد ذكر  
ابن حزم فى الجمهرة معاوية من الأوس ، وذكر بنى حُدَيْلَة من الخزرج ، فقال :  
« وولد مالك بن النجار معاوية وأمه حُدَيْلَة فنسب إليها ، والظاهر أن قول القاضى  
« وهم من الأوس » ليس من كلام الزبير فى هذا الموضع ، ولكن القاضى لما  
رأى قوله « وهم بنو معاوية » ظن أنهم بنو معاوية من الأوس ، وهذا موجب  
ما وقع للمطرى من الخلط فى هذا المحل ، حيث غاير بينهما مرة وجعلهما متحدين  
أخرى ، ولا يصح الجمع بما ذكره المراجع من احتمال أن يكون بنو معاوية بطناً  
أو فخذاً من بنى حُدَيْلَة ؛ لما قدمناه .

وابتنى بنو مبذول<sup>(١)</sup> - واسمه عامر بن مالك بن النجار - أطماً يقال له « السلاج »  
وأطماً كان فى دار آل حُبَيْب بن أخطب كان لبنى مالك بن مبذول ، وأطماً كان فى  
دار سرجس مولى الزبير التى إلى بقيع الزبير كان لآل عبيد بن النعمان أخى  
النعمان بن عمرو بن مبذول ، وبقيع الزبير ذكر فى أما كن يؤخذ منها أنه كان

---

(١) وقع فى المطبوعات « مبذول » بالدال المهملة ، تطبيع



في شرق الدور التي تلي قبلة المسجد النبوي إلى بني زريق، وإلى بني غنم، وإلى البقال<sup>(١)</sup> كما سيأتي .

ونزل بنو عدي بن النجار دارهم المعروفة بهم غربى المسجد النبوي ، على ما قاله المطري ، وكان بها الأطم الذي في قبلة مسجدهم ، وابتنوا أطمًا يقال له « أطم الزاهربة » امرأة سكنته كان في دار النابغة عند المسجد الذي في الدار .

ونزل بنو مازن بن النجار دارهم المعروفة بهم قبلي بئر البصة ، وتسمى الناخية اليوم أبو مازن ، غيّرَها أهل المدينة .

قال المطري : وابتنوا بها أطمين أحدهما يقال له « واسط » قلت : والذي يؤخذ من كلام ابن شبة الآتي في منازل القبائل أن منازل بني مازن كانت في قبلة المدينة شرقى منازل بني زريق قريبة منها ، والله أعلم .

ونزل بنو دينار بن النجار دارهم التي خلف بطنحان المعروفة بهم ، وابتنوا أطمًا يقال له « المنيف » عند مسجدهم الذي يقال له مسجد بني دينار ، قاله ابن زبالة ، وقال المطري في بيان هذا المسجد : ودار بني دينار بن النجار بين دار بني حذيلة ودار بني معاوية أهل مسجد الإجابة ، ودار بني حذيلة عند بئرحاء ، اه ولا أدري من أين أخذ هذا ، وما ذكره ابن زبالة أقرب وأولى بالاعتماد لأمرٍ سنذكرها في بيان مسجدهم .

قال ابن زبالة : وزعم بنو دينار أنهم نزلوا أولا دار أبي جهم بن حذيفة العدوي ، وكانت امرأة منهم هنالك ، وكان لها سبعة إخوة ، فوقفت على بئرهم بدار أبي جهم ومعهامدري لها من فضة فسقط منها في البئر ، فصرخت بإخوتها ، فدخل أولهم يخرجها فأسر ، فاستغاث ببعض إخوته حتى دخلوا جميعا فأتوا في تلك البئر ، فهذه منازل بني النجار .

قال المطري وتبعه من بعده : إن دار النابغة المتقدمة في بني عدي كانت غربى مسجد الرسول ، وهى دار بني عدي بن النجار ، ومسجد الرسول صلى الله

---

(١) البقال : بفتح الباء ، وتشديد القاف ، وهو اسم موضع

عليه وسلم وما يليه من جهة الشرق دار بنى غانم بن مالك بن النجار ، ودور بنى النجار بالمدينة وما حولها من الشمال إلى مسجد الإجابة ، والنجار : هو تيم الله بن ثعلبة ، وسمى بذلك لأنه ضرب رجلا فنجّره ، فقليل له : النجار ، وفي دور بنيه هؤلاء قال النبي صلى الله عليه وسلم «خيرُ دورِ الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل» وهم من الأوس كما سبق . وفي رواية أخرى « ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟ قالوا : بلى ، قال : بنو عبد الأشهل ، وهم رهط سعد بن معاذ ، قالوا : ثم من يارسول الله ؟ قال : ثم بنو النجار » وراويهما واحد ، وقد صحّنا ، فاختلف عليه ، وتقديم بنى النجار روى عن أنس من غير اختلاف عليه ، ولها مؤيدات أخرى ، وهم أحوال عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup> ، ولذلك نزل عليهم صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ، ثم ذكر في الرواية المذكورة بعد بنى عبد الأشهل بنى الحارث ابن الخزرج أى الأكبر « ثم بنو ساعدة » وقال في هذه الرواية أيضا « وفي كل دور الأنصار خير » وكان المفاضلة وقعت بحسب السبق إلى الإسلام ، وبحسب مساعيهم في إعلاء كلمة الله

قال ابن زبالة عقب ذكر جميع منازل الأنصار المتقدمة : ونزل بنو الشطبة حين قدموا من الشام ميطان ، فلم يوافقهم ، فتحولوا قريبا من جذمان ، ثم تحولوا فنزلوا براتج ، فهم أحد قبائل راتج الثلاث ، وقد ذكر راتج في منازل يهود فقال : وكان براتج ناس من اليهود ، وكان راتج أطما سميت به تلك الناحية ، ثم صار لبنى الجذماء ، ثم صار بعد لأهل راتج الذين كانوا حلفاء بنى عبد الأشهل ، وهو الذى يقول له قيس ابن الخطيم :

\* ألا إن بين الشرّ بى وراتج \* البيت

وقد قدمنا عن ابن حزم أن أهل راتج هم بنو عؤرا بن جشم أخى عبد الأشهل بن جشم ، وذكر أيضا أن من أهل راتج بنى سعد بن مرة بن مالك ابن الأوس .

(١) ويقال إن عبد الله والد الرسول صلى الله عليه وسلم مدفون في «دار النابغة»

وقال المطري : راتج جبيل صغير غربى وادى بطنحان ، وبجنبه جبيل آخر صغير يقال له جبل بنى عبيد ، انتهى . وسيأتى ما ينازع فيه مع بيان أن راتجا فى ناحية مسجد الراية

### الفصل السادس

فما كان بينهم من حرب بُعَاث

نقل رزين عن الشرقى أن الأوس والخزرج لبثوا بالمدينة ما شاء الله وكنتمهم واحدة ، ثم وقعت بين الأوس والخزرج حروب كثيرة حتى لم يُسمع قطُّ فى قوم أكثر منها ولا أطول

الحروب  
قبل بعث

أولها : حرب سُمَيْر ، وسببه رجلٌ من بنى ثعلبة كان حليفاً للمالك بن العَجْلان ، قتله رجل من الأوس يقال له سُمَيْر بالمهمة مصغرا . ثم حرب كعب بن عمرو ، ثم يوم السراة ، وهو موضع بين بنى بياضة والحماضة ، ثم يوم الديك ، وهو موضع أيضا ، ثم حرب بُعَاث ، وهو كان آخرها ، قتل فيه سَرَاةُ الأوس والخزرج ورؤساؤهم .

قلت : فى كلام بعضهم أنه كان بين الأوس والخزرج وقائع من أشهرها يوم السراة ، ويوم فارع ، ويوم الفِجَار الأول والثانى ، وحرب حضير بن الأسلت ، وحرب حاطب بن قيس ، إلى أن كان آخر ذلك يوم بُعَاث ، فقول الخطابى « يوم بعث يوم مشهور كانت فيه مَقْتَلَةٌ عظيمة للأوس على الخزرج ، وبقيت الحرب قائمة مائة وعشرين سنة إلى الإسلام على ما ذكره ابن إسحاق وغيره » مؤول بأن حروب الأوس والخزرج كلها قبل بُعَاث وبعده مكثت هذه المدة ، وإلا فهو مردود ، وسيأتى تعيين تاريخ يوم بُعَاث

سبب  
حرب بعث

وكان سببه أن الحروب المتقدمة كلها كان الظَّفَرُ فى أكثرها للخزرج على الأوس ، حتى ذهبت الأوس لتحالف قُرَيْظَةَ ، فأرسلت إليهم<sup>(١)</sup> الخزرج : لئن

---

(١) إليهم : أى إلى بنى قريظة

فعلتم فأذنوا بحرب ، ففترقوا وأرسلوا إلى الخزرج : إنا لبالغناهم ، ولا ندخل بينكم ، فقالت الخزرج لليهود : فأعطونا رهائن ، وإلا فلا نأمنكم ، فأعطوهم أربعين غلاماً من بينهم ، ففترقهم الخزرج في دورهم ، فلما أيسر الأوس من نصرة اليهود حالفت بطوناً من الخزرج منهم بنو عمرو بن عوف ، وقال سائرهم : والله لا نصالح حتى ندرك ثأرنا ، فتقاتلوا ، وكثر القتلى في الأوس لما أخذهم قوتهم ، وخرج سعد بن معاذ الأشجلى ، فأجاره عمرو بن الجحوم الحرامى ، فلما رأت الأوس أن أمرهم إلى قتل عزموا على أن يكونوا حلفاً للخزرج في المدينة ، ثم اشتوروا في أن يحالفوا قريشاً ، فأظهروا أنهم يريدون العمرة ، وكان بينهم أن من أراد حجاً أو عمرة لم يعرض له ، فأجار أموالهم بعدهم البراء بن معرور ، فأتوا مكة فحالفوا قريشاً ، ثم جاء أبو جهل - وكان غائباً - فنقض حلف قريش بحيلة احتالها .

قلت : روى ابن شبة عن أفلح بن سعيد ما يخالفه في نسبة ذلك لأبى جهل مع بيان الحيلة ، فقال : خرجت الأوس جالية من الخزرج حتى نزلت على قريش بمكة فحالفتها ، فلما حالفتهم قال الوليد بن المغيرة : والله ما نزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شرفهم وورثوا ديارهم ، فاقطعوا حلف الأوس ، فقالوا : بأى شيء ؟ قال : إن في القوم حمية ، قولوا لهم : إنا نسينا شيئاً لم نذكره لكم ، إنا قوم إذا كان النساء بالبيت فرأى الرجل امرأة تعجبه قبلها ولمسها بيده ، فلما قالوا ذلك للأوس نفرت وقالوا : اقطعوا الحلف بيننا وبينكم ، فقطعوه ، انتهى .

فلما لم يتم لهم الحلف ذهبت النبيت إلى خيبر - قلت : أراد بالنبيت بعضهم ، وهم بنو حارثة ؛ لما قدمناه من أن النبيت يطلق عليهم وعلى بنى عبد الأشهل وبنى ظفرو وبنى زعورا ، والذي انتقل من هؤلاء إلى خيبرهم بنو حارثة فقط كما سبق ، إلا أن يريد غيره - فأقاموا بها سنة ، ومات منهم عجوز فقالوا « أهون حادث موت عجوز في سنة » فذهب مثلاً ، فلما رأت الخزرج أن قد ظفرت

بالأوس افتخروا عليهم في أشعارهم ، وقال عمرو بن النعمان البياضى : يا قوم إن بياضة بن عمرو أنزلكم منزل سوء ، والله لا يمس رأسى غسلا حتى أنزلكم منازل بنى قريظة والنضير وأقتل رُهنهم ، وكان لهم غزار المياه وكرام النخل ، وقال رجل منهم أيضاً شعراً يتغنى به يذكر جلاء النبيت إلى خير وأخذهم الرهن من اليهود :

هَلُمَّ إِلَى الْأَحْلَافِ إِذْ رَقَّ عَظْمُهُمْ      وَإِذَا أَصْلَحُوا مَالًا لَجُذْمَانِ ضَائِعًا  
إِذَا مَا أَمَرُوا مِنْهُمْ أَسَاءَ عِمَارَةٌ      بَعَثْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ بَنِي الْعِمْرِ جَادَعًا  
فَأَمَّا الصَّرِيحُ مِنْهُمْ فَتَحَمَّلُوا      وَأَمَّا الْيَهُودُ فَاتَّخَذْنَا بَضَائِعًا  
وَذَاكَ بَأَنَا حِينَ نَلْقَى عَدُوَّنَا      نَصُولُ بَضْرِبٍ يَتْرُكُ الْعِزَّ خَاشِعًا

فبلغ قولهم قريظة والنضير وهم المعنيون بالصریح لأنهم من بنى الكاهن بن هارون ، وبلغ ذلك أيضاً من كان في المدينة من الأوس ، فمشوا إلى كعب بن أسد القرظى ، فدعوه إلى المحالفة على الخزرج ، ففعل ، ثم تحالفوا مع قريظة والنضير ، ثم أرسلوا بذلك إلى النبيت فقدموا فأخذت الخزرج في قتل الرهن ، فقال لهم كعب بن أسد القرظى : إنما هي ليلة ثم تسعة أشهر وقد جاء الخلف ، وأرسلوا إلى الأوس وقالوا لهم : انتهضوا إلينا ، فنأتيهم بأجمعنا ، فجاءت الخزرج إلى عبدالله ابن أبي فقالوا : مالك لا تقتل الرهن ؟ فقال : لا أغدرهم أبداً ، وأتم البغاة ، وقد بلغنى أن الأوس تقول : منعونا الحياة فيمنعونا الموت ، والله ما يموتون أو تهلكون عامنكم ، فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سحرُك ، فقال : إني لا أحضركم ، ولكأنى أنظر إليك قتيلاً يحملك أربعة في كساء .

فاجتمع الخزرج ورأسوا عليهم عمرو بن النعمان - قلت : الذى ذكره ابن حزم أن رئيس الخزرج يومئذ هو والد النعمان ، وهو رحيلة بن ثعلبة البياضى ، والله أعلم - فاقتتلوا في بُعَاث ، وهو موضع عند أعلى قورى ، وكانت الدبرة على الخزرج ، وقتل عمرو بن النعمان ، وجيء به تحمله أربعة كما قال له ابن أبي ، وحلفت اليهود لتهدمن حصن عبدالله بن أبي ، وكان أبو عمرو الراهب مع الأوس ،

وكانت تحته جميلة بنت أبيّ ، وهى أم حنظلة الغسيل ، فلما أحاطوا بالحصن قال لهم عبد الله : أما أنا فلم أحضر معهم ، وهؤلاء أولادكم الذين عندى فإننى لم أقتل منهم أحدا ، ونهيتُ الخزرج فعصوني ، وكان جل من عنده من الرهن من أولاد بنى النضير ، ففرحوا حين سمعوا بذلك ، فأجاروه من الأوس ومن قريظة ، فأطلق أولادهم وحالفهم ، ولم يزل حتى ردهم حلفاء الخزرج بحيلٍ تحيّل بها ، وكان رئيس الأوس فى هذه الحرب حُضير الذى يقال له « حضير الكتائب » والدُ أسيد بن حُضير ، وبها قتل ، وقال خُفّاف بن نَدْبَة يرثى حُضيرا :

أتانى حديث فكذبته وقالوا : خليلك فى المرّمسِ

فيا عين بكى حُضير الندى حضير الكتائب والمجلس

وكان رئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضى كما تقدم أيضاً ، قال بعضهم : وكان النصر فيها أولا للخزرج ، ثم ثبت حضير الأوس فرجعوا وانتصروا .  
وذكر أبو الفرج الأصبهاني أن سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أن الأصيل لا يقتل بالحليف ، فقتل رجل من الأوس حليفا للخزرج ، فأرادوا أن يُقيّدوه فامتنعوا ، فوقعت بينهم الحرب لأجل ذلك .

وكان يوم بعث قبل الهجرة بخمس سنين على الأصح ، وقيل : بأربعين سنة ، وقيل : بأكثر ، وهو اليوم الذى تقول فيه عائشة رضى الله عنها كما فى الصحيح « كان يوم بُعث يوم قدّمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فى دخولهم فى الإسلام ، فقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق ملوئهم وقتلت سراتهم » يعنى الأوس والخزرج ، ومعناه أنه قتل فيه من أكابرهم من كان لا يؤمن أن يتكبر ويأنف أن يدخل فى الإسلام لتصلبه فى أمر الجاهلية ولشدة شكيمته حتى لا يكون تحت حكم غيره ، وقد كان بقى منهم من هذا النمط عبد الله بن أبيّ بن سلول ، وقصته فى ذلك مشهورة ، وكذلك أبو عامر الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق ، قال أهل السير : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وسيد أهلها عبد الله بن أبيّ بن

سلول ، كان من الخزرج ثم من بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى الحُبْلَى ، لا يختلف في شرفه في قومه اثنان ، لم تجتمع الأوسُ والخزرجُ قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين حتى جاء الإسلام غيره ، ومعه في الأوس رجل هو في قومه من الأوس شريف مطاع أبو عامر بن صيفي بن النعمان أحد بني ضبيعة بن زيد ، وهو أبو حنظلة الغسيل ، وكان قد ترهَّبَ ولبس المُسُوحَ ، فشَقِيًّا بشرفهما : أما عبد الله بن أبي فلما انصرف عنه قومه إلى الإسلام ضَمِنَ ورأى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استلبه ملكا ، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارهًا مصرًا على نفاق وضمن ، فكان رأس المنافقين ، وإليه يجتمعون ، وهو القائل في غزوة بنى المصطلق «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل»<sup>(١)</sup> وأما أبو عامر فأبى إلا الكفر والفراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فقال : ما هذا الدين الذي جئت به ؟ قال : جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم ، قال : فأنا عليها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك لست عليها ، قال : إنك أدخلت يا محمد في الحنيفية ما ليس منها ، قال : ما فعلتُ ، ولسكني جئتُ بها بيضاء زَقِيَّةً ، قال : الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فمن كَذَّبَ ففعل الله ذلك به ، فكان هو ذاك عدو الله : خرج إلى مكة مفارقاً الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقولوا الراهب ، ولكن قولوا الفاسق » فلما افتتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة خرج إلى الطائف ، فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام ، فمات بها طريداً غريباً وحيداً .

وروى بعضهم أنه لم يكن في الأوس والخزرج رجلٌ أوصَفُ لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبي عامر المذكور ، وكان يألف اليهود ويسألهم فيخبرونه بصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج إلى يهود تَبِئَاءَ وإلى الشام ، فسأل النصارى

فأخبروه بذلك ، فرجع وهو يقول : أنا على دين الحنيفية ، وترهبَ ولبسَ المُسُوحَ ، وزعم أنه ينتظر خروجَ النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ظهر بمكة لم يخرج إليه ، فلما قدم المدينة حسدَ وبغى ، وذكر إتيانه النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ماسبق ، إلا أنه قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الكاذب أُماته الله وحيداً طريداً » قال : آمين ، ثم ذكر خروجه إلى مكة ، وزاد : فكان مع قريش يتبع دينهم وترك ما كان عليه ؛ فهذا مصداق ما ذكرت عائشة رضى الله عنها .

### الفصل السابع

فى مبدأ إكرام الله لهم بهذا النبي صلى الله عليه وسلم  
وذكر العقبة الصغرى

اعلم أن تلك الحروب المتقدمة لم تزل بين الأوس والخزرج حتى أكرمهم الله باتباعه صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه فى كل موسم من مواسم العرب على قبائلهم ، ويقول : ألا رجلٌ يحملنى إلى قومه ؟ فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى ، فيأبونه ويقولون : قومُ الرجل أعلم به .

وذكر ابن إسحاق عرَّضه عليه الصلاة والسلام نفسه على كِنْدَةَ وعلى كَلْبٍ وعلى بنى حنيفة ، قال : ولم يكن أحد من العرب أقْبَحَ رداً عليه منهم ، وقال موسى بن عقبة عن الزهرى : فكان فى تلك السنين - أى التى قبل الهجرة - يعرض نفسه على القبائل ، ويكلم كل شريف قوم ، لا يسألهم إلا أن يؤووه ويمنعوه ، ويقول : لا أكره أحداً منكم على شيء ، بل أريد أن تمنعوا من يؤذينى حتى أبلغ رسالة ربى ، فلا يقبله أحد .

وذكر الواقدى دُعاه صلى الله عليه وسلم بنى عَبَسَ إلى الإسلام ، وأنه أتى غَسَّانَ فى منازلهم بمكافئ وبنى محارب كذلك ، ولم يزل صلى الله عليه وسلم يدْعُو إلى دين الله ، ويأمر به كلَّ مَنْ لقيه وراَه من العرب ، إلى أن قَدِمَ سُويْدُ بن



الصامت أخو بني عمرو بن عوف من الأوس ، وكان يسمى « الكامل » لجلده وشعره ، وهو الفائل :

فَرَشَنِي بِخَيْرِ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي فَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي  
فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَبْعُدْ وَلَمْ يَجِبْ ، ثُمَّ  
انصرف إلى يثرب ، فلم يلبث أن قُتِلَ يَوْمَ بُعَاثَ .

قال ابن إسحاق : فإن كان رجال من قومه ليقولون : إنا نراه قد قتل وهو مسلم ، وقدم مكة أبو الحَيَّسَر<sup>(١)</sup> أنس بن رافع وهو في فِتْيَةٍ من قومه بني عبد الأشهل يطالبون الحِلْفَ ، فدعاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فقال رجل منهم اسمه إياس بن معاذ وكان شاباً : هذا والله خير مما قدمنا ، فضربه أبو الحَيَّسَر<sup>(١)</sup> وانهره ، فسكت ، ثم لم يتم لهم الحلف ، فانصرفوا إلى بلادهم ، ومات إياس بن معاذ فقيل : إنه مات مسلماً .

وقال رزين في ذكر هذه القصة : ثم جاءت الأوس تطلب أن تحالف قريشا ، فجاءهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وعرض نفسه عليهم ، وقال : اسْمَعُوا مِنِّي ، هل لكم في خير مما جئتم له ؟ وتلا عليهم القرآن ، ثم قال : يا معزوني واتبعوني ؛ فإنكم ستجمعون بي ، فقال عمرو بن الجوح : هذا أي قوم والله خير لكم مما جئتم له ، فانهروه ، وقالوا : ما جئنا لهذا ، ولم يُقْبَلُوا عَلَيْهِ ، ثم انصرفوا ، فكانت وقعة بُعَاثَ .

وقال ابن زبالة : إنه صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على القبائل فيأبونه ، حتى سمع بنجر من الأوس قدموا في المنافرة التي كانت بينهم ، فأتاهم في رحالهم ، فقالوا : مَنْ أَنْتَ ؟ فانتسب لهم ، وأخبرهم خبره ، وقرأ عليهم القرآن ، وذكر أنهم أخواله ، وسألهم أن يؤووه ويمنعوه حتى يبلغ رسالات ربهم ، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا : والله هذا صادق ، وإنه للَنَّبِيِّ الَّذِي يَذْكُرُ أَهْلَ الْكِتَابِ وَيَسْتَفْتِحُونَ

(١) في المطبوعات كلها « أبو الجيسر » تطبيع ، وما أثبتناه عن سيرة ابن هشام

به عليكم ، فَاغْتَنِمُوهُ وَأَمْنُوا بِهِ ، فقالوا : أنت رسول الله ، قد عَرَفْنَاكَ وَأَمْنَا بِكَ وَصَدَقْنَاكَ ، فمرنا بأمرك فَإِنَّا لَنُعَصِيكَ ، فسرَّ بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل يختلف إليهم ، ويزدادون فيه بصيرة ، ثم أمرهم صلى الله عليه وسلم أن يَدْعُوا قَوْمَهُمْ إِلَى دِينِهِمْ ، فسألوه أن يرتحل معهم ، فقال : حتى يأذن لي ربي ، فلتحقوا بأهلهم المدينة ، ثم شَخَّصُوا إِلَيْهِ فِي الْمَوْسِمِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَقَبَةِ مَا كَانَ ، وهو مخالف لما تقدم من أن النفر من الأوس لم يقبلوا .

وقد أخرج الحاكم وغيره بإسناد حسن عن علي رضي الله عنه قال : لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب وخرَجَ وأنا معه وأبو بكر إلى متى حتى دفعنا إلى مجلس من مجالس العرب ، وتقدم أبو بكر وكان نَسَابَةً ، فقال : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قالوا : ربيعة ، فذكر حديثاً طويلاً في مُرَاجَعَتِهِمْ وَتَوَقُّفِهِمْ أَخيراً عَنْ الْإِجَابَةِ ، ثم قال : ثم دفعنا إلى مجلس الأوس والخزرج ، وهم الذين سَمَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْصَارَ ، لكونهم أجابوه إلى إيوائه ونصره ، قال : فما نهضنا حتى يابِعُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقال ابن إسحاق في ذكر العقبة الأولى : لما أراد الله عز وجل إظهار دينه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم ، فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج ، قال : أمن موالى<sup>(١)</sup> يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وكان مما صنع الله لهم في الإسلام أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل علم وكتاب ، وكانوا هم أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا قد غزوه في بلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم : إن نبياً مبعوث قد أظلم زمانه تتبعه تقتلكم معه قتل عاد وإرم ، فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم

---

(١) الموالى : جمع مولى ، وهو هنا بمعنى الحليف

إلى الله قال بعضهم لبعض : تَعَلَّمُوا<sup>(١)</sup> إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَدَّكُمْ بِهِ يَهُودٌ ، فَلَا تَسْبِقُنْكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّا تَرَكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ يَجْمَعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْكَ فَلَا رَجُلَ أَعَزَّ مِنْكَ ، ثُمَّ انصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ لِيَدْعُوا قَوْمَهُمْ ، فَلَمَّا جَاؤُهُمْ لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ قَوْمِهِمْ إِلَّا وَفِيهَا ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَهُمْ - يَعْنِي أَصْحَابَ الْعَقْبَةِ الْأُولَى - فِيمَا ذَكَرَ لِي سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزَرَجِ ، وَهُمْ : أَبُو أَمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَعُوفُ بْنُ الْحَارِثِ ، كَلَاهَا مِنْ بَنِي غَنَمٍ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ الزَّرَقِيُّ ، وَقُطَيْبَةُ بْنُ عَامِرٍ بْنُ حَدِيدَةَ ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَثَابٍ ، وَعَقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِيٍّ ، وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ .

وَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقْبَةَ عَنِ الزَّهْرِيِّ وَأَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ عُرْوَةَ : هُمْ أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ ، وَمَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ وَهِيَ أُمُّهُ ، وَهُوَ ابْنُ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ مِنْ بَنِي غَنَمٍ بْنُ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ أَيْضًا ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْبُلُوعِيِّ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي غَضِيبَةَ حَلِيفِهِمْ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ مَالِكُ بْنُ التَّيْهَانِ الْأَوْسِيِّ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي جُشَمٍ أَخِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بْنُ جُشَمٍ ، وَعُؤَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ الْأَوْسِيِّ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَيُقَالُ : كَانَ فِيهِمْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ الْخَزَرَجِيُّ ثُمَّ مِنْ بَنِي غَنَمٍ أَخِي سَالِمِ بْنِ عُوفٍ ، وَذُكْوَانُ الزَّرَقِيِّ ، فَيَكُونُونَ ثَمَانِيَةً ، وَمِنْهُمْ مِنْ عَدَّتْهُمْ سَبْعَةٌ فَأَسْقَطَ جَابِرُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ ، وَقِيلَ : إِنَّمَا أَسْلَمَ فِي الْعَامِ الْأَوَّلِ اثْنَانِ فَقَطْ ، هُمَا أَسْعَدُ بْنُ زُرَّارَةَ وَذُكْوَانُ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي ذِكْرِ الْعَقْبَةِ - يَعْنِي الثَّانِيَةَ لِمَا قَدَّمَهُ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْمِيهَا الْأُولَى - : فَلَمَّا كَانَ الْمَوْسِمُ - يَعْنِي مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ - وَافَاهُ مِنْهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا ، فَذَكَرَ السِّتَّةَ الَّذِينَ قَدَّمَهُمْ غَيْرَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَزَادَ : ذُكْوَانُ الزَّرَقِيِّ ، وَعُبَادَةُ ابْنُ الصَّامِتِ ، وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نُضْلَةَ الْغَنَمِيِّ السَّالِمِيُّ الْخَزَرَجِيُّ ،

(١) تَعَلَّمُوا هُنَا بِمَعْنَى اَعْلَمُوا

ومعاذ بن عفراء ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وعويم بن ساعدة ، قال : فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة على بيعة النساء : أى على وفق بيعة النساء التى نزلت بعد الفتح ، على أن لا يشركوا بالله شيئاً إلى آخر الآية<sup>(١)</sup> ، ولم يكن أمر بالقتال بعد ، بل كان جميع ذلك قبل نزول الفرائض ما عدا التوحيد والصلاة ، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مُصْعَبَ بن عُمَيْرَ ليفقهم فى الدين ويعلمهم الإسلام ، فكان يصلى بهم ، وقيل : بعثه إليهم بعد ذلك بطلبهم ليعلمهم ويقرئهم القرآن ، فكان يسمى «المقرئ» وهو أول من سمي به ، فنزل على أسعد بن زُرَّارة ، وقيل : بعث إليهم مُصْعَبُ بن عمير وابن أم مكتوم ؛ فكان مصعب بن عمير يؤمهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض ، فجمع بهم أول جمعة فى الإسلام - وفى الدارقطى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب إلى مُصْعَبِ بن عمير أن يجمع بهم فجمع بهم وكانوا اثني عشر - .

قال الزهرى : وعند ابن إسحاق أول من جمع بهم أبو أمامة أسعد بن زُرَّارة ، وفى أبى داود من طريق عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال : كان أبى إذا سمع الأذان للجمعة استغفر لأسعد بن زُرَّارة ، فسأله ، فقال : كان أول من جمع بنا فى هَزمِ النبيت من حرّة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضعات . قلت : كم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون . قال البيهقى : ولا يخالف هذا ما روى عن الزهرى من تجميع مصعب بن عمير بهم وأنهم كانوا اثني عشر ؛ إذ مراد الزهرى أنه أقام الجمعة بمعونة الذفر الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة وبعثه صلى الله عليه وسلم فى صحبتهم أو على أثرهم حين كثر المسلمون ، ومنهم أسعد بن زُرَّارة ، فالزهرى أضاف التجميع إلى مصعب لكونه الإمام ، وكعب أضافه إلى أسعد لنزول مصعب أولاً عليه ونصره له وخروجه به إلى دور الأنصار يدعوهم إلى الإسلام ، وأراد الزهرى

(١) أراد الآية الكريمة التى فى سورة النساء الصغرى (المتحنة) ، رقم ١٢

بِالْإِثْنَى عَشَرَ عَدَدَ الَّذِينَ خَرَجُوا بِهِ ، وَكَانُوا لَهُ ظَهْرًا<sup>(١)</sup> ، وَمَرَادُ كَعْبٍ جَمِيعُ مَنْ صَلَّى مَعَهُ ، هَذَا وَقَوْلُ كَعْبٍ مُتَّصِلٌ ، وَقَوْلُ الزَّهْرِيِّ مُنْقَطِعٌ ، اهـ .

وَرَوَى الطَّبْرَانِيُّ مَرْسَلًا فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ يُقَالُ فِيهِ عَنْ عُرْوَةَ : ثُمَّ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا مِنْ قِبَلِكَ يَدْعُو النَّاسَ بِكِتَابِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ أَدْنَى أَنْ يُتَّبَعَ<sup>(٢)</sup> ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، فَنَزَلَ فِي بَنِي غَنَمٍ عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، فَجَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ ، وَيُفْشِرُ الْإِسْلَامَ ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَخْفُونَ بِدُعَائِهِمْ ، ثُمَّ إِنْ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ أَقْبَلَ هُوَ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ حَتَّى أَتَيَا مَرْقَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا ، فَجَلَسَا هُنَاكَ ، وَبَعَثَا إِلَى رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فَأَتَوْهُمُ مُسْتَخْفِينَ ، فَبَيْنَمَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يُحَدِّثُهُمْ وَيَقْصُّ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ أَخْبَرَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَأَتَاهُمْ فِي لَأَمَتِهِ<sup>(٣)</sup> وَمَعَهُ الرُّمُوحُ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ : غُلَامٌ يَأْتِينَا فِي دَارِنَا ، هَذَا الْوَحِيدُ الْفَرِيدُ الطَّرِيدُ الْغَرِيبُ لَيْسَ لَهُ ضَعْفَاءُ تَابُوا بِالْبَاطِلِ وَيَدْعُوهُمْ ، لَا أَرَاكُمْ بَعْدَ هَذَا بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِنَا ، فَارْجِعُوا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَادُوا الثَّانِيَةَ بِيَثْرَ مَرْقَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا فَأَخْبَرَهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الثَّانِيَةَ ، فَتَوَعَّدَهُمْ بِوَعِيدِ دُونَ الْأَوَّلِ ، فَلَمَّا رَأَى أَسْعَدُ مِنْهُ اللَّيْلِينَ قَالَ : يَا ابْنَ خَالَةٍ ، اسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ، فَإِنْ سَمِعْتَ مِنْكَ فَرَدَدَهُ بِأَهْدَى مِنْهُ ، وَإِنْ سَمِعْتَ خَيْرًا فَأَجِبْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : مَاذَا يَقُولُ ؟ فَقَرَأَ عَلَيْهِ مُصْعَبٌ « حُمُ » ، وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ ، إِنْ أَجْعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا أَعْلَمَكُمْ تَعْقِلُونَ<sup>(٤)</sup> » فَقَالَ سَعْدُ : وَمَا أَسْمَعُ إِلَّا مَا أَعْرِفُ ، فَارْجِعْ وَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ ، وَلَمْ يَظْهَرْ أَمْرُ الْإِسْلَامِ حَتَّى رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، فَدَعَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ ، وَقَالَ : مَنْ شَكَّ فِيهِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ فَلْيَأْتِنَا بِأَهْدَى مِنْهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ أَمْرُ لُتَحْزَنَ فِيهِ الرِّقَابُ ، فَأَسْلَمْتُ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ عِنْدَ إِسْلَامِهِ وَدُعَائِهِ إِلَّا مَنْ لَا يَذْكُرُ فَكَانَتْ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَتْ بِأَسْرِهِا ، ثُمَّ إِنْ بَنِي النَّجَارِ اشْتَدُّوا عَلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ ، وَأَخْرَجُوا مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ ، فَانْتَقَلَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، فَلَمْ

(١) كَانَ لَهُ ظَهْرًا : أَيِ أَعْوَانًا مُسَاعِدِينَ (٢) أَدْنَى أَنْ يُتَّبَعَ : أَقْرَبُ

(٣) اللَّأَمَةُ : السَّلَاحُ كُلُّهُ (٤) مِنْ سُورَةِ الزَّخْرَفِ الْآيَاتُ ١ - ٣

يزل يدعو ويهدي على يديه ، حتى قلّ دارٌ من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناسٌ ،  
وأسلم أشرفهم ، وأسلم عمرو بن الجموح ، وكسرت أصنامهم ، فكان المسلمون  
أمر أهلها ، ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اه .

وقد روى هذه القصة ابنُ إسحاق تَمَنَّى سَمَى من شيوخه بزيادة ونقص ،  
فقال : إن أسعد بن زُرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل  
ودار بني ظَفَر ، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر على بئر يقال لها بئر مرق ،  
فجلسا فيه واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، فلما سمع بذلك سعدُ بن معاذ وأسيّد بن  
حُضَيْر — وهما يومئذ سيدا قومهما بني عبد الأشهل — وكلاهما مُشْرِك ، قال  
سعد لأسيّد : لا أبالك ! انطلق إلى هَذَيْنِ الرجلين الذين أتيا دارينا ليسفها  
ضعفائنا ، فازجرُهما وانهمما عن أن يأتيا دارينا ؛ فإنه لولا أن أسعد بن زُرارة منى  
حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ، فأخذ أسيّد حرّبتة ثم أقبل إليهما  
فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمُصْعَب : هذا سيد قومك قد جاءك فاصدُقِ الله فيه ،  
قال : فوقّف عليهما متشمتاً<sup>(١)</sup> ، فقال : ماجاء بكما إلينا تُسَفِّهان ضعفائنا ، اغتبرِ لانا  
إن كانت لكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ؛ فإن رضيت  
أمرأ قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره ؛ قال : أنصفت ، ثم ركز حرّبتة وجلس  
إليهما ، فكلمه مصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله  
لعرّفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ! كيف  
تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل فتطهر ، وتطهر ثيابك  
ثم تتشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ، فقام ففعل ذلك ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا  
إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن سعدُ بن معاذ ، ثم  
انصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهما ، فلما نظر إليه سعد مقبلاً قال :  
أحلفُ بالله لقد جاءكم أسيّدٌ بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما وقف على النادى قال

(١) في نسخة «متسمتا» بالسين المهملة ، ووقع كذلك في الخلاصة .

له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما  
 قفالا : نفعل ما أحببت ، وقد حُدِّثْتُ أن بنى حارثة خرجوا إلى أسعد بن زُرارة  
 ليقتلوه ، وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخْفِرُوكَ ، فقام سعد مُغْضَباً مبادِراً  
 متخوفاً للذى ذكر له ، فأخذ الحربة من يده ثم قال : والله ما أراك أغنيتَ شيئاً ،  
 ثم خرج إليهما ، فلما رآهما مطمئنين عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ،  
 فوقف عليهما متشتماً ثم قال : يا أبا أمامة ، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة  
 ما رُبِّيتَ هذا منى ، أنفُسَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ ، وقد قال أسعد لمصعب بن عمير  
 أى مُصْعَب ، جاءك والله سيدُ مَنْ وراءه من قومه ، إن يَنْتَبِعَكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ  
 منهم اثنان ، فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته  
 وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ، قال سعد : أنصفتَ ، ثم ركز الحربة فجلس ،  
 فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالوا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل  
 أن يتكلم لإشراقه وتَسَهُّله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ؟ فذكر له  
 ما تقدم ، ففعله ، ثم أقبل عامر إلى نادى قومه ومعه أسيدُ بن حُضَيْرٍ ، فلما رآه قومه  
 مقبلاً قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما وقف  
 عليهم قال : يا بنى عبد الأشهل ، كيف تعملون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، أفضَلُنَا  
 رأياً ، وأَيْمُنُنَا نَقِيَّةً<sup>(١)</sup> ، قال : فإن كلام رجالكم ونساءكم حرام على حتى تؤمنوا بالله  
 ورسوله ، قال : فوالله ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً  
 أو مسامة ، ورجع مصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس  
 إلى الإسلام ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ،  
 إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ،  
 وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن صَيْفَى بن الأسَلَتِ ، وكان شاعراً لهم قائداً يسمعون

(١) فلان ميمون النقية : يراد به أنه مظفر المطالب ، والنقية : النفس ، أو هى  
 الطبيعة والخلقة

منه ويطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى بدر واحد والخذق ، ثم أسلموا كلهم .  
وفي التاريخ الأوسط للبخارى أن أهل مكة سمعوا هاتفاً يهتف قبل إسلام سعد بن معاذ :

فإن يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُضْبِحُ مُحَمَّدٌ      بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ  
فيا سَعْدُ سَعْدُ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرَا      وَيَا سَعْدُ سَعْدُ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَارِفِ  
أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الْمَدَى وَتَمَنِّيَا      عَلَى اللَّهِ فِي الْفَرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ  
في أبيات أخرى .

وذكر لها رزين سبباً آخر كما سيأتى ، وهذا أصح ، ولم يذكر ابن إسحاق في الخبر المتقدم إسلام عمرو بن الجحوح ، بل ذكره بعد ذكر العقبة الآتية كما سند كرهه ، نعم ابنه معاذ شهد العقبة .

#### الفصل الثامن في العقبة الكبرى

وبعضهم يسميها العقبة الثانية ، ومقتضى ما قدمناه أن تسمى الثالثة .  
قال ابن إسحاق : ثم إن مصعب بن عمير رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين للقائهم النبي صلى الله عليه وسلم ومبايعته في الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشرك ، حتى قدموا مكة ، فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق ، حين أراد الله بهم ما أراد : من كرامته ، والنصر لنبيه ، وإعزاز للإسلام وأهله ، وإذلال للشرك وأهله .  
وروى ابن إسحاق وصححه ابن حبان من طريقه عن كعب بن مالك قال :  
خرجنا حُجَّاجاً مع مشركي قومنا ، وقد صلينا وفقهنا<sup>(١)</sup> ، ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ، فذكر شأن صلاته إلى الكعبة ، قال : فلما وصلنا إلى مكة ولم نكن رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، فسالنا عنه ، فقيل : هو مع العباس في  
(١) الفقه : العلم ، والمراد أنهم علموا ما أرسل الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم



المسجد ، فدخلنا فجلسنا إليه ، فسأله البراء عن القبلة ، ثم خرجنا إلى الحج وواعدناه العقبة ، فلما كانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، وكنا نكتم من معنا من المشركين أمرنا ومعنا عبد الله بن عمرو والد جابر ، ولم يكن أسلم قبل ، فَعَرَّفَنا أمر الإسلام ، فأسلم حينئذ وصار من النقباء<sup>(١)</sup> ، قال : فَنَمَنَّا تلك الليلة في قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم تَسَلَّلَ الْقَطَاً مستخفين ، فاجتمعنا في الشَّعْبِ<sup>(٢)</sup> عند العقبة ثلاثة وسبعين رجلاً ، ومعنا امرأتان : أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن ، وأسماء بنت عمر بن عدى إحدى نساء بني سلمة ، قال : فجاء ومعهم العباس ، فتكلم فقال : إن محمداً منا من حيث علمتم ، وقد مَنَعْنَاهُ ، وهو في عز ، وقد أبى إلا الانحياز إليكم ، فإن كنتم ترون أنكم وَأَفْوَنَ له بما دعوتهم إليه وما نعوهم من خالفه فأنتم وذاك ، وإلا فن الآن ، قال : فقلنا : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يارسول الله فَخَذَ لنفسك ولربك ما أحببت ، فتكلم ، فدعا إلى الله ، وقرأ القرآن ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم ، قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، فقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما تمنع منه أزرتنا ، فبايعنا يارسول الله فنحن والله أصحاب الحروب وأهل الحِلْمَةِ ورثناها كابراً عن كابر ، فاعترض القول والبراه يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال - يعني اليهود - حِبَالاً ونحن قاطعوها ، فهل عَسَيْتَ إِنْ نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَّعَا ، قال : فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم والهدم الهدم<sup>(٣)</sup> ، أنا منكم وأنتم مني ،

(١) النقباء : جمع نقيب ، وهو كالعريف على القوم المقدم الذي يتعرف أخبارهم

(٢) شعب مبايعة العقبة يقع على يسار الداهب إلى منى (مكة) وانظر ص ٢٣٢

(٣) الهدم : يروي بتحريك الدال وبسكونها ؛ فأما المحرك فمعناه القبر ، يعني أنى

أقبر حيث تقبرون ، وقيل : هو المنزل ، والمعنى منزلكم منزلى ، وأما المسكن فمعناه

إهدار دم القتل ، والمراد على هذا إن طاب دمكم فقد طلب دمي ، وإن أهدر دمكم

فقد أهدر دمي ؛ لاستحكام الألفة بيننا ، قاله ابن الأثير .

أحارب مَنْ حاربتم وأسلم من سلمتم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
أُخْرِجُوا إِلَىٰ مِنْكُمْ اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا يَكُونُونَ عَلَىٰ قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ ، فَأُخْرِجُوا مِنْهُمْ  
اثْنِي عَشَرَ نَقِيبًا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس : فن الخزرج أسعد بن  
زُرَّارة نقيب بني النجار ، وسعد بن الربيع وعبد الله بن رَوَاحَة نقيب بني الحارث  
ابن الخزرج ورافع بن مالك بن العَجَلان نقيب بني زُرَيْق ، والبراء بن مَعْرُور  
وعبد الله بن عمرو بن حرام نقيب بني سلمة ، وعُبَادَة بن الصامت نقيب القبائل  
وفي الطبراني أنه نقيب بني عدى من الخزرج ، فكانه نقيب الجميع ، وسعد بن  
عبادة ، والمندر بن عمرو نقيب بني ساعدة - ومن الأوس أُسَيْد بن حُضَيْر  
نقيب بني عبد الأشهل ، وسعد بن خَيْثَمَة ورفاعة بن عبد المندر نقيب بني  
عمرو بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأهلُ العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ، ولا يعدون رفاعة  
قلت : فيكون أبو الهيثم نقيبًا ثانيًا لبني عبد الأشهل فإنه منهم ، وقد  
صرحوا به .

وجعل صلى الله عليه وسلم النقباء على عدة الأسباط ، وروى أنه نقب على  
النقباء أسعد بن زرارة ، فتوفى بعدُ والمسجدُ النبوي يُبْنَى ، قيل : فاجتمعت  
بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألوه أن يجعل منهم شَخْصًا بدله  
نقيبًا عليهم ، فقال لهم : أنتم أخوالي ، وأنا فيكم ، وأنا نقيبكم ، وكره صلى الله عليه  
وسلم أن يخص بها بعضهم دون بعض ، فكان ذلك من فضل بني النجار  
الذي يَعُدُّون .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم كَمَلَاء على قومكم كَفَالَةَ الْخَوَارِئِينَ لعيسى بن  
مريم ، قالوا : نعم .

وحدث عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن

عبادة بن نضلة أخو بني سالم بن عوف : يامعشر الخرزج ، هل تدرون على م تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت<sup>(١)</sup> أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وأفون له بما دعوتموه إليه على ما ذكرت لكم فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا : فإننا نأخذ على ما قلت ، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفيناً ؟ قال : الجنة ، قالوا : أبسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

قال عاصم : ما قال ذلك العباس إلا ليشدّ العقد في أعناقهم ، وقال غيره : أود التأخير تلك الليلة رجاء أن يحضر عبد الله بن أبي بن سلول فيكون أقوى للأمر .

قال ابن إسحاق : فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من بايع أول من ضرب على يده ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم بن انتيهان ، وفي حديث كعب المتقدم أنه البراء ابن معرور ، ثم بايع القوم .

وفي المستدرک عن ابن عباس : كان البراء بن معرور أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، وعند أحمد عن جابر وعند الحاكم في الإكليل عن كعب بن مالك : قال عبد الله بن رَوَاحَة : يا رسول الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت ، فقال : أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم ، قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : الجنة ، قالوا : ربح البيع ، لا نُقِيل ولا نَسْتَقِيل ، فنزل « إِنْ أَنْتَ اشْتَرَيْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ »<sup>(٢)</sup> الآية .

وفي حديث كعب المتقدم بعد ذكر صُراخ الشيطان أن العباس بن نضلة قال للنبي صلى الله عليه وسلم : والذي بعثك بالحق إن شئت لنمينا على أهل منى غداً

(١) نهكت أموالكم مصيبة : استأصلتها ، وأصله قوالكم « نهكت الناقة حلباً » إذا لم تبقى في ضرعها لبناً (٢) من سورة التوبة من الآية ١١١

بأسيافنا ، فقال صلى الله عليه وسلم : لم أؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكُم ، فرجعنا إلى مضاجعنا فنامنا عليها ، فلما أصبحنا غدت علينا جِلَّةٌ قریشٍ حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه بلغنا أنكم جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله مامن حى من العرب أبغض إلينا أن تشبَّ الحربُ بيننا وبينهم منكم ، فانبعث من هناك من مشركى قومنا يخلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علمناه ، ولقد صدقوا لم يعلموه .

وفي حديث غير كعب أنهم أتوا عبد الله بن أبى ، فقال لهم : إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفقوا على بمثل هذا ، وما علمته كان ، وروى أن مشركى الأنصار الذين حجوا في ذلك العام كانوا خمسمائة نفر ، وأن أهل العقبة كانوا سبعين نفرا .

وفي لفظ عن ابن إسحاق : من الأوس أحد عشر رجلا : ومن القبائل أربعة نفر حلفاء الخزرج ، وكان من بنى الحارث بن الخزرج اثنان وستون رجلا ، فكأنه أدخل في الخزرج حلفاءهم الأربعة ، وإلا فتزيد العدة على ثلاثة وسبعين أربعة .

عدة أهل  
البيعة

وروى رزين أن أهل العقبة كانوا سبعين رجلا وامرأتان ؛ فإنه روى حديث العقبة هذه عن عبادة بن الصامت بنحو حديث كعب المتقدم ، فقال : قال عبادة بن الصامت : فلما كان العام المقبل أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعون رجلا وامرأتان من قومنا ، فواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مسجد شعب العقبة ، عن يسارك وأنت ذاهب إلى منى ، فلما توافينا عنده جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس ، وقال : يا معشر الخزرج ، وهذا الاسم يغلب على الأوس والخزرج جميعاً إذ ذاك ، إن محمداً منا حيث علمتم ،

وقد منعناه كما بلغكم ، فإن كنتم تعلمون أنكم تقدرون على منعه ، وإلا فذرّوه فهو مع قومه في عز ومنعة ، فقام البراء بن معرور فقال : قد سمعنا ما قلت ، وإنا ماضر بنا إليه أكباد الإبل إلا وقد علمنا أنه نبي ، فبايعنا يا رسول الله ، واشترط لنفسك ولربك ما شئت ، فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا إلى الله ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم ، فأخذ البراء بيده ، وقال : نعم والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما تمنع منه أزربنا ، ونحن أهل الخلقة والحصون والحروب ، فقام أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا ، ونحن قاطعوها ، فهل عسيت إن نصرّك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل الدم الدم والهدم الهدم ، المحيا محياكم ، والممات مماتكم ، وأحارب من حاربكم ، وأسلم من سالمكم ، أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيماً يكونوا نقباء على الناس ، فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فبينما هم في ذلك إذ صرخ الشيطان يقول : يا أهل الجباب ، وهي المنازل ، هل لكم في الصبأة<sup>(١)</sup> قد اجتمعوا على حربكم ، ففسال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة لأفرعن لك أي عدو الله ، ارجعوا إلى رحالكم ، نصرّكم الله ، فقال له العباس بن عباد بن نضلة : والذي بعثك بالحق نبياً لئن شئت لنميتن بأسيا فغدأ على منى ، فقال له : لم أومر بذلك ، ثم ذكر قصة كلام قريش في ذلك وحلف مشركي قومه لهم عن ذلك ، قال : ثم إنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرج معنا ؟ قال : ما أمرت به .

قال رزين : وقد قيل إنه وقع بين قريش والأنصار كلام في سبب خروج النبي صلى الله عليه وسلم معهم ، ثم ألقى الرعب في قلوب قريش فقالوا : ليس يخرج معكم إلا في بعض أشهر السنة ، ولا يتحدّث العرب بأنكم غلبتمونا ، فقالت الأنصار : الأمر في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن سامعون لأمره ، فأنزل

(١) الصبأة : جمع صابىء ، وكان مشركو مكة يسمون الرسول وأصحابه بذلك لأنهم خرجوا عن دينهم

الله على رسوله « وإن يريدوا أن يَحِذُّوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ <sup>(١)</sup> » أى : إن كان كفار قريش يريدون المكر بك فسيمكر الله بهم ، فانصرف الأنصار إلى المدينة .

وقيل : إن قريشاً بدا لهم فخرجوا فى آثارهم ، فأدركوا منهم رجلين كانا تخلفا فى أمر ، فردوها إلى مكة : المنذر ، وعباس بن عباد ، فأدركهما جُبَيْر بن مُطْعِم والحارث بن أمية ، فخلصاها ولحقا أصحابهما .

قلت : والذى ذكره غيره أن الرجلين هما المنذر وسعد بن عباد ، فأما المنذر فأعجز القوم ونجا ، وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسج رَحْلِهِ ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بِجُمَّتِهِ ، وكان ذا شعر كثير ، ثم خلصه منهم جُبَيْر بن مُطْعِم والحارث بن أمية ؛ لأنه كان يجير لهما تجارهما ويمنعهم أن يظلموا ببلده .

وذكر رزين عقب ما تقدم عنه إسلام عمرو بن الجُمُوح كما ذكره أهل السير عقب ذلك أيضاً ، وكان عمرو شيخاً كبيراً من سادات بنى سلمة ، وشهد معاذ ابنه العقبة ، وكان لعمرو فى داره صنم من خشب يعبد به يُدْعَى مَنَاة ، فكان معاذ ابنه ومعاذ بن جبل وفتيان بنى سلمة يدجلون بالليل على صنم عمرو فيطرحونه فى بعض حُقَر بنى سلمة وفيها عذر الناس منكساً على رأسه ، فإذا أصبح قال عمرو : مَنْ عدا على إلهنا هذه الليلة ؟ ثم يغدو يلتمسه ، حتى إذا وجده غَسَلَهُ وَطَّيَّبَهُ ثم يقول : والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأخزيتك ، فتكرر ذلك ، فطهره يوماً وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال : إني والله لا أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك ، فلما نام أخذوا السيف وقرنوا كلباً ميتاً بالصنم بحبل ثم ألقيوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر ، فلم يجده عمرو فى

إسلام عمرو  
بن الجُمُوح

(١) من سورة الأنفال من الآية ٢٤

مكانه ، فخرج حتى وجده كذلك ، فلما أبصر ما به وكلمه مَنْ أسلم من قومه  
فأسلم وحسُن إسلامه ، وقال في ذلك :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وقلبٌ وسطُ بئرٍ في قرَنٍ  
أفٍ للملّك إلهاً مستدبٍ الآن فتشّناك عن سوء القَبَنِ  
الحمدُ لله العلى ذى المنن الوهاب الرزاق دَيّان الدين  
هو الذى أتقذنى من قبل أن أكونَ فى ظلمة قبر مُرتَهَنٍ

### الفصل التاسع

فى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم إليها

رؤيا النبى  
دار هجرته

روينا فى الصحيحين حديث « رأيت أنى أهاجرُ من مكة إلى أرض بها  
نخل ، فذهب وهلى<sup>(١)</sup> إلى اليمامة أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب » ووقع للبيهقى من  
حديث صهيب « أُرِيتُ دار هجرتكم سبخة بين ظهراى حرّتين ، فإذا إن يكون  
هجر أو يثرب » ولم يذكر اليمامة ، وللترمذى من حديث جرير « أوحى إلى :  
أى هؤلاء الثلاثة نزلت فى دار هجرتك ، المدينة أو البحرين أو قنسرين »  
واستغربه ، وفيه نظر ؛ لخالفته لما فى الصحيح من ذكر اليمامة ، وأما هَجَرَ فيصح  
التعبير بها عنها لكونها من بلاد البحرين ، وأما قنسرين فهى من أرض الشام ،  
ويحتمل أن يكون أرى ما فى الصحيح وأوحى إليه بالتخيير قبل أو بعد ،  
فاختار المدينة

وقال ابن التين : أرى النبى صلى الله عليه وسلم أولا دار هجرته بصفة تجمع  
المدينة وغيرها ، ثم أرى الصفة المختصة بالمدينة فتعينت .

إذن النبى  
لأصحابه  
فى الهجرة

ثم أذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة إلى المدينة ، وأقام بمكة ينتظر أن يؤذن  
له فى الخروج ، فتوجه بين العقبتين جماعة منهم ابن أم مكتوم ، ويقال : إن أول مَنْ هاجر إلى

(١) الوهل ، بفتح فسكون : الظن والوهم ، وانظر ص ١٠

المدينة أبو سلمة بن عبد الأسد الخزومي زوج أم سلمة ، وذلك أنه أودى لما رجع من الحبشة ، فعزم على الرجوع إليها ، ثم بلغه قصة الاثنى عشر من الأنصار فتوجه إلى المدينة ، فقدمها بُكَرَةً ، وقدم بعده عامر بن ربيعة عشيّة ، ثم توجه مصعب بن عمير ليققه مَنْ أسلم من الأنصار كما تقدم ، ثم توالى خروجهم بعد العقبة الأخيرة ، فخرجوا أرسالا : منهم عمر بن الخطاب ، وأخوه زيد ، وطلحة بن عبيد الله ، وصُهَيْب ، وحزرة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وعبيدة ابن الحارث ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم ، حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم بمكة إلا على بن أبي طالب والصدّيق رضی الله عنهما ، كذا قاله ابن إسحاق وغيره ، والظاهر أن المراد لم يبق من أعيانهم ؛ لما روى من أن مَنْ كان بمكة ممن يُطِيق الخروج من المسلمين خرجوا بعد خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة ، فطلبهم أبو سفيان وغيره من المشركين ، فردّوهم وسَجَنَوْهم ، فافتتن منهم ناس ؛ ففي هذا دلالة على بقاء جماعة غير الصدّيق وعلى رضی الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ ، فلما رأت قريش ذلك علموا أن أصحابه قد أصابوا مَنَعَةً ، ونزلوا دارا ، فحذروا<sup>(١)</sup> خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، فاجتمعوا بدار الندوة ليأتمروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم أبو جهل ، وزعم ابن دريد في الوشاح أنهم كانوا خمسة عشر رجلا ، وفي المولد لابن دحية كانوا مائة رجل ، وجاءهم إبليس في صورة شيخ نجدي فقال : أدخلوني معكم ، فلن تعدموا مني رأيا ، فأدخلوه ، فقال بعضهم : نخرجه من بين أظهرنا ، وقال آخرون : بل نجسه ولا يَطْعَمُ حتى يموت ، فقال أبو جهل : قد رأيتُ أَصْلَحَ من رأيكم : أن يعطى خمسُ رجالٍ من خمس قبائل سيفًا فيضربونه ضربَةً رجلٍ ، فيتفرق دمه في هذه البطون ، فلا يقدر لكم بنو هاشم على شيء ، فقال النجدي : لا أرى غير هذا ، فأخبر جبريلُ النبي صلى الله عليه

(١) حذروا خروجه : أي ظنوه وقدروه



وسلم ، فأنزل الله على نبيه « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين <sup>(١)</sup> » فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلى : نَمَّ على فراشى وتَسَجَّ بِبُرْدِي فلن يخلص إليك منهم أمر ، فترد هذه الودائع إلى أهلها ؛ لأن كفار قریش كانت تودع عنده لأمانته ، وكان اسمه عندهم الأمين الصادق ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق فأعلمه ، وقال : قد أُذِنَ لى ، فقال : الصحبة يارسول الله ، وكان إنما حَبَسَ نفسه عليه لما ثبت فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر لأصحابه رؤياه المتقدمة هاجر من هاجر منهم قبل المدينة ورجع عامة مَنْ كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على رِسْلِكَ فإنى أرجو أن يؤذن لى ، فقال له : وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى ؟ قال : نعم ، فحَبَسَ نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه ، وكان عمرُ قد تقدم إلى المدينة ، وعَلَفَ أبو بكر راحلتين كانتا عنده الخَبْطَ <sup>(٢)</sup> أربعة أشهر ، فعرض على النبي صلى الله عليه وسلم إحداها ، فقال : بالثنى ، وفى رواية ابن إسحاق قال : لا أركب بعيرا ليس هولى ، فقال : فهو لك ، قال : لا ولكن بالثنى الذى ائْتَمَّتها به ، قال : أخذتها بكذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هى لك ، والحكمة فيه - كما أفاده بعضهم - أنه صلى الله عليه وسلم أَحَبَّ أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه ، وذكر ابن إسحاق أن الناقة التى أخذها هى الجَدْعَاءُ ، وأنها كانت من إبل بنى الحريش ، وكذا فى رواية أخرجه ابن حبان ، وأنها الجَدْعَاءُ ، وأفاد الواقدي أن الثمن كان ثمان مائة درهم ، وأن المأخوذة هى القصوى ، وأنها كانت من نَعَمَ بنى قُشَيْرٍ ، وأنها عاشت حتى ماتت فى خلافة الصديق ، وكانت مُرْسَلَةً ترعى فى النقيع ، وفى طبقات ابن سعد أن ثمنها ثمان مائة درهم ، اشتراها أبو بكر من نَعَمَ بنى قُشَيْرٍ ، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم منه القصوى بثمنها ، وسيأتى

(١) من سورة الأنفال الآية ٣٠

(٢) الخَبْط - بفتح الخاء والباء جميعا - ورق الشجر الذى يتساقط إذا ضرب بالعصا

من رواية يحيى الحسيني أيضا أنها القصوى ، وجاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أُذِنَ له في الهجرة إلى المدينة بقوله تعالى « وقل رب اَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ ، وأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ ، واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا <sup>(١)</sup> » أخرجه الترمذي وصححه هو والحاكم ، فذهب أبو بكر إلى عبد الله بن أريقط قاله ابن عتبة . وفي تهذيب ابن هشام « عبد الله بن أرقد » وفي رواية الأموي عن ابن إسحاق « ابن أريقد » وفي الغنية عن مالك اسمه « رقيط من بني الديل من كنانة » فاستأجره ، وكان هاديا خريتا <sup>(٢)</sup> : أي ماهرا بالهداية ، وكان على دين الكفار . قال النووي : لا نعلم له إسلاما ، فأمره أن يأتيهما بعد ثلاث في غار ثور ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله ، فجاءه على رضى الله عنه ، واجتمعت قریش على باب الدار ليقتلوه بزعمهم ، فقال لهم أبو جهل : لا تقتلوه حتى يجتمعوا ، يعنى الخمسة من القبائل الخمس ، وجعل يقول لهم : هذا محمد كان يزعم لكم أنكم إن تابعتموه كنتم ملوك العرب والعجم ، ويكون لكم في الآخرة جنات تأكلون منها ، وإن لم تابعتموه يكون له فيكم ذبح في الدنيا ، ويوم القيامة نار تحرقون فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم والله كذا أقول ، وكذا يكون ، وأنت أحدهم ، ثم أخذ حَفَنَةً من تراب فرماها في وجوههم ، فأخذ على أبصارهم ولم على أَصْمِخَتِهِمْ فجعل على رأس كل رجل منهم ترابا وهو يقرأ أول سورة يس يستتر بها منهم إلى « فهم لا يبصرون » وتلا « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا <sup>(٣)</sup> » ثم أتى منزل أبي بكر ، فخرجا من خُوخَةٍ كانت له ، وأتيا غار ثور ، وأقام المشركون ساعة ، فجعلوا يتحدّثون ، فجاءهم رجل كان إذ ذاك بعيدا منهم فقال لهم : وما تنتظرون ؟ فقالوا : أن نصبح فنقتل محمدا ، قال : قبحكم الله وخيبكم ، أو ليس قد خرج عليكم وجعل على رؤوسكم التراب ، قال

(١) من سورة الإسراء الآية ٨٠ (٢) الحرث - بوزن سكين - الماهر الحاذق بالطرق

(٣) من سورة الإسراء الآية ٤٥

أبوجهل : أو ليس هو ذاك مُسَجَّى ببرده ؟ الآن كلنا ، فلما أصبحوا قام على من الفراش ، فقال أبوجهل : صدّقنا ذلك الخبر ، فاجتمعت قريش ، وأخذت الطُّرق ، وجعلت الجعائل<sup>(١)</sup> لمن جاء به ، فانصرفت أعينهم ولم يجدوا شيئا ، فجاء الديلى بعد ثلاث بالراحتين ، ولا ينافى هذا ما وقع فى رواية هشام بن عروة عند ابن حبان حيث قال : فركبا حتى أتيا الغار فتواريا ؛ لاحتمال أنهما ركبا غير هاتين الراحتين ، أو هما ثم ذهب بهما عامر بن فهيرة إلى الديلى .

وذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب فى الحديث المتقدم أن عليا رقد على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يورى عنه ، وباتت قريش تحلف وتأنم ، أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه ، حتى أصبحوا فإذا بعلى ، فسألوه فقال : لا علم لى ، فعلموا أنه فرّ منهم .

وروى أحمد بإسناد حسن عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وإذ يمكر بك الذين كفروا » الآية فذكر تشاور قريش ثم قال : فبات على على فراشه صلى الله عليه وسلم ، وخرج هو حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يعنى ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه ، فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا : أين صاحبك هذا ؟ قال : لا أدري ، فاقتصوا أثره<sup>(٢)</sup> ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا الجبل ، فمروا بالغار ، فأروا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فكث فيه ثلاث ليال ، وذكر نحوه موسى بن عقبة عن الزهرى ، وكله مقتضى لأن الخروج إلى الغار كان فى بقية تلك الليلة ، وكان ذلك بعد العقبة بشهرين وليال ، وقال الحاكم : بثلاثة أشهر أو قريبا منها ، ويرجح الأول ما جزم به ابن إسحاق من أنه خرج أول يوم من ربيع الأول ؛ فيكون بعد العقبة بشهرين وبضعة عشر يوما ، وكذا جزم به الأموى ، فقال : خرج لهلال

---

(١) الجعائل : جمع جمالة ، مثل سحابة وسحاب ، وهى الأجرة

(٢) اقتصوا أثره : تتبعوه

ربيع الأول ، وقدم المدينة لاثني عشر خَلَّتْ منه ، وعلي هذا كان خروجه يوم الخميس ، وهو الذى ذكره محمد بن موسى ، لكن قال الحاكم : تواترت الأخبار بأن الخروج كان يوم الاثنين ، وجمع الحافظ ابن حجر بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس : أى فى أثناء ليلته لما قدمناه ، وخروجه من الغار - يعنى غار ثور - ليلة الاثنين ؛ لأنه أقام فيه ثلاث ليال ، ومن روى ليلتين لعله لم يحسب أول ليلة ، وأما حديث الحاكم « لبثت مع صاحبي » يعنى أبا بكر « فى الغار بضعة عشر يوما ، ما لنا طعام إلا ثمر البرير » أى الأراك ، فقبال الحاكم : معناه مكثنا مخنفين من الكفار فى الغار وفى الطريق بضعة عشر يوما ، وقال الحافظ ابن حجر : الذى يظهر أنها قصة أخرى ، لما فى الصحيح من أن عامر بن فهيرة كان يروح عليهما فى الغار بالليل ، وكذلك قصة نزولهما بخيمة أم ميمونة ، وبغير ذلك ، وكان مدة مقامه صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة بضع عشر سنة . وقال عروة : عشرا ، وقال ابن عباس : خمس عشر سنة ، وفى رواية عنه : ثلاث عشرة ، ولم يعلم بخروجه إلا على آل أبي بكر ، وكان من قصة نسج العنكبوت وغيره من أمر الغار ما كان ، وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما يردفه أبو بكر ويعقبه ، والدليل ، فأخذ بهم فى أسفل مكة حتى أتى بهما طريق السواحل أسفل من عُسْفَانَ ، ثم عارض الطريق على أمّج<sup>(١)</sup> ، ثم نزل من قديد خيام أم معبد الخزاعية من بنى كعب ، وبقية المنازل إلى قباه ذكرها ابن زبالة ، وقد أوضحناه فى الأصل ، واتفق فى مسيرهم قصة سُرَاقَة عارضهم يوم الثلاثاء بقديد على ما ذكره ابن سعد وغيرها من القصص المشتملة على الآيات البينات .

قال رزين : وأقامت قریش أياما لا يدرون أين أخذ محمد صلى الله عليه وسلم - لم ، فسمعوا صوتا على أبي قبيس وهو يقول :

فإن يُسَلِّم السَّعْدَانِ يصبح محمد من الأمن لا يخشى خلاف الخالف

(١) أمّج : بفتح الهمزة والميم جميعا - مكان بعينه بين مكة والمدينة

فقلت قريش : لو علمنا من السعدان ، فقال :  
 أيا سَعْدُ سَعْدَ الأوس كن أنت مانعا      ويا سَعْدُ سَعْدَ الخزرجين العطارف  
 أجيباً إلى داعي الهدى وتَبَوَّآ      من الله في الفردوس زلفة عارف  
 فعلموا إذ ذاك أنه أخذ طريق المدينة .  
 قلت : والأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبيات قبل ذلك ؛ لأن السعدين  
 كانا قد أسلما قبل ، ثم سمعوا قائلاً بأسفل مكة لا يرى يقول :  
 جزى الله ربَّ الناس خَيْرَ جزائه      رفيقَيْنِ قالا : خَيْمَتِي أم معبد  
 قلت : وروى هذا مع الأبيات الآتية مما سمع حينئذ ، وقيل : سمعوا هاتفا  
 على أبي قُبَيْسٍ يقول :

جزى الله خيراً والجزاء بكفه      رفيقَيْنِ قالا خَيْمَتِي أم مَعْبَدِ      قصة أم معبد  
 ها رَحَلاً بالحقِّ وانتزلاً به      فقد فاز من أمسى رفيق محمد  
 فما حَمَلَتْ من ناقة فوق رَحْلِها      أبرَّ وأوفى ذمّةً من محمد  
 وأكسَى لُبْدٍ الخال قبل ابتذاله      وأعطى لرأس السائح المتجدد  
 لِيَهْنُ بنى كَعْبٍ مكانُ فِتَاتِهِمْ      ومقعدها للمؤمنين بهرصد  
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مرَّ بأم معبد ، فاستسقاها لبناً ،  
 فقلت : ما عندنا من لبن ، ونحن في سنة<sup>(١)</sup> ، فنظر إلى شاة قد نَحَلَتْ عَجْفَاء من  
 الهُزَال ، فقال : قرَّبي لي هذه الشاة ، فقرَّبَتْها ، فمسحَ صَرْعَها بيده المباركة وسَمَّى  
 ودعا ، ثم قال : هات قَدَحاً ، فجاءت بقَدَحٍ ، فحلب فيه حتى امتلأ ، فأمر أبا بكر  
 أن يشرب ، فقال : بل أنت فاشربْ يا رسول الله ، قال : ساقِ القوم آخرهم  
 شرباً ، فشرب أبو بكر ، ثم حلب فشرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم  
 حلب فشربت أم معبد ، ثم حلب ، فقال : أَرْفَعِي هذا لأبي معبد إذا جاءك ،  
 ثم ركبوا وساروا ، فلما أتى أبو معبد أخبرته بما رأت ، وسَمَّته اللبن ، فعلم

(١) يطلق العرب لفظ «السنة» على الحذب

أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فركب راحلته وخرج في أثره يطلب أن يسلم ،  
ف قيل : إنه قال في طريقه :

جزى الله رب الناس خير جزائه	رفيقين قالا خيمتي أم معبد
ها نزلاها بالهدى فاهتدت به	فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فيا لقصى ما زوى الله عنكم	به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فئاتهم	ومقعدوها للمؤمنين بمرصد
سلوا أحتكم عن شاتها وإنائها	فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاهأ بشاة حائل فتحلبت	له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لسيها الحالب	يردها في مصدر ثم مورد

وقال الشرقى : بلغنى أن أبا معبد أدركهما ببطن ريم ، فبايع رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ، وانصرف .

قلت : وذكر غير رزين هذه الأبيات كلها فيما سُمِعَ بأسفل مكة من القائل  
الذى لا يدرون ؛ فلما سمع حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بذلك جعل يجاوب الهاتف ويقول :

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم	وقد س من يسرى إليهم ويفتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم	وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم	وأرشداهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا	عمى وهداة يهتدون بهتد <sup>(١)</sup>
لقد نزلت منه على أهل يثرب	ركاب هدى حلت عليهم بأشعد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله	ويتلو كتاب الله فى كل مسجد
وإن قال فى يوم مقالة غائب	فتصديقها فى اليوم أوفى ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده	بصحبته ؛ من يسعد الله يسعد

(١) تسكعوا : محيروا ، قاله ابن الأثير .

خروج  
أبي بريدة  
لاستقبال  
الرسول  
صلى الله عليه  
وسلم

قال أبو سليمان الخطابي : لما شرف النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه بريدة الأسلمي في سبعين من قومه بنى أسلم ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : بريدة فقال لأبي بكر : برد أمرنا وصلاح ، ثم قال : ممن ؟ قال : من أسلم ، قال : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى سهم ، قال : خرج سهمنا<sup>(١)</sup> .

وقد روى ابن الجوزي في شرف المصطفى من طريق البيهقي موصولا إلى بريدة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتطير ، وكان يتفأل ، وكانت قریش جعلت مائة من الإبل لمن يأخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فيرده إليهم حين توجه إلى المدينة ، فركب بريدة في سبعين راكبا من أهل بيته من بنى سهم ، فلقى نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا بريدة ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ، بَرَدَ أمرنا وصلاح ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : ممن أَنْتَ ؟ قال : من أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : سلمنا ، ثم قال : ممن ؟ قال : من بنى سهم ، قال : خرج سهمك<sup>(٢)</sup> ، فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله ، فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، فأسلم بريدة وأسلم مَنْ كان معه جميعا ، فلما أصبح قال بريدة<sup>(٣)</sup> للنبي صلى الله عليه وسلم : لا تدخل المدينة إلا ومعلك لواء ، فحلَّ عمامته ثم شدَّها في رُفْح ثم مشى بين يديه صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله تنزل على مَنْ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن ناقتي هذه مأمورة ، قال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت بنو سهم طائعين .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض .

(١) خرج سهمك : كناية عن ظفرت وفلجت (٢) وقع في المطبوعات «أبو بريدة» مرارا ، و«بريدة» مرارا أخرى ، والصواب «بريدة» وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج ، الأسلمي ، وله ترجمة في الإصابة (١٥٠/١ رقم ٦٣٢)

وروى أن طلحة كان قدم من الشام ومعه ثياب أهداها لأبي بكر من ثياب الشام ، فلما لقيه أعطاه ، فلبس منها النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر . قال الحافظ ابن حجر : فيحتمل أن كلا من طلحة والزبير أهدى لهما ، والذي في السير هو طلحة ؛ فالأولى الجمع ، وعند ابن أبي شيبة ما يؤيده ، وإلا فإني الصحيح أصح .

### الفصل العاشر

في دخوله صلى الله عليه وسلم أرض المدينة ، وتأسيس مسجد قُباء  
كان المسلمون بالمدينة قد سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة أول النهار فينتظرونه ، فما يردهم إلا حرُّ الشمس ، فبعد أن رجعوا يوما أوفى رجلٌ من اليهود على أطم من آطامهم لأمرٍ ينظر إليه ، فبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته : يا بني قَيْلَةَ - يعني الأنصار - وفي رواية : يا معشر العرب ، هذا جدُّكم ، يعني حظكم - وفي رواية : صاحبكم الذي تنتظرونه - فنار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقُباء على كلثوم بن الهدم ، قيل : وكان يومئذ مشركا ، وبه جزم ابن زبالة ، وقال رزين : نزل في ظل نخلة ، ثم انتقل منها إلى دار كلثوم أخي بني عمرو بن عوف ، وفي « أخبار المدينة » ليحيى الحسيني جدُّ أمراء المدينة اليوم في النسخة التي رواها ابنه طاهر بن يحيى عنه من طريق محمد بن معاذ ، قال : حدثنا مجمّع بن يعقوب عن أبيه وعن سعيد بن عبد الرحمن ابن رقيش عن عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة قالا : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر حرّتنا ، ثم ركب فأناخ إلى عِدْقٍ عند بئر غرس قبل أن تبزغ الشمس <sup>(١)</sup>

---

(١) تبزغ الشمس : تظهر



وما يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبي بكر ، عليهما ثياب متشابهة ، فجعل الناس يقفون عليهم حتى بزغت الشمس من ناحية أطعمهم الذي يقال له « شُنَيْف » فأمله أبو بكر ساعة حتى خيل إليه أنه يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرّ الشمس ، فقام فسَترَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بردائه ، فعرف القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلوا يأتون فيسلمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لمجمع بن يعقوب : إن الناس يَرَوْنَ أنه جاء بعد ما ارتفع النهار وأحرقتهم الشمس ، قال مجمع : هكذا أخبرني أبي وسعيد ابن عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن يزيد قال : ما بزغت الشمس إلا وهو جالس في منزله صلى الله عليه وسلم

قلت : ولم أرَ هذا الخبر في النسخة التي رواها ولد ابن يحيى عن جده ، وقوله « عند بئر غرس » الظاهر أنه تصحيف ، ولعله « بئر عذق » لبعد بئر غرس من منزله صلى الله عليه وسلم بقباء ، بخلاف بئر عذق ، وإلا فهو قاذح فيما يعرفه الناس اليوم من أن بئر غرس هي المعروفة بمحلها الآتي بيانه

وفي كتاب يحيى أيضا عن محمد بن إسماعيل بن مجمع قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كُثُوم بن الهمد هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة قال : يانجيح ، لمولّى له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفت إلى أبي بكر : أنجحت ، أو أنجحنا ، فقال : أطعمنا رطبا ، قال : فأتوا بقنو من أم جردان فيه رطب منصف وفيه زَهْوٌ<sup>(١)</sup> ، فقال صلى الله عليه وسلم : ما هذا ؟ قال : عذق أم جردان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك في أم جردان ، وقد أخرجه أبو سعيد في شرف المصطفى من طريق الحاكم ، وقال قوم بمنزله صلى الله عليه وسلم على سعد ابن خيثمة . وقد رواه يحيى أيضا ، قال رزين : والأول أصح اه .

(١) المنصف : الذي صار نصفه رطبا ، والزهو - بفتح فسكون - الذي قد

احمر أو اصفر من البلح

وقال الحاكم : إنه الأرجح ، قال : وقد قاله ابن شهاب وهو أعرف بذلك من غيره ، وقال بعضهم : كان سعد عَزَبًا ، فكان صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه في بيته ، فلذلك قيل : إنه نزل عنده ، ويشهد له ما نقله ابن الجوزي عن ابن حبيب الهاشمي قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم على كلثوم ، وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة ، ويسمى «منزل العزاب» وفي الصحيح : فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة ، فعدل بهم<sup>(١)</sup> ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف ، وفي رواية له : علو المدينة وقبَاء معدودة من العالية ، وكان حكمته التفاؤل له ولدينه بالعلو ، وذلك يوم الاثنين نهارا عند الأكثر ، قال الحافظ ابن حجر : وهو المعتمد ، وشذ من قال يوم الجمعة . قلت : لعل مراد هذا القائل القدوم الآتي للمدينة نفسها بعد الخروج من قبَاء ، وقيل : ليلة الاثنين ؛ لقوله في مسلم « ليلا » قال الحافظ ابن حجر : ويجمع بأن القدوم كان آخر الليل ، فدخل نهارا . قلت : وفيه نظر ، وكان ذلك أول ربيع الأول على مارواه موسى ابن عقبة عن ابن شهاب ، وقيل : لثان خلون منه . وفي الإكليل عن الحاكم : تواترت الأخبار بذلك ، وفي رواية جرير بن حازم عن ابن إسحاق : قدمها ليلتين خلَّتَا من شهر ربيع الأول ، ونحوه عن أبي معشر ، ولكن قال : ليلة الاثنين ، ومثله عن ابن البرقي ، وثبت كذلك في أواخر صحيح مسلم ، وفي رواية إبراهيم ابن سعد عن ابن إسحاق : لا ثنتي عشرة ليلة خلت منه حين اشتد الضحى ، وهذا ما جزم به السكبي فيما نقله عنه الحافظ ابن حجر . وحكاه ابن الجوزي في شرف المصطفى عن الزهري فقال : قال الزهري : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وبه جزم النووي في السير من الروضة ، وكذا ابن النجار ، ونقل المراغي هذا عن النووي وابن النجار فقط ، وتعجب من عدم موافقته لشيء من الأقوال ، وكأنه فهم أن مرادها

(١) عدل بهم : مال بهم

المدينة نفسها بعد الخروج من قُبَاء ، وليس ذلك مرادها؛ فإن ابن النجار عبر بقوله :  
 فعدل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن  
 عوف ، وذلك يوم الاثنين لاثني عشر من شهر ربيع الأول ، وأما النووي وإن  
 عبر بالمدينة فليس مراده سوى ذلك ، والعلماء كلهم يطلقون على ذلك قدوم المدينة .  
 وفي شرف المصطفى لابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ولد رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستُغْفِيَّ يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ،  
 وخرج مهاجرا من مكة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم  
 الاثنين . وفي روضة الأقيصر : قال ابن الكلبي : خرج من الغار ليلة الاثنين  
 أول يوم من ربيع الأول ، وقدم المدينة يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة خلت منه .  
 قال أبو عمر : وهو قول ابن إسحاق إلا في تسمية اليوم . وعند أبي سعيد في شرف  
 المصطفى من طريق أبي بكر بن حزم : قدم لثلاث عشرة من ربيع الأول ، وهذا  
 الجمع بينه وبين الذي قبله بالحل على الاختلاف في رؤية الهلال . وعنده من  
 حديث عمر : ثم نزل على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع  
 الأول ، ولعل الرواية خَلَّتْما ليوافق ما تقدم . ونقل ابن زبالة عن ابن شهاب أن  
 ذلك كان في النصف من ربيع الأول ، وقيل : كان قدومه في سابعه ، وجزم ابن  
 حزم بأنه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر ، وهذا يوافق قول هشام بن  
 الكلبي إنه خرج من الغار ليلة الاثنين أول يوم من ربيع الأول ، فإن كان  
 محفوظا فلعل قدومه قُبَاء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الأول ، وإذا ضم ذلك إلى  
 ما سيأتي عن أنس أنه أقام بقُبَاء أربع عشرة ليلة خرج منه أن دخوله المدينة نفسها  
 كان لاثني عشر من منه ، لكن الكلبي جزم بأنه دخلها لاثني عشر ليلة خلت  
 منه ؛ فعلى قوله تكون إقامته بقُبَاء أربع ليال فقط ، وبه جزم ابن حبان ؛ فإنه  
 قال : أقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس ، يعني وخرج يوم الجمعة ، فلم يعتدَّ بيوم  
 الخروج ، وكذا قال موسى بن عقبة : إنه أقام فيهم ثلاث ليال ؛ فكأنه لم يعد

اختلاف  
 العلماء في تاريخ  
 مقدمة المدينة

يوم الدخول ولا الخروج . وعن قوم من بنى عمرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوما ، حكاه ابن زبالة . وفي البخاري من حديث أنس « أقام فيهم أربع عشرة ليلة<sup>(١)</sup> » وهو المراد في رواية عائشة بقولها « بضع عشرة ليلة<sup>(٢)</sup> » وقال موسى . ابن عقبة عن ابن شهاب : أقام فيهم ثلاثا ، قال : وروى ابن شهاب عن مجمع بن حارثة أنه أقام اثنتين وعشرين ليلة . وقال ابن إسحاق : أقام فيهم خمسا ، وبنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك . قال الحافظ ابن حجر : أنس ليس من بنى عمرو بن عوف ؛ فإنه من الخزرج ، وقد جزم بأربع عشرة ليلة ، فهو أولى بالقبول ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتأريخ فكتب من حين الهجرة في ربيع ، رواه الحاكم في الإكليل ، وهو مُعْضَل ، والمشهور أن ذلك كان في خلافة عمر رضى الله عنه ، وأن عمر قال : الهجرة فَرَقَتْ بين الحق والباطل ، فأرخ بها ، وابتدأ من المحرم بعد إشارة على وعثمان رضى الله عنهما بذلك ، وقد ذكرنا ما قيل في سببه في الأصل ، وأفاد السهيلي أن الصحابة رضى الله عنهم أخذوا التأريخ بالهجرة من قوله تعالى « لَمَسْجِدٍ أُسَسِّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ<sup>(٣)</sup> »

ابتداء التأريخ  
من الهجرة

وفي الصحيح أنهم لما قدموا قام أبو بكر للناس : أى يتلقاهم ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ يَعْجِي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّ عَلَيْهِ بَرْدَانَهُ ، فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا ، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَنْ لَمْ يَكُنْ رَأَاهُ يَحْسِبُهُ أبا بكر ، حتى إذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر بشيء أظله به ، وفي رواية ابن إسحاق : حتى رأينا أبا بكر يَنْحَازُ لَهُ عَنِ الظِّلِّ ، فَعَرَفْنَاهُ بِذَلِكَ

(١) في المطبوعات «أربع عشرة ليلة» و«بضع عشرة ليلة» تطبيع

(٢) من سورة التوبة من الآية ١٠٨

ونزل أبو بكر رضى الله عنه على حبيب<sup>(١)</sup> بن إساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالشنح ، ويقال : على خارجة بن زيد منهم .

وأقام على رضى الله عنه بعد نخرجه صلى الله عليه وسلم أياماً ، قال بعضهم : ثلاثة ، حتى أدّى للناس ودائعهم التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم وخلفه ردّها ، ثم خرج فليحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بقاءً ، فنزل على كلثوم بن الهدم ، قال فيما رواه رزين : فبينما أنا بائنة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا برجل يضرب باب امرأة ، فخرجت فأعطاه شيئاً وانصرف ، ثم فعل ذلك ليلة ثانية أيضاً ، فذكرت ذلك لها فقالت : هذا سهل بن حنيف يَغْدُو كل ليلة على أصنام قومه فيكسرها ثم يأتي بها لأزواجه حطباً ، وقد علم أن ليس لي من الحطب شيء .

وروى يحيى عن عبد العزيز بن عبيد الله بن عثمان بن حنيف قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم [على] بني عمرو بن عوف ، وقد كان بين الأوس والخزرج ملائكة من العداوة ، وكانت الخزرج تخاف أن تدخل دار الأوس ، وكانت الأوس يخاف أن تدخل دار الخزرج ، وكان أسعد بن زُرارة قتل نبتل بن الحارث يوم بُعَاث ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أسعد بن زُرارة ؟ فقال سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ورفاعة بن عبد المنذر : كان يارسول الله أصاب منا رجلاً يوم بُعَاث ، فلما كانت ليلة الأربعاء جاء أسعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعاً بين المغرب والعشاء ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا أبا أمية ، حيث من منزلك إلى ههنا وبينك وبين القوم ما بينك ؟ قال أبو أمية : لا والذي بعثك بالحق ما كنت لأسمع بك في مكان إلا جئت ، ثم بات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح ، ثم غدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن خيثمة ورفاعة ومبشر ابني عبد المنذر : أجبروه ، قالوا : أنت يارسول الله فأجروه فجوارنا في جوارك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجبره

(١) حبيب بن إساف الخزرجي : اختلف في ضبط اسمه ؛ فذكره الطبراني وابن عبيد البر بالحاء المهملة كما هنا ، وقال ابن حجر : وهو تصحيف ، والصواب أنه «حبيب» بالحاء المعجمة مصغراً

بعضكم ، فقال سعد بن خيثمة : هو في جوارى ، ثم ذهب سعد بن خيثمة إلى أسعد ابن زُرارة في بيته فجاء به مُحَاصِرَةً يَدُهُ في يده ظَهْرًا حتى انتهى به إلى بني عمرو ابن عوف ، ثم قالت الأوس : يا رسول الله كلنا له جار ، فكان أسعد بن زُرارة بعدُ يغدو ويروح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

وكان لكتثوم بن الهدم بقُبَاءٍ مَرَبَدٍ ، والمربد : الموضع الذي يبسط فيه التمر ليبس ، فأخذه منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأَسَّسَهُ وبناه مسجداً كما رواه ابن زبالة وغيره .

وفي الصحيح عن عروة : فلبث في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأَسَّسَ المسجدَ الذي أسس على التقوى <sup>(١)</sup> ، وفي رواية عبد الرزاق عنه قال : الذين بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف ، وكذا في حديث ابن عباس عند ابن عايد ، ولفظه : ومكث في بني عمرو بن عوف ثلاث ليالٍ ، واتخذ مكانه مسجداً فكان يصلي فيه ، ثم بنى بنو عمرو بن عوف ؛ فهو الذي أسس على التقوى .

وروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن المسعودي عن الحكم بن عتيبة قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بقُبَاءٍ قال عمار بن ياسر : ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدِّئَ من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه ، فجمع حجارة فبنى مسجد قُبَاءٍ ، فهو أول مسجد بُنِيَ ، يعني لعامة المسلمين أو للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، وإن كان قد تقدم بناء غيره من المساجد ، فقد روى ابنُ أبي شبة عن جابر قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سنتين نعلم المساجد ونقيم الصلاة ، ولذا قيل : كان المتقدمون في الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار بقُبَاءٍ قد بَنَوْا مسجداً يصلون فيه ، يعني هذا

(١) الإشارة إلى قوله تعالى : ( لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه )

المسجد ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وورد قُبَاءَ صلى بهم فيه إلى بيت المقدس ، ولم يُحَدِّث فيه شيئاً : أى فى مبدأ الأمر ؛ لأن ابن شبة روى ذلك ، ثم روى أنه صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قُبَاءَ وقدم القبلة إلى موضعها اليوم ، وقال : جبريل يؤم بى البيت ، وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء ، ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم لمسجد المدينة « هو مسجدكم هذا » إذ كل منهما أسس على التقوى على ما سيأتى إيضاحه .

وفى الكبير للطبرانى — وفيه ضعيف — عن جابر بن سمرة قال : لما سأل أهل قُبَاءَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أن يبنى لهم مسجداً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لِيَقُمَ بَعْضُكُمْ فَيَرْكَبُ النَّاقَةَ » فقام أبو بكر رضى الله عنه فركبها فخر كها فلم تنبعث ، فرجع فقعده ، فقام عمر رضى الله عنه فركبها فلم تنبعث ، فرجع فقعده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « لِيَقُمَ بَعْضُكُمْ فَيَرْكَبُ النَّاقَةَ » فقام على رضى الله عنه فلما وضع رجله فى غَرْزِ الرِّكَّابِ وثبت به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَرْخِ زِمَامَهَا ، وَابْنُوا عَلَى مَدَارِهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ » .

وروى الطبرانى — وفيه من لم يعرف — عن جابر أيضاً قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال لأصحابه « انطلقوا بنا إلى أهل قُبَاءَ نسلم عليهم ، فأتاهم فسلم عليهم ، فرحبوا به ، ثم قال : يا أهل قُبَاءَ ائتمنى بأحجار من هذه الحفرة ، فجمعت عنده أحجار كثيرة ، ومعه عَنَزَةٌ <sup>(٢)</sup> ، فخط قبلتهم ، فأخذ حجراً فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أبا بكر ، خذ حجراً فضعه إلى حَجَرِي ، ثم قال : يا عمر خذ حجراً فضعه إلى جنب حَجَرِ أَبِي بَكْرٍ ، ثم قال : يا عثمان خذ حجراً فضعه إلى جنب حجر عمر ، ثم التفت إلى الناس فقال : لِيَضَعُ كُلُّ رَجُلٍ حَجَرَهُ حَيْثُ أَحَبَّ عَلَى ذَلِكَ الْخَطِّ .

(١) يعنى يقصد بى جهة بيت الله الحرام ، والمراد أنه يحرر له القبلة إلى جهته ، وانظر ماسياًنى للمؤلف فى ص ٢٥٣

(٢) العنزَة — بفتحات — عصا مثل نصف الرمح لها سنان مثل سنانة

مقي في  
مسجد قباء

قلت : وهو يقتضى أن هذا البنيان لم يكن عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى قُباء ، بل بعد قدوم عثمان رضى الله عنه من الحبشة ؛ فإنه كان قد هاجر إلى أرض الحبشة فاراً بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أول خارج إليها ، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة ؛ فيمكن أن النبي صلى الله عليه وسلم أسسه عند قدومه ، ثم بناه بعد ذلك ، وإلا فلم يكن عثمان رضى الله عنه حاضراً ، كذا نبه عليه بعضهم ، ولهذا قال السهيلي . أول مَنْ وضع حجراً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ولم يذكر عثمان ، ثم قال : وصلى فيه نحو بيت المقدس قبل أن يأتى المدينة ، انتهى . وسيأتى عند ذكره في المساجد عن عمر رضى الله عنه أنه قال : والذي نفسى بيده لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وأصحابه ننقل حجارتهم على بطوننا ، ويؤسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجبريل يؤم به البيت <sup>(١)</sup> ، ولم أر من نبه على تعيين زمان قدوم عثمان من الحبشة ، وسيأتى في بنائه صلى الله عليه وسلم لمسجد المدينة أخبار تقتضى حضور عثمان له ، وهو محتمل أيضاً للبناء الأول والثانى ، وسبق في الفصل قبله عُدُّ عثمان فيمن قدم المدينة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم إليها ، وهو كذلك في كلام ابن إسحاق .

وقال المحب الطبرى : الظاهر أن قدوم عثمان من الحبشة كان قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم أو بعدها وقبل وقعة بدر ؛ لأنه صحَّ أنه كان في وقعة بدر متخلفاً بالمدينة على زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة ، ووقعة بدر في الثانية ، وكان قدوم أكثر مهاجرى الحبشة في السابعة كما سيأتى ، والله أعلم .

وفي الكبير للطبرانى ورجاله ثقات عن الشَّموُس بنت النعمان قالت : نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم ونزل وأسس هذا المسجد مسجد قُباء ،

(١) انظر الهامشة ١ في ص ٢٥١ وانظر ماسيأتى للمؤلف في ص ٢٥٣



فرايته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى يهصره الحجر ، وأنظر إلى بياض التراب على بطنه أو سرته ، فيأتى الرجل من أصحابه ويقول : بأبى وأمى يا رسول الله أعطينى أكفك ، فيقول : لا ، خذ مثله ، حتى أسسه ، ويقول : إن جبريل عليه السلام هو يؤم الكعبة ، قالت : فكان يقال : إنه أقوم مسجد قبلة .

قلت : قد صح أنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس حتى نسخ ذلك ، وجاءت القبلة وهم في صلاة الصبح فأخبرهم ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ؛ فيحتمل أن جبريل عليه السلام كان يؤم به البيت ليستدل به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتين ، ولعلمه بما يؤول إليه الأمر من استقبال الكعبة ، أو أنه صلى الله عليه وسلم كان مخيراً في ابتداء الهجرة في التوجه إلى بيت المقدس أو إلى الكعبة كما قاله الربيع فأومَّ به جبريل البيت لذلك ، واختياره الصلاة لبيت المقدس أولاً لاستمالة اليهود ، أو أن استقبال الكعبة كان مشروعاً في ذلك الوقت ثم نسخ ببيت المقدس ثم نسخ بالكعبة ، لما قاله ابن العربى وغيره من أن القبلة نسخت مرتين ، أو أن ذلك تأسيس آخر غير التأسيس الأول ، ويدل لهذا الأخير ما قدمناه من رواية ابن شبة .

وقوله في حديث الشmos المتقدم « حتى يهصره الحجر » أى يميله . وأورده المجد من رواية الخطابى بلفظ آخر ، فقال : وروى الخطابى عن الشؤوس بنت النعمان قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء يأتى بالحجر قد صهره<sup>(١)</sup> إلى بطنه فيضعه ، فيأتى الرجل يريد أن يقله فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعه ويأخذ غيره ، ثم قال : صهره وأصهره إذا ألصقه بالشئ ، ومنه اشتقاق الصهر في القرابة .

وروى ابن شبة أيضاً أن عبد الله بن روضة كان يقول وهم يبنون في مسجد قباء :

(١) أشار ابن الأثير إلى رواية « كان يؤسس مسجد قباء فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه » أى يذنيه ويهربه

- \* أفلح من يعالج المساجدا \*
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المساجدا » فقال عبد الله :
- \* ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا \*
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وقاعداً » فقال عبد الله :
- \* ولا يبيت الليل عنه راقداً \*
- فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « راقداً » والله أعلم .

#### الفصل الحادى عشر

فى قدومه صلى الله عليه وسلم باطن المدينة ، وسكناه بدار أبى أيوب الأنصارى ، وأمر هذه الدار ، وما آلت إليه ، وما وقع من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار .

قال أهل السير : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل إلى ملاً بنى النجار ، فجاءوا متقلدين بالسيوف ، وكانوا أخواله ، وذلك أن هاشم ابن عبد مناف تزوج منهم امرأة ، وهى سلمى بنت عمرو ، فجاءه منها ولد ، فلما مات هاشم وكبر الغلام مر به قوم من قریش فأبصروه وقد ترعرع وهو ينتضل<sup>(١)</sup> ويقول : أنا القرشى ، فجاءوا وأخبروا عمه المطلب بن عبد مناف ، فذهب فجاء به ، فدخل به مكة وهو ردفه وعليه ثياب السفر ، فقالت قریش : هذا عبد المطلب ، فغلب عليه هذا الأسم ؛ فلذلك كان أخواله بنى النجار ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اركبوا آمنين مطّاعين .

وفى البخارى من حديث أنس : قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فى حى يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى بنى النجار فجاءوا بالسيوف ، ثم رواه البخارى بلفظ آخر ، فقال : قدم النبي صلى الله

---

(١) يقال « انتضل القوم » أى تراموا بالسهام للسبق

عليه وسلم فنزل جانب الحرّة، ثم بعث إلى الأنصار فجاؤا النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر فسلموا عليهما، وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب حتى نزل جانب دار أبي أيوب . قال الحافظ ابن حجر : تقديره فنزل جانب الحرّة فأقام بقبَاء المدة التي أقام بها وبنى بها مسجده، ثم بعث إلى آخره .

وفى التاريخ الصغير للبخارى عن أنس أيضاً قال : إني لأستعنى مع الغلمان إذ قالوا : محمد جاء ، فننطلق فلا نرى شيئاً ، حتى أقبل وصاحبه<sup>(١)</sup> ، فكمننا<sup>(٢)</sup> في بعض جوانب المدينة ، وبعثنا رجلاً من أهل البادية يؤذن بهما<sup>(٣)</sup> ، فاستقبله خمسمائة من الأنصار، فقالوا : انطلقا آمنين مطاعين ، الحديث ، ففيه طى لذكر قصة قبَاء ، إلا أن يريد أن ذلك وقع في مبدأ الأمر عند نزوله صلى الله عليه وسلم بقبَاء ، وهو ما اقتضاه رواية رزين ، فإنه قال : عن أنس قال : كنت إذ قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ابن تسع سنين ، فأسمع الغلمان والولائد يقولون : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنذهب فلا نرى شيئاً ، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، فكمننا في خرب<sup>(٤)</sup> في طرف المدينة ، وأرسلنا رجلاً يؤذن<sup>(٥)</sup> لهما الأنصار ، فاستقبلهما زهاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما ، قال : فما رأيتُ مثل ذلك اليوم قط ، والله لقد أضاء منها كل شيء ، ونزلا على كلثوم بن الهدم ، ثم ذكر تأسيس مسجد قبَاء ، ثم قال : ثم خرج منهار رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المدينة ، فلا يمر بدارٍ من دور الأنصار إلا عرّضوا عليه ، وذكروا ما سيأتى ؛ فهو صريح في أن ذلك كان عند مقدّمه صلى الله عليه وسلم في بدء الأمر .

وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قبَاء يوم الجمعة ، ونعيينه من الشهر مرتب على ما تقدم في قدومها .

(١) الأفصح في العربية «أقبل هو وصاحبه»

(٢) كمننا : استترا (٣) يؤذن بهما : يعلم ويخبر

(٤) ذكر ابن الأثير أنه يروى «خرب» بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة

على أنه جمع خربة، ويروى بخاء مهملة وآخره ثاء مثناة ، وهو الموضع المحروث للزراعة

وروى يحيى أنه صلى الله عليه وسلم لما شَخَّص : أى من قباء ، اجتمعت بنو عمرو بن عوف فقالوا : يا رسول الله أَخْرَجْتَ مَلَالاً نَسَا أم تريد داراً خيراً من دارنا ؟ قال : إني أَمَرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقَرْيَ ، فَخَلَوْهَا - أى نَاقَتَهُ - فإنها مأمورة فخرج صلى الله عليه وسلم من قباء ، فَعَرَضَ لَهُ قِبَائِلُ الْأَنْصَارِ كُلُّهُمْ يَدْعُوهُ وَيَعِدُّوهُ النِّصْرَةَ وَالْمَنْعَةَ ، فيقول : خَلَوْهَا فإنها مأمورة ، حتى أدركته الجمعة في بنى سالم ، فصلى في بطن الوادى الجمعة وادى ذى صلب .

قلت : قيل كانت هذه أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقيل : إنه كان يصلى الجمعة في مسجد قباء في إقامته هناك ، والله أعلم .

وروى أيضاً عن عمارة بن خزيمة قال : لما كان يوم الجمعة وارتفع النهار دَعَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بِرَاحِلَتِهِ ، وَحَشَّدَ الْمَسَامُونَ ، وَلَبَسُوا السِّلَاحَ ، وَرَكِبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم نَاقَتَهُ الْقَصْوَى ، وَالنَّاسُ مَعَهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَخَلْفَهُ : مِنْهُمْ الْمَاشِي وَالرَّاكِبُ ، فَاعْتَرَضْنَا الْأَنْصَارُ فَمَا يَمُرُّ بَدَارٍ مِنْ دَوْرِهِمْ إِلَّا قَالُوا هَلُمَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعِزِّ وَالْمَنْعَةِ وَالثَّرْوَةِ ، فيقول لهم خيراً ، ويدعو ، ويقول : إنها مأمورة ، خلوا سبيلها ، فربنى سالم ، فقام إليه عِثْبَانُ بْنُ مَالِكٍ ، وَنُوفَلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ وَهُوَ آخِذٌ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ يَقُولُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْزِلْ فِينَا فَإِنْ فِينَا الْعِدَّةُ وَالْحَلَقَةُ ، وَنَحْنُ أَصْحَابُ الْعِصَا <sup>(١)</sup> وَالْحِدَائِقُ وَالدَّرَكُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ يَدْخُلُ هَذِهِ الْبَحْرَةَ خَائِفاً فَيَلْجَأُ إِلَيْنَا فَنَقُولُ لَهُ : قَوِّلْ حَيْثُ شِئْتَ ، فَيُفْعَلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّمُ وَيَقُولُ : خَلُوا سَبِيلَهَا فإنها مأمورة ، فقام إليه عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَعَبَّاسُ بْنُ الصَّامِتِ بْنُ نَضْلَةَ بْنِ الْعَجْلَانِ فَيَقُولَانِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْزِلْ فِينَا ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، إنها مأمورة ، فلما أنى

(١) في المطبوعات « ونحن أصحاب الفضاء » وما أثبتناه عن الخلاصة

مسجد بنى سالم وهو المسجد الذى فى الوادى - فجَمَعَ بهم فخطبهم ، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمين الطريق حتى جاء بنى الحنبل ، فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى ، فلما رآه ابن أبى وهو عند مزاحم أى الأطم مُحْتَبِياً قال : اذهب إلى الذين دَعَوْكَ فانزل عليهم ، فقال سعد بن عباد لا تَجِدُ<sup>(١)</sup> يارسول الله فى نفسك من قوله ، فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه عليها ، ولكن هذه دارى ، فمر بنى ساعدة فقال له سعد بن عباد والمنذر بن عمرو وأبو دجاجة : هلم يارسول الله إلى العز والثروة والقوة والجلد ، وسعد يقول : يارسول الله ليس من قومي أكثر عذقا<sup>(٢)</sup> ولا فم بئر منى مع الثروة والجلد والعدد والحلقة ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بارك الله عليكم ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا أبا ثابت خَلِّ سبيلها فإنها مأمورة ، فمضى ، واعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رَوَاحَة وبشير بن سعد فقالوا : يارسول الله لا تُجَاوِزْنَا فإننا أهل عدد وثروة وحلقة ، قال : بارك الله فيكم ، خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، واعترضه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو - أى من بنى بَيَاضَة - يقولان : يارسول الله هلم إلى المواساة والعز والثروة والعدد والقوة ، نحن أهل الدرك يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ثم مرَّ بنى عَدِيَّ بن النجار - وهم أخواله - فقام أبو سليط وصرمة بن أبى أنيس فى قومهما فقالا : يارسول الله نحن أخوالك هلم إلى العدد والمنعة مع القرابة ، لا تجاوزنا إلى غيرنا يارسول الله ، ليس أحد من قومنا أولى بك منا لقرابتنا بك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، ويقال : إن أول الأنصار اعْتَرَضَهُ بنو بَيَاضَة ، ثم بنو سالم ، ثم مال إلى ابن أبى ، ثم مر على بنى عدى بن النجار ، حتى انتهى إلى بنى مالك بن النجار .

قلت : وقول بنى عدى بن النجار « نحن أخوالك » لأنهم أقارب من جهة

(١) لا تجد : لا تغضب ، أولا تحزن .

(٢) أراد أكثر نخلا ، وهو كان ثروة أهل المدينة .

الأمومة؛ لأن سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى بن النجار كانت أمّ جده عبدالمطلب، وقول البراء في حديث الصحيح « إن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ، أو قال أخواله ، من الأنصار » فيه تجوز من حيث إنه صلى الله عليه وسلم إنما نزل على إخوتهم بنى مالك بن النجار ، أو أراد أنه نزل بنخطة بنى النجار لتقارب منازلهم الجميع ومنهم بنو عدى .

وقال الحافظ ابن حجر في المقدمة في الكلام على الحديث المذكور : هم من بنى عمرو بن عوف من الخزرج ، وكانت أم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم منهم ، واسمها سلمى ؛ فهم أجداده حقيقة ، وأخواله مجازا ، والشك من راوى الخبر ، انتهى .

وهو وهم ، سببه اشتباه النزول الأول بقباء بهذا النزول الذى وقع فيه الاستقرار ، وليس بنو عمرو بن عوف ممن يوصف بذلك ، وقد تنبه له فى الشرح ؛ فذكره على الصواب كما قدمناه ، والله أعلم .

وروى رزين أنه صلى الله عليه وسلم سار من قباء ومعه جماعة من الأنصار فى السلاح وجميع المهاجرين ، وذكر صلاة الجمعة ، قال : ثم ركب فجاء بنى الحُبلى فأراد أن ينزل على عبد الله بن أبى بن سلول ، وكان جالسا محتبيا عند أطم له ، فقال : اذهب إلى الذين دعوك فانزل عليهم ، فقال سعد بن عباد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تجذ عليه ، فإن أهل هذه البخرة كانوا قد أجمعوا على أن يعصّبوه ويتوجّوه<sup>(١)</sup> ، فلما رد الله عليه ذلك بالحق الذى أعطاك شرق لذلك<sup>(٢)</sup> .

قلت : الذى فى الصحيح ذكر سعد لذلك فى قصة عيادته صلى الله عليه وسلم له من مرض بعد سكناه بالمدينة ، والذى فى كتب السير عن ابن إسحاق أن الجمعة أدركته فى وادى رانونا فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة ، وكانوا أربعين ، وقيل : مائة ، فأتاه عتبان بن مالك فى رجال من بنى سالم فقالوا : يا رسول الله أقيم عندنا

(١) أى يلبسوه التاج والعصابة ، والمراد أنهم كانوا أرادوا تمليكهم عليهم .

(٢) شرق لذلك : كناية عن أن صدره قد ضاق بسببه .

في العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، لئلا تفتنه ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زياد بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة ، فأجابهم بمثل ما تقدم ، فخلوا سبيلها ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن ربيعة في رجال من بني الحارث ، فأجابهم بما تقدم ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا مرت بدار عدى بن النجار - وهم أخواله دُنْيَا - اعترضهم سليط بن قيس في رجال منهم ، فأجابهم بمثل ما تقدم ، حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار بَرَكْتَ على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، ثم وثبتت وسارت غير بعيد ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضح لها زمامها لا يثنيها به ، ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها أول مرة فبركت فيه ، ثم تلحلت وأرزمت <sup>(١)</sup> ووضعت جِزَانَهَا <sup>(٢)</sup> فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي رواية أنها لما وثبتت من مبركها الأول بركت على باب أبي أيوب الأنصاري ، ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول ، وفي رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا المنزل إن شاء الله .

وذكر ابن سيد الناس بعد قصة بني سالم أن راحلته انطلقت حتى وازنت دار بني بياضة ، فذكر قصتهم ، ثم قال : فانطلقت حتى إذا مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة ، وذكر قصتهم ، ثم قال : فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع ، وذكر قصتهم ، ثم ذكر القصة كما قدمناه .

وذكر يحيى في رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم بعد أن سار من بني سالم تيامن ، فأتى منزل ابن أبي ، ثم مضى في الطريق والطريق يومئذ فضاء حتى انتهى إلى سعد بن عبادة ، ثم اعترضت له بنو بياضة عن يساره ، ثم مضى حتى أتى بني عدى ابن النجار ، ثم أتى إلى بني مازن بن النجار ، فقامت إليه وجوههم ، ثم مضى حتى

(١) في المطبوعات « تلحلت ورزمت » وما أثبتناه عن ابن الأثير ، وتلحلت - بتقديم اللام على الحاء - تحركت ، وأرزمت : صوتت من غير أن تفتح فمها .  
(٢) الجران - بزة الكتاب - باطن العنق .

انتهى إلى باب المسجد وقد حشدت<sup>(١)</sup> بنو مالك بن النجار فهم قيام ينتظرونه إلى أن طلع فهش إليه أسعد بن زرارة وأبو أيوب وعمارة بن حزم وحارثة بن النعمان يقول : يارسول الله قد علمت الخزرج أنه ليس ربيع أوسع من ربيعى، قال : فبركت بين أظهرهم ، فاستبشروا ، ثم نهضت كأنها مذعورة ترجع الحنين<sup>(٢)</sup> ، فساءهم ذلك ، وجعلوا يعدون بجنبها حتى أتت إلى زقاق الحبشى بيثر جل فبركت والنبي صلى الله عليه وسلم عليها مريح لها زمامها ثم قامت عوددها على بدئها تزيد فى المشى حتى بركت على باب المسجد وضربت بجرائنها وعدلت ثفنائها<sup>(٣)</sup> ، وجاء أبو أيوب والقوم يكلمونه فى النزول عليهم ، فأخذ رخله فأدخله ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رخله وقد حط فقال « المرء مع رحله » .

وذكر رزين اعتراض بنى سالم له وقوله « خلوا سبيلها فإنها مأمورة » ثم قال : فمر بنى بياضة فكذلك ، ثم بينى ساعدة فكذلك ، ثم بدار بنى الحارث بن الخزرج فكذلك ، ثم مر بدار عدى بن النجار فكذلك ، فمضت حتى إذا أتت دار بنى مالك بن النجار بركت على باب المسجد اليوم ، ولم ينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت ، ثم وثبت فسارت غير بعيد ثم التفتت خلفها فرجعت إلى مبركها الأول ، فنزل إذ ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أى الدور أقرب ؟ فقال أبو أيوب : دارى ، هذا بابى ، وقد حططنا رخلك فيها ، فقال « المرء مع رخله » فمضت مثلاً .

وروى ابن زبالة أنها لما بركت بباب أبي أيوب جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزل فتحلحل<sup>(٤)</sup> فيطيف حولها أبو أيوب فيجد جبار بن صخر أخا بنى سلمة ينخسها برجله ، فقال أبو أيوب : يا جبار عن منزلى تنخسها ؟ أما الذى بعته بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزل أبي أيوب ، وقرقراره ، واطمأنت داره ، ونزل معه زيد بن حارثة .

(١) حشدت : اجتمعت (٢) ترجع الحنين : تروده

(٣) الثفنائ : جمع ثفنة - بفتح فكسر - وهى ما يلى الأرض من كل ذات أربع

عند بروكها ويحصل فيه غلظ من أثر البروك . (٤) أنظر هـ ١ ص ٢٥٩



وعند الحاكم عن أنس : جاءت الأنصار فقالوا : إلينا يارسول الله ، فقال :  
دعوا الناقة فإنها مأمورة ، فبركت على باب أبي أيوب .

وروى الطبراني في الأوسط وفيه صديق بن موسى - قال الذهبي : ليس بالحجة -  
عن عبد الله بن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فاستناخت  
راحلته بين دار جعفر بن محمد بن علي ودار الحسن بن زيد ، فأتاه الناس فقالوا :  
يارسول الله المنزل ، فانبعثت به راحلته ، فاستناخت ثم تحلجلت<sup>(١)</sup> ، وللناس ثم  
عريش كانوا يرشونه ويعمرونه ويبردون فيه ، حتى نزل رسول الله صلى الله عليه  
وسلم عن راحلته فأوى إلى الظل فنزل فيه ، فأتاه أبو أيوب فقال : يارسول الله  
منزلى أقرب المنازل إليه [أ] فأنقل رحلك ؟ قال : نعم ، فذهب برحله إلى المنزل ، ثم  
أتاه آخر فقال : يارسول الله انزل على ، فقال : إن الرجل مع رحله حيث كان ،  
وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش اثنتي عشرة ليلة حتى بنى المسجد  
قلت : دار جعفر بن محمد هي التي في قبلة دار أبي أيوب ملاصقة لها ، ودار  
الحسن بن زيد تقابلها من جهة المغرب ، بينهما الشارع .

وعند ابن عائد وسعيد بن منصور أن ناقتة صلى الله عليه وسلم استناخت به  
أولا ، فجاءه ناس فقالوا : المنزل يارسول الله ، فقال دعوها ، فانبعثت حتى استناخت  
عند موضع المنبر من المسجد ، ثم تحلجلت<sup>(١)</sup> ، فنزل عنها ، فأتاه أبو أيوب فقال :  
منزلى أقرب المنازل فأذن لي أن أنقل رحلك ، قال : نعم ، وأناخ الناقة في منزله  
وقال الواقدي : أخذ أسعد بن زرارة بزمام راحلته فكانت عنده ،  
ونقله الحافظ ابن حجر عن ابن سعد ونقل الأقرشي في روضته عن ابن نافع  
صاحب مالك في أثناء كلامه نقله عن مالك أن ناقتة صلى الله عليه وسلم لما أتت  
موضع مسجده بركت وهو عليها ، وأخذها الذي كان يأخذها عند الوحي ، ثم ثارت  
من غير أن تزجر وسارت غير بعيد ، ثم التفتت ، ثم عادت إلى المكان الذي

(١) انظر الهامشة رقم ١ في ص ٢٥٩

بركت فيه أول مرة فبركت ، فسُرِّيَ عنه ، فأمر أن يحط رحله ، وفي بعض الروايات أن القوم لما تنازعوا أيهم ينزل عليه قال : إني أنزل على أخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك وفي البخارى من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب ، فقال : أى بيوت أهلنا أقرب ؟ أى أخوال جده ، فقال أبو أيوب : أنا يا نبي الله ، هذه دارى ، وهذا بابى ، قال : فانطلق فبهى لنا مقيلاً<sup>(١)</sup> . وفي رواية لابن زبالة : اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم على عينه ، فنزل منزله وتخييره ، وأراد أن يتوسط الأنصار كلها .

قال المطرى : وهو غير مناف لما تقدم من قوله « دَعُوها فإنها مأمورة » ؛ لأن الله اختار له ما كان يختار لنفسه .

وفرَّح أهل المدينة بمقدمه صلى الله عليه وسلم إليهم فرحاً شديداً ؛ ففي البخارى من حديث البراء « مارأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرَّحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم » الحديث ، وروى أبو داود أن الحبشة لعبت بحراهم فرحاً بقدمه صلى الله عليه وسلم .

قال رزين : وصعدت ذوات الخدور على الأجاجير<sup>(٢)</sup> يقلن :

طلع البدر علينا من ثَنِيَّاتِ الودَّاعِ  
وَجَبَّ الشكر علينا مادعا لله داعِ

وفي رواية :

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

والعلمان والولائد يقولون : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرَّحاً به .

وفي شرف المصطفى : لما بركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من

بنى النجار يضربن بالدفوف ويقلن :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جاري

(١) المقيلاً : الموضع الذى تقضى فيه القيولة ، هذا أصله .

(٢) الأجاجير : جمع إجار ، وهو سطح المنزل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُنْحَمِبُنَا نِي ؟ قلن : نعم يا رسول الله ، فقال : والله وأنا أحبكن ، قالها ثلاثا ، وفي رواية « يعلم الله إني أحبكن » . وأخرج الحاكم من طريق إسحاق بن أبي طلحة : فخرجت جوارٍ من بنى النجار يضر بن بالدف وهن يقلن ، وذكر البيت المتقدم .

وروى عن أنس قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أظلم منها كل شيء ، فلما دخل المدينة أضاء منها كل شيء ، ورواه ابن ماجة بلفظ : لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شيء . ورواه أبو داود بلفظ : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحوا بقدومه صلى الله عليه وسلم ، وما رأيت يوما كان أحسنَ ولا أضوأ<sup>(١)</sup> من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أضاء منها كل شيء ، الحديث . ورواه ابن أبي خيثمة عنه بلفظ : شهدتُ يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم أرى يوما أحسن منه ولا أضوأ<sup>(١)</sup>

وروى يحيى عن عبد الله بن سلام : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس<sup>(٢)</sup> إليه ، وقيل : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجنّت أنظر ، فلما تبينت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء سمعته يتكلم قال : أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلُوا الأرحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام ، وهذا الحديث بنحوه فى الترمذى وصححه

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة وأبارافع إلى مكة أعطاها خمسمائة درهم وبعيرين ، فقدا عليه بفاطمة وأم كلثوم بنتيه وسودة زوجته وأم

---

(١) أضوأ : أشد ضوءا

(٢) انجفل الناس إليه : ذهبوا نحوه مسرعين ، يقال : جفل ، وأجفل ، وانجفل .

أَيْمَنَ زَوْجَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ، وَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَعَهُمْ بَعِيَالِ  
أَبِي بَكْرٍ فِيهِمْ عَائِشَةُ وَأَخْتُهَا أَسْمَاءُ زَوْجُ الزَّيْبِرِ وَأُمُّهَا أُمُّ رُوْمَانَ ، فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ  
أَنْزَلَهُمْ فِي بَيْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ .

وَقَالَ رَزِينٌ : إِنْ أَبَا بَكْرٍ أَرْسَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَرْيُقِطٍ مَعَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ لِيَأْتِيَهُ  
بِعَائِشَةَ وَأُمِّ رُوْمَانَ أُمِّهَا وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ

قَالَ بَعْضُهُمْ : وَوَجَدُوا طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى خُرُوجٍ ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ ،  
فَقَدِمُوا كُلَّهُمْ .

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : لَمَّا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ وَأَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ  
اللَّهُ ، يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنِّي أَكْرَهُ وَأَعْظِمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ وَتَكُونَ تَحْتِي ، فَظَهَرَ  
أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ وَنَزَلَ نَحْنُ فَتَكُونَ فِي السُّفْلِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ إِنْ أَرَفَقَ  
بِنَا وَبِمَنْ يَنْفَسَانَا أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سُفْلِهِ ، وَكُنَّا فَوْقَهُ فِي الْمَسْكَنِ ، فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبٌّ لَنَا<sup>(١)</sup> فِيهِ مَاءٌ ،  
فَقَمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَالْنَا لِحَافَ غَيْرِهَا نَنْشَفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ  
عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ .

قُلْتُ : وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ سَبَبُ سَكْنَاهُ فِي الْعُلُوِّ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَالَّذِي  
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَاتَّبَعَهُ أَبُو أَيُّوبَ لَيْلَةً فَقَالَ : نَمَشَى فَوْقَ  
رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟! فَتَنَحَّوْا<sup>(٢)</sup> وَبَاتُوا فِي جَانِبٍ ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : السُّفْلُ أَرْفَقُ ، فَقَالَ : لَا أَعْلُو سَقِيفَةً  
وَأَنْتَ تَحْتَهَا ، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُلُوِّ وَأَبُو أَيُّوبَ فِي السُّفْلِ

---

(١) الحب - بضم الحاء المهملة - الخاوية (٢) تنحوا : ابتعدوا

وقد قدمنا<sup>(١)</sup> في آخر الفصل الرابع أن ابن إسحاق ذكر أن هذا البيت بنَاهُ  
تَبَعَ<sup>٢</sup> الأول لما مر بالمدينة للنبي صلى الله عليه وسلم ينزله إذا قدم المدينة ، فتداول  
البيتَ المَلَأَ إلى أن صار لأبي أيوب ، وأن أبا أيوب من ذرية الحَبَر الذي أسلمه  
تبع كتابه .

وقد نقل الحافظ ابن حجر ذلك عن حكاية ابن هشام في التيجان ، قال :  
وأورده ابن عساكر في ترجمة تبع ، فما نزل صلى الله عليه وسلم إلا في بيته ، وقد  
ابتاع المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بيتَ أبي أيوب هذا من ابن  
أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري بألف دينار ، فتصدق به ، وهو في شرق المسجد  
المقدس كما سيأتي في الدور المطيفة بالمسجد

وقد اشترى الملكُ المظفر شهابُ الدين غازي بن الملك العادل سيف الدين  
أبي بكر بن أيوب بن شاذي عَزَصَ دارَ أبي أيوب هذه ، وبنها مدرسة للمذاهب  
الأربعة ، ووقف عليها أوقافاً بمِائَتَيْ فارقين<sup>(٢)</sup> التي هي دار مُلْكِهِ ، وبدمشق لها وقف  
آخر أيضاً ، ولها بالمدينة الشريفة أيضاً وقف من النخيل وغيرها ، غير أنه شمل  
ذلك ماعم الأوقاف ، وكان بها كتب كثيرة نفيسة فتنفرت أيدي سبياً ، وآل  
حالُ هذه المدرسة إلى التعطيل ، فسكنها بعض نظارها ، فتشاءمت على عياله ،  
واتصل ذلك بسلطان مصر فخرج منها ، والمدرسة قاعتان : كبرى ، وصغرى ، وفي  
إيوان الصغرى الغربي خزانة صغيرة جداً ، فما يلي القبلة فيها محراب

قال المطري : يقال إنها مَبْرَكُ ناقة النبي صلى الله عليه وسلم  
وكانت إقامته صلى الله عليه وسلم بهذه الدار كما أفاده ابن سعد سبعة أشهر :  
أي بتقديم السين على الباء ، حتى بنى مساكنه . وقال رزين : أقام عند أبي أيوب  
من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الثانية ، وقال الدولابي : شهراً ، وفي كتاب  
يحيى عن زيد بن ثابت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب

(١) انظر ص ١٨٨ وما بعدها من هذا الجزء

(٢) ميا فارقين : مدينة بديار بكر ( ياقوت ٧/٢١٤ )

لم يدخل منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية أول من هدية دخلت بها عليه قصعة مثرودة خبز بروسمننا ولبننا فأضعها بين يديه ، فقلت : يا رسول الله أرسلت بهذه القصعة أمي ، فقال: بارك الله فيها ، ودعا أصحابه فأكلوا ، فلم أريم الباب<sup>(١)</sup> حتى جاءت قصعة سعد بن عباد على رأس غلام مغطاة ، فأقف على باب أبي أيوب فأكشف غطاءها لأنظر ، فرأيت ثريدا عليه عراق ، فدخل بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال زيد : فقد كنا في بني مالك بن النجار ما من ليلة إلا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم ، حتى تحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت أبي أيوب ، وكان مقامه فيه سبعة أشهر ، وما كانت تخطئه جفنة سعد بن عباد وجفنة أسعد بن زرارة كل ليلة

وفيه أنه قيل لأم أبي أيوب : أي الطعام كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمقامه عندهم ؟ قالت : ما رأيته أمرَ بطعام فصنع له بعينه ، ولا رأيناه أتى بطعام قط فعا به

وقد أخبرني أبو أيوب أنه تعشى عنده ليلة من قصعة أرسل بها سعد بن عباد طفيش<sup>(٢)</sup> فقال أبو أيوب : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القدر ما لم أره ينهل غيرها ، فكنا نعملها له ، وكنا نعمل له الهريس وكانت تعجبه ، وكان يحضر عشاءه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام في الكثرة والقلة .

وفيه عن أبي أيوب أنهم تكلفوا له طعاما فيه بعض هذه البقول ، فلما أتوه به كرهه وقال لأصحابه : كلوا فإنني لست كأحدكم ، إني أخاف أن أؤذي صاحبي<sup>(٣)</sup>

وفي كتاب ززين عنه بعد ذكر نزوله عليه قال : وما سرت ليلة من نحو السنة إلا وتأتيه جفنة سعد بن معاذ ثم سائر الناس ، يتناوبون ذلك نوباً ، قال أبو

(١) لم أرم الباب : لم أفارقه (٢) طفيش - بزنة سفرجل - ضرب من المرق (٣) صاحبه : الملك الذي يلازمه ، والمراد بالبقول نحو السكرات والبصل والثوم كما سيأتي في رواية ززين التالية .

أيوب : فصنعتُ له ليلةً طعاماً ، وجعلت فيه ثوماً ، فلم يأكل منه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ففزعته فنزلت إليه فقلت له : أحرامٌ هو؟ فقال : إني أنا جئى ، وأنا أكرهه لذلك ، وأما أنتم فكلوه ، قال : فقلت : فإنى أكره ما تكره يارسول الله .

المواخاة  
بين الأنصار  
والمهاجرين

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود<sup>(١)</sup> ، وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط لهم ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال فيما بلغنا : تآخَوْا في الله أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ ، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخى .

قلت : كانت هذه المواخاة بعد مقدّمه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر ، وقيل : ثمانية ، وهو بينى المسجد ، وقيل : بعده ، وقيل : قبله ، وذكره أبو حاتم في السنة الأولى ، والظاهر أن ابتداءها كان فيها ، واستمرت على حسب مَرٍّ يدخل في الإسلام أو يحضر ، كما يعلم من تفاصيلها ، قيل : وكانوا تسعين رجلاً من كل طائفة خمسة وأربعون ، وقيل : مائة ، آخى بينهم على الحق والمواساة والتوارث ، وكانوا كذلك إلى أن نزل بعد بدر « وأولو الأرحام »<sup>(٢)</sup> الآية . وقال الواقدي : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة آخى بين المهاجرين ، وآخى بين المهاجرين والأنصار .

وقال ابن عبد البر : كانت المواخاة مرتين : الأولى قبل الهجرة بمكة بين المهاجرين ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وهكذا حتى بقى على رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن أكون أخاك ؟ قال : بلى يارسول الله ، قال : فأنت أخى في الدنيا والآخرة ، والمواخاة الثانية ما تقدم من مواخاة

---

(١) وادع فيه يهود : هادئهم وصالحهم . (٢) من سورة الأنفال من الآية ٧٥ .

المهاجرين والأنصار ، وهى المرادة بقول الحسن : كان التوارث بالحلف<sup>(١)</sup> ؛ فنسخ بآية المواريث .

ولأبى داود عن أنس بن مالك : حالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فى دارنا ، وحديث « لا حلف فى الإسلام » معناه حلف التوارث ، والحلف على ما منع الشرع منه ، وعبر رزين عن المواخاة بين المهاجرين والأنصار فيما نقله عن أبى حاتم بقوله : ثم آخى بين أصحابه ، ودعا لكل واحد منهم دعوة ، وقال : أبشروا أتم فى أعلى غُرفِ الجنة ، وقال لعلى : ما أخرتك إلا لنفسى ، أنت أخى ووارث علمى ، وأنت معى فى الجنة فى قصرى مع ابنتى ، وقصة المواخاة الأولى أقربها الحسبك ؛ فذكر المواخاة بين أبى بكر وعمر ، وذكر جماعة ، ثم قال : فقال على : يا رسول الله ، إنك آخيت بين أصحابك فمن أخى ؟ قال : أنا أخوك .

وقد أنكر ابن تيمية فى الرد على ابن المطهر الرافضى المواخاة بين المهاجرين خصوصاً مواخاة النبى لعلى ، قال : لأنها شرعت للارفاق والتألف ؛ فلا معنى لها بينهم ، وهو رد للنص وغفلة عن حقيقة الحكمة فى ذلك ، مع أن بعضهم كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة ، والارتفاق ممكن ، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم بعلى من عهد الصبا ، واستمر ذلك .

وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن أنه صلى الله عليه وسلم « آخى بين الزبير وابن مسعود » وهما من المهاجرين .

الهو  
تجاوز الإفساد  
بين الأوس  
والخزرج  
والتأم شمل الحيين الأوس والخزرج ببركته صلى الله عليه وسلم ، فمر شاس ابن قيس - وكان شيخاً من اليهود شديد الضغن على المسلمين والحسد لهم - على نفر من الأوس والخزرج فى مجلس يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاحيات ذات بينهم بعد الفى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية ، فقال : قد

(١) يعنى أن الحلف كان معدوداً من أنواع العصبة فى أول الإسلام بالمدينة ، يرث به الحليف حليفه بعد مرتبة أهل الفروض والعصبة ، ثم نسخ التوارث به بالآية .



اجتمع ملأً بنى قتيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرّار ، فأمر شاباً من يهود كان معه فقال : أجلس إليهم ثم اذكر يوم بُعث ، وما كان فيه ، وأنشدّهم بعض ما كانوا يتناولوا فيه من الأشعار ، ففعل الشاب ذلك ، فتنازع القوم وتفاخروا ، حتى توائب رجلان من الحيين على الركب ، وهما أوس بن قيطي وجبار بن صخر ، فتناولوا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة ، وهى الحرة ، فخرجوا إليها ، وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكّوا ، وعانق الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس ، فأزل الله فى شأنه : « قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل يا أهل الكتاب لم تصدّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون <sup>(١)</sup> » ، وأنزل الله فى الذين صنعوا ما صنعوا من الحيين : « يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب » إلى قوله : « كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون <sup>(٢)</sup> » .

وكان حُيَّ بن أخطب <sup>(٣)</sup> وأخره أبو ياسر من أشد يهود للعرب حسداً لما خصهم الله برسوله صلى الله عليه وسلم ؛ فكانا جاهدين فى رد الناس عن الإسلام بما استطاعا ، فأنزل الله تعالى فيهما : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم » إلى قوله : « حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شيء قدير <sup>(٤)</sup> » .

(١) من سورة آل عمران الآيتين ٩٨ و ٩٩ (٢) من سورة آل عمران الآيات

١٠٠ - ١٠٣ (٣) فى المطبوعات « يحيى بن أخطب » وسيأتى على الصواب

(٤) من سورة البقرة الآية ١٠٩

وحدثت صفية بنت حُيَ رضى الله عنها قالت : كنت أحبّ ولدِ أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر ، لم ألقهما قطّ مع ولدهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة غدا عليه أبى وعمى مُغَلَّسَيْنِ<sup>(١)</sup> ، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، فهششت إليهما كما كنت أصنع . فوالله ما التفت إلى واحدٍ منهما ، مع ما بهما من الغم ، وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى : أهو هو ؟ قال : نعم والله ، قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم ، قال : فما فى نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت ، فَشَقِيًّا بِحَسَدِهِمَا ، والله أعلم .

#### الفصل الثانى عشر

فما كان من أمره صلى الله عليه وسلم بها فى سِنِي الهجرة إلى أن توفاه الله عز وجل مختصرا .

وقد لخصه رزين من تاريخ أبى حاتم ، فزدت فيه نفائس ميزتها ، فأقول فى أولها « قلت » وفى آخرها « والله أعلم » وقد أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين بالإجماع كما حكاه النووى<sup>(٢)</sup> .

السنة الأولى

السنة الأولى - وقد تقدم بعض ما فيها من بناء مسجد قباء وغيره .

وقال أبو حاتم : كان فيها بناء المسجد النبوى ، ومات أسعد بن زُرارة والمسجد يُبْنَى ؛ فكان أول من دفن بالبقيع من المسلمين .

قلت : ومن هذا يعلم أن عثمان بن مظعون أول من دفن به من المهاجرين ، جمعا بين النقلين ، ومات كلثوم بن الهدم قبل أسعد بن زرارة ؛ فهو أول من مات من الأنصار بعد مقدّم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل : توفى أسعد بن زرارة فى الثانية ، والله أعلم .

ومات البراء بن معرور قبل قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) مغلسين : فى وقت الغلس ، وهو الوقت بين الفجر وسطوع النور .

(٢) وقد جعلنا زيادة المؤلف مستقلة تبدأ من أول سطر بكلمة « قلت » وتنتهى بكلمة « والله أعلم » ثم يبدأ تلخيص رزين من أول سطر جديد وهكذا .

وأوصى أن يُوجَّه إلى الكعبة ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره ، وكانت الأنصار ينقر بون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونسائهم ، وكانت أم سليم تنأسف على ذلك ، وما كان لها شيء ، فجاءت بابنها أنس ، وقالت : يَخْدُمْكَ أنس يا رسول الله ؟ قال : نعم .

قلت : الذى فى الصحيح عن أنس « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله إن أنسا غلام كَيْسٌ <sup>(١)</sup> فليخدمك ، قال : فخدمته ، الحديث ، وقد يجمع بأنها جاءت به أولا ، وانطلق به أبو طلحة ثانيا ؛ لأنه وليه وعَصَبَتُهُ ، وهذا غير محيئه به لخدمته صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر كما يفهمه لفظ الحديث ، والله أعلم .

ثم زيد فى صلاة الحضر ركعتين بعد مقدمه المدينة بشهر <sup>(٢)</sup> .

قلت : قال السهيلي : إن ذلك كان بعد الهجرة بعام أو نحوه ، والذى عليه الأكثر أن الصلاة نزلت بتمامها من بدء الأمر ، والله أعلم .

وَوُعِدَ أصحابه فدعا بنقل وبائها إلى الجحفة ، وقال : « اللهم حبب إلينا المدينة » ثم آخى بين أصحابه كما سبق ، ثم مات الوليد بن المغيرة بمكة ، ووُلِدَ عبدُ الله بن الزبير ، جاءت أمه أسماء بعد الهجرة فنُقِسَتْ به فى قباء فى شوال ، فكان أول مولود ولد فى الإسلام بها بعد الهجرة ، وكان أول شيء دخل جوفه ريقُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تَقَلَّ فى فيه .

قلت : سيأتى فى مسجد دار سعد بن خَيْثَمَةَ من المساجد التى لاتعلم عيها أن الذهبي قال : إن عبد الله ولد فى الثانية ، والله أعلم .

ثم عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء لابن عمه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب

(١) كَيْس : وصف من الكياسة ، وهى الحذق وحسن التأتى للأمر .

(٢) فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، إلا المغرب . ثم زيدت فى الحضر وأقرت فى السفر ، هكذا ورد فى حديث عائشة .

أول  
راية عقدت  
في الإسلام

على ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري، وهي أول راية عقدت في الإسلام، ورمى فيها سعد بن أبي وقاص بسهم، فكان أول سهم رُمِيَ في الإسلام، فالتقى مع أبي سفيان بن حرب، وقيل عكرمة بن أبي جهل، وكان في مائة من المشركين ببطن رابغ ويعرف بوزان فأنحاز إلى المسلمين من المشركين المقداد بن عمرو بن الأسود وعتبة بن غزوان، وكان حامل اللواء لعبيدة مصلح بن أثانة.

قلت: وذكر أبو الأسود في مغازيه عن عروة، ووصله ابن عائذ من حديث ابن عباس «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إلى الأبواء<sup>(١)</sup> بعث عبيدة بن الحارث في ستين رجلاً» وذكر القصة، فيكون ذلك في السنة الثانية، وبه صرح بعض السير، والله أعلم.

ثم عقد لواء لعمه حمزة على ثلاثين من المهاجرين - قيل: ومن الأنصار - ليعترض غير قريش، فلقى أبا جهل في ثلاثمائة راكب، فحجب بينهم بجدي ابن عمرو، وكان حليفاً للفريقين، وانصرفوا من غير قتال، وكان حامل لواء حمزة يومئذ أبو مرثد.

قلت: قدم بعضهم هذه على سرية عبيدة، وقال: إن لواء حمزة أول لواء عقد في الإسلام، ورجح ابن إسحاق الأول، وقال: إنما أشكل أمرها أن النبي صلى الله عليه وسلم شيعهما جميعاً، وذكر أبو عمر أن أول راية عقدت لعبد الله بن جحش، وقيل: إن سرية حمزة هذه كانت في السنة الثانية، والله أعلم.

ثم بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وهي بنت تسع، وكان عقد بها في مكة قبل الهجرة بثلاث وهي بنت ست.

قلت: وعقد على سودة بنت زمعة بعد عائشة - وقيل: قبلها، وبنى بها سودة بن زمعة بمكة - وكان بناؤه بعائشة على رأس تسعة أشهر - وقيل: ثمانية، وقيل ثمانية عشر شهراً - من قدومه، والله أعلم.

(١) الأبواء: قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، وقيل: جبل على يمين آرة ويمين الطريق للمصعد إلى مكة من المدينة (ياقوت ١/ ٩٢) وانظر تحديدها للمؤلف في ص ٢٧٤ س ١٥.

ثم عقد لواء السعد بن أبي وقاص في عشرين يريدون عسير قريش في  
ذى القعدة ، فخرجوا على أقدامهم يَكْمُنُونَ<sup>(١)</sup> بالنهار ويسرون بالليل ، وكان حامل  
اللواء لسعد المقداد بن عمرو ، فلم يجدوا شيئاً ، ثم جاء أبو قيس بن الأسلت ليسلم ،  
فلقيه ابن أبي ابن سؤل ، فقال : تَرَبَّصْ<sup>(٢)</sup> حتى ترى ، فرجع فمات كافراً .

قلت : وأسلم عبد الله بن سلام في أول قدومه صلى الله عليه وسلم ؛ ففي البخارى : إسلام عبد الله  
من حديث عائشة التصريح بأنه جاء قبل دخوله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب ابن سلام  
لما سمع بقدومه صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع إلى أهله ، ثم قال صلى الله عليه وسلم  
لأبي أيوب : اذْهَبْ فَمَهْيِيْ ، اِنَّا مَقِيْلًا ، فقال : قومًا على بركة الله ، أى هو وأبو بكر ،  
قالت : فلما جاء نبي الله صلى الله عليه وسلم جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد  
أنك رسول الله وأنتك قد جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم  
وأعلمهم وابن أعلمهم ، فَسَلَّمُوا عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا  
أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،  
فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، وَيْلَكُمْ !  
اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ  
بِحَقِّ ، فَأَسْلَمُوا ، قَالُوا : مَا نَعْلَمُهُ ، قَالَ : فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ ؟ قَالُوا :  
ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا ، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ، قَالُوا :  
حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيَسْلَمَ ، قَالَ : أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ ، قَالُوا : حَاشَا لِلَّهِ مَا كَانَ لِيَسْلَمَ ،  
كَرَّرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ثَلَاثًا فَيَقُولُونَ لَهُ ذَلِكَ ، قَالَ : يَا ابْنَ سَلَامٍ أَخْرِجْ عَلَيْهِمْ ، فَخَرَجَ  
عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ ، اتَّقُوا اللَّهَ فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقِّ ، فَقَالُوا : كَذَبْتَ ، فَأَخْرَجَهُمْ  
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وفي رواية أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن أشياء ، فلما أعلمه بها أسلم ، وفي هذه الرواية ذكر

(١) يَكْمُنُونَ : يختفون ويستترون (٢) تَرَبَّصْ : انتظر وتعمّل

قصة اليهود المتقدمة ، وأن عبد الله بن سلام لما خرج إليهم وتَشَهَّدَ قالوا : شَرُّنا وابن شرنا ، وتنقَّصُوهُ ؛ فقال : هذا كنت أخاف يارسول الله ، ونصَّبت أحبار اليهود العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم بَغْيًا وَحَسَدًا : منهم حُيَّ بن أخطَب ، وأبو رافع الأعور ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوريا ، والزبير بن باطًا ، وشمویل ، ولبيد بن الأعصم ، وغيرهم ، ودخل منهم جماعة في الإسلام نِفَاقًا ، وانضاف إليهم من الأوس والخزرج منافقون ، وأرى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الأذان ، وقيل : كان ذلك في السنة الثانية عند ما شاور صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة ؛ إذ كان اجتماعهم قبل بمناذِر « الصلاة جامعة » والله أعلم .

السنة الثانية  
من الهجرة

السنة الثانية - فلما جاء العاشر من المحرم أَسْر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصَوْمِهِ ، وقال : « نحن أحق بموسى من اليهود » ثم زوج عليًا بفاطمة .

قلت : وذلك قبل بدر ، في رجب على الأصح ، وبَنَى بها في ذى الحجة كما سيأتى ، وكان لها خمس عشرة سنة ، وقيل : ثمان عشرة ، وقيل : تزوجها بعد أحد ، والله أعلم .

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه إلى الأبواء<sup>(١)</sup> وهى من وُدَّان على ستة أميال مما يلي المدينة .

قلت : ولتقاربهما أطلق عليها « غزوة وُدَّان » والله أعلم . واستخلف على المدينة سعد بن عُبَادَة ، وكان حامل لوائه سعد بن أبى وقاص ، ثم رجع ، ولم يَلْقَ كيدا ، فانصرف بعد ما وادع مجدىَّ بن عمرو الضَّمَرِيَّ ، ثم غزا في مائتين من أصحابه إلى ناحية رَضَوَى ، وحامل لوائه سعد بن أبى وقاص ، ثم رجع ولم يلق كيدا .

قلت : وهى غزوة « بَوَاط » خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد تجار قریش

(١) انظر الهامشة رقم ١ فى ص ٢٧٢

أيضاً ، حتى بلغ بواط من ناحية رَضَوَى ، وقال ابن هشام : واستعمل على المدينة السائب بن عثمان بن مظعون ، وفي نسخة السائب بن مظعون ، وقال الواقدي : سعد بن معاذ<sup>(١)</sup> ، والله أعلم .

ثم أغار على سَرَحِ المدينة كَرْزُ بن جابر الفِهْرِيُّ ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره في المهاجرين ، وحامل لوائه على بن أبي طالب ، فاتته إلى بدر ، وفاته كَرْزُ ، وهذه بدر الأولى .

قلت : ذكر ذلك ابن إسحاق بعد « العشيرة » بليال ، والله أعلم .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جَحْش في سرية ، وهم الذين قتلوا في الشهر الحرام في اثني عشر نفساً ، فأضل عتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص راحلتيهما ، فتخلفا عنهم ، ومضى العشرة حتى لقوا جماعة من قريش : منهم عثمان بن عبد الله بن المغيرة ، واقتدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والحكم ابن كيسان ، أسلم ، وقتلوا عمرو بن الحضرمي .

قلت : ذكرها بعضهم بعد العشيرة ، ووصلوا نَحْلَةَ على يوم وليلة من مكة ، فمرت بهم عِيرُ قُرَيْشٍ تحمل زبيبا وأدما من الطائف معها الجماعة المذكورون في آخر يوم من رجب ، فاستأسروا الأسيرين ، وقتلوا عمرا ، واستاقوا العير<sup>(٢)</sup> ، وكانت أول غنيمة في الإسلام ، والله أعلم .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العشيرة ، فوَدَعَ بني مُدَلْج وحلفاءهم ، ثم رجع .

قلت : وكان خروجه فيها يعترض عِيراً لفريش ، فقافته بأيام ، واستخلف أبا سامة بن عبد الأسد ، والله أعلم .

قال أبو حاتم : وبلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب أن يُوجَّهَ إلى الكعبة ، فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مُصَلًّى

التوجه إلى  
الكعبة

(١) في المطبوعات « سعيد بن معاذ » (٢) العير - بالكسر - الإبل تحمل الميرة

فدعا الله تعالى ، فَأُنْزِلَ « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ » إِلَى قَوْلِهِ « وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »<sup>(١)</sup> وَفِي صَلَاةِ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ثَانِيَةِ سَنَةِ الْهِجْرَةِ .

قُلْتُ : سَيَأْتِي مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ فِي الْفَصْلِ الثَّلَاثِ مِنَ الْبَابِ بَعْدَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ نَزَلَتْ فَرِيضَةُ الصَّوْمِ فِي شَعْبَانَ ، فَصَامُوا رَمَضَانَ ، فَلَمَّا فَرَضَ رَمَضَانُ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِصِيَامِ عَاشُورَاءَ وَلَا نَهَاهُمْ .

ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ فِي رَمَضَانَ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْهُ ، وَقِيلَ : يَوْمَ جُمُعَةٍ صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ مِنْهُ ، وَقِيلَ : صَبِيحَةَ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْهُ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ ثَلَاثِمِائَةً وَبَضْعَةَ عَشَرَ<sup>(٢)</sup> .

قُلْتُ : الرَّاجِحُ الْقَوْلُ الثَّانِي ، وَخَرَجَتْ الْأَنْصَارُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا ، وَلَمْ تَسْكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ خَرَجَتْ مَعَهُ ، وَمَعَهُمْ ثَلَاثَةُ أَفْرَاسٍ ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ أَلْفًا ، وَيُقَالُ : تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مَعَهُمْ مِائَةُ فَرَسٍ ، وَهَذِهِ بَدْرُ الثَّانِيَةِ لَمَّا تَقَدَّمَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ قَتَلَ عَمِيرُ بْنُ عَبْدِ الْخَطَمِيِّ الْعَصْمَاءَ أَمْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَهِيَ زَوْجُ يَزِيدَ الْخَطَمِيِّ ، كَانَتْ تُؤَذِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْرِ ، فَقَتَلَهَا ، ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يَنْتَطِحُ فِيهَا عِزَّانٌ » .

قُلْتُ : قَالَ فِي الْإِكْتِفَاءِ : إِنْ الْعَصْمَاءُ هَذِهِ نَافَقَتْ لَمَّا قَتَلَ أَبُو عَفْكَ ( بِالْفَاءِ وَإِلْهَامِ أَوَّلِهِ ) وَقَالَتْ شَعْرًا تَعْيِبُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ ، وَتَوْنِبُ الْأَنْصَارَ فِي أَتْبَاعِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ عَمِيرًا رَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ بَعْدَ قَتْلِهَا وَهُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ مُوْجُهُمْ<sup>(٣)</sup> فِي شَأْنِهَا ، وَلَهَا بَنُونَ خَمْسَةٌ رِجَالًا ، فَقَالَ : يَا بَنِي خَطْمَةَ ، أَنَا قَتَلْتُ

(١) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنَ الْآيَةِ ١٤٤ . (٢) فِي الْمَطْبُوعَاتِ « وَبَضْعُ عَشْرَةٍ » تَطْبِيعُ

(٣) كَثِيرٌ مُوْجُهُمْ : يُرِيدُ أَنَّ الْحَدِيثَ فِي شَأْنِهَا كَانَ كَثِيرًا مُضْطَرِبًا



بنت مروان، يعني العصماء، فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون، فذلك اليوم أول ماءٍ؛ الإسلام في دار بني خطمة، وكان يستخفي بإسلامه فيهم من أسلم، ويومئذ أسلم رجال منهم لما رأوا من عز الإسلام، انتهى. والذي رواه ابن سيد الناس عن ابن سعد أنه قال بعد ذكر قتل عمير للعصماء: ثم في شوال كانت سرية سالم بن عمير إلى أبي علفك اليهودي، وكان أبو علفك من بني عمرو بن غوف شيخاً قد بلغ عشرين ومائة، وكان يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول الشعر، فقال سالم بن عمير وهو أحد البكائين وممن شهد بدرًا: عليّ نذر أن أقتل أبا علفك أو أموت دونه، وذكر قتله إياه، وهو مخالف لما قدمناه عن الاكتفاء من تقديم قتل أبي علفك على قتل العصماء، وذكر ابن سعد أيضاً أن قتل العصماء كان لخمس ليالٍ بقين من شهر رمضان، وأن عميراً كان ضريراً البصر، وسماه رسول صلى الله عليه وسلم البصير<sup>(١)</sup>، قيل: وكان أول من أسلم من بني خطمة، وكان إمام قومه وقارهم، وكان يدعى «القاريء» والله أعلم.

ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الفطر ييومين يُعَلِّم الناس زكاة الفطر.

قلت: وقيل: في أول شوال، وصلى صلاة الفطر، وفيها فرضت زكاة الأموال أيضاً، وقيل: في الثالثة، وقيل: في الرابعة، وقيل: قبل الهجرة، وثبتت بعدها، والله أعلم.

ثم غزا بني قَيْنَقَاع في شوال.

قلت: قد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد وادع اليهود، وكانوا يرجعون إلى ثلاث طوائف: بني قَيْنَقَاع، والنضير، وقرَيْظَة، فنقض الثلاثة العهد طائفة بعد طائفة، فأول من نقض منهم بنو قَيْنَقَاع فحاربهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد بدر في شوال، فالتقى الله الرُّعْبَ في قلوبهم، فنزلوا على حكمه، فأراد قتلهم،

(١) من سنن العرب أن تسمى الشيء باسم ضده، مثل تسميتهم الصحراء «مفازة» وتسميتهم اللدين «السلام» ولا يزال هذا يعبر في لسان العامة إلى اليوم

فاستوهمهم منه عبدُ الله بن أبيّ وكانوا حلفاءهُ فوجههم له ، وأخرجهم من المدينة إلى أذرعَات ، وفي الاكتفاء : وكان منشأ أمرهم ، يعني في نقض العهد ، أن امرأة من العرب قدمت بِجَلَب<sup>(١)</sup> لها ، فباعته بسوق بني قَيْنُقَاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كَشْف وجهها ، فَأَبَتْ ، فعمد الصائغ إلى طَرَف ثوبها ففَعَدَه إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سَوَاتِهَا ، فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فوقع الشر بينهم وبين المسلمين ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه .

وروى أن ابن أبيّ قال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، أَحْسِنْ في مَوَالِيّ ، فأعرض عنه ، وأنه قال : أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدكم في غَدَاة واحدة ، إني والله امرؤ أخشى الدوائر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك ، وقال مغلطاي في غزوة بني قَيْنُقَاع : قال الحاكم : هذه وبني النضير واحد ، ور بما اشتبهتا على من لا يتأمل ، وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكر أنهم أول مَنْ نقض العهد : فغزاهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم بني النضير ، وأغرب الحاكم فزعم أن إجلاء بني قَيْنُقَاع وإجلاء بني النضير كان في زمن واحد ولم يوافق على ذلك ؛ لأن إجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة ، أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن إسحاق ، وذكر الواقدي أن إجلاء بني قَيْنُقَاع كان في شوال سنة اثنتين ، يعني بعد بدر بشهر ، ويؤيده ما روى ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس قال : لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر جمع يهود في سوق بني قَيْنُقَاع فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشاً ، فقالوا : إنهم كانوا لا يعرفون القتال ، ولو قاتلتنا لعرفت أنا الرجال ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْرٌ وَهُمْ فِيهِ يَحْشَرُونَ »<sup>(٢)</sup> »

(١) الجلب : اسم لما تجلبه من البادية لتيهه في المدينة

(٢) من سورة آل عمران من الآية ١٢

إلى قوله «لأولى الأبصار» وأصاب صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أسيافٍ ودرعين أحدهما تسمى فضة والأخرى تسمى السغدية (بالسين المهملة والغين المعجمة) قال بعض الحفاظ : وكانت السغدية درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ، والله أعلم .

ثم غزا غزوة «السويق» في ذى القعدة  
قلت : سميت به لأنه كان أكثر زاد المشركين ، وغنمه المسلمون لأن أبا سفيان غزوة السويق  
خرج في مائتي راكب ، وقيل : في أربعين ، حتى أتوا العريض ، فخرق نخلا ، وقتل  
رجلا من الأنصار وأجيرا له ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه ، وجعل  
أبو سفيان وأصحابه يتخفّفون للهرب فيلقون جُربَ السويق ، فأخذها المسلمون  
فرجعوا ، وذلك بعد بدر ، فإن أبا سفيان حلف بعدها أن لا يمس رأسه ماء من  
جنابة حتى يغزو محمدا ، ففعل ذلك ، ورأى أن يمينه انحلت ، والله أعلم  
ثم مات عثمان بن مظعون في ذى الحجة ، فهو أول من مات من المهاجرين  
بالمدينة ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العيد ، ثم ضحى بكبش ،  
ثم بنى على بفاطمة في ذى الحجة

قلت : وقال النووي : وتوفيت في ذى الحجة منها رقية<sup>(١)</sup> ابنته صلى الله عليه  
وسلم ، لكن ذكر أهل السير ما يقتضى أن وفاتها كانت في رمضان منها ، والله أعلم  
السنة الثالثة — ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لكعب بن  
الأشرف » ؟ فقال محمد بن مسلمة : أنا له ، ثم قتله

السنة الثالثة  
من الهجرة

قلت : ابن الأشرف كان أصله عربيا من نهبان على ما قاله ابن إسحاق ، أتى  
أبوه المدينة لخالف بني النضير ، فشرف فيهم ، وتزوج بنت أبي الحقيق ، فولدت  
له كعبا ، وكان جسيما شاعرا ، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ، وخرج إلى مكة  
وأشدهم الأشعار ، وبكى أصحاب القليب<sup>(٢)</sup> من قريش ، ونزل فيهم على المطلب

(١) كانت رضى الله عنها زوج عثمان بن عفان الأموى رضى الله عنه  
(٢) أصحاب القليب : هم قتلى بدر من المشركين ، سمو بذلك لأنهم طرخوا في  
قليب هناك ، والقليب : البئر

ابن أبي وداعة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أبي العيص ابن أمية ، فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة ، فطردته ، فرجع إلى المدينة وشبب بنساء المسلمين ، وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحرض عليه كفار قريش ، وقيل : صنع طعاما وواطأ يهود أن يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حضر فتكوا به ، ثم دعاه ، فجاء ، فأعلمه جبريل فقام منصرفا وقال « مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ » فانتدب له محمد بن مسلمة في نفر ، واحتال عليه حتى نزل له ليلا فقتله ، وقيل : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه ، والله أعلم .

غزوة الكدر ثم غزا غزوة الكدر ، وكان حامل لوائه علي بن طالب ، فرجع ولم يلق كيذا قلت : خرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد بني سليم ، واستخلف سباع بن عرفطة ، وقيل : ابن أم مكتوم ، فبلغ ماء يقال له الكدر ، وتعرف بغزوة « قرقرة » ، ويقال نجران ، فلم يلق أحدا ، والله أعلم .

غزوة أنمار ثم غزا غزوة أنمار ، فجاءه دعثور فوجده نائما تحت الشجرة ، فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على رأسه بالسيف ، فقال له دعثور : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قال : الله ، فوقع السيف من يده ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قال : لا أحد ، قال : أذهب لشأنك ، فوّلّ وهو يقول : محمد خير مني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، وأنا أحق بذلك منك ، فنذرت غطفان برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهربوا .

غزوة ذي أمر قلت : هذه غزوة ذي أمر ، وسمّاها الحاكم غزوة أنمار ، وسمى بعضهم الأعرابي غورث ، ويقال : كان ذلك في ذات الرقاع ، ولا مانع من تعدد ذلك ، وكان أباه حاتم رأى اتحادها فلم يذكر ذات الرقاع ، وهي بنخل عند بعضهم ؛ فلذلك لم يذكرها أيضا ، والله أعلم

ثم كانت سرية القرادة ، وكان أميرها زيد بن حارثة ، فلقى بها عير قريش ،

فأخذها ، وأسرفرات بن حيان ، وبلغ الخمس من تلك الغنيمة عشرين ألفا  
قلت : والقردة ماء من مياه نجد ، فإن قریشا بعد بدر خافوا طريقهم التي  
كانوا يسلكون إلى الشام ، فسلکوا طريق العراق ، وكان في هذه العير  
أبوسفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة هي عظم تجارتهم ، والله أعلم .  
ثم كانت أحد

قلت : كانت في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور ، وشذ من قال : سنة أربع ،  
وقال ابن إسحاق : لإحدى عشرة ليلة خلت منه ، وقيل : لسبع ليال ، وقيل : لثمان ؛  
وقيل : لتسع ، وقيل : في نصفه ، وقال مالك : كانت بعد بدر بسنة ، وفيه تجوز ،  
لأن بدرا كانت في رمضان باتفاق ، فهي بعدها بسنة وشهر لم يكمل ، ولهذا قال  
مرة أخرى : كانت بعد الهجرة بإحدى وثلاثين شهرا<sup>(١)</sup>

وكان السبب فيها أنه لما قتل الله من قتل من كفار قریش يوم بدر ورجع  
من بقي منهم إلى مكة ورجع أبوسفيان بغيرهم ، فكلّموا أباسفيان ومن  
له في العير مال في الاستعانة بها على حرب النبي صلى الله عليه وسلم ففعلوا ، وقيل :  
كان المال خمسين ألف دينار ، فسلم إلى أهل العير رؤس أموالهم ، وعزلت الأرباح ،  
وكانوا يرجحون في تجارتهم الدينار ديناراً ، وجّهزوا الجيش بذلك ، وحركوا من  
أطاعهم من القبائل ، وخرجوا بأحايشهم ومن تابعهم من بني كنانة وأهل  
تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن<sup>(٢)</sup> لثلاثين يوماً ، فخرج أبوسفيان — وكان قائدهم —  
بهند بنت عتبة ، وكذلك سائر أشرافهم خرجوا بنسائهم ، وكان جبير بن مطعم  
أمر غلامه وحشيّاً الحبشي بالخروج مع الناس ، وقال له : إن قتلت حمزة عم محمد  
صلى الله عليه وسلم بعمى طعمة بن عدى فأنت عتيق ، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين<sup>(٣)</sup>  
جبل بيطن السبخة من قناة على شفير الوادي مقابل المدينة ، قاله ابن إسحاق ،  
ووادي قناة خلف عينين بينه وبين أحد ، فإن عينين في مقابلة أحد ، فنزلوا هم أمام

(١) كذا (٢) الظعن : جمع ظعينة ، وهي المرأة مطلقاً ، أو مادامت في الهودج

(٣) جبل عينين : هو جبل الرماة الذي عليه البيوت قبل قبة حمزة (مكي) .

عينين مما يلي المدينة وفي غريبه لجهة بئر رومة؛ فلا يخالف ماسياتي عن المطرى ، ونقل ابن عقبة أن أبا سفيان سار بجمعه حتى طلعا من بئر الجأوين، ثم نزلوا ببطن الوادي الذي قبل أحد ، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر ، وتمنوا لقاء العدو، وأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة رؤيا ، فلما أصبح قال : رأيت البارحة في منامى بقرأ تذبج ، والله خير، ورأيت سيفي ذا الفقار انقصم من عند طنبته<sup>(١)</sup> ، أو قال به فلول، فسكرته وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينة ، وأنى مرديف كبشا ، قالوا : ما أولتها ؟ قال : أولت البقر بقر يكون فينا ، وأولت الكبش كبش السكتية<sup>(٢)</sup> ، وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكنوا فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت ، ونقل ابن إسحاق أيضا أن عبد الله بن أبي قال : يارسول الله ، أقيم بالمدينة ، ولا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدولنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدعهم ، فقال أولئك القوم : يانبي الله كنا نتمنى هذا اليوم ، وأبي كثير من الناس إلا الخروج ، فلما صلى الجمعة وانصرف دعا بالأمة فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج ، فندم ذوو الرأي منهم ، فقالوا : يارسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : ما ينبغي لنبى إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل ، فخرج بهم وهم ألف رجل ، وكان المشركون ثلاثة آلاف . وقال المطرى : إن نزول قریش يوم أحد بالمدينة كان يوم الجمعة ، قال : وقال ابن إسحاق : يوم الأربعاء .

قال المطرى : فنزلوا برومة من وادي العقيق ، وصلى النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة بالمدينة ، ثم خرج هو وأصحابه على الحرة الشرقية حرة واقم ، وبات بالشيخين موضع بين المدينة وبين جبل أحد على الطريق الشرقية مع الحرة إلى جبل أحد ، وغدا أصبح يوم السبت إلى أحد ، انتهى . ونقل الأتشمري أنه صلى الله عليه وسلم

(١) ظبة السيف — بضم الظاء وفتح الباء مخففة — طرفه

(٢) في ابن هشام « فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون ، وأما الثلم الذي

رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل » .

دعا بثلاثة أرماع ففقد ثلاثة ألوية ؛ فذفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ولواء الخزرج إلى الحُبَاب بن المنذر بن الجُمُوح ، وقيل : إلى سعد بن عبادَة ، ولواء المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ، وقيل : إلى مُصعب بن عمير ، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، ثم ركب فرسه ، وتقلد القوس ، ثم أخذ قناته بيده ، وفي المسلمين مائة دارع ، وخرج السعدان أمامه سعد بن معاذ وسعد بن عبادَة والناس على يمينه وشماله ، فمضى حتى إذا كان بالشيخين — وهما أطمأن — التفت فنظر إلى كتيبة حسنة لها زَجَل<sup>(١)</sup> ، فقال : ما هذه ؟ قالوا : حلفاء ابن أبي من يهود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا نستنصر بأهل الشرك ، فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن أبي بثلت الناس ، انتهى .

وفي الاكتفاء أن مُخَيَّرِيقًا كان من أحبار يهود ، فقال لهم يومئذ : لقد علمتم إن نصر محمد عليكم حَقٌّ ، فتعللوا بسببتهم ، فقال لهم : لا سببت لكم ، وأخذ سيفه وعُدَّتْه فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قتل بعد أن قال : إن أصبْتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء ، وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مخيريق خير يهود » انتهى .

وروى الطبراني في الكبير والأوسط برجال ثقات عن أبي حميد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم أحد حتى إذا جاوز نِيَّيةَ الْوَدَاعِ فإذا هو بكتيبة حسناء ، فقال : مَنْ هَؤُلَاءِ ؟ قالوا : عبد الله بن أبي في ستمائة من مَوَالِيهِ من اليهود من بنى قَيْنُقَاعَ ، فقال : وقد أسلموا ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : مُرُّوهُمْ فَلْيَرْجِعُوا ، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمَشْرِكِينَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ .

قال الأتقشهرى عقب كلامه السابق : وعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْ عَرَضَ وَرَدَّ مِنْ رَدَّ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، يعنى بالشيخين ، وأُذِّنَ بلال المغرب فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، وبات بذلك الموضع صلى الله عليه وسلم ، واستعمل على الحرس في تلك الليلة محمد بن مسلمة في خمسين يطوفون بالعسكر ،

(١) لها زجل : أى صوت

وأدّج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السحر وهو يرى المشركين ودليله أبو خيثمة الحارثي ، فانتهى إلى موضع القنطرة ، فحانت الصلاة فصلى بأصحابه الصبح صفوفاً عليهم السلاح ، قال : وقال مجاهد والكلبي والواقدي : غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عائشة على رجله إلى أحد ، فجعل يصف أصحابه للقتال كما يُقَوْمُ القِدْحَ ، وقال ابن إسحاق : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد حتى إذا كان بالشوط انخزل عبد الله بن أبيّ في ثلاثمائة ، وفي رواية بثلاث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، وقال ابن عقبة : فبقى صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، فلما رجع عبد الله بن أبيّ سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين - وهما بنو حارثة وبنو سلمة - وقال الأقشهرى : فبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة ، ومعه فرسه وفرس لأبي بُرْدَةَ بن نيار ، وهذه رواية الواقدي ، والذي رواه ابن عقبة - كما سيأتى - أنه لم يكن مع المسلمين فرس ، وفي الاكتفاء بعد ذكر انخزال ابن أبيّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى حتى سلك في حرة بنى حارثة ، ثم قال : مَنْ رجل يخرج منا على القوم من كَثَب ، أى من قُرْب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بنى حارثة : أنا يا رسول الله ، فنفذ به في حرة بنى حارثة وبين أموالهم حتى سلك في مال لربيع بن قَيْظَى ، وكان منافقاً ضريب البصر ، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه قام فَحَثّاً في وجوههم التراب ويقول : إن كنت رسول الله فأنى لا أحِلُّ لك أن تدخل حائطى ، وذكر أنه أخذ حَفَنَةً من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك ، فابْتَدَرَهُ القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر ، فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد . وقال الأقشهرى : وجعل أحداً خلف ظهره ، واستقبل المدينة ، وجعل عينين <sup>(١)</sup> الجبل عن

(١) في المطبوعات «يمينين الجبل» وقد مضى على الصحة وسيأتى على الصحة أيضاً .



يساره ، وقال ابن عقبة : وَصَفَ المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالنسبحة ،  
وتعبوا للقتال ، وعلى خيل المشركين - وهى مائة فرس - خالد بن الوليد ،  
وليس مع المسلمين فرس ، وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان ، وأمر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير على الرِّمَّة وهم خمسون رجلاً ، وعهد  
إليهم أن لا يتركوا منازلهم . ونقل الأقرشي أنه جعلهم على جبل عيين . وفى  
الاكتفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لأمرهم : أنضح الخيل عنا لا يأتونا من  
خلفنا ، إن كان لنا أو علينا فأثبت مكانك لا تؤتينا من قبلك ، وظاهر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بين درعين ، وتعباً قریش ، وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائة فرس  
قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى اليسرة عكرمة بن  
أبى جهل ، وقد كان أبو عامر الراهب من الأوس خرج عن قومه إلى مكة مباعداً  
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يعد قریشاً أن لولقى قومه لم يختلف عليه  
منهم رجلان ، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم هو فى الأحابيش وعبدان أهل  
مكة . فنادى : يا معشر الأوس أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق ،  
وبذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يسمى فى الجاهلية الراهب ،  
فلما سمع ردهم عليه قال : لقد أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديداً ،  
ثم راضخهم بالحجارة ، انتهى .

وروى البزار - ورجاله ثقات - عن الزبير بن العوام قال : عرض رسول الله صلى  
الله عليه وسلم سيفاً يوم أحد فقال : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام أبو دجانة  
فقال : يا رسول الله أنا آخذه بحقه ، فأعطاه إياه ، فخرج ، فأتبعته فجعل لا يمر  
بشيء إلا أفراه<sup>(١)</sup> وهتكه ، حتى أتى نسوة فى سفح الجبل ومعهن هندوهى تقول :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق  
والدر فى الخناق والمسك فى المفارق<sup>(٢)</sup>

(١) أفراه وفراه : مزقه

(٢) الخناق : النحور ، أى الأعناق ، والمفارق : جمع مفرق ، وهو موضع فرق

الشعر من الرأس

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ      ونفرش النمارق  
أَوْ تُذْبِرُوا نَفَارِقُ      فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمَقِ<sup>(١)</sup>

يعنى تَحَرَّضُهم بذلك ، قال : فحمل عليها ، فنادت بالصحراء فلم يجبها أحد ، فانصرف عنها ، فقلت له : كل سيفك رأيته فأعجبني غير أنك لم تقتل المرأة ، قال : فإنها نادى فلم يجبها أحد ، فكرهت أن أضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها .

وفى الاكتفاء : ذكر الزبير رضى الله عنه أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عُرْجُونًا ، فعاد فى يده سيفًا قائمًا منه ، فقاتل به ؛ فكان ذلك السيف يسمى العرجون ، ولم يزل بعد يتوارث حتى بيع من بُغَا التركى بمائتى دينار .

وروى البزار رجال الصحيح عن بريدة أن رجلا قال يوم أحد : اللهم إن كان محمد على الحق فاخسف به ، قال : فحسف به .  
وقال ابن إسحاق : قتل أصحاب لواء المشركين وهم تسعة بأحد واحد بعد واحد .

وقال غيره : أَحَدَ عشر آخرهم غلام لبني طلحة .

وقال ابن عقبة : وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير أخو بنى عبد الدار ، فبارز طلحة بن عثمان من بنى عبد الدار فقتله ، وحمل المسلمون على المشركين حتى أَجْهَضُوهم<sup>(٢)</sup> ، وحملت خيل المشركين فنَضَحَهم الرماة بالنبل ثلاث مرات ، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتَهَبُوهُ ، فرأى ذلك الرماة ، فتركوا مكانهم ، ودخلوا العسكر ، فأبصر ذلك خالد ومن معه ، فحملوا على المسلمين فى الخيل ، فمزقوهم ، وصرخ صارخ : قتل محمد ، أخرأكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون ، وانهزم طائفة منهم وتفرق سائرهم ، ووقع فيهم القتل ، وثبت نبي الله حين

(١) الواق : المحب ، ومقه يقه مقه ، على مثال وصفه بصفه صفة

(٢) أَجْهَضُوهم : غلبوهم ونحوهم وأبعدوهم .

انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخرهم ، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب ، وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم يلتزم أصحابه ، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأذموه وكسروا راباعيته ، فمر مصعباً<sup>(١)</sup> في الشعب ومعه طلحة والزبير ، وقيل : معه طائفة من الأنصار منهم سهل بن بيضاء والحارث بن الصمة ، واشتغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبتقرون البطون ، وهم يظنون أنهم أصابوا النبي صلى الله عليه وسلم وأشرف أصحابه ، فقال أبو سفيان يفتخر بالله « أَعْلُ هَيْبَلُ » فناداه عمر : الله أعلى وأجل ، ورجع المشركون إلى أئقالمهم .

قال ابن إسحاق : كان أول من عرّف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وتحدث الناس بقتله ، كعب بن مالك الأنصاري ، قال : عرفت عينيه يزهران تحت المغفر ، فناديت بأعلى صوتي : يامعشر المسلمين ، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إليّ أن أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين ، فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين محمد ؟ لانبجوت إن نجاً ، فقال القوم : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه ، فله دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ، يقول بعض القوم : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأ منها<sup>(٢)</sup> عن فرسه مرارا ، وكان أبي بن خلف يلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فيقول : يا محمد إن عندي العود فرسا أعلفه كل يوم فرقاً<sup>(٣)</sup> من ذرة أقتلك ، عليه ، فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله ، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشا غير كبير فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد ، فقالوا :

(١) مصعباً : صاعدا راقيا في الجبل .

(٢) تدأ منها : تمايل (٣) الفرق — بالفتح — مكيال يسع ثلاثة آصع

الرسول  
يقتل أبي ابن  
خلف

ذَهَبَ وَاللَّهُ فَوَادِكُ، وَاللَّهُ إِنَّ يَكُ بَأْسٌ<sup>(١)</sup>، قَالَ : إِنَّهُ قَدْ كَانَ ، قَالَ بِمَكَّةَ :  
أَنَا أَقْتَلُكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ بَصَقَ عَلَىَّ لَقَتَلَنِي ، فَمَاتَ عَدُوُّ اللَّهِ بِسَرَفٍ وَهُمْ قَافِلُونَ<sup>(٢)</sup>  
إِلَى مَكَّةَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَهُ يَوْمَئِذٍ : اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ  
عَلَى رَجُلٍ قَتَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسُجِّقَ لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ .

وفى الصحيح عن عائشة قالت : لما كان يومُ أحدٍ هزم المشركون هزيمة  
بيننة ، فصاح إبليس : أى عباد الله ، أخراكم ، فرجعت أولاهم ، فاجتلدت مع  
أخراهم ، فنظر حذيفة فإذا هو بأبيه فنادى : أى عباد الله ، أبى أبى ، فقالت :  
فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم .

ونقل الأقرشي أن أبا سفيان بن حرب قال يومئذ لبنى عبد الدار : إيسم  
ضيعتم اللواء يوم بدر ، فأصابتنا ما رأيتم ، فادفعوا اللواء إلينا نذكفكم ، وإنما أراد  
تحريرهم على القتال والثبات ، ففضبوا وأغلظوا له ، وأن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم سأل : مَنْ يحمل اللواء المشركين ؟ قيل : عبد الدار ، قال : نحن أجق بالوفاء  
منهم ؟ أين مصعب بن عمير ؟ فقال : ها أنا ، قال : خذ اللواء ، فأعطاه اللواء ،  
وإن حمزة رضى الله عنه حمل على عثمان بن طلحة حامل لواء المشركين فقطع يده  
وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزرة<sup>(٣)</sup> ، ثم إن أصحاب اللواء قتلوا واحداً بعد واحد ،  
فانكشف المشركون منهزمين ، ونساوهم يدعون بالويل والثبور ، وتبعهم المسلمون  
يضعون فيهم السلاح ، ووقفوا يأخذون الفنائم ، فلما رأى الرماة ذلك أقبل جماعة  
منهم وخلوا الجبل ، فكر خالد بالخليل ، فتبعه عكرمة ، فحملوا على مَنْ بقى من  
الرماة فقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير ، وانتقضت صفوف المسلمين ، ونادى  
إبليس : قتل محمد ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزول ، يرمى عن  
قوسه حتى صارت شظايا ، ويرمى بالحجارة ، وثبت معه عصاة من الصحابة أربعة  
عشر من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر وسبعة من الأنصار ، اهـ

(١) إن يك بأس : أى ما يكون بأس (٢) قافلون : راجعون

(٣) مؤتزرة : الموضع الذى يلبس فيه الإزار

وروى النسائي عن جابر قال : لما وَلَّى الناسُ يومَ أُحُدٍ كانَ النبي صلى الله عليه وسلم في اثني عشر رجلاً من الأنصار فيهم طلحة .

ووقع عند الطبري من طريق السدي قال : تفرق الصحابة فدخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناسَ إلى الله ، فرماه ابن قميثة بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجّه في وجهه فأثقله ، فترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يذبّون عنه <sup>(١)</sup> ، فحمله منهم طلحة وسهل بن حنيف ، فرمى طلحة بسهم فبيست يده ، وقال بعض من فر إلى الجبل : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبيّ يستأمن لنا من أبي سفيان ، فقال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمد قتل فإن رب محمد لم يقتل ، فقاتلوا على ما قاتل عليه ، ثم ذكر قصة قتله ، وقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجبل ، فأراد رجل من أصحابه أن يرميه بسهم ، فقال : أنا رسول الله ، فلما سمعوا ذلك فرحوا به ، واجتمعوا حوله ، وتراجع الناس .

وروى أحمد عن سعد بن <sup>(٢)</sup> أبي وقاص قال : رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يساره يوم أُحُدٍ رجلين <sup>(٣)</sup> عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشدّ القتال ، ما رأيتهما قبل ولا بعد ، وقد أخرجه الشيخان ، وفي رواية لمسلم : يعني جبريل ومكائيل ، وقول مجاهد « لم تقاتل الملائكة يومئذ ولا قبله ولا بعده ، إلا يوم بدر » . قال البيهقي : أراد به أنهم لم يقاتلوا يوم أُحُدٍ عن القوم حين عصوا الرسول ولم يصبروا على ما أمرهم به .

وعن عروة بن الزبير : كان الله وَعَدَهُم على الصبر والتقوى أن يُعِدَّهُم بخمسة آلاف من الملائكة مُسَوِّمِينَ ، وكان قد فعل ، فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مَصَافَهُمْ وتركوا الرماة عَهْدَهُ إليهم وأرادوا الدنيا رفع عنهم مَدَد الملائكة ،

(١) يذبّون عنه : يدفعون عنه . (٢) في المطبوعات « أسعد بن أبي وقاص »

(٣) في المطبوعات « رجلان » .

وأنزل الله « لقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه <sup>(١)</sup> » فصدق الله وعده ، وأراهم الفتح ، فلما عصوا أعقبهم البلاء .

وعند ابن سعد : ثبت معه صلى الله عليه وسلم سبعة من الأنصار وسبعة من قريش .

وفي مسلم من حديث أنس : أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش طلحة وسعد .

وقال ابن إسحاق : حدثني حميد الطويل عن أنس قال : كسرت رباعية النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشج في وجهه ، فجعل يسيل الدم على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم ؟ فأنزل الله تعالى « ليس لك من الأمر شيء <sup>(٢)</sup> » الآية .

وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال : ماخرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم .

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص أخا سعد هو الذي كسر رباعية النبي صلى الله عليه وسلم السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب هو الذي شج في جبهته ، وأن عبد الله بن قميثة جرحه في وجنته ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته ، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجهه ، ثم ازدرد <sup>(٣)</sup> ، فقال له : إن تمسك النار .

وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال : رمى عبد الله بن قميثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشج وجهه ، وكسر رباعيته ، وقال : خذها وأنا ابن قميثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يمسح الدم عن وجهه : مالك أفاك الله ، فسلط الله عليه تيس جبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعته قطعة .

(١) من سورة آل عمران من الآية ١٥٢ (٢) من سورة آل عمران من الآية ١٢٨

(٣) ازدرده : ابتلعه

وقال السهيلي : الذي كسر رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم عُتْبَةُ بن أبي وقاص أخو سعد ، لم يولد من نسله ولد فبلغ الحلم إلا وهو أنْجَرَ أو أْهَم ، يُعرف بذلك في عقبه .

وروى ابن الجوزي عن محمد بن يوسف الفريابي قال : لقد بلغني أن الذين كسروا رباعية النبي صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم صبي فنبتت له رباعية .  
وقيل : كان سبب الهزيمة أن ابن قميثة الليثي قتل مُصْعَب بن عمير ، وكان مصعب إذا لبس لأَمَتَهُ يشبه النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قتله ظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قریش وقال : قد قتلت محمداً ، فازدادوا جُرْأة وصاح إبليس من العقبة : قتل محمد ، فلما سمع المسلمون ذلك وهم متفرقون كانت الهزيمة ، فلم يَلَوْ أَحَدٌ على أَحَدٍ<sup>(١)</sup> .

والصواب أن السبب مخالفة الرماة للأمر ، وهذا مؤكد له ومتمم ، مع أن الأصل في ذلك — مع إرادة الله تعالى — ما اتفق ببدر من أخذ الفداء ، فقد أخرج الترمذی<sup>(٢)</sup> والنسائي عن عليٍّ أن جبريل هبط فقال : خيرهم في أسارى بدر القتل أو الفداء على أن يقتل منهم مَنْ قابل مثلهم ، قالوا : الفداء ويقتل منا ، وقال الترمذی : حسن ، وذكر غيره له شواهد تقويه ، ولهذا جاء في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، وقتلوا سبعين ، وأسروا سبعين . وفيه أيضاً أن المشركين أصابوا يوم أحد من المسلمين سبعين ، ولفظه من حديث البراء قال : لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً من الرماة ، وأمرَ عليهم عبد الله بن جُبَيْر ، وقال : لا تبرحوا ، فإن رأيتُمونا ظهرنا عليهم<sup>(٣)</sup> فلا تبرحوا ، وإن رأيتُموهم ظهرنا علينا فلا تُعينونا ، فلما لقيناهم هربوا حتى رأيت النساء يَشْتَدِذْنَ في الجبل رفعن عن سُوَقيهن قد بدت خَلَاحِلَهُنَّ ، فأخذوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ، فقال عبد الله :

(١) لم يلو أحد على أحد : أي لا يلتفت إليه ولا يعطف عليه . (٢) انظره ١/٢٩٧ بولاق

(٣) ظهرنا عليهم : غلبناهم ، ولا تبرحوا : لا تفارقوا مكانكم .

عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صَرَفَ الله وجُوهَهُمْ ، فأصيب سبعون قتيلاً .

ووقع عند مسلم من طريق ابن عباس عن عمر في قصة بدر قال : فلما كان يوم أحد قتل منهم سبعون وفروا ، وكسرت رِباعية النبي صلى الله عليه وسلم ، وهُشِمَت البيضة على رأسه ، وسال الدمُ على وجهه ، فَأَنْزَلَ اللهُ تعالى : « أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها <sup>(١)</sup> » الآية ، والمراد بكسر الراء باعية - وهى السن التى تلى الثَّغِيَّة والنَّابَ - أنها كسرت فذهب منها فلقة ، ولم تقلع من أصلها ، وقوله « وفروا » أى بعضهم ، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم ، والواقع أنهم صاروا ثلاث فرق : فرقة استمروا فى الهزيمة إلى قرب المدينة ، فما رجعوا حتى انقضى القتال ، وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم « إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان <sup>(٢)</sup> » وفرقة صاروا حَيَارَى لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل ، فصار غاية الواحد منهم أن يَذُبَّ عن نفسه ، أو يستمر على نصرته فى القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثرهم ، وفرقة بقيت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجع إليهم القسمُ الثانى شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حى ، وما ورد من الاختلاف فى العدد محمول على تعدد المواطن فى القصة .

ووقع عند أبى يَعْلَى فى حديث عمر المتقدم : فلما كان عام أحد عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء ، فقتل منهم سبعون .

وفى الاكتفاء : أنه لما قتل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبى طالب ، فقاتل فى رجال من المسلمين ، ولما اشتد القتال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تحت راية الأنصار ، وأرسل إلى على أن قدم الراية ، فتقدم فقال : أنا أبو القصم ، فناداه أبوسعبد بن أبى طلحة : هل لك يا أبا القصم فى البراز <sup>(٣)</sup> من حاجة ؟ قال : نعم ، فبرزوا بين الصُفَيْنِ ، فأختلفا ضربتين :

(١) من سورة آل عمران من الآية ١٦٥ (٢) من سورة آل عمران من الآية ١٥٥

(٣) البراز : القتال



فضر به عليّ فصرعه، ثم انصرف ولم يُجهزْ عليه<sup>(١)</sup>، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلني بعورته ، فعطفني عليه الرحم ، وعرفت أن الله قد قتله .

وقد قيل : إن سعد بن أبي وقاص هو الذي قتل أبا سعد هذا .

وروى الطبراني برجال الصحيح عن ابن عباس قال : دخل علي بن أبي طالب على فاطمة يوم أحد فقال : خذي هذا السيف غيرَ ذَمِيم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لئن كنت أحسنت القتالَ فقد أحسنه سهلُ بن حنيف وأبودجانة ابن خرشة .

وذكر في الاكتفاء دخول الحلقتين من حاق المَغْفَر في وَجْنته صلى الله عليه وسلم ، وأنه وقع في حُفْرة من الحفر التي عمل أبو عامر الراهب ليقع فيها المسامون وهم لا يعلمون ، فأخذ عليّ بيده ، ورفع طلحة حتى استوى قائماً ، ومَصَّ مالك ابن سنان والدُ أبي سعيد الخدري الدمَ من وجهه ، ونزع أبو عبيدة بن الجراح إحدى الحلقتين من وجهه صلى الله عليه وسلم فسقطت ثِدْيَتُهُ ، ثم نزع الأخرى وسقطت ثنيتُهُ الأخرى ، ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال سعد : فلقد رأيته يُنَاوِلُنِي النَّبْلَ ويقول « اَرِمْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي » ، وأصيب يومئذٍ عينُ قَتَادَةَ بن النعمان فردها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيده ، فكانت أَحْسَنَ عَيْنِيهِ ، وأصيب فم عبد الرحمن بن عَوْف فهِم ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر أصابه بعضها في رجله فخرج ، فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشَّعْب ومعه أولئك النَّفَرُ من أصحابه ، فبيناهم في الشَّعْب إذ علت عالية من قریش : الْجَبَلُ ، فقال : أَللَّهُمَّ إِنْهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا ، فقاتل عمر بن الخطاب ورَهْطَ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل ، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليملوها فلم يتطع ، وقد كان بَدَنُ<sup>(٢)</sup> وظاهر بين

(١) أجهز على الجريح : تم قتله حتى زهقت روحه .

(٢) بدن : سمن وعلاه الشحم ، وذلك أثر من آثار السن .

درعين<sup>(١)</sup>، فجلس تحته طلحة بن عبيدالله فنهض به حتى استوى عليها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَوْجَبَ طَلْحَةَ<sup>(٢)</sup> » وصلى النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الظهر قاعداً من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

وفي الصحيح من حديث البراء أن أباسفيان - حين أراد الانصراف - قال : « لَنَا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ » فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَجِيبُوهُ ، قالوا : ما نقول ؟ قال « قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم » .

وفيه أيضاً أن أباسفيان أشرف يوم أحدٍ فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال : لا تجيبوه ، فقال : أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ قال : لا تجيبوه ، قال : أفي القوم ابن الخطاب ؟ فلما لم يجبه أحد قال : إن هؤلاء قتلوا ، ولو كانوا أحياء لأجابوا ، فلم يملك عمر نفسه فقال : كَذَبْتَ يا عدو الله ، قد أبقى الله لك ما يُخْزِيكَ .

قال ابن إسحاق : فلما أجاب عمر أباسفيان قال له : هلم إلى يا عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ائْتِهِ فانظر ماشأته ، فجاء ، فقال له أبوسفيان : أَنَشِدُكَ بِاللَّهِ يَا عُمَرُ أَقَتَلْنَا مُحَمَّدًا ، فقال عمر : أَللَّهُمَّ لَا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أَصْدَقُ عِنْدِي مِنْ ابْنِ قَيْثَةَ وَأَبْرَ ، ثُمَّ نَادَى أَبوسفيان : إيه قد كان في قتلاكم مثل ، والله مَارَضِيْتُ وَمَا سَخَطْتُ ، وَمَا أَمَرْتُ وَمَا نَهَيْتُ ، وَلِمَا انصرفت أبوسفيان وَمَنْ مَعَهُ نَادَى : إِنْ مَوَّعِدْكُمْ بِدَرِ الْعَامِ الْقَابِلِ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه « قل : نعم ، هو يبيننا وبينكم موعد » ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون ، فإن كانوا قد جَنَبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ فَإِنَّهُمْ يَرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَإِنْ رَكَبُوا الْخَيْلَ وَسَاقُوا الْإِبِلَ فَهُمْ يَرِيدُونَ الْمَدِينَةَ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لئن أرادوها لَأَسِيرَنَّ إِلَيْهِمْ فِيهَا ثُمَّ لَأَنَاجِرَنَّهُمْ ، فخرج على فرأهم قد جَنَبُوا الْخَيْلَ وَامْتَطَوْا الْإِبِلَ وَوَجَّهُوا إِلَى مَكَّةَ ، وَفَزَعَ النَّاسَ اقْتِلَاهُمْ ،

(١) ظاهر بين درعين : جمع بينهما .

(٢) أوجب طلحة : أراد استحق الجنة ثواباً على جميل صنعه .

واقتشروا يبتغونهم ، وسيأتى خبرهم وتهيينهم إن شاء الله تعالى فى الفصل السادس من الباب الخامس ، وبكى المسلمون يومئذ على قتلاهم ، فسُرَّ المنافقون ، وظهر غشُّ اليهود ، وفارت المدينة بالنفاق .

قال العلماء : وكان فى قصة أحد من الحكم والفوائد أشياء عظيمة . الحكم التى منها : تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية ، وشؤم ارتكاب النهى ؛ لما وقع فى قصة أحد من الرماة .

ومنها : أن عادة الرسل أن تُبْتَلَى وتكون لها العاقبة .  
ومنها : إظهار أهل النفاق حتى عرف المسلمون أن لهم عدوا بين أظهرهم .  
ومنها : أن فى تأخير النصر هُضماً للنفس .  
ومنها : أن الله هياً لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فسبَّبَ لهم ذلك ليبلغوها .  
ومنها : أن الشهادة من أعلى مراتب الأولياء ، فساقها لهم بين يدى الرسول ليكون شهيداً عليهم .

قال ابنُ إسحاق : وفى شأن أحد أنزل الله ستين آية من آل عمران .  
وروى ابن أبى حاتم من طريق المسور بن مخرمة قال : قلت لعبد الرحمن ابن عوف : أخبرنى عن قصتكم يوم أحد ، قال : اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها « وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّى الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ » إلى قوله « أَمَنَةً نَعْمًا » (١) .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الواقعة مرهباً لعدوه حتى انتهى إلى سحرَاء الأسد ، فأخذ فى وجهه ذلك أبا عزة الجُمَحِيَّ ، وكان النبی صلى الله عليه وسلم قد مَنَ عليه يوم بدر بغير فداء ، وأخذ عليه أن لا يظاهر (٢) عليه أحد ، وكان شاعراً ، فقال له صفوان بن أمية : إنك امرؤ شاعر فأعِنَّا بلسانك ، ولم يزل به

أبو عزة  
الجُمَحِيَّ  
ومقتله

(١) من سورة آل عمران الآيات من ابتداء الآية ١٢١ .

(٢) لا يظاهر أحداً عليه : لا يعين أحداً عليه .

حتى خرج معهم ، فلما أخذَ النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله أقتلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول : خَدَعْتُ محمداً مرتين ، أَضْرِبْ عُنُقَهُ يازبير ، فضرب عنقه .

وفي رواية أنه قال له « إن المؤمن لا يُدْعَى من جُحْرِ مرتين ، اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت » فضرب عنقه .

وفي هذه السنة أيضاً حرمت الخمر ، ويقال : في التي بعدها ، وقال الحافظ ابن حجر : الذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان ، واستدل بشيء فيه نظر .

وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم حَفْصَةَ بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في شعبان على الأصح ، وقيل : في التي قبلها ، وزينب بنت خزيمة أم المساكين في رمضان ، فمكثت عنده شهرين أو ثلاثة ، وقيل : ثمانية أشهر ، وماتت ، وولد الحسن بن علي في منتصف رمضان ، وعلقت أمه بالحسين بعد خمسين ليلة : وتزوج عثمان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم .

السنة الرابعة - وكانت بئر معونة أولها في المحرم .

السنة الرابعة  
من الهجرة

قلت : في الصحيح من رواية أنس قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان ، فزعموا أنهم قد أسلموا ، واستمدّوه على قومهم ، فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار ، قال أنس : كنا نسميهم القراء ، يَحْطِبُونَ بالنهار وَيُصَلُّونَ بالليل ، فانطلقوا بهم حتى بلغوا بئر معونة غَدَرُوا بهم وقتلواهم ، ففَقَنْتَ شهرًا يدعو على رعل وذكوان وبنو لحيان ، وفي بعض الروايات ما يقتضي أن الذين استمدوا لم يُظهِرُوا الإسلام ، بل كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد ، وأنهم غير الذين قتلوا القراء لاسكنهم من قومهم ، وهو الذي في كتب السير وقد بيّن ابن إسحاق في المغازي وكذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أسماء الطائفتين ، وأن أصحاب العهد هم بنو عامر ورأسهم أبو برّاء

عامر بن مالك بن جعفر ، المعروف بمَلَّاعِبِ الأَسِنَّةِ ، وأن الطائفة الأخرى من بنى سليم ، وأن عامر بن أخى ملاعب الأسنة أراد الغدر بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا بنى عامر إلى قتالهم ، فامتنعوا وقالوا : لا تَخْفِرُ<sup>(١)</sup> ذمة أبى بَرَاء ، فاستصرخ عليهم عصية وذكوان من بنى سليم ، فأطاعوه وقتلوه ، قالوا : ومات أبو بَرَاء بعد ذلك أسفا على ما صنع به عامر بن الطفيل ، وقيل : أسلم أبو براء عند ذلك ، وقاتل حتى قتل ، وعاش عامر بن الطفيل حتى مات كافراً بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، أصابته غُدَّة كغُدَّة البعير<sup>(٢)</sup> ، ولم يكن القراء المذكورون كلهم من الأنصار ، بل كان بعضهم من المهاجرين مثل عامر بن فهيرة مولى أبى بكر ونافع بن ورقاء الخزاعى وغيرهما ، كما يؤخذ من الصحيح أيضاً ، والله أعلم .

ثم كانت غزوة الرِّجِيعِ فى صفر .

قلت : ذكرها ابن إسحاق فى الثالثة قبل بئر معونة ، والرَّجِيع : موضع ببلاد غزوة الرجيع هذيل ، والله أعلم .

ثم كانت غزوة بنى النضير .

قلت : ذكرها بعضهم فى الثالثة قَبْلَ أحد ، وقال الزهرى : كانت على رأس غزوة بنى النضير ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد ، وذكرها ابن إسحاق فى الرابعة بعد بئر معونة وأن سببها أن النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم يستعينهم فى دية ، وجلس إلى جنب جدار لهم ، فخلا بعضهم ببعض ، وأمرهم عمرو بن جحاش أن يَرُقَ فيُلقى عليه صخرة ، فأتاه الخبر من السماء ، فقام مُظْهِراً أنه يقضى حاجة ، وقال لأصحابه : لا تبرحوا ، ورجع مسرعاً إلى المدينة ، فأمر بحربهم والمسير إليهم ، وأمر بقطع النخل والتحريق ، قال : وحاصرهم ستَّ ليالٍ ، فسألوا أن يُجَلَّوْا من أرضهم على أن لهم ملاحمت الإبل ، فصولحوا على ذلك ، فاحتملوا إلى خيبر وإلى الشام ؛ فكانت أموالهم له

(١) «لا تخفر ذمته» تقول «خفرت ذمة فلان» إذا حفظتها ورعتها ، وإذا نقضتها ، ضد

(٢) يروى أنه مرض فى الطريق ، فمال إلى بيت امرأة من سلول ، فلما اشتد به

المرض كان يقول « غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية » .

صلى الله عليه وسلم خاصة ، ووافق ابن إسحاق على ذلك جلُّ أهل المغازي ، وأصح منه ما رواه ابن مردويه بسند صحيح أنهم أجمعوا على الغدر ، فبعثوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم : اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإن آمنوا بك اتبعناك ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر ، فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مُسلم تخبره بأمر بني النضير ، فأخبر أخوها النبي صلى الله عليه وسلم بأمر بني النضير قبل أن يصل إليهم ، فرجع وصَبَّحهم بالكتائب ، فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة لخاصرتهم ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل<sup>(١)</sup> إلا السلاح ، فاحتملوا أبواب بيوتهم ؛ فكانوا يخرّبون بيوتهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها ، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام .

ورواه أيضا عبد بن حميد في تفسيره ، وروى أيضا من طريق عكرمة أن غزوتهم كانت صبيحة قتل كعب بن الأشرف ، وروى أن قريشا كتبوا لبني النضير يحثونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأضرموا الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ولما حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخلهم قال حسان رضى الله عنه يعير قريشا من أبيات :

وهان على سرة بني لوى حريق بالبويرة مُستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ولم يكن أسلم حينئذ :

أدام الله ذلك من صنيع وحرّق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزّه وتعلم أي أرضينا نصير

أي ستعلم أينا منها يبعد ، وأي الأرضين أرضنا أو أرضكم يحصل لها النصير : أي الضرر ؛ لأن بني النضير إذا خربت أضرت بما جاورها وهو أرض الأنصار لا أرض قريش ، ونقل ابن سيد الناس عن أبي عمرو الشيباني أن الذي قال البيت المتقدم المنسوب لحسان هو أبو سفيان بن الحارث ، وأنه لما قال :

(١) ما أقلت الإبل : ما حملته ، وبهذا اللفظ روى في الرواية السابقة .

\* وعَزَّ على سراة بنى لؤى \*

بدل « هان » قال : ويروى « بالبويلة » بدل « بالبويرة » وأن المجيب له باليتين المتقدمين هو حسان ، وما قدمناه هو رواية البخارى .  
قال ابن سيد الناس : وما ذكره الشيبانى أشبه .

قلت : كأنه استبعد أن يدعو أبو سفيان فى حالة كفره على أرض بنى النضير ، وقد قدمنا وجهه ، وكان أشراف بنى النضير بنو الحقيق وُحَيِّ بن أخطب ، فكانوا فى مَنْ سار إلى خيبر ، فدان<sup>(١)</sup> لهم أهلها ، وأسلم منهم يامين بن عمير وأبو أسعد بن وهب ، فأحرزا أموالهما .

وروى ابن شبة عن الكلبي قال : لما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على أموال بنى النضير قال للأَنْصار : إن إخوانكم من المهاجرين ليست لهم أموال ، فإن شئتم قسمت هذه الأموال بينهم وبينكم جميعاً ، وإن شئتم أمسكتكم أموالكم فقسمت هذه فيهم ، قالوا : بل أقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت ، فنزلت ( وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ<sup>(٢)</sup> ) . وقال ابن إسحاق : قسمها صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين إلا سهل بن حنيف وأبو دجانة ، ذكرا فقراً فأعطاهما منها ، والله أعلم .

ثم ولد الحسين بن على .

قلت : المشهور فى ولادته أنها فى الثالثة كما قدمناه ، والله أعلم .

ثم كانت بدر الموعود .

قلت : هى بدر الثالثة لما تقدم ، والله أعلم .

ثم كان مقتل سلام<sup>(٣)</sup> بن مشكم أى أبى رافع ، ويقال : عبد الله بن أبى الحقيق وهى سرية عبيد الله بن عتيك . ثم رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهوديين اللذين كان يحبى أحدهما على الآخر .

---

(١) دان لهم أهلها : خضعوا وانقادوا (٢) من سورة الحشر من الآية ٩  
(٣) كذا فى الأصول وفى الخلاصة ، وفى نسخة « ابن سلام بن مشكم » وهو الصواب

زواج  
أم سلمة  
هند بنت  
أبي أمية  
قلت : وفيها في شوال تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أم سلمةَ هندَ -  
وقيل : رملة - بنت أبي أمية ، وهى أول من هاجر مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة  
ثم هاجرت إلى المدينة ، كذا ذكر بعض أهل السير ، وقال أبو عمر : تزوجها صلى  
الله عليه وسلم سنة اثنتين بعد بدر في شوال

غزوة  
ذات الرقاع  
في الخامسة  
السنة الخامسة  
من الهجرة  
وفيها غزوة ذات الرقاع بعد بنى النضير بشهرين عند ابن إسحاق ، وقيل :  
في الخامسة ، وذكرها البخارى بعد خير لما في الصحيح من حضور أبي موسى  
الأشعرى فيها ، وهو من أصحاب السفينة ، ولأمانع من التعدد ، والله أعلم .  
السنة الخامسة — ثم فك رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمانَ من الرق ،  
ثم خرج إلى دومة الجندل ، فرجع ولم يلقَ كيداً . ثم توفيت أم سعد بن عبادة .  
ثم كسف القمر في جمادى الآخرة ؛ فصلى بهم كصلاة كسوف الشمس

قلت : وجعلت اليهود يضربون بالطساس ، ويقولون : سحر القمر . وروى  
ابن حبان في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم صلى لكسوف القمر ، والله أعلم  
ثم أصابت قريشا شدة ، فبعث إليهم بنضة يتألفهم بها . ثم وفد بلال بن  
الحارث المزنى ، فكان أول وافد مسلم إلى المدينة . ثم قدم ضمام بن ثعلبة ، ثم غزا  
المريسيع في شعبان ، وفيها أنزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة رضى الله عنها .  
قلت : وسيأتى أن الأشبه أن بنى المصطلق هى هذه ، والله أعلم .  
ثم غزوة الخندق

غزوة الخندق  
قلت : هكذا ذكره ابن إسحاق ، وهو المعتمد ، وقال موسى بن عقبة :  
كانت في شوال سنة أربع ، وصححه النووى في الروضة ، مع قوله بأن بنى قريظة  
في الخامسة ، وهو عجيب ؛ لما سيأتى من أنها كانت عقيب الخندق ، سميت بذلك  
ليحقر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق بإشارة سلمان الفارسى ، وتسمى بالأحزاب  
لاجتماع طوائف من المشركين فيها على الحرب ، وهم الذين سماهم الله تعالى  
الأحزاب ، وأنزل الله في ذلك صدرَ سورة الأحزاب ، وذلك أن حِيَّ بن  
أخطب في نفر من بنى النضير خرجوا من خيبر إلى مكة ، فحَرَّضُوا قريشا على



الحرب ، وخرج كنانة بن أبي الحقيق يسعى في بني غطفان ويحضرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لهم نصف ثمر خيبر ، فأجابه عُيَيْنَةُ بن حصن الفزاري ، وكتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل إليهم طَلَيْحَةُ بن خُوَيْلِد فيمن أطاعه ، وخرج أبو سفيان بن حرب بقريش ، فنزلوا مَرَّ الظُّهْرَان ، فجاءهم مَنْ أجابهم من بني سليم ، وكانوا قد استمدوهم فصاروا في جمع عظيم — ذكر ابن إسحاق بأسانيد أن عدَّتْهم عشرة آلاف ، قال : وكان المسلمون ثلاثة آلاف — وقيل : كان المسلمون ألفا ، والمشركون أربعة آلاف — وذكر موسى بن عقبة أن مدة الحصار كانت عشرين يوما ، ونزلت قریش بمجتمع السيول من رُومَة بين الجرف وزُغابة ، وغطفانُ ومن تبعهم من أهل نجد بذنب تقمى إلى جانب أحد .

وفي رواية ابن مردويه عن ابن عباس : ونزل عُيَيْنَةُ في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع ، والخذقُ بينه وبين القوم ، وجعل النساء والذراري في الأطام .

وقال ابن إسحاق : نزلت قریش بمجتمع السيول في عشرة آلاف من أحابشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة ، ونزل عُيَيْنَةُ في غطفان ، وذكر ما تقدم من رواية ابن عباس المذكورة .

وروى الطبراني ورجاله ثقات عن رافع بن خديج قال : لم يكن حصن أخَصَن من حصن بني حارثة ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والذراري فيه ، وقال : إن لم يكن أحد فالمن بالسيف ، فجاءهن رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له «نجدان» أحدُ بني جحاش على فرس حتى كان في أصل الحصن ، ثم جعل يقول للنساء : أنزلن إلى خير لكن<sup>(١)</sup> ، فحركن السيف ، فأبصره أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فابتدر الحصن<sup>(٢)</sup> قوم فيهم رجل من بني حارثة يقال له : ظفر

(١) في المطبوعات « خير لكم » تطبيع (٢) ابتدره : أسرع إليه

ابن رافع ، فقال : يا نجدان ابرز ، فبرز إليه ، فحمل عليه فقتله ، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وروي البزار بإسناد ضعيف عن الزبير بن العوام رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج للخندي جعل نساءه وعمته صفية في أطم يقال له «فارغ» وجعل معهم حسان بن ثابت ، فرقى يهودى حتى أشرف على نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عمته ، فقالت صفية : يا حسان قم إليه حتى تقتله ، قال : لا ، والله ما ذاك فيّ ، ولو كان في لخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت صفية : فاربط السيف على ذراعى ، ثم تقدّمت إليه حتى قتلتَهُ ، وقطعت رأسه ، فقالت له : خذ الرأس فارم به على اليهود ، قال : ما ذاك فيّ ، فأخذت هي الرأس فرمت به على اليهود ، فقالت اليهود : قد علمنا أن لم يك يترك أهله خُلوفاً ليس معهم أحد ، فتفرقوا وذهبوا .

وروي أحمد بإسناد قوى عن عبد الله بن الزبير قال : كانت صفية في حصن حسان بن ثابت يوم الخندق : أى وهو المسمى بفارغ ، فذكر الحديث في قتلها اليهودى وقولها لحسان : أنزل فاسلبه<sup>(١)</sup> ، فقال : مالى بسلبه حاجة .

وروي الطبرانى هذه القصة عن صفية رضى الله عنها في غزوة أحد ، وفي إسناده اثنان ، قال الهيثمى : لم أعرفهما ، وبقيّة إسناده ثقات ، والمذكور فى كتب السير أن هذه القصة فى الخندق ، وأن بعضهم كان بحصن بنى حارثة ، وبعضهم بفارغ ، وأن صفية رضى الله عنها لما فرغت من قتل اليهودى ورجعت إلى الحصن قالت لحسان : انزل فاسلبه<sup>(١)</sup> ، فإنى لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

قال السهيلي : محمل هذا الحديث عند الناس أن حسان كان جباناً شديداً الجبن ، وقد دفع بعض العلماء هذا وأنكره ، وقال : لو صح هذا لهجى حسان به ،

(١) اسلبه : خذ مامعه من مال وأداة ، والسلب - بالتحريك - اسم لما يأخذه

القاتل من قبيله

فإنه كان يُهاجى الشعراء ، وكانوا يردُّون عليه فما عَيَّره أحدٌ بجبن ، وإن صح فلعل حسان كان معتلاً في ذلك اليوم بعله منعه من شهود القتال ، انتهى .

وروى الطبراني رجال الصحيح عن عروة مرسلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أَدْخَلَ نِساءه يوم الأحزاب أطماً من آطام المدينة ، وكان حسان بن ثابت رجلاً جَبَاناً ، فأدخله مع النساء ، فأغلق الباب ، وذكر القصة .

ومن ذكر القصة في الخندق ابنُ إسحاق ، ويؤيده أن اليهود إنما غدروا في الخندق ، وذلك أن حُيَّيَّ بن أخطب توجه إلى بني قُرَيْظَةَ ، فلم يزل بهم حتى غدروا ، وبلغ المسامين غدرهم ، فاشتد بهم البلاء والحصار حتى تكلم معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف وأوس بن قَيْظَى أخو بني حارثة وغيرها من المنافقين بالنفاق ، وأنزل الله تعالى : « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مَرَضٌ ما وَعَدَنَا الله ورسوله إلا غروراً <sup>(١)</sup> » الآيات . قال ابن عباس : وكان الذين جاءوهم من فوقهم بنو قُرَيْظَةَ ، ومن أسفل منهم قريش وغطفان ، وكان حيي بن أخطب أتى كعب ابن أسد صاحب عَقْد بني قُرَيْظَةَ وعهدهم ، فأغلق باب حصنه دونه ، وقال : لم أر من محمد إلا وفاء وصدقا ، فقال له : إني جئت بك بعز الدهر ، جئت بك بقريش وغطفان على قادتتهما وسادتهما قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه ، فقال له كعب : جئتني والله بِذَلِكَ الدهر ، وبجَهَامٍ قَدَهْرَاقٍ <sup>(٢)</sup> ماء فهو يُرْعِدُ وَيُهْرِقُ وليس فيه شيء ، فلم يزل حتى نقض كعبُ عهده وبرىء مما كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، فاشتد الخوف بالمسلمين .

قال ابن إسحاق : ولم يقع بينهم حرب إلا مُرَامَةً بالنَّبْلِ ، ولكن كان عمرو ابن عبدودَّ العامري اقتحم هو ونفر معهم خيولهم من ناحية ضيقة من الخندق ، فبارزه على قَتْلِهِ ، وبرز نَوْفَلُ بن عبد الله بن المغيرة الخزومي ، فبارزه الزبير فقتله ، ويقال : قتله على ، ورجعت بقية الخيول منهزمة ، وقيل : اقتتلوا ثلاثة أيام قتالا

(١) من سورة الأحزاب الآية ١٢

(٢) الجهم - بالفتح - السحاب لامطرفيه ، وهراق : أراق وأفرغ

شديدا حتى يحجز الليل بينهم ، سيما في اليوم الثالث ، حتى شغلهم القتال عن صلاة العصر والمغرب - وقيل : والظهر - وذلك قبل أن ينزل قوله تعالى : « فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا <sup>(١)</sup> » قال مالك : ولم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة أو خمسة ، وذكر غيره ستة ، وهم : سعد بن معاذ كما سيأتي ، وأنس بن أوس بن عتيك ، وعبد الله بن سهيل ، وهم من بني عبد الأشهل ، وثعلبة بن غنمة ، والطفيل بن النعمان ، وهما من بني سلمة ، وكعب بن زيد من بني دينار بن النجار

وكان من المناوشات بين الفريقين أن مات بعض بني عمرو بن عوف من أهل قباء ، فاستأذن أقر باؤه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدفنوه ، فأذن لهم ، فلما خرجوا إلى الصحراء ادفن ميتهم وافقوا ضرار بن الخطاب وجماعة من المشركين بعثهم أبو سفيان ليتاروا له من قرِيظة على إبل له ، فحملوا على بعضها قمحا ، وعلى بعضها شعيرا ، وعلى بعضها تمرًا وتبنا للعلف ، فلما رجعوا وبلغوا ساحة قباء وافقوا الذين كانوا يدفنون ميتهم ، فناهضهم المسلمون وغابوهم ، فجرح ضرار جراحاتٍ ، فهرب هو وأصحابه ، وساق المسلمون الإبل بما عليها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان للمسلمين في ذلك سعةٌ من النفقة

ثم أتى نعيم بن مسعود الأشجعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم مُسْلِماً ، ولم يعلم به قومه ، فقال له : خذنا عنا <sup>(٢)</sup> ، فمضى إلى بني قريظة ، وكان نديماً لهم ، فقال : قد عرفتم محبتي ، قالوا : نعم ، فقال : إن قريشا وغطفان ليست هذه بلادهم ، وإنهم إن رأوا فرصة انتهزوها ، وإلا رجعوا إلى بلادهم وتركوكم في البلاد مع محمد ، ولا طاقة لكم به ، قالوا : فما ترى ؟ قال : لا تقايلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنًا ، فقبلوا رأيه ، فتوجه إلى قريش فقال لهم : إن اليهود ندموا على الغدر بمحمد ، فراسلوه في الرجوع إليه ، فراسلهم بأننا لا نرضى حتى تبعثوا إلى قريش فتأخذوا منهم رهنًا فأقتلهم ، ثم جاء غطفان بنحو ذلك ، فلما أصبح أبو سفيان بعث عكرمة

إسلام  
نعيم بن مسعود  
الأشجعي

(١) من سورة البقرة من الآية ٢٣٩

(٢) خذنا عنا : احمل أعداءنا على الخذلان والفشل وترك القتال

ابن أبي جهل إلى بني قريظة بأنا قد ضاق بنا المنزل ، ولم نجد مخرجاً ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، فأجابوهم إن اليومَ يومُ السبت ، ولا نعمل فيه شيئاً ، ولا بد لنا من الرُّهُنِ منكم لثلاث غدوا بنا ، فقالت قريش : هذا ما حذركم نعيم ، فراسلوهم ثانياً : إنا لا نعطيكم رهننا ، فإن شئتم أن تخرجوا فافعلوا ، فقالت قريظة : هذا ما أخبرنا نعيم ، ثم بعث الله عليهم الريحَ فما تركت لهم بناءً إلا هدمته ، ولا إناء إلا أكَفَّتْهُ ، لا تفر لهم قراراً ولا ناراً ولا بناءً ، فقام أبو سفيان فقال : يامعشر قريش ، والله ما أصبحتم بدار مُقَامٍ<sup>(١)</sup> ، لقد هلك الكراعُ والخف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، ولقينا من شدة الريح ماترون ، فارتحلوا فإني مرتحل ، فتحملت قريش وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم ، وسمعت غطفانُ بما فعلت قريش فانشمروا<sup>(٢)</sup> راجعين إلى بلادهم ، وقال صلى الله عليه وسلم « لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا » .

وفي الذيل على أخبار المدينة لابن النجار لصاحبه العراقي عن الكلبي أنه قال : إن الملائكة اتَّبَعُوا الأحزاب حتى بلغوا الرِّوْحَاءَ يكرون في أدبارهم ، فهربوا لا يَلُوُونَ على شيء<sup>(٣)</sup> ، والله أعلم

ثم كانت غزوة بني قريظة .

غزوة

بني قريظة

قلت : قال أبو الربيع الكلاعي في الاكتفاء : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة ومعه المسلمون ، فلما كانت الظهر أتاه جبريل - ويقولون فيما ذكر ابن عقبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في المغتسل عند ما جاءه جبريل ، وهو يُرَجِّلُ رَأْسَهُ<sup>(٤)</sup> ، قد رَجَّلَ أحد شقيه ، فجاءه جبريل على فرس عليه الأمانة وأثرُ الغبار ، حتى وقف بباب المسجد عند موضع الجنائز ، فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له جبريل : غفر الله لك ! قد وضعت السلاح ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة

(١) دار مقام : دار إقامة (٢) انشمروا راجعين : مضوا في جد وسرعة

(٣) لا يلوون على شيء : لا يلتفتون لشيء ولا يهتمون له

(٤) يرَجِّلُ رأسه : يسرح شعره وينظفه

السلاح بعدُ ، وما رجعتُ إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالمشير إلى بي قريظة ، فإني عامد إليهم فزلازل بهم ، اه

وفي رواية أخرى أنه قال : انهض إليهم فلاضعضهم ، فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار ، وأصله في البخاري في باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب من رواية أنس ، قال : كأنني أنظر إلى الغبار ساطعا في سكة بني غنم [ من ] موكب جبريل

ورواه ابن سعد من طريق حميد بن هلال موطولا ، لكن ليس فيه أنس ، وأوله : كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني قريظة عهد ، فلما جاءت الأحزاب نقضوه وظاهروهم ، فلما سزم الله الأحزاب تحصنوا ، فجاء جبريل فقال : يارسول الله ، انهض إلى بني قريظة ، فقال : إن في أصحابي جهداً ، قال : انهض إليهم فلاضعضهم ، قال : فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار

قلت : زقاقهم هو عند موضع الجنائز في شرق المسجد ، كما علم من ذكر منازلهم وفي رواية : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق والمسلمون ، ووضعوا السلاح ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَجَرِّاً بهامة<sup>(١)</sup> من استبرقٍ على بَغْلَةٍ عليها قُطَيْفَةٌ من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : ما وضعت الملائكة السلاح بعدُ ، وما رجعتُ إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فأذن في الناس : مَنْ كَانَ سَامِعًا مَطِيعًا فَلَا يُصَلِّينَ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرْيَظَةَ ، وقدم على بن طالب برأيته إلى بني قريظة ، وابتدرها الناس ، وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة في رواية ، وفي أخرى خمس عشرة ، وعند ابن سعد عشرة ، حتى أجهدهم الحصار ، وقُذِفَ في قلوبهم الرعبُ ، فعرض

(١) «اعتجر فلان بهامته» الاعتجار: أن يلفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يجعل منها شيئا تحت ذقنه .

عليهم رئيسهم كعب بن أسد وقال لهم : إما أن تؤمنوا بمحمد فوالله إنه نبي أو تقتلوا نساءكم وأبناءكم وتخرجوا مستقتلين ليس وراءكم ثقل<sup>(١)</sup> وتبيتوا المسلمين ليلة السبت ، فقالوا : لا نؤمن ولا نستحل السبت ، وأى عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا ؟ وأرسلوا إلى أبي لبابة بن عبد المنذر أخى بنى عمرو بن عوف من الأوس ، وكانوا حلفاءهم ، فاستشاروه فى النزول على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار إلى حلقه ، يعنى الذبح ، ثم ندم ، فتوجه إلى المسجد النبوى ، وارتبط بسارية تُعرف به اليوم حتى تاب الله عليه ، واستشهد من المسلمين خلاد بن سويد من بنى الحارث بن الخزرج ، طرحت عليه امرأة من بنى قريظة رحى فقتلته ، وأمر صلى الله عليه وسلم بقتلها بعد ذلك ، ومات فى الحصار أبو سنان بن محصن الأسدى أخو عكاشة بن محصن ، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مقبرة بنى قريظة التى تدافن فيها المسلمون لما سكنوها ، ولم يُصَبْ غير هذين ، فلما اشتد بهم الحصار أذعنوا<sup>(٢)</sup> أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأوس : قد فعلت فى موالى الخزرج - أى بنى قينقاع - ما علمت ، فقال : ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذلك إلى سعد بن معاذ ، وكان سعد قد أصابه سهم فى أكتفه<sup>(٣)</sup> يوم الخندق ، فأتاه قومه ، فحملوه على حمار ، ثم أقبلوا معه يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسين فيهم ، فلما أكتروا قال : لقد آن لسعد أن لاتأخذه فى الله لومة لائم ، فجاء سعد فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم إليه ، فقال سعد : فإنى أحكم فيهم أن يُقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أزقة : سموات ، ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، ثم خرج صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ،

(١) الثقل - بالتحريك - متاع المسافر

(٢) أذعنوا : خضعوا

(٣) الأكل : عرق فى وسط الذراع يكثر فصد

فَضْرَبَ أَعْنَاقَهُمْ فِي تِلْكَ الْخَنَادِقِ وَفِيهِمْ عَدُو اللَّهِ مُحَيِّئٌ بْنُ أَخْطَبٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ عَاهَدَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ لَثْنِ رَجَعَتْ قَرِيْشٌ وَغَطَفَانٌ لَأَدْخُلَنَّ مَعَكَ فِي حَصْنِكَ حَتَّى يَصْبِيْنِي مَا أَصَابَكَ ، فَلَمَّا رَجَعَتْ الْأَحْزَابُ دَخَلَ مَعَهُ فِي حَصْنِهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ مَنْ أَنْبَتَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ لَمْ يُنْبِتْ اسْتَحْيَاهُ ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً كَانَتْ طَرَحَتْ رَحَى عَلَى خِلَادِ بْنِ سُوَيْدٍ كَمَا سَبَقَ

وعند ابن سعد من مرسل حميد بن هلال : أن سعد بن معاذ حكم أيضا أن يكون دارهم للمهاجرين دون الأنصار ، فلامه الأنصار ، فقال : أحببت أن يستغنوا عن دوركم

واختلف في عدتهم ؛ فعند ابن إسحاق كانوا ستمائة ، وعند ابن عائد من مرسل قتادة كانوا سبعمائة ، وقال السهيلي : المكثرون يقول : إنهم ما بين الثمانمائة إلى السبعمائة ، وفي النسائي وابن ماجة بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، وكان الزبير بن باطا القرظي قد مر على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بُمَاتْ ، فجاءه ثابت لما قتل بنو قريظة وهو شيخ كبير ، وذكره بذلك ، ثم ذهب فاستوهبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوهبه إياه ، فأتاه فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ فاستوهب له امرأته وولده ، فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم ؟ فاستوهب له ماله ، فأتاه فأعلمه ، فقال : أي ثابت ما فعل فلان وفلان ، وصار يذكرك قومه ويصفهم ، فقل له : قتلوا ، قال : فإني أسألك يا ثابت بيدي عندك إلا ألحقتني بالقوم ، فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير ، فقدّمه ثابت فضرب عنقه

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأسهم للخيل ، فكان أول فئ وقعت فيه الشَّهْمَانُ<sup>(١)</sup> ، وأخرج منه

---

(١) الشَّهْمَانُ - بضم فسكون - جمع سهم ، وهو النصيب ، ويجمع السهم أيضا على أسهم وسهام



الخمس ، واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بني عمرو بن قريظة ، فكانت عنده حتى توفى ، وكان يحرص عليها أن يتزوجها ، فقالت : تتركنى فى ملكك فهو أحق على عليك ، فتركها ، وقد كانت حين سبّاها كرهت الإسلام ، فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك من أمرها ، فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال : إن هذا للعلبة بن شعبة يبشرنى بإسلام ريحانة ، فكان كذاك ، وقيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم أعتقها وتزوجها ، وإنها ماتت فى حياته مَرَّجَعَهُ من حجة الوداع ، وهذا الأثبت عند الواقدى ، وبعضهم يقول : هى من بنى النضير ولما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جَرَحُ سعد بن معاذ فمات شهيدا

وفى البخارى ما يقتضى أن قريظة كانوا قد حاربوا قبل ذلك مع بنى النضير ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم منّ عليهم ، ولم أر التصريح بذلك ، ولم يتعرض له الحافظ ابن حجر فى شرحه ، وقد قدمنا فى بنى النضير من رواية ابن مردويه ما يشهد له ، ولفظ البخارى : عن ابن عمر قال : حاربت النضير وقريظة ، فأجلى بنى النضير ، وأقر قريظة ومنّ عليهم ، حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأموالهم وأولادهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم فأمنهم وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم : بنى قينقاع وهم رهط عبد الله ابن سلام ، ويهود بنى حارثة ، وكل يهودى بالمدينة ، اهـ

ورواه أبو داود بنحوه ، إلا أنه قال : حتى حاربت قريظة بعد ذلك ، يعنى بعد محاربتهم الأولى وتقريرهم ، ويؤخذ من ذلك أن إجلاء من بقى من طوائف اليهود بالمدينة كان بعد قتل قريظة .

وفى البخارى أيضا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : بينما نحن فى المسجد خرج النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انطلقوا إلى يهود ، فخرجنا حتى إذا جئنا بيت المدراس<sup>(١)</sup> قال : أسلموا وسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ولرسوله وأنى

(١) بيت المدراس : البيت الذى يتدارس فيه اليهود توراتهم

أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه ، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ولرسوله ، وهو مقتضى لأن ذلك كان بعد خير ؛ لأن إسلام أبي هريرة بها في السنة السابعة ، والله أعلم

ثم كانت سرية عبيد الله بن أنيس إلى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بَعْرَةَ<sup>(١)</sup> ، وفيها سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فرسه<sup>(٢)</sup> فجحش ، وفيها دَفَّتْ دَافَةُ العرب<sup>(٣)</sup> ، فنهى عن ادِّخَارِ لحوم الأضاحي فوق ثلاث .

قلت : وتزوج زينب بنت جحش ، وهي بنت عمته أميمة ، وقيل : في الثالثة ، وبسببها نزلت آية الحجاب ، وأسلم خالد بن الوليد وعمر بن العاص ، والله أعلم .

السنة السادسة من الهجرة — في أولها أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثامة بن أنال أسيراً ، ثم كسفت الشمس ثانية بعد الكسوف الذي كان يوم مات ابنه إبراهيم .

قلت : لعل في النسخة خللاً لما سذكركه من ولادة إبراهيم في الثامنة ووفاته في العاشرة ، فالكسوف في السادسة هو الكسوف الأول ، وفيها نزل حكم الظهار ، والله أعلم .

وفيها قتل المشركون سرية محمد بن مسلمة فلم يُفْلِتْ منهم غيره ، وكانوا عشرة ، ثم كانت سرية علي بن أبي طالب إلى فدك في مائة رجل ، ثم كانت سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَةِ الْجَنْدَل ، فظهر عليهم ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثَمَاضِر بنت الإصبع بن عمرو الكلبي وهو ملكهم ، ثم أَجْدَبَ الناس فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان في موضع المصلى فَسَقُوا ، ثم أرسل زيد بن حارثة في سرية ، فسبى سلمة بن الأكوع في تلك السرية بنت مالك بن حذيفة ، ثم كانت الحُدَيْبِيَّة ، ثم أغار عُمَيْيْنَةُ بن حِصْنٍ<sup>(٤)</sup> الْفَزَارِيُّ على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذها .

(١) عرنة — بضم العين وفتح الراء — موضع عند الموقف بعرفات

(٢) في المطبوعات « عن فرسه فجحش » تطبيع ، والثابت في السنة « فجحش

شقه » أي انخدش جلده (٣) دفت دافة : أي ورد قوم من الأعراب المدينة

(٤) في المطبوعات « عيمينة بن حصين » تطبيع

قلت : قد قدمنا في حدود الحرم أن لقاحه صلى الله عليه وسلم كانت ترى بالغابة وما حولها ، فأغار عليها عُيَيْنَةُ يوم ذى قَرَد<sup>(١)</sup> ، وهو الموضع الذى كان فيه القتال ، سميت الغزوة به ، وتسمى أيضاً غزوة الغابة .

غزوة  
ذى قرد

قال ابن إسحاق : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى لَحْيَانَ وكان في شعبان سنة ست ، لم يُقِمْ إلا ليالى قلائل حتى أغار عُيَيْنَةُ في خيل من غَطَفَانَ على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة ، وفيها رجل من بنى غفار وامراته ، فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة في اللقاح ، وكان أول من نُذِرَ بهم سَلَمَةُ ابن الأَكُوْع ، غدا يريد الغابة مُتَوَشِّحًا قوسه ونبله حتى إذا علا بُذْيَةُ الْوَدَاع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سَلْع ، ثم صرخ : وَاصْبَاحَاه ، ثم خرج يشتد في آثار القوم حتى لحقهم ، فجعل يردهم بالنبل ويقول إذا رمى : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوْع ، واليومُ يومُ الرُّضْع ، فإذا وجهت الخيل نحوه هرب ، ثم عارضهم ، وهكذا ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحه ، فصرخ بالمدينة : الفزع ، الفزع ، فترامت الخيل إليه ، فلما اجتمعوا أمر عليهم سعد بن زيد الأشهلي ، وقال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس ، فقتل أبو قتادة رضى الله عنه حبيب بن عُمَيْنَةَ بن حصن وغشاه برده ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين ، فإذا حبيبٌ مُسَجَّى يبرد أبي قتادة ولكنه قتيل ، فظنوه هو ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ولكنه قتيل له ، وأدرك عُكَّاشَةُ بن محسن رضى الله عنه أوبارا وابنه عمر بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظهما بالرمح ، فقتلهما جميعًا ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالخليل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، وأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة : يا رسول الله لو سَرَّحتنى في مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرْح وأخذت بأعناق القوم ، فقال له صلى الله عليه وسلم

(١) ذو قرد - بفتح القاف والراء جميعا - ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر ، ويقال «ذو القرد» بضم القاف وفتح الراء - قاله ابن الأثير (٣/ ٢٤٠)

إنهم ليقرون في غطفان ، فقسم صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة جزورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع ، وأفلتت امرأة الغفاري على ناقة من اللقاح حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته الخبر ، وقالت : إني نذرتُ الله أن أنحرها إن أنجاني اللهُ عليها ، فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال : بئس ما جزيتها أن تحملك الله عليها ونجّاك بها ثم تنحرينها ، إنه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين ، هذه رواية ابن إسحاق ، وقد ذكر فيها قتل اثنين من المسلمين .

وخرج مسلم القصة عن سلمة مطولة ومختصرة ، وخالف ما ذكره ابن إسحاق في مواضع : منها أنها كانت بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، وجعلها ابن إسحاق قبلها ، ومنها : أن فيه أن اللقاح كانت ترعى بذي قرد ، وكذا هو في البخاري ، وقال ابن إسحاق : بالغابة ، وكذا هو في حديث سلمة الطويل ، ولهذا قال عياض : إن الأول غلط ، ويمكن الجمع بأنها كانت ترعى تارة هنا وتارة هناك ، ومنها : أنه قال فيه : خرجت قبل أن يؤذن بالأولى فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذتُ لقاحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخت ثلاث صرخات : يا صباحاه ، فأسمعت ما بين لابتي المدينة ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد أخذوا بذي قرد يسقون من الماء ، وفي رواية لمسلم ما يقتضى أن سلمة كان مع السرح<sup>(١)</sup> لما أغير عليه ، وأنه قام على أكمة<sup>(٢)</sup> وصاح : يا صباحاه ، ثلاثا ، وهذا يرجح أن السرح كان بالغابة ، ويبعد كونه بذي قرد ، ولو كان بذي قرد لما أمكنه لحوقهم ، ومنها : أن فيه أنه استنقذ سرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته ، ومنها : أنه قال فيه : فرجعنا إلى المدينة ، فوالله ما لبثنا بها إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى

(١) السرح - بالفتح - المشية ، ويقال لها أيضا : سارج ، وسارحة

(٢) الأكمة - بفتحات - الرابية ، وهي المكان المرتفع

خَئِبَر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال القرطبي : لا يختلف أهل السَّيْرَان غزوة ذي قَرَد كانت قبل الحديبية ، انتهى .

وما في الصحيح من التاريخ لها أصح مما في السير ، ويمكن الجمع بتكرار الواقعة ، ويؤيده أن الحاكم ذَكَرَ في الإكليل أن الخروج إلى ذي قَرَد تكرر ؛ ففي الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحدٍ ، وفي الثانية خرج إليها النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الآخر سنة خمس ، والتالية هي المختلف فيها ، انتهى . والله أعلم .

ثم كانت قصة العُرَيْنين .

قلت : <sup>(١)</sup> وذلك أن ثمانية منهم ، وفي رواية من عَكَلٍ ، قدموا فأسلموا والعُرَيْنين واجتَوُوا المدينة <sup>(٢)</sup> ، وقالوا : إنا كنا أهل ضَرْع ولم نكن أهل ريف ، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى لقاحه ، وفي رواية « إِبِل الصدقة » وكأنهما كانا معاً ، فصَحَّ الإخبار بالبعث لكل منهما ، ليَشْرَبوا من أبوالها وألبانها ، فلما صحوا قتلوا الراعى واستاقوا الإبل ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم كُرْز بن خالد الفهري في عشرين ، فأتى بهم ، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم وسَمَّ أَعْيُنهم وطَرَحهم في الحَرَّة يستسقون فلا يُسَقُّون ، حتى ماتوا ، هذا محصل ما في الصحيح ، وذكر أهل السير أن اللقاح كانت ترعى ناحية الجَمَّات ، وفي رواية بنى الجدر غربى جبل عَيْر على ستة أميال من المدينة ، وذكر ابن سعد عن ابن عتبة أن أمير الخيل يومئذ سعيد بن زيد أحدُ العَشَرَةِ ، فأدركهم فَرَبَطوهم وأردفهم على خيلهم ، وَرَدُّوا الإبل ، ولم يفقدوا منها إِلَّا قِحَّةً واحدة من لقاحه صلى الله عليه وسلم تدعى الحنا ، فسأل عنها ، فقيل : نحروها ، فلما دخلوا بهم المدينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة .

(١) اجتَوُوا المدينة : أى أصابهم الجوى ، وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول ، والمراد أنه لم يوافقهم هواء المدينة واستوخمها .

قال بعضهم : وذلك مرجعه من غزوة ذي قرد ، فخرجوا بهم ، نحوه ، فلقوه بالزغبة ، فقطعت أيديهم وأرجلهم وُسِمَتْ أعينهم وصلبوا هناك ، والله أعلم .  
ثم غزا بني المصطلق ، ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم في انصرافه على المُرَيْسِيع . وفيها كانت قصة الإفك .

قلت : قد قدم غزوة المريسيع في السنة الخامسة ، وذكر أن فيها أنزلت آية التيمم ، وقد اقتضى كلامه أن المُرَيْسِيع وقعت مرتين : في الأولى التيمم ، وفي الثانية الإفك ، وفيه جمع بين ما ذكره كثير من أهل السير من أن المريسيع سنة خمس وبين ما نقله البخاري عن ابن إسحاق أنها سنة ست ، لكن قد ثبت في الصحيح أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عباد في أصحاب الإفك ؛ فلو كانت المريسيع التي هي غزاة بني المصطلق سنة ست مع كون الإفك كان فيها لكان ما وقع في الصحيح من ذكر سعد بن معاذ غلطا ؛ لأن سعد بن معاذ مات أيام قرينة ، وكانت سنة خمس ، وقيل : أربع ؛ فالأشبه أن بني المصطلق والمُرَيْسِيع واحد ، كلاهما في سنة خمس .

غزوة  
بني المصطلق  
( المريسيع )

وقد ذكر ابن عبد البر في التمهيد أن التيمم كان في غزاة بني المصطلق ، وحزم به في الاستذكار ، وسبقه إليه ابن سعد وابن حبان .

وفي البخاري « غزوة بني المصطلق ، وهي غزوة المريسيع » وفي الطبراني حديث : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق ، وبنو المصطلق بطن من خزاعة ، وكان رئيسهم الحارث بن أبي ضرار ، وكان معه عليه الصلاة والسلام بَشْر كثير ، خرج بهم إليهم لما بلغه أنهم يجمعون له ، وكان معه ثلاثون فرسا وأم سامة وعائشة ، فهزمهم وأسر من الكفار جمعا عظيما ، وتزوج جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث رئيسهم ، فأعتق الناس ما بأيديهم من الأسرى لمكانها ، وفي هذه الغزاة قال ابن أبي « لئن رجَعْنَا <sup>(١)</sup> إلى المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعز

منها الأذل» وقال « لا تُنْفِقُوا على مَنْ عند رسول الله حتى ينفذوا<sup>(١)</sup> » وذلك أن ابن أبيّ خرج في عصابة من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا أن الله قد نصّر رسوله وأصحابه أظهروا قولا سيئاً ، واقتتل رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فظهر عليه المهاجري ، فقال ذلك ابن أبيّ لقومه ، فأخبر زيد بن أرقم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجهد ابن أبيّ يمينه ما فعل ، فحزن زيد بن أرقم لذلك ، فأنزل الله تصديقه ، واستأذن عبد الله بن عبد الله بن أبيّ النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه فيما رواه عروة بن الزبير ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتل أباك ، ولما كان بينهم وبين المدينة يوم تعجل عبد الله بن عبد الله بن أبيّ حتى أناخ على كجامع طرق المدينة حتى جاء أبوه فقال له ابنه : لا والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعلم اليوم من الأعز [و] من الأذل ، فقال له : أنت من بين الناس ؟ فقال : نعم ، أنا من بين الناس ، فانصرف عبد الله حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاشتكى إليه ما صنع ابنه ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابنه « أن خُلَّ عنه » فدخل المدينة ، رواه ابن شبة .

وفي هذه السنة فرض الحج على الصحيح ، كما سيأتي ، والله أعلم .  
 السنة السابعة — فيها قصة أبي سفيان مع هرقل في الشام ، وفي أولها كتّبت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وبعث إليهم رسله ، ثم كانت خيبر .  
 قلت : واستصفي صفية بنت حسيّ بن أخطب من المغنم ، فأعتقها وتزوجها ، وجاءته مارية القبطية هدية وبغلته دلدل ، وأسلم أبو هريرة ، وسمّته صلى الله عليه وسلم زينب بنت الحارث زوجة سلام بن مشكم ، ثم صار النبي صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ، فحاصر أهله ليالي وأصاب غلامه مدعم سهمهم غرب<sup>(٢)</sup> فقتله ،

(١) من سورة المنافقين من الآية ٧

(٢) سهم غرب : لا يعرف راميّه ، ويقال بالإضافة وبالوصف ، ووقع في المطبوعات « وأصاب غلامه مدعم بينهم غرب » تطبيع

وفي رجوعه إلى المدينة كان النوم عن صلاة الصبح ، وروى بعضهم أنه كان في الرجوع من غزوة تبوك ، وقال الواقدي : وفي الحرم منها جاء رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم — وكان حليفاً في بني زريق ، وكان ساحراً — فقالوا له : يا أبا الأعصم ، أنت أسحرنا ، وقد سحرنا محمداً فلم نصنع شيئاً ، ونحن نجعل لك جُفلاً على أن تسحره لنا سحرا ينكوه ، فجعلوا له ثلاثة دنائير ، وذكر قصة سحره ، وفي رواية عن الزهري بإسناد صحيح أن المدة التي مكث النبي صلى الله عليه وسلم فيها في السحر سنة ، وفي رواية أربعين ليلة ، والله أعلم .

وفيهما جاءته أم حبيبة بنت أبي سفيان ، وتزوج بها ، ثم كانت عُمره القضيّة وتزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية .

السنة الثامنة — فيها كانت مُوتة ، ثم كان الفتح ، ثم غزوة هوازن ، ثم غزوة الطائف ، وأمر على مكة عتاب بن أسيد ، وأسلم مالك بن عوف النَّضْرِي ، وتآلف المؤلفة من غنائم هوازن ، ثم انصرف إلى المدينة في آخر ذي القعدة .

السنة الثامنة  
من الهجرة

قلت : وفي هذه السنة وُلد ابنه إبراهيم من مارية القبطية ، وحلق رأسه يوم سابعه ، وتصدق بزنة شعره فضة ، وعَقَّ عنه بكباشين<sup>(١)</sup> ، ومات في عاشر ربيع الأول من السنة العاشرة وسنه عام ونصف ، وقيل : عام وثلاث ، وفي الثامنة أيضاً توفيت ابنته زينب ، وهى أكبر أولاده ، وكانت زوجة أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس الذى أثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم في صهارته ، تزوجها قبل البعثة ، ولما قدم عليها مسلماً ردّها النبي صلى الله عليه وسلم بالنكاح الأول على الصحيح لقدمه عقب تحريم المسلمات على المشركين ، وذلك بعد صلح الحديبية ، والله أعلم .

السنة التاسعة — فيها هَجَرَ نساء شهر ، ثم تتابعت الوفود ، ثم فرض الحج .

قلت : قد اختلف في وقته ، فقيل : قبل الهجرة ، وهو غريب ، والمشهور

السنة التاسعة  
من الهجرة

(١) العقيقة : ما يذبح يوم سابع الغلام ، والسنة أن يذبح عن الجارية شاة

وعن الغلام شاتان



بعدها ، فقليل : سنة خمس ، وجزم به الرافعي في موضع ، وقيل : ست ، وصححه الرافعي في موضع آخر ، وكذا النووي ، وقيل : سبع ، وقيل : ثمان ، وقيل : تسع ، وصححه عياض ، والله أعلم .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج أبا بكر رضى الله عنه ، ثم نزلت براءة ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضى الله عنه ؛ لينبذ إلى الناس عهدهم .

قلت : وفيها في شهر رجب كانت غزوة تبوك ، وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم على ما ذكره ابن إسحاق ، والله أعلم .

السنة العاشرة — فى أولها قدم عدي بن حاتم بوفد طيء ، ثم قدم وفد بنى حنيفة ، ثم وفد غسان ، ثم وفد نجران الذين كانت فيهم قصة المبالغة ، ثم جاء جبريل يعلم الناس دينهم ، ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوكا .  
قلت : وهو مخالف لما قدمناه عن ابن إسحاق من كونها فى التاسعة ، والله أعلم .

ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بالحج فى حجة الوداع ورجع ، ثم مرض فى صفر لعشر بقين منه ، وتوفى صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة ليلة خات من ربيع الأول يوم الاثنين ، انتهى ما ذكره رزين عن أبى حاتم .

قلت : وشهر ربيع هذا من الحادية عشرة ، وكان ابتداء مرضه فى بيت ميمونة ، وقيل : زينب بنت جحش ، وقيل : ريمانة ، وذكر الخطابي أن ابتداءه يوم الاثنين ، وقيل : السبت ، وقيل : الأربعاء ، وحكى فى الروضة قولين فى مدته ، فقليل : أربعة عشر ، وهو الذى صدّر به ، وقيل : ثلاثة عشر ، وعليه الأكثر ، وقيل : عشرة ، وبه جزم سليمان التيمي ، ومقتضى ما تقدم أن المسدة تزيد على عشرين يوما ، ولم أر من صرح به ، ولا خلاف فى أن الوفاة كانت يوم الاثنين ، وكونه من ربيع الأول ، كاد يكون إجماعا ، لكن فى حديث ابن مسعود عند

البزار : في حادى عشر رمضان ، وكونها في ثانى عشر ربيع الأول هو ما عليه الجمهور ، وذهب جماعة إلى أنها في أوله ، ورواه يحيى عن ابن شهاب ، وقال : حين زاغت الشمس ، وعن أسماء بنت أبي بكر أنه توفى للنصف من ربيع الأول ، وقيل : ثانيه ، ورجحه السهيلي ، واستشكل قول الجمهور بأنهم اتفقوا على أن الوقفة في حجة الوداع كانت الجمعة ، فأول ذى الحجة الخميس ، فمهما فرضت الشهور الثلاثة تَوَامَّ أو نواقص أو بعضها ، لم يصح كون الوفاة يوم الاثنين مع كونه ثانى عشر ربيع الأول ، وأجاب البارزى باحتمال وقوع الثلاثة كوامل ، واختلاف أهل مكة والمدينة في هلال ذى الحجة : فرآه أهل مكة ليلة الخميس ، ولم يره أهل المدينة إلا ليلة الجمعة ، فحصلت الوقفة برؤية أهل مكة ، ثم رجعوا إلى المدينة فأرخوا برؤية أهلها ، فكان أول ذى الحجة الجمعة ، وهو وما بعده كوامل ، فأول ربيع الأول الخميس ، وثانى عشره الاثنين ، ولا يخفى بُعد هذا الجواب ، وقد جزم سليمان التيمى أحد الثقات بأن بدء مرضه صلى الله عليه وسلم كان يوم السبت الثانى والعشرين من صفر ، ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول ، ومنه يعلم أن صفر كان ناقصا ، ولا يمكن أن يكون أول صفر السبت إلا إن كان ذو الحجة والحرم ناقصين ؛ فيلزم عليه نقص ثلاثة أشهر متوالية ، وأما على قول من قال : « أول ربيع الأول » ؛ فيكون اثنان ناقصين وواحد كاملا ، وكذا على قول من قال : « للنصف منه »

وقال البدر ابن جماعة : يحمل قول الجمهور لائنتى عشرة ليلة خلت : أى بأيامها ، فيكون موته في اليوم الثالث عشر ، وتفرض الشهور كوامل ؛ فيصح قول الجمهور ، ويعكر عليه ما فيه من مخالفة أهل اللسان في قولهم « لائنتى عشرة » فإنهم لا يفهمون منها إلا مضى الليالى ، وأن ما أرخ بذلك يكون واقعا في الثانى عشر .

قال الحافظ ابن حجر : فالمعتمد قول أبى مخنف أنه في ثانى ربيع الأول ، وكان

سبب غلط غيره تغيير ذلك إلى الثاني عشر ، وتبع بعضهم بعضا في الوهم .  
 وغسله صلى الله عليه وسلم على بوصيته ، والعباسُ وابنه الفضلُ يعينانه ،  
 وقُثمٌ وأسامةُ وشقرانُ يَصُبُّونَ الماءَ ، وكفن في ثلاثة أثواب بيض سَحُولِيَّةٍ ليس  
 فيها قميص ولا عمامة — وسحول : بلدة باليمن — وعن جعفر بن محمد عن أبيه :  
 كفن في ثوبين صحاريين مما يصنع بعمان من كُرُسَف<sup>(١)</sup> وبرد حَبَرَةَ ، وفي  
 الإكليل ورواه يحيى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : كفن في سبعة  
 أثواب ، وصُلِّيَ عليه في حُجْرَتِهِ بغير إمام ؛ ونقل الأَقْشَرِيُّ عن الحسين بن محمد  
 الصدفي أنه صلى الله عليه وسلم صلى عليه في وسط الروضة من مسجده ، ثم حمل  
 إلى بيته ودفن فيه .

قلت : هذا إنما هو معروف في أي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي مستدرك  
 الحاكم ومُسْنَدُ البزار بسند ضعيف أنه صلى الله عليه وسلم أوصى أن يُصَلَّوا عليه  
 أرسالا بغير إمام ، ودفن صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء ، وقيل : يومها ، وقيل :  
 يوم الثلاثاء بعد أن عرف الموت في أظفاره ، وقال قائلون : ندفنه بمسجده ،  
 وآخرون بالبقيع ، ثم اتفقوا على دفنه ببيته ، فحمل بالفراش ، وحُفِرَ له في موضع  
 الفراش ، وروى يحيى عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما هلك  
 نبي إلا دفن حيث تقبض روحه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه  
 بإخراج المشركين من جزيرة العرب كما في الصحيح من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه  
 وسلم أمر بذلك ، ولفظه : وأمرهم بثلاث ، فقال : « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ،  
 وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجبرهم » والثالثة إما سكوت عنها ، وإما أن قالها  
 فنسيها . قال سفيان : هذا — أي قوله والثالثة إلى آخره — من قول سليمان :  
 أي شيخ سفيان ، قال الداودى : الثالثة هي الوصية بالقرآن ، وقال المهلب :  
 بل هي تجهيز جيش أسامة ، وقواه ابن بطلان بأن الصحابة لما اختلفوا على

(١) الكرسف — بوزن قنفذ — القطن

أبي بكر في تنفيذ جيش أسامة ، قال لهم أبو بكر : إن النبي صلى الله عليه وسلم عهد بذلك عند موته .

وقال عياض : يحتمل أن يكون<sup>(١)</sup> قوله : « لا تتخذوا قبري وثناً » فإنها ثبتت في الموطأ مقرونة بالأمر بإخراج اليهود ، ويحتمل أن يكون ما وقع في حديث أنس أنها قوله : « الصلاة وما ملكت أيمانكم »

والذي أجلى للمشركين من جزيرة العرب هو عمر رضي الله عنه ؛ ففي الصحيح من حديث ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها ، وكانت الأرض لما ظهر عليها لله وللرسول وللمؤمنين ، فسأل اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نترككم على ذلك ما شئنا » فأقرؤوا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تباء وأريحاء .

وفي الصحيح أيضاً عن ابن عمر : لما فدع<sup>(٢)</sup> أهل خيبر عبد الله بن عمر قام عمر خطيباً ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاملاً يهود خيبر على أموالهم وقال : « نترككم على ما أقركم الله » ، وإن عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك ، فعدي عليه من الليل ، فقدعت يده ورجلاه ، وليس لنا هناك عدو غيرهم ، هم عدونا وهممتنا ، وقد رأيت إجلالهم ، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني الحقيق ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخرجنا وقد أقرنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وعاملنا على الأموال ، وشرط ذلك لنا ، فقال عمر : أظننت أني نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعذو بك قلوصلك ليلة بعد ليلة » فقال : كانت هذه هزيلة من أبي القاسم صلى الله عليه

---

(١) أي يحتمل أن الثالثة هي قوله « لا تتخذوا قبري وثناً »

(٢) الفدع — بالتحريك — زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وكذلك في

اليد ، وهو أن تزول المفاصل عن أمانتها

وسلم ، فقال : كذبت يا عدو الله ، فأجلاهم عمر ، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وإبلا وعُرُوضا من أقتاب وحبال وغير ذلك .

وظاهر هذا أن عمر رضى الله عنه إنما استند في إجلائهم لهذه القصة .  
وروى ابن زبالة عن مالك عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبقى دينان في جزيرة العرب » .

قال ابن شهاب : ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب حتى أتاه الثلج<sup>(١)</sup> واليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يبقى دينان في جزيرة العرب » فأجلى يهود خيبر ، قال مالك : وقد أجلى عمر بن الخطاب يهود نَجْرَان وفَدَك .

وروى البيهقي من حديث عمر مرفوعا « لئن عِشْتُ إلى قابل لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب » وخرجه مسلم بدون « لئن عشت » وفي مسند أحمد والبيهقي عن أبي عبيدة قال : كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرجوا يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب » الحديث .

وروى أحمد بسند جيد عن عائشة قالت : آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال « لا يترك بجزيرة العرب دينان » .

قال الجَوْنِي والقاضى حسين من أصحابنا : الجزيرة هي الحجاز ، والمشهور أن الحجاز بعض الجزيرة .

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم لم يتفرغ أبو بكر رضى الله عنه لإخراجهم ، فأجلاهم عمر رضى الله عنه وهم زُهَاء أربعين ألفاً ، ولم ينقل أن أحداً من الخلفاء أجلاهم من اليمن مع أنها من الجزيرة ؛ فدل على أن المراد الحجاز فقط .

وحكى أن بعض اليهود أظهر كتابا ، وادعى أنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شهادة الصحابة ؛ فعرض على أبي بكر الخطيب البغدادي فقال : هذا مُزَوَّر ؛ لأن فيه شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح ، فلم ينحصر ما جرى ، وفيه شهادة سعد بن مُعَاذ ، وقد مات في بني قُرَيْظَة بسهم أصابه في الخندق ، وذلك قبل خيبر بسنتين ، وذلك من فوائد علم التاريخ ، والله أعلم .

(١) الثلج الاطمثان ، وفعله من بابي فرح وخرج (٢١ - وفاة ١٠٠)

## الباب الرابع

فيما يتعلق بأمور مسجدها الأعظم النبوي ، والحجرات المنيفات ، وما كان مُطِيفاً به من الدور والبلاط ، وسوق المدينة ، ومنازل المهاجرين ، واتخاذ السور ، وفيه سبعة وثلاثون فصلاً .

### الفصل الأول

في أخذه صلى الله عليه وسلم لموضع مسجده الشريف ، وكيفية بنائه  
تقدم أن ناقلته صلى الله عليه وسلم لما بركت عند باب المسجد قال صلى الله عليه وسلم « هذا المنزل إن شاء الله » وفي كتاب يحيى عن الزهري أنها بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مرّبداً<sup>(١)</sup> للعلماء يتيمين في حجر أسعد بن زرارة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت راحلته : هذا إن شاء الله المنزل ، وقال : اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين ، قاله أربع مرات .

وروى رزين نحوه عن أنس ، ولفظه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا المنزل إن شاء الله » ثم أخذ في النزول فقال « رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين » ولم يقل قاله أربعاً .

وفي كتاب يحيى عن الزهري أيضاً أن المرّبداً<sup>(١)</sup> كان لسهل وسهيل ، وأنهما كانا في حجر أبي أمامة أسعد بن زرارة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين نزلت به راحلته « هذا المنزل إن شاء الله » ثم دعا العلمين ، فسأوا منهما بالمرّبداً<sup>(١)</sup> ليتخذ مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى أن يقبله هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجداً .

---

(١) المرّبداً - بزنة منبر - الموضع الذي تحبس فيه الإبل والغنم ، وأصل اشتقاقه من « ربد بالمكان » إذا أقام فيه ، أو من « ربد » أي حبسه .

قال يحيى تبعاً لابن زبالة : وقال بعضهم : كان لغلامين يتيمين لأبي أيوب هاسهل وسهيل ابنا عمرو ، فطلب المربد من أبي أيوب ، فقال أبو أيوب : يا رسول الله المربد ليتيمين ، وأنا أرضيهما ، فأرضاهما ، فأعطاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتخذاه مسجداً . وعند ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لمن هذا ؟ يعنى المربد ، فقال له معاذ بن عفراء : هو لسهل وسهيل ابني عمرو يتيمان لى ، وسأرضيهما منه ، فاتخذاه مسجداً ، فأمر به أن يبنى . ويؤيده أنه وقع فى مرسل ابن سيرين عند أبي عبيد فى الغريب أنهما كانا فى حجر معاذ بن عفراء . والذى فى صحيح البخارى أنهما كانا فى حجر أسعد بن زرارة ، كذا هو فى رواية الجميع إلا أبا ذر ، فى روايته سعد بإسقاط الألف ، ورواية الجماعة هى الوجه ؛ إذ كان أسعد من السابقين إلى الإسلام ، وهو المسكنى بأبي أمامة ، وأما أخوه سعد فتأخر إسلامه .

وقد يجمع باشتراك من ذكر فى كونهما كانا فى حجورهم ، أو بانتقال ذلك بعد أسعد إلى من ذكر واحداً بعد واحد ، سيما وقد روى ابن زبالة عن ابن أبي فديك قال : سمعت بعض أهل العلم يقولون : إن أسعدا توفى قبل أن يبنى المسجد ، فابشاهه النبي صلى الله عليه وسلم من ولى سهل وسهيل .

وروى ابن زبالة فى خبر : كان مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لسهل وسهيل ابني أبي عمرو من بنى غنم ، فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبناه مسجداً . وفى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إلى ملائكة بنى النجار بسبب موضع المسجد ، فقال : يا بنى النجار ، ثامنوني<sup>(١)</sup> بحائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . وعند الإسماعيلي « إلا من الله » وهو ظاهر فى أنهم لم يأخذوا له ثمناً .

وفى رواية فى باب الهجرة من الصحيح بعد ذكر تأسيس مسجد قباء : ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته ، فسار يمشى معه الناس حتى بركت

(١) ثامنوني : ساوموني فى ثمنه ، والحائط : الحديقة

عند مسجد الرسول بالمدينة ، وهو يصلى فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين ، وكان مر بدأ للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته : هذا إن شاء الله المنزل<sup>(١)</sup> ، ثم دعا الغلامين فساوَمَهما بالمرء ليتخذ مسجدا ، فقالا : بل نَهَبَهُ لك يا رسول الله ، فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ، ثم بناه مسجدا .

ووقع فى رواية ابن مُعَيِّنَة : فكلم عَمَهما — أى الذى كانا فى حجره — أن يبتاعه منهما ، فطلبه منهما فقالا : ما تصنع به ؟ فلم يجد بداً من أن يصدقهما ، فأخبرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراداه ، فقالا : نحن نعطيه إياه ، فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبنَاهُ ، أخرجه الجندى . وطريق الجمع بين ذلك — كما أشار إليه الحافظ ابن حجر — أنهم لما قالوا لا نطلب ثمنه إلا إلى الله سأل عن من يختص بملكه منهم ، فعينوا له الغلامين ، فابتاعه منهما أو من وليهما أن كانا غير بالغين . وحينئذ فيحتمل أن الذين قالوا « لا نطلب ثمنه إلا إلى الله » تحمّلوا عنه للغلامين بالثمن ، فقد نقل ابن عقبة أن أسعد عوّضَ الغلامين عنه بخلاله فى بنى بَيَاضَة . وتقدم أن أبا أيوب قال : هو ليتيمين لى ، وأنا أرضيهما ، فأرضاهما ، وكذلك معاذ بن عفراء ، فيكون ذلك بعد الشراء . ويحتمل أن كلا من أسعد وأبى أيوب وابن عفراء أرضى اليتيمين بشيء ، فنسب ذلك لكل منهم . وقد روى أن اليتيمين امتنعا من قبول عوض ، فيحمل ذلك على بدء الأمر ، لكن يشكل على هذا ما نقل عن التاريخ الكبير لابن سعد أن الواقدى قال : إنه صلى الله عليه وسلم اشتراه من ابنى عفراء بعشرة دنانير ذهباً ، دفعها أبو بكر الصديق ، وقد يقال : إن الشراء وقع من ابنى عفراء لأنهما كانا وليين لليتيمين ، ورغب أبو بكر فى الخير كما رغب فيه أسعد ، وأبو أمامة ومعاذ بن عفراء ، فدفع لهم أبو بكر العشرة ، ودفع كل من أولئك ما تقدم ، ولم يقبله صلى الله عليه وسلم بلا

---

(١) المنزل : موضع النزول



ثمن أولاً لكونه لليتيمين ، لكن ابن سيد الناس نقل عن البلاذري أنه قال عقب كلامه الآتي : فعرض — يعنى أسعد — على النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها ويغرم لليتيمين ثمنها ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، وابتاعها منه بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر ، انتهى ؛ فيحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أخذ أولاً بعض المربد ، ثم أخذ بعضاً آخر ؛ لما سيأتى من أنه زاد فيه مرة أخرى ؛ فليست القصة متحدة . ورأيت بخط الأقسهرى فى كلام نقله عن أبى جعفر الداودى عن عبد الله بن نافع صاحب مالك أن المسجد كان مربداً لابنى عفراء .

قلت : يحتمل نسبته إليهما لولايتهما على اليتيمين ، أو أن لليتيمين أمّا تسمى عفراء ، وأما ابنا عفراء المشهوران فهما معاذ ومُعَوِّذ ابنا الحارث ، والذي فى الصحيح من تسمية الغلامين سهل وسهيل أصح ، والله أعلم .

وفى كتاب يحيى ما يقتضى أن أسعد بن زُرارة كان قد بنى بهذا المربد مسجداً قبل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه قال : حدثنا بكر ثنا محمد ابن عمر ثنا معاذ بن محمد عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة قال : سمعت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول : أخبرتنى النوار بنت مالك أم زيد ابن ثابت أنها رأت أسعد بن زُرارة قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس الصلوات الخمس ، ويجمع بهم فى مسجد بنّاه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، قالت : فأنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم فى ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم .

ونقل ابن سيد الناس عن ابن إسحاق أن الناقة بركت على باب مسجده صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ ليتيمين من بنى مالك بن النجار فى حجر مُعَاذ بن عَفْرَاء سهل وسهيل ابنى عمرو ، ثم قال : وذكر أحمد بن يحيى البلاذري ، قال :

فنزّل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي أيوب ، ووهبت له الأنصار كل فضل كان في خطتها ، وقالوا : يا نبي الله إن شئت فخذ منازلنا ، فقال لهم خيراً ، قالوا : وكان أبو أمامة أسعد بن زرارَةَ يُجَمِّعُ بمن يليه في مسجد له ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، ثم إنه سأل أسعد أن يبيعه أرضاً متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره يقال لهما سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو ابن عائذ بن ثعلبة بن غنم ، كذا نسبهما البلاذري ، وهو يخاف ما سبق عن ابن إسحاق وغيره ، والأول أشهر ، انتهى ، وتشهيره للأول — وهو كون الغلامين ابني عمرو — تقدم ما يقتضيه ، لكن تقدم أيضاً ما يقتضيه الثاني ، وهو الأرجح فقدم صرح ابن حزم في الجمهرة ، ورواه ابن زبالة عن ابن شهاب ، وكذا ذكره ابن عبد البر . وذكر السهيلي فيما نقله عنه الذهبي ما يحصل به الجمع ويرفع الخلاف إلا أن فيه بعض مخالفة لما تقدم ، فقال : سهل بن عمرو الأنصاري النجاري أخو سهيل صاحب المربد ، وكانا في حجر أسعد بن زرارَةَ ، ينسبان إلى جدّهما ، وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن النجار ، انتهى . فعلى هذا يكون سقط من الرواية المتقدمة ابن عمرو بين رافع وأبي عمرو ، وتصحف عبيد بعائذ ، والله أعلم .

وقال الجحد : ذكر البيهقي المسجد فقال : كان جداراً مُجَدَّراً ليس عليه سقف ، وقبلته إلى القدس ، وكان أسعد بن زرارَةَ بَنَاهُ ، وكان يصلي بأصحابه فيه ، وَيُجَمِّعُ بهم فيه الجمعة قبل مَقْدَمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنخل التي في الحديقة وبالغَرْقَدِ أن يُقَطَّعَ ، وكان فيه قبور جاهلية ، فأمر بها فنُبِشت ، وأمر بالعظام أن تُغَيَّبَ ، وكان في المريد ماء مسحل فسيره حتى ذهب — والمسحل : ممشي ماء المطر ، انتهى . ولم أره في المعرفة للبيهقي ، ولا في السنن الكبير ، ولا في الدلائل ، والمعروف أنه كان مربدا للتمر : أي يُجَفَّفُ فيه التمر ، وكأنه سماء حديقة لاشتتاله على نخل ؛ ففي الصحيحين أن

النبي صلى الله عليه وسلم « لَمَّا أَخَذَهُ كَانَ فِيهِ نَخْلٌ وَقُبُورُ الْمُشْرِكِينَ وَخَرِبٌ ، فَأَمَرَ  
النبي صلى الله عليه وسلم بالنخل فقطع ، وبقبور المشركين فَنُفِثَتْ ، وبالحرب  
فَسُوِّيَتْ ، فصفوا النخل قبلة له ، وجعلوا عضادتيه حجارة » وقد قدمنا الكلام  
على قطع هذا النخل في أحكام الحرم ، وكأن معنى صف النخل قبلة له جعلها  
سَوَارِيَّ في جهة القبلة ليسقف عليها كما في الصحيح « كان المسجدُ على عهد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنياً باللَّيْنِ ، وسقفه الجريد ، وعُدُّهُ خَشَبُ النَخْلِ »  
وسياتي فيما أسند يحيى أنه كان في جوف الأرض - أى أرض المربد - قبور  
جاهلية ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقبور فنُفِثَتْ ، فرمى بعظامها ،  
فأمر بها فغُيِبَتْ ، وكان في المربد ماء مستنجل<sup>(١)</sup> فسيرد حتى ذهب » ووقع في رواية  
عطاف بن خالد عند ابن عائذ أنه صلى الله عليه وسلم « صلى فيه وهو عريش اثني عشر  
يوماً ، ثم بناه وسقفه » وسياتي ما يشهد له .

وأسند ابن زبالة عن أنس قال : بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعنى  
المسجدَ - أول ما بناه بالجريد ، قال : وإنما بناه باللَّيْنِ بعد الهجرة بأربع سنين .  
قلت : وهو واهٍ أو مؤول ، والمعروف خلافه .

وأسند أيضاً عن شهر بن حوشب قال : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أن يحجر بناء المسجد قيل له : عريش كعريش أخيك موسى سبع أذرع ، وأسنده  
يحيى من غير طريقه عن شهر أيضاً بلفظ : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن  
يبني المسجد ، وأورده رزين بلفظ : لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء المسجد  
قال : قيل لى : عريش كعريش أخيك موسى سبعة أذرع ، ثم الأمر أمجل من  
ذلك . وأسند يحيى عن الحسن قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال :

(١) في حديث عائشة رضى الله عنها « وكان واديهما يجري أنجالاً » تريد وادى  
المدينة ، والأنجل : النز ، ويجمع على أنجال ، واستنجل الماء : صار نزا قليلاً

ابنوا الى مسجداً عريشاً كعريش موسى ، ابنوه لنا من لبن . وأورده رزين بلفظ :  
لما أخذ في بناء المسجد قال : ابنوا الى عريشاً كعريش موسى ، ثَمَامَات وَخَشَبَات  
وِظْلَةٌ كِظْلَةِ موسى ، والأمر أعجل من ذلك ، قيل : وما ظلة موسى ؟ قال : كان  
إذا قام فيه أصاب رأسه السقف ، وعمل فيه بنفسه صلى الله عليه وسلم ، ترغيباً لهم ؛  
ففي الرواية المتقدمة في الصحيح عقب قوله « حتى ابتاعه منهما » وَطَفِقَ رسولُ الله  
صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في ثيابه ، ويقول وهو ينقل اللبن :  
هَذَا الْحَمَلُ لَا حِمْلَ خَيْرَ هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

ويقول :

اللهم إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ فارحم الأنصارَ والمُهَاجِرَةَ  
قال ابن شهاب : فتمثَّلَ صلى الله عليه وسلم بشعر رجل من المسلمين ، ولم  
يبلغنا في الأحاديث أنه تَمَثَّلَ ببیت شعر تام غير هذه الأبيات ، زاد ابن عائد في  
آخره : التي كان يرتجزهن وهو ينقل اللبن لبناء المسجد .  
والحملُ مُخَفَّفٌ بمهملة مكسورة : أى هذا الحمل من اللبن أبر عند الله من  
حمل خيبر ، أى ذات التمر والزبيب . وقوله « رَبَّنَا » أى ياربنا . وأسند يحيى  
عن الزهري في معنى قوله « هذا الحمل لا حمل خيبر » قال : كانت يهود إذا  
صرمت نخلها جاءتهم الأعراب بركائبهم فيحملون لهم عروة بعروة إلى القرى ،  
فيبيعون ، يكون لهذا نصف الثمن ولهؤلاء نصفه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم  
ذلك . وفي الرواية المتقدمة في الصحيح عقب قوله « وجعلوا أعضاديه حجارة » فجعلوا  
ينقلون ذلك الصخر وهم يرتجزون ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم ، يقولون :  
اللهم لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فانصر الأنصار والمُهَاجِرَةَ

(١) قال ابن الأثير : « وفي حديث بناء مسجد المدينة هذا الحمل لا حمل خيبر  
الحمل بالكسر من الحمل ، والذي يحمل من خيبر التمر ، أى أن هذا في الآخرة  
أفضل من ذاك وأحمد عاقبة ، كأنه جمع حمل أو حمل ، ويجوز أن يكون مصدر  
حمل أو حامل » اهـ بحروفه .

ويذكر أن هذا البيت لعبد الله بن رواحة .

وعن الزهري : بلغني أن الصحابة كانوا يرتجزون به ، وكان رسول الله

صلى الله عليه وسلم ينقل معهم ويقول :

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم المهاجرين والأنصار

وكان لا يقيم الشعر، قال الله تعالى : «وَمَا أَعْلَمُ لَهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ<sup>(١)</sup>» .

وفعل ذلك احتساباً وترغيباً في الخير ؛ ليعمل الناس كلهم ، ولا يرغب أحد بنفسه .

عن نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا أسند ابن زبالة عن مجمع بن يزيد أنه قال عقب ذلك : وعملوا فيه ، ودأبوا ، فقال قائل من المسلمين :

لَيْتَنُ قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ يَعْمَلُ ذَاكَ إِذَا لِلْعَمَلِ الْمُضِلُّ

وَأَسْنَدُ أَيضاً أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ كَانَ يَرْتَجِزُ وَهُوَ يَعْمَلُ فِيهِ يَقُولُ :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَّابُ فِيهَا قَدَمًا وَقَاعِدًا

\* وَمَنْ يَرَى عَنِ الْغُبَارِ حَائِدًا \*

وأسند هو أيضاً ويحيى من طريقه والمحدث ، ولم يخرج ، عن أم سلمة .

رضي الله عنها قالت : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، فقرب الابل

وما يحتاجون إليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع رداءه ، فلما رأى

ذلك المهاجرون الأولون والأنصار ألقوا أرديتهم وأكسيتهم ، وجعلوا يرتجزون

ويعملون ويقولون :

\* لَيْتَنُ قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ يَعْمَلُ \* البيت

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً نظيفاً منظفياً ، وكان يحمل اللبنة

فيجاني بها عن ثوبه ، فإذا وضعها نفّض كفه ، ونظر إلى ثوبه ، فإذا أصابه شيء

من التراب نفّضه ، فنظر إليه علي بن أبي طالب فأنشأ يقول :

\* لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ \* الأبيات المتقدمة ..

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها وهو لا يدري مَنْ يعنى بها ، فر بعثمان فقال : يا ابن سُمية ، ما أعرفني بمن تعرض ، ومعه جريدة فقال : لتكفّن أو لأعترضنّ بها وجهك ، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل بيتي ، يعنى أم سلمة ، وفي كتاب يحيى « في ظل بيته » — فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : إن عمار بن ياسر جلدّة ما بين عيني وأنفي ، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ ، ووضع يده بين عينيه ، فكفّ الناس عن ذلك ، ثم قالوا لعمار : إن النبي صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينسا القرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فقال : يا رسول الله مالى ولأصحابك ؟ قال : مالك وما لهم ؟ قال : يريدون قتلى ، يحملون ابنةً لبنةً ويحملون على اللبنتين والثلاث ، فأخذ بيده فطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وفرّته<sup>(١)</sup> بيده من التراب ويقول : يا ابن سُمية لا يقتلك أصحابي ، ولكن تقتلك الفئة الباغية .

وقد ذكر ابن إسحاق القصة بنحوه كما في تهذيب ابن هشام ، قال : وسألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا ندري أهو قائله أم غيره ، وإنما قال ذلك على رضى الله عنه مطّاية ومباشطة كما هو عادة الجماعة إذا اجتمعوا على عمل ، وليس ذلك طعنا .

وأخرج ابن أبي شيبة من مرسل أبي جعفر الخطمي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى المسجد وعبد الله بن رواحة يقول :

\* أفلح من يعالج المساجدا \*

فيقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول ابن رواحة :

\* يتلو القرآن قائماً وقاعدا \*

فيقولها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي الصحيح في ذكر بناء المسجد : وكنا نحمل لبنة لبنة وعمارٌ لبنتين

(١) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن

لَبِنَتَيْنِ ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم ، فجعل ينفض التراب عنه ويقول : « وَيُحِ عَمَارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَّةُ ، يدعُوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » وقال : يقول عمار : أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ .

وأُسْنَدُ ابْنِ زُبَالَةَ وَيُحِي عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ : رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى عَمَارٍ ، وَهُوَ يَبْنِي الْمَسْجِدَ ، فَقَالَ : « مَا لَهُمْ وَلِعَمَارٍ ؟ يَدْعُوهم إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ ، وَذَلِكَ فَعَلَ الْأَشْقِيَاءُ الْأَشْرَارَ » .

وأُسْنَدُ الثَّانِي أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَبْنُونَ الْمَسْجِدَ ، فَجَعَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْمِلُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَةً عَنْهُ وَلَبِنَةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَحَّ ظَهْرَهُ وَقَالَ : « يَا ابْنَ سُمَيَّةَ لَكَ أَجْرَانِ وَلِلنَّاسِ أَجْرٌ ، وَآخِرُ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةٌ مِنْ لَبَنِ ، وَتَقْتُلُكَ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَّةُ » .

وَفِي الرُّوَضِ لِلْسَّهِيلِيِّ : أَنَّ مَعْمَرَ بْنَ رَاشِدٍ رَوَى ذَلِكَ فِي جَامِعِهِ بِزِيَادَةٍ فِي آخِرِهِ ، وَهِيَ : فَلَمَّا قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ دَخَلَ عَمْرُو عَلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَرِغَا فَقَالَ : قُتِلَ عَمَارٌ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : فَمَاذَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « تَقْتُلُهُ الْفِتَّةُ الْبَاغِيَّةُ » فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : دَحَضْتُ <sup>(١)</sup> فِي بَوْلِكَ ، أَنَحْنُ قَتَلْنَاهُ ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مَنْ أَخْرَجَهُ .

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ابْنَ الْعَاصِ يَقُولُ لِأَبِيهِ عَمْرُو : قَدْ قَتَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا قَالَ ، قَالَ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ قَالَ : عَمَارُ بْنُ يَاسِرٍ ، أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ بَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ ؟ فَكُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً ، وَعَمَارٌ يَحْمِلُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ، فَمَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « تَحْمِلُ

(١) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَفِي حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ عَمْرٍو : لَا تَزَالُ تَأْتِينَا بِهِنَا نَدْحُضُ فِيهَا فِي بَوْلِكَ ، أَيُّ تَزَلُّقٍ ، وَيُرْوَى بِالْصَّادِ : أَيُّ تَبَحُّثٍ فِيهَا بِرَجْلِكَ » اهـ

لبنتين لبنتين وأنت ترحض<sup>(١)</sup> ، أما إنك ستقتلك الفئة الباغية ، وأنت من أهل الجنة » فدخل عمرو على معاوية فقال : قتلنا هذا الرجل وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، فقال : اسكت ، فوالله ما تزال تدحض في بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتلته على وأصحابه ، جاءوا به حتى ألقيوه بيننا .

قلت : وهو يقتضى أن هذا القول لعمار كان في البناء الثانى للمسجد ؛ لأن إسلام عمرو كان في الخامسة كما سبق .

وأُسند ابن زبالة عن حسن بن محمد الثقفى قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبني في أساس مسجد المدينة ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فربه رجل فقال : يا رسول الله مامعك إلا هؤلاء الرهط ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هؤلاء ولاية الأمر من بعدى .

وروى أبو يعلى رجال الصحيح إلا أن التابعى لم يُسمَّ عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما أسس رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة جاء بحجر فوضعه ، وجاء أبو بكر بحجر فوضعه ، وجاء عمر بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بحجر فوضعه ، قالت : فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : هذا أمر الخلافة من بعدى .

وتقدم في تأسيس مسجد قباء نحو ذلك من غير ذكر أمر الخلافة وقال الأتشمهرى في روضته : روى صاحب السيرة ولم يسمه أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تبني له بيتا ، وأن ترفع بنيانه بالرهص والحجارة — والرهص : الطين الذى يتخذ منه الجدار — فقال : كم أرفعه يا جبريل ؟ قال : سبعة أذرع ، وقيل : خمسة أذرع ، ولما ابتداء في بنائه أمر بالحجارة وأخذ حجرا فوضعه بيده أولا ، ثم أمر أبا بكر فجاء بحجر

---

(١) ترحض : أى تسيل عرقا ، مأخوذ بن الرحضاء ، وهو عرق يغسل الجلد لكثيرته ، وكثيراً ما يستعمل في عرق الحمى والمرض .



فوضعه إلى جنب حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر كذلك ، ثم عثمان كذلك ، ثم عليا ، انتهى ما ذكره الأتشمهرى ومن خطه نقلته .

وروى البيهقي في الدلائل عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لما بنى النبي صلى الله عليه وسلم المسجدَ وَضَعَ حجرا ، ثم قال : لِيَضَعَ أَبُو بَكْرٍ حجره إلى جنب حجري ، ثم ليضع عمر حجره إلى جنب حجر أبي بكر ، ثم قال : لِيَضَعَ عثمان حجره إلى جنب حجر عمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هُوَ لَاءَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِي » .

وأسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حجر ، فلقيه أَسِيدُ بْنُ حُضَيْرٍ فقال : يا رسول الله أَعْطِنِيهِ ، فقال : اذْهَبْ فاحتمل غيره ، فلست بأفقر إليه مني .

وعن مكحول قال : لما كثر أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : اجعل لنا مسجدا ، فقال : خَشَبَاتٌ وَمُتَّكَمَاتٌ ، عَرِيشٌ كَرِيشٌ أَخِي مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، الأمرُ أعجل من ذلك .

ورواه رزين ، وزاد فيه : فَطَفَعُوا يَنْقُلُونَ اللَّيْلَ وَمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ ، فلقيه رجلٌ ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة فقال : أَعْطِنِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فقال : اذْهَبْ فَخُذْ غَيْرَهَا ، فلست بأفقر إلى الله مني .

ونقل المجدُّ عن رواية محمد بن سعد نحوه ، قال : وجاء رجلٌ يُحْسِنُ عَجَنَ الطَّيْنِ ، وكان من حَضَرَمَوْتٍ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً أَحْسَنَ صِنْعَتِهِ ، وقال له : الزم أنت هذا الشغل فإنى أراك تحسنه .

وفى كتاب يحيى من طريق ابن زبالة عن الزهري : كان رجل من أهل اليمامة يقال له طلق من بنى حنيفة يقول : قدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده ، والمسلمون يعملون فيه معه ، وكنتُ صاحبَ علاجٍ وَخَلَطُ

طين ، فأخذت المسحاة أَخْلَطُ الطينَ والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ويقول :  
إن هذا الحنفيُّ لصاحبُ طين .

وروى أحمد عن طلق بن علي قال : بنيتُ المسجدَ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان يقول : قربوا إليّ من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا .  
وعنه أيضا قال : جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد ،  
قال : فكانه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذتُ المسحاة فَخَلَطْتُ بها الطين ، فكانه  
أعجبه أخذى المسحاة وعملى فقال : دَعُوا الحنفيَّ والطينَ فإنه من أصنعكم للطين .  
وأُسند ابنُ زبالة ويحيى من طريقه في أثناء كلامٍ عن ابن شهاب في قصة  
أخذ المِرْبَد ، قال : فبناه مسجدا ، وضربَ لبنه من بقيع الخبْخبةِ ناحية بئر أبي  
أيوب بالمناصع والخبْخبة : شجرة كانت تنبت هناك .

وأُسند يحيى من طريق عبد العزيز بن عمر عن يزيد بن السائب عن خارجة  
ابن زيد بن ثابت قال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين في ستين  
ذراعا أو يزيد ، وَلَكِنَّ لَبِنَهُ من بقيع الخبْخبة ، وجعله جدارا ، وجعل سَوَارِيه  
خشباً شقة شقة ، وجعل وسطه رحبة ، وبني بيتين لزوجتيه .

قال عبد العزيز : فسألت زيدا : أين بقيع الخبْخبة ؟ قال : بين بئر أبي  
أيوب وتلك الناحية ، وهذا بقيع الغرقد لبقيع المقبرة ، وقال : سألت عبد العزيز  
عن بقيع الخبْخبة فقال : هي - أي الخبْخبة - يسار بقيع الغرقد حين تقطع الطريق  
وتلقاها عند مسجد يحيى ، فقلت : ومن يحيى صاحب المسجد الذي ذكرت ؟ فقال :  
يحيى بن طلحة بن عبيد الله .

قلت : بقيع الخبْخبة لا يعرف اليوم كما ذكره شيخ مشايخنا الزين المراغى ،  
لكن الخارج من درب البقيع إذا مشى في البقيع لجهة مشهد سيدنا عثمان بن عفان  
رضي الله عنه وصار مشهد سيدنا إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يمينه  
يكون على يساره طريق تمر بطرف الكومة ، فإذا سلكها انتهى بعد رأس

العطفة التي على يمينه إلى حديقة تعرف قديما بأولاد الصيفى بها بئر ينزل إليها بدرج تعرف ببئر أيوب قديما وحديثا ، وعن يسار الخارج من درب البقيع أيضا إذا سلك طريق سيدنا حمزة في شامى الحديقة المعروفة بالرومية حديقة تعرف بالباطية وقف رباط اليمنة بها بئر . قال المراغى : تعرف ببئر أبواب أيضا ، يتبرك بها الناس ، وهى بالقرب من الحديقة المعروفة بدار فحل ، وهى عن يسار بقيع الغرقد أيضا ، قال الزين المراغى : ولعلها أقرب إلى المراد قلت : والذي يظهر أن الأولى هى المراد ، لما سنيينه في الآبار .

وفى كتاب رزين مالفظه : عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : كان بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسميط كَبِنَةً على لبنة ، ثم بالسعيدة لبنة ونصف أخرى ، ثم كثروا فقالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فبنى بالذكر والأُنثى ، وهى لبنتان مختلفتان ، وكانوا رفعوا أساسه قريبا من ثلاثة أذرع بالحجارة ، وجعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا فى العرض ، وكان مربعا . وفى رواية جعفر : ولم يسطح ، فشكوا الحر فجعلوا خشبه وسَوَارِيه جُدُوعا ، وظلّوا بالجريد ثم بالخصف ، فلما وكف<sup>(١)</sup> عليهم طَيَّنُوهُ بالطين ، وجعلوا وسطه رحبة ، وكان جداره قبل أن يُظْلَمَ قامة وشيئا ، انتهى . والظاهر أنه ليس جميعه من كلام جعفر ؛ بدليل قوله فى الأثناء « وفى رواية جعفر »

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى من غير طريقه كلام جعفر متمحضا فأسندا عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بناء مسجده بالسميط لبنة لبنة ، ثم إن المسلمين كثروا فبناه بالسعيدة ، فقالوا : يا رسول الله لو أمرت مَنْ يَزِيدُ فيه ، فقال : نعم ، فأمر به فزيد فيه ، وبنى جداره بالأُنثى والذكر ، ثم اشتد عليهم الحر فقالوا : يا رسول الله لو أمرت بالمسجد فظُلِّلَ ، قال : نعم ، فأمر به فأقيمت فيه سَوَارِي

(١) وكف عليهم : أراد نزل المطر وتقاطر من سقفه . تقول : وكف المطر

من جُدُوع النخل ، ثم طرحت عليها العوارض والخَصَفُ والإذخر ، فعاشوا فيه ، وأصابتهم الأمطار ، فجعل المسجد يَكِفُ عليهم ، تَدَاوَا : يارسول الله لو أمرت بالمسجد فُطِيتَ ، فقال : لا ، عريش كعريش موسى ، فلم يزل كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جداره قبل أن يُظَلَّلَ قامة ، فكان إذا فاء النوى ذراعاً وهو قدمان يصلى الظهر ، فإذا كان ضِعْفَ ذلك صلى العصر ، ثم نقل عنه تفسير السميطة والسعيدة والأثني والذكر بما تقدم ، ولم يذكر أذرعاً .

وفي الإحياء عن الحسن مرسلًا : لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يبنى مسجد المدينة أتاه جبريل فقال : ابنه سبعة أذرع طولاً في السماء ، ولا تزخره ، ولا تنقشه ، انتهى .

وتقدم فيما نقله الأتشموري عن صاحب السيرة عن جبريل عليه السلام في ارتفاعه سبعة أذرع ، وقيل : خمسة .

وأُسند يحيى عن أسامة بن زيد عن أبيه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حجر ، فلقبه أسيد بن حُضَيْر ، وذكر ما قدمناه ، ثم قال : قال — يعني زيدا — ورفعوا الأساس قريباً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحجارة ، وكان في جوف الأرض قبور جاهلية ، فأمر بالقبور فنبشت فرمى بعظامها ، وأمر بها فغيبت ، وكان في المربد ماء مستنجل فسَرَّ به حتى ذهب ، وكان الذين أسسوا المسجد جعلوا طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وفي الجانبين الآخرين مثل ذلك فهو مربع ، ويقال : إنه كان أقل من مائة ذراع ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب : باب في مؤخره ، أي وهو في جهة

---

(١) العوارض : أراد بها قطع الخشب ، والخصف : جمع خصفة ، وهي الجلة التي يكثر فيها الثمر ، وتكون من الخوص ، وكأن المراد هنا ما قدم من ذلك حتى صار لا يصلح للاستعمال ، والإذخر : حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب

القبلة اليوم ، وباب عاتكة الذى يدعى باب عاتكة ويقال باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو باب آل عثمان اليوم ، وهذان البابان لم يُغيّرا بعد أن صُرفَت القبلة ، ولما صُرفت القبلة سدَّ النبي صلى الله عليه وسلم الباب الذى كان خلفه وفتح هذا الباب ، وحذاء هذا الباب - أى ومحاذيه - هذا الباب الذى سُد . وعبر ابن النجار عن ذلك بقوله : ولما صُرفت القبلة سد الباب الذى كان خلفه وفتح بابا حذاءه . قال المجذ : أى تجاهه ، انتهى وذكر الأقسهرى فى خبرٍ عن ابن عمر ما يخالف هذا ، فإنه قال : وعن عبد الله بن عمر قال : كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه من اللبن ، وسقفه من غصن النخل ، وله ثلاثة أبواب : باب فى مؤخره ، وباب عاتكة وهو باب الرحمة ، والباب الذى كان يدخل منه وهو باب عثمان ، وهو الذى يسمى اليوم باب جبريل ، ولما صُرفت القبلة سد الباب الذى خلفه وفتح الباب الآخر ، وهو الذى يسمى باب النساء ، انتهى . وهو غريب ، ولعل قوله « وهو الذى يسمى باب النساء » من تصرفه وفهمه فى معنى الخبر ، ولذلك أورد عقبه حديث أبى داود مرفوعا « لو تركنا هذا الباب للنساء » لكن أبو داود بين أن الأصح أنه من قول عمر كما سيأتى ، وعلى ما ذكره فلم يجعل للمسجد بعد التحويل بابا خلفه ، ويرده قول يحيى عقب ماتقدم عنه « فكان المسجد له ثلاثة أبواب : باب خلفه ، وباب عن يمين المصلى ، وباب عن يسار المصلى ، ثم انتهوا إلى البناء باللبن ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل معهم اللبن فى ثيابه ويقول : هذا الحمال لا حمال خبير \* الرجز المتقدم

وروى أحمد عن أبى هريرة أنهم كانوا يحملون اللبن إلى بناء المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ، قال : فاستقبلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عارض لبنة على بطنه ، فظننت أنها شمت عليه ، فقلت : ناولنيها يا رسول الله ، قال : خذ غيرها يا أبا هريرة فإنه لا عيش إلا عيش الآخرة

قلت : وهذا في البناء الثاني ، أى لأن أبا هريرة لم يحضر البناء الأول ؛ لأن قدومه عام ففتح خيبر

وأُسند ابنُ زَبالة من طريق ابن جُرَيْج عن جعفر بن عمرو قال : كان المِرْبَدُ لسهل وسهيل ابني عمرو فأعطياه رسول الله صلى الله عليه وسلم فبناه ، وأعان أصحابه أو بعضهم بنفسه في عمله ، وكان على بن أبي طالب يرتجز وهو يعمل فيه ، قال : وبناه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين : بناء حين قدم أقل من مائة في مائة ، فلما فتح الله عليه خيبر بناء وزاد عليه مثله في الدور

زيادة النبي  
في مسجده

وروى الطبراني بإسناد فيه ضعيف عن أبي المليح عن أبيه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحب البقعة التي زِيدَتْ في مسجد المدينة — وكان صاحبها من الأنصار — فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لك بها بيت في الجنة » قال : لا ، فجاء عثمان فقال له « لك بها عشرة آلاف درهم » فاشتراها منه ، ثم جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اشتري مني البقعة التي اشتريتها من الأنصاري ، فاشتراها منه ببيت في الجنة ، فقال عثمان : إني اشتريتها بعشرة آلاف درهم ، فوضع النبي صلى الله عليه وسلم لبنة ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة ، ثم دعا عمر فوضع لبنة ، ثم جاء عثمان فوضع لبنة ، ثم قال للناس « ضَعُوا » فوضعوا

وروى الترمذي وحسنه في حديث قصة إشراف عثمان على الناس يوم الدار<sup>(١)</sup> عن ثُمَامَةَ بن حَزَن القُشَيْرِي أن عثمان رضى الله عنه قال : أنشدكم بالله وبالإسلام هل تعلمون أن المسجد ضاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ يَشْتَرِ بَقْعَةَ آلِ فُلَانٍ فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ ؟ فاشتريتها من صُلَيْبِ مَالِي ، فَأَتَمَّ الْيَوْمَ تَمَنُّعُونِي<sup>(٢)</sup> أَنْ أَصْلِيَ فِيهِارَكْتَيْنِ ، قَالُوا : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، الْحَدِيثَ ، وَأَخْرَجَهُ الدَّارِقُطْنِي أَيْضًا ، وَكَذَا أَحْمَدُ بِنَحْوِهِ .

وأخرجنا أيضا حديثا طويلا عن الأحنف بن قيس فيه : أن عثمان رضى الله عنه

(١) يريد إشرافه على الخارجين عليه في خلافته حين حاصروه ومنعوه الخروج إلى المسجد للصلاة فيه (٢) في المطبوعات « تمنعوني »

قال : أههنا على ؟ قالوا : نعم ، قال : أههنا طلحة ؟ قالوا : نعم ، قال : أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أمّن يبتاع مِرْبَدَ بنى فلان غفر الله له ، فابتعته بعشرين ألفاً أو خمسة وعشرين ألفاً ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : قد ابتعته ، فقال : أجعله فى مسجدنا وأجره لك ، قالوا : اللهم نعم .

وأخرج خيثمة بن سليمان فى فضائل عثمان عن قتادة قال : كانت بقعة إلى جنب المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَنْ يشتريها ويوسعها فى المسجد له مثلها فى الجنة ، فاشتراها عثمان ، فوسعها فى المسجد .

وأسند ابن زبالة عن خالد بن معدان قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن رَوَاحَة وأبى الدرداء ومعهما قصبة يذرعان بها المسجد ، فقال : ما تصنعان ؟ فقالا : أردنا أن نبني مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنيان الشام ، فيقسم ذلك على الأنصار ، فقال : هاتياها ، فأخذ القصبة منهما ، ثم مشى بها حتى أتى الباب ، فدحا<sup>(١)</sup> بها ، وقال : كلا ، ثمأم وخشيبات وظلة كظلة موسى ، والأمر أقرب من ذلك ، قيل : وما ظلة موسى ؟ قال : إذا قام أصاب رأسه السقف .

وروى البيهقى فى الدلائل من طريق يعلى بن شداد عن عبادة أن الأنصار جمعوا مالا فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله ابن بهذا المسجد وزينته ، إلى متى نصلى تحت هذا الجريد ؟ فقال : ما بى رغبة عن أخى موسى ، عريش كعريش موسى .

وروى البيهقى أيضاً عن الحسن فى بيان عريش موسى قال : إذا رفع يده بلغ العريش ، يعنى السقف .

وعن ابن شهاب : كانت سوارى المسجد فى عهد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) دحاها : رمى بها وألقاها

وسلم جذوعا من جذوع النخل ، وكان شقوقه جريداً وخصوصاً ليس على السقف كثير طين ، إذا كان المطر امتلاً المسجد طيناً ، إنما هو كهيئة العريش .  
وفي الصحيح في ليلة القدر : وإني أريتُ أني أسجد في ماء وطين ، فمن كان اعتكف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فإيرجع ، فرجعنا وما نرعى في السماء قزعة<sup>(١)</sup> فجاءت سحابة فطرت حتى سال سقف المسجد ، وكأنت من جريد النخل ، وأقيمت الصلاة ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد في الماء والطين ، حتى رأيت أثر الطين في جبهته .

### الفصل الثاني

في ذُرْعِهِ وَحُدُودِهِ التي يتميز بها عن سائر المسجد اليوم .  
اعلم أن الذراع حيث أطلق فللمراد به ذراع الآدمي ، وقد قدمنا في تحديد الحرم أنه<sup>(٢)</sup> ذراع غير ثمن من ذراع الحديد المستعمل بمصر وبمكة ، وهو شبران تقريباً ، وقد تحصلنا كما تقدم في ذرع المسجد على أربع روايات : الأولى : سبعون ذراعاً في ستين أو يزيد ، والثانية : مائة ذراع في مائة ، وأنه مربع ، والثالثة : أنه أقل من مائة ذراع ، وهذا صادق بالأولى فليحمل عليها ، الرابعة : أنه بناءً أولاً أقل من مائة في مائة ، ثم بناء وزاد عليه مثله في الدور ، ولا يصح أن يراد بذلك الأذرع قطعاً ؛ لأنها تقتضي أنه بعد البناء الثاني صار أحد امتداديه إما الطول أو العرض نحو مائتي ذراع ، والامتداد الآخر نحوها ، ولا شك أن حدَّ مسجده صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق غايته الحجرة الشريفة ، فعرضه من جدارها إلى جدار المسجد الغربي ، وذرع هذا القدر اليوم بعد الزيادات المجمع عاينها لا تبلغ مائة وخمسين ذراعاً كما اختبرته ، بل تنقص أزيد من ستة أذرع ، وقد أجمع المؤرخون على أن عمر وعثمان رضي الله عنهما زادا في المسجد من هذه الجهة ، ثم غيرها من الخلفاء ؛

---

(١) القزعة — بفتحات — القطعة من النجم ، وجمعها قزع

(٢) أي ذراع الآدمي



فالظاهر أن المراد من هذه الرواية الأشبار لا الأذرع ، فيقتضى أن المسجد النبوى بعد البناء الثانى صار أحدُ امتداديه مائتى شبر ، والامتداد الآخر نحوها ؛ فيوافق رواية مائة ذراع فى مثلها ، على أن ما ذكره المتأخرون من التحديد بالأمر الآتية يقتضى أنه لم يكن مائة ذراع ؛ فهو مقتضى لترجيحهم الرواية الأولى ، وهى سبعون ذراعا فى ستين ، وتكون السبعون للطول والستون للعرض .

وقد نقل النووى ذلك فى منسكه عن خارجه بن زيد أحد فقهاء المدينة السبعة ، ولفظه : بنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا فى ستين أوزيد ، وهو الذى جزم به ابن النجار فتال : بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده مر بعا ، وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وطوله سبعين ذراعا فى ستين ذراعا أوزيد ، انتهى .

هذا ، وقد قال يحيى قبيل ما جاء فى حُجَر أزواج النبیّ صلى الله عليه وسلم : حدثنى هارون قال : حدثنا محمد بن يحيى — يعنى صاحب مالك — قال : فيما كان انتهى إلينا من ذرعِ مسجد النبیّ صلى الله عليه وسلم من القبلة إلى حده الشامى أربعة وخمسون ذراعا وثلاثا ذراع ، وحده من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعا ، يكون ذلك مكسرا ثلاثة آلاف وأربعمائة وأربعة وأربعين ذراعا ، انتهى .

وقال ابن النجار : أعلم أن حدود مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم — أى الذى كان فى زمنه — من القبلة الدرايزينات التى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة ، ومن الشام الحشبتان المغروztان فى صحن المسجد ، وأما من المشرق إلى المغرب فهو من حجرة النبیّ صلى الله عليه وسلم إلى الأسطوان الذى بعد المنبر ، وهو آخر البلاط ، انتهى .

وفما ذكره ابن النجار مناقشة : أما ما ذكره من التحديد بالدرايزينات من جهة القبلة وبالحشبتين من جهة الشام ، فالحشبتان اليوم غير معروفتين ، وقد نبه

على فقديها الزينُ المِراغى ، وكلام المطرى يفهمه ، ولم أر لها ذكرا فى كلام المتقدمين ، نعم ذكر ابن زباله كلاما فيه غموض يقتضى تحديداً بعض جهات المسجد بعودين علّا السكبس على أحدهما ، وأن الآخر كان موجودا فى زمانه ، فلعل ذلك مأخذ ابن النجار ، وعبارة ابن زباله تنبؤ<sup>(١)</sup> عن ذلك ؛ إذ لم يذكرها فى حد جهة الشام ، والحد من هذه الجهة اليوم - على ما يعرف فى زماننا - الحجران الآتى ذكرهما فى صحن المسجد ، وسيأتى ما يقتضى رد ذلك

وذكر ذلك ابن جماعة فى منسكه فقال : قد عرّف المتأخرون مقدار المسجد الذى كان عليه أولا فقالوا : كان على التربع من الحجرة المقدسة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب ، ومن موضع الدرازين الذى هو بين الأساطين المتصل بالصندوق أمام المصلّى الشريف إلى موضع الحجرين المغروزين فى صحن المسجد الشريف ، انتهى . ومستنده فى ذلك قول المطرى فى الحجرين المذكورين يذكر أنهما حد المسجد من جهة الشام والمغرب ، قال : لكنهما ليسا على سمت المنبر الشريف ، بل هما داخلان إلى جهة المشرق بمقدار أربعة أذرع أو أقل ، وكذا متقدمان إلى القبلة بمثل ذلك ، قال : لأنى اعتبرت ذلك بالذرع فوجدتهما ليسا على ذرع المسجد الأول .

قلت : كونهما داخلين عن سمت المنبر إلى جهة المشرق بما ذكر لا يقدرح فى كونهما الحد المذكور؛ لأن المراد أن جهة المغرب هناك فى سمتهما ، كما أن المراد أن جهة الشام فى سمتهما ، لا أنها ما يحاذى الحجرين فقط ، ووقع الاستغناء عن تحرير ابتداء جهة المغرب بما تقدم له نقلا عن ابن النجار من الأسطوانة التى تلى المنبر من تلك الجهة ، كما استغنى بكون الحجرة الشريفة حده من جهة المشرق ؛ إذ لم يذكر حد لجهة المشرق مما يلى الحجرين فى جهة الشام ، وفى الحقيقة لم يقصد بهما سوى بيان جهة الشام ، على أنه يحتمل أن مقصد المسجد كان أعرض من

---

(١) تنبؤ : تبعد ، وأراد أنها لاتوافق

مؤخره كما هو موجود اليوم ، فيكون الحجران حده من جهة المغرب حقيقة ،  
وأما قوله إنهما متقدمان إلى القبلة بأربعة أذرع وإنهما ليسا على ذراع المسجد  
الأول يعنى السبعين التى ذكرها ابن النجار فقد بنّاه على ما قاله أيضا من أن  
الدرابزينات التى ذكرها ابن النجار من جهة القبلة متقدمة على موضع الحائط  
القبلى ؛ لأن الحائط القبلى كان محاذيا لمصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وإنما جعل هذا الصندوق الذى فى قبلة المصلى الشريف أى بين المصلى والدرابزينات  
سترة بين المقام الشريف وبين الأسطوانات ، قال : وورد أيضا أنه كان بين  
الحائط القبلى وبين المنبر ممر الشاة ، وبين المنبر والدرابزين اليوم مقدار أربعة  
أذرع وربع ذراع ، والمنبر لم يغير من جهة القبلة ، وكذا المصلى الشريف ، انتهى .  
فلم يعتبر الذرع من الدرابزينات

وقد اختبرتُ أنا ذلك بنفسى من الدرابزينات المذكورة إلى الحجرين  
المذكورين فكان سبعين ذراعا بذراع اليد المتقدم ذكره ، وقد قال ابن جماعة :  
إنه اختبر ذلك بذراع العمل فكان ستة وأربعين ذراعا وثلاث ذراع ؛ فهو  
موافق لذرعنا ، بل يرجح قليلا ؛ لأن ذراع العمل ذراع ونصف راجح من  
ذراع اليد .

وأما ما ذكره الراغى فى كتابه من الذرع فغير موافق لذرعنا ؛ لأنه اعتمد  
فى ذلك كما صرح به على ذراع المدينة الشريفة اليوم ، وقد اختبرته فوجدته يزيد  
على ذراع اليد الذى حررناه بأكثر من قيراط ، وقول المطرى « إن بين المنبر  
والدرابزين اليوم مقدار أربعة أذرع وربع » مخالف لما اختبرناه ؛ فإن بينهما  
ثلاثة أذرع ونصف بالذراع الذى حررناه ، لكن سيأتى أن المنبر اليوم ليس هو  
ذلك ، وأنه قد اتضح لنا عند الحفر لتأسيس المنبر الرخام الآتى ذكره صحة ما قاله  
المطرى ، وأن المنبر الذى أدركناه قديم عن محل المنبر الأصلى لجهة القبلة أزيد من  
نصف ذراع ، كما سنوضحه إن شاء الله تعالى .

وقد ذكر ابن زبالة ويحيى من طريقة نقلا عن غير واحد من أهل العلم تحديد المسجد الشريف من هذه الجهة فقالا : وعلامته في القبلة حروف المرمر الذى المنبر وسطه ، وعلامته من الشام أربعة طيقان من ناحية المشرق والمغرب ، وعلامة الطيقان الأربع أنهم مخضرات الأجواف بالفُسَيْفِساء كلهم .

قلت : والمرمر اليوم لا يظهر منه شيء . لكن يؤخذ من كلام ابن زبالة في وصف هذا المرمر أنه كان دكة مرتفعة حول المنبر قدر الذراع ، وأنه ممد من المغرب قدر ثلاثة أذرع ، ومن المشرق ثلاثة ، ومن القبلة ثلاثة ، فإنه قال : حدثني محمد بن إسماعيل قال : رأيت طَنْفِسة<sup>(١)</sup> كانت لعبد الله بن حسن بن حسن تطرح قبالة المنبر على مرمر كان هناك ، قال : فحبس عبد الله بن حسن سنة أربعين ومائة ، وبقيت الطنفسة بعده أياماً ، ثم رفعت ، قال : ثم إن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم لما ولي المدينة سنة خمسين ومائة في خلافة أبي جعفر نقض المرمر ووسعه من جوانبه كلها حتى ألحقه بالسوارى ، فكلمه أبو مودود عبد العزيز بن أبي سليمان أن يدع له مُصَلَّاه فتركه ولم يلحق المرمر بالأساطين المقدمة ؛ فالمرمر اليوم هو الذى عمل الحسن بن زيد ، والمرمر الذى حوّل المنبر المرتفع عن المرمر الذى عمل الحسن بن زيد بين ستة أساطين ثلاثة أذرع من قبل القبلة وثلاثة أذرع من قبل المشرق وثلاثة أذرع من قبل المغرب ، وهو مرتفع عن الأرض نحواً من ذراع ، انتهى .

وقال في موضع آخر : عَرَضُ المرمر الذى حول المنبر ثمانية أذرع ، وطوله ثمانى عشرة ذراعاً ، وسماه في موضع آخر رخاما ، وهو يطلق عليه لغة ، وسيأتى ذكر هذه الدكة التى المنبر فى وسطها عن ابن النجار حيث قال : وارتفاع الدكة التى المنبر عليها شبر وعقد ، فكان الكبس علا ؛ فإنها كانت ذراعاً في زمن ابن زبالة ، وفى زمن ابن النجار شبراً وعقداً ، ثم علا الكبس فلم يوجد اليوم ،

(١) الطنفسة - بكسر فسكون فكسر - البساط .

وقد ظهر أثرها وأثر الرخام المذكور عند حَفَر ما حول المنبر الشريف ، وشاهدتُ الرخام الذى فى قبلته كما سيأتى ، وتلخص من هذا أن الممر كان فى جهة القبلة ثلاثة أذرع بعد المنبر ، والظاهر أن عَرَضَ جدار المسجد الشريف أدخل فى ذلك من جهة القبلة ؛ فقد روى يحيى فى ترجمة ما جاء فى زيادة الوليد أن عمر بن عبد العزيز أحضر رجلاً من قريش فأرَّوهُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [و] الذى زاد فيه عمر ، والذى زاد فيه عثمان ، فعلم عمر بن عبد العزيز المسجد الأول الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان جدار القبلة من وراء المنبر ذراعاً وأكثر من ذراع . وروى ابن زبالة أخباراً تتضمن أن جدار القبلة كان بينه وبين المنبر قدر ممر العَنَزِ ، وفى العتبية ممر الرجل منحرفاً ، وفى الصحيح عن سهل : كان بين مصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة . وفيه أيضاً عن سلمة : كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة تجوزه ؛ فتعين ما أشرنا إليه من إدخال جدار المسجد فى ذلك الممر الذى جعل علامة فى جهة القبلة ، وأما الطاقات الأربع التى ذكرها علامة لنهاية المسجد من جهة الشام فغير معروفة اليوم ، إلا أنه سيأتى فيما نقله المرجانى عن الحارث الحاسبى ما يبين محلها .

وأما الجواب على ما ذكر المطرى من كون الدرابزينات متقدمة فالظاهر أن ابن النجار فهمَ أن المراد إدخال عرض الجدار الذى كان موجوداً فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، لما تقرر عندنا من أن جدار المسجد من جملة المسجد ، ويؤيده ما تقدم من التحديد بالمرمر من تلك الجهة ، وما سيأتى فى الفصل الثانى عشر من رواية أحمد عن نافع أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد من الأسطوانة — أى التى عند المصلّى الشريف — إلى المقصورة ؛ لأن ذلك هو الرواق الذى بين الأساطين التى فى قبلة الروضة وبين الأساطين التى تليها فى القبلة . وقد قال المراغى : إن الذى ظهر له أن الصندوق الذى فى قبلة المصلّى الشريف جعل فى

مكان الجدار القديم ، ويشهد له ماسياتى عن يحيى فى ذريع ما بين المصلى الشريف وجدار القبلة اليوم ، لكن عرض هذا الصندوق ذراعان ، وبينه وبين الدرابزين أرجح من نصف ذراع ، وذلك فيما يظهر أزيد من عرض الجدار القديم بنحو الذراع ؛ لأنى شاهدت لبناً أخرج من جدران الحجرة الشريفة فى العمارة التى أدركناها أولاً يزيد فى الطول على الذراع ، وعرضه نصف ذراع ، وسمكه ربع ذراع ، وفيه شئ مرتفع طوله وعرضه وسمكه واحد ، وكل ثنتين منه طول لبنة بما قدمناه ، والذى يظهر أنه كان من بقايا لبن الحجرة الشريفة التى كانت مبنية به أولاً جعل للتبرك لأنه أتى غير مستو ، والجدار مبنى بالحجارة الوجوه المحكمة وبالقصبة ؛ فلا يناسبه وضع ذلك فيه ، ولهذا جعل بين الحجارة الوجوه فى أعلى الجدار ، وقد تقدم أن الذى استقر عليه عرض الجدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم الأثنى والذكر ، وهما لبنتان مختلفتان ، واللبنتان المختلفتان من هذا اللبن الذى رأيناه أو اللبنة ونصف الأخرى وهو السعيدة يزيد على ذراع ونصف يسيراً ، فيكون ذلك هو عرض الجدار فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، ويشهد له ما شاهدناه أيضاً فى عرض جدار الحجرة الشريفة على ما سذكروه ، ثم اتضح الحال بظهور المرمم الذى فى قبلة المنبر ؛ فإننا وجدنا بينه وبين الدرابزين المذكور أرجح من ذراع ، وبينه وبين طرف محل المنبر الأصى من جهة القبلة ثلاثة أذرع سواء ، كما ذكر ابن زبالة ؛ فذلك هو عرض الجدار مع ما كان بين المنبر وبينه .

وأما ما ذكره ابن الفجار من التحديد بالأسطوانة التى تلى المنبر من جهة المغرب وأنها آخر البلاط وبالحجرة الشريفة من جهة المشرق ؛ فالبلاط الذى ذكره لا يوجد اليوم ، وكأنه يريد به الرخام الذى كان المنبر وسطه ، وقد عبر عن ذلك ابن جماعة كما تقدم بقوله : من الحجرة إلى مكان السارية السابعة من جهة المغرب ، فإن السابعة من صف الأساطين المذكورة هى التى تلى المنبر من

المغرب إن عَدَدَنَا الأُسْطُوَان المِلاصِق للحِجْرَة ، ولم أرَ لِمَا ذَكَرَهُ ابنُ جَمَاعَة مُسْتَنْدَأً فِي كَلَامِ المؤرِّخِينَ سِوَى مَا ذَكَرَهُ ابنُ النِّجَارِ ؛ فَيَتَعَيَّنُ الحِجْلُ عَلَى الأُسْطُوَانَة المَذْكُورَة ، وَقَدْ ذَرَعْتُ مَا بَيْنَ الأُسْطُوَانَة الَّتِي تَلِي المَنْبِرَ عِنْدَ ظَهْرِهِ مِنَ المَغْرِبِ إِلَى حَاضِرِ عمرِ بنِ عبدِ العَزيزِ الَّذِي دَاخِلُهُ الحِجْرَة الشَّرِيفَة بِمَقْطُ ؛ فَكَانَتْ مِسَاحَتُهُ سَبْعَةً وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا وَنِصْفَ ذِرَاعٍ رَاجِحٍ ، وَعَرَضُ الحَاضِرِ المَذْكُورِ ذِرَاعٌ وَرَبْعٌ رَاجِحٍ ، كَمَا تَحَرَّرَ لِي عِنْدَ عِمَارَةِ مَا نَقَضَ مِنْهُ ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جِدَارِ الحِجْرَة مِنَ هَذِهِ الجِهَةِ فِضَاءٌ أَصْلًا ، بَلْ هُوَ لَاصِقٌ بِهِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَفْرَزٌ إِبْرَة خِلَافَ مَا ذَكَرَهُ المؤرِّخُونَ ؛ فَيَكُونُ مَا بَيْنَ الأُسْطُوَانَة المَذْكُورَة والحِجْرَة الشَّرِيفَة تِسْعَةً وَخَمْسُونَ ذِرَاعًا يَنْقُصُ يَسِيرًا ، وَكَأَنَّ ابنَ النِّجَارِ جَرَى عَلَى قَوْلٍ مِنْ تَقْدِمِهِ مِنَ المؤرِّخِينَ فِي أَنَّ بَيْنَ الحَاضِرِ وَجِدَارِ الحِجْرَة فِضَاءٌ مِنْ هَذِهِ الجِهَةِ ، وَظَنُّ أَنَّ عَرَضَ الحَاضِرِ أَكْثَرَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ ؛ فَجَعَلَ نِهَايَةَ قَوْلِهِمْ فِي عَرَضِ المَسْجِدِ سِتِينَ ذِرَاعًا أَوْ يَزِيدُ إِلَى الأُسْطُوَانَة الَّتِي تَلِي المَنْبِرَ أَوْ أَنَّ ذَلِكَ القَدْرَ النَاقِصَ لَتَفَاوُتِ الأُذْرَعَةِ ، عَلَى أَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ ابنَ جَمَاعَة لَمْ يَحْتَسِبِ الأُسْطُوَانَة اللَّاصِقَةَ بِالحِجْرَة ، وَأَنَّهُ جَعَلَ السَّارِيَةَ السَّابِعَةَ هِيَ الَّتِي تَلِي السَّارِيَةَ الَّتِي تَلِي المَنْبِرَ فِي جِهَةِ المَغْرِبِ ، وَهِيَ الثَّانِيَةُ مِنَ المَنْبِرِ فِي تِلْكَ الجِهَةِ ، فَإِنَّهُ قَالَ : إِنَّهُ ذَرَعَ مَا بَيْنَ الأُسْطُوَانَة السَّابِعَةِ إِلَى حَاضِرِ الحِجْرَة الشَّرِيفَة فَكَانَ ذَلِكَ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ذِرَاعًا وَثَلَاثِينَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ العَمَلِ .

قُلْتُ : وَقَدْ اعْتَبَرْتُ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الذَّرْعِ بِذِرَاعِ العَمَلِ — فَرَأَيْتُهُ يَنْتَهِي إِلَى الأُسْطُوَانَة الثَّانِيَةِ مِنَ المَنْبِرِ فِي جِهَةِ المَغْرِبِ ، وَذَرَعْتُهُ بِذِرَاعِ اليَدِ الَّذِي حَزَرْنَاهُ فَكَانَ خَمْسًا وَسِتِينَ ذِرَاعًا ، وَهُوَ مُطَابِقٌ لِمَا قَالَهُ ابنُ جَمَاعَة وَلِمَا اخْتَبَرْنَاهُ بِذِرَاعِ العَمَلِ ؛ لِأَنَّ ذِرَاعَ العَمَلِ ذِرَاعٌ وَثَلَاثُ مِنْ ذِرَاعِ الحَدِيدِ المُسْتَعْمَلِ بِمِصْرَ ، وَذَلِكَ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ قِيرَاطًا ، وَالذِّرَاعُ الَّذِي حَزَرْنَاهُ أَحَدُ وَعِشْرُونَ قِيرَاطًا ، فَذِرَاعُ العَمَلِ ذِرَاعٌ وَنِصْفُ قِيرَاطٍ بِالذِّرَاعِ الَّذِي حَزَرْنَاهُ ، وَقَدْ مَالَ المِرَاغِي إِلَى اعْتِبَارِ التَّحْسِيدِ بِهَذِهِ الأُسْطُوَانَة — أَعْنَى الثَّانِيَةَ مِنَ المَنْبِرِ — فَإِنَّهُ ذَكَرَ عَدَمَ وَجُودِ البِلَاطِ اليَوْمَ ،

ثم قال : لكنني اعتبرت ذَرَعَهُ من المشرق إلى المغرب على رواية يحيى ثلاثة وستين ، وهي من أقل الروايات ؛ فكان من جدار الحجرة الشريفة يعنى الحائز الظاهر إلى الاسطوانة الثانية من المنبر لا التي بعده ستون ذراعا تقريبا ، قال : وعلى هذا يكون عرض جدار عمر بن عبد العزيز وما بينه وبين جدار الحجرة الشريفة الأصلي ثلاث أذرع تقريبا ، انتهى . ولا يخفى ما فيه ؛ لأنه جعل المسافة المذكورة ستين ذراعا تقريبا وهي خمسة وستون تحريرا ، وتبع من تقدمه من المؤرخين في ثبأت فضاء بين حائز عمر بن عبد العزيز وجدار الحجرة ، فحمن أن ذلك مع عرض الحائز ثلاثة أذرع ، وقد علمت أن عرض الحائز ذراع وربع يرجح يسيرا ، وليس بينه وبين جدار الحجرة شيء

وقد روى ابن زبالة ويحيى من طريقه أشياء في تحديد المسجد وذَرَعَهُ يقتضى أن جدار المسجد الشريف في زمنه صلى الله عليه وسلم من جهة المشرق لم ينته إلى حائز عمر ابن عبد العزيز ، بل الحائز وبعض ما يليه من المغرب في موضع حجرة عائشة رضى الله عنها ، وأن جدار حجرة عائشة كان فيما بين الأساطين اللاصقة بجدار القبر وبين الأساطين التي بينها المقصورة الدائرة على الحجرة الشريفة ، وأنه صلى الله عليه وسلم كان قد بنى المسجد أولا وجعله ثلاث أساطين عن يمين المنبر في المغرب وثلاث أساطين عن يساره في المشرق ، وأن نهايته من جهة المشرق كانت أولا أسطوان التوبة ؛ لأنها تكون في موضع الجدار بعد الأساطين الثلاث ، وأن مساحة ذلك من المشرق إلى المغرب ثلاث وستون ذراعا ، وقيل : خمس وخمسون ، وأنه زاد فيه بعد ذلك من المشرق والمغرب ، ومع ذلك لم ينته زيادته في المشرق إلى موضع حائز عمر بن عبد العزيز ، وأنه لم يزد فيه من جهة القبلة ولا من جهة الشام

قلت : وهو موافق لما روى أنه كان مائة ذراع كما سنبينه ، ويرجح عندي أن المنبر الشريف يكون حينئذ متوسطا للمسجد ؛ إذ يبعد أنه صلى الله عليه وسلم لا يتوسط أصحابه ويقف على منبر في طرفهم ، وكون المسجد النبوى لا ينتهى



إلى موضع حائز عمر بن عبد العزيز كما قدمناه خلاف ما عليه متأخرو المؤرخين ، لكنه حسن ؛ إذ يبعد أن يبنى عمر بن عبد العزيز حائزه في شئ من المسجد ، وينتقص الروضة الشريفة به ، حاشاه من ذلك ، والذي صح أن محل القبور الشريفة في صفة بيت عائشة ، ولا بد للصفة من مرافق ، فيظهر أن الحائط الذى فى جوف الحائز هو حائط الصفة ، والحائز فيما خرج عنها من بقية البيت

ثم ظفرت فى كلام المرجاني نقلا عن الحارث المحاسبي بما يصرح بذلك ، لما سيأتى من أنه ذكر فى تحديد المسجد ستة أساطين من جهة شرق المنبر ، ثم قال : والروضة ما بين القبر والمنبر ، فما كان منها فى الأسطوانة السادسة التى حددت لك عن يمين المنبر فليس من المسجد الأول ، وإنما كان من حجرة عائشة رضى الله عنها فوسع به المسجد ، وهو من الروضة ، انتهى

ولنورد عبارة ابن زبالة فإن يحى روى ذلك عنه من غير زيادة ولا مخالفة مع ما فيها من أشياء لا تعرف اليوم ، ولكن إفادة هذه الأمور الغربية التى لم يذكرها متأخرو المؤرخين اقتضت إيرادنا لذلك فنقول : أسند ابن زبالة عن عبيد بن عمر بن حفص بن عاصم أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين مما يلى المشرق ، وثلاث أساطين مما يلى المغرب ، سوى ما خرج فى الرحبة أى الأساطين المصنوفة من الرحبة إلى القبلة ، ولولا ما سيأتى من التصريح بأن هذه الست كانت ثلاثة منها على يمين المنبر وثلاثة عن يساره — يعنى فى البناء الأول — لحملنا ذلك على أن ابتداء هذه الست من الأسطوانة التى تلى المنبر ؛ فيكون نهايتها الأسطوانة التى يلى أسطوانة التوبة ، ويكون جدار الحجرة بعدها ، فيوافق التحديد المتقدم ، لكنه قال عقبه : وقال جمهور الناس من أهل العلم وغيرهم : هو إلى الفرضتين اللتين فى الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي فى القبر

قلت : لاتعرف اليوم فى المسجد القديم مربعة غربية ، غير أن الذى ظهر لى - من مقابلتها بمربعة القبر ومما سيأتى فى بيان الحائز الذى عمل لمنع ماء المطر أن يغشى المسقف القبلى - أنها الأسطوانة العظيمة المثلثة اليوم فى المسقف القبلى ، فإنها كانت ركن رحبة المسجد فى هذا المسقف من جهة المغرب ، كما أن مربعة القبر كانت ركن الرحبة فى جهة المشرق ، قبل زيادة الرواقين اللذين ذكرهما فى المسقف القبلى كما يؤخذ من مواضع فى كلام ابن زبالة ويحيى ، والذى يظهر أن تثمين الأسطوانة المذكورة حادث ، وإنما كانت مربعة ، كما تمنوا ما ظهر من مربعة القبر وما بلى الحجرة منها باقى على تربيعة ، ومربعة القبر هى التى فى نهاية الصفحة الغربية من الحائز الدائر على الحجرة من جهة الشام ، وتعرف بأسطوان مقام جبريل عليه السلام كما سيأتى إيضاحه ، والأسطوان التى دونها هى الملاصقة بالشباك الدائر على الحجرة اليوم ، وهى بين المربعة وبين أسطوان الوفود ؛ فيكون جدار الحجرة على هذا كان فيما بين مربعة القبر والتى يليها

قال ابن زبالة عقب ما قدمناه عنه : واحتجوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى المسجد فى موضع مجلس بنى عبد الرحمن بن الحارث ، وأن عائشة رضى الله عنها كانت تَرْجُلُ رأسه وهو معتكف فى المسجد وهى فى بيتها ، وكان مالك بن أنس يقول : الجدار من المشرق فى حد القناديل التى بين الأساطين التى فى صفها أسطوان التوبة وبين الأساطين التى تلى القبر ، وأرْفَعُ<sup>(١)</sup> عمر بن عبد العزيز من ورائها فى الأسطوانة التى تلى القبر

قلت : ما نقله عن مالك صريح فيما قدمناه من أن جدار المسجد الشرقى كان فيما بين الأساطين اللاصقة بالقبر وبين الأساطين المقابلة لها ؛ فيكون فى محاذة القناديل الآخرة من القبلة إلى الشام فيما بين هذه الأساطين ، ويكون عمر بن

---

(١) الأرفة — بالضم — هى الحد بين الأرضين ، وعدم معرفة المصنف معنى هذه الكلمة كما سيذكره ( ص ٣٥٢ ) دليل على أن قراءتها تصحفت عليه .

عبد العزيز أخره إلى الأسطوان اللاصق بجدار القبر ، وسيأتى ما يصرح بذلك من كلام المحاسبى أيضا وأما قوله « واحتجوا إلى آخره » فوجه الاحتجاج أن معتكفه صلى الله عليه وسلم كان لاصقا بحجرته ، بحيث إن عائشة رضى الله عنها كانت ترجل رأسه وهو فى مُعْتَكَفِهِ وهى فى بيتها ، ولهذا أورد ابن زبالة عقبه حديث « كان يدنو منى وأنا حائض فأرجله وهو فى المسجد » ومجلس بنى عبد الرحمن بن الحارث الذى ذكره ابن زبالة لا يعرف اليوم ، وروى ابن زبالة ويحيى فى بيان معتكفه صلى الله عليه وسلم أشياء أسند كرها إن شاء الله تعالى ، والمناسب لما نحن فيه منها : أنه كان النبى صلى الله عليه وسلم سرير من جريد فيه سَعْفُهُ يوضع بين الأسطوان التى وُجَاهَ القبر<sup>(١)</sup> وبين القناديل ، كان يضطجع عليه صلى الله عليه وسلم وقوله « التى وُجَاهَ القبر » يريد به المواجهة له ، وهى اللاصقة بشباك الدائر على الحجرة اليوم فى صف أسطوان التوبة ، بل قيل : إنها أسطوان التوبة كما سيأتى ، وهذا مطابق لما ذكره مالك من أن الجدار كان فى حد القناديل المذكورة .

وأُسند ابن زبالة أيضا عن غير واحد من أهل العلم أن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ثلاث أساطين عن يمين المنبر وأنت مستقبل القبلة فى موضع معتكف حسن بن زيد الذى كان يعتكف فيه ، ومن الشق الآخر إلى أسطوان التوبة ، وكان ذرعه من المشرق إلى المغرب ثلاثة وستين ذراعا ، وقال عبد الرحمن ابن سعد عن أشياخه : كان خمسين فى خمسين .

قلت : فيكون الحَجَرُ التى فى شرقى المسجد أدخلت بعد أو بعضها فى الزيادة الآتية أو أنها لم تستقر فى شرقه إلا بعد ذلك .

ثم قال ابن زبالة : قالوا : وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم - أى الذى بنى عند مقدمه من مكة - وذكر علامات كانت فى السقف المحترق والفسيفساء التى زالت فلا تعرف اليوم ، ثم قال : وعلامة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى بنى عند مقدمه من خير قالوا : ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد من القبلة فى تلك البنية على حده الأول ، وزاد فيه من ناحية المشرق إلى الأسطوان التى دون

(١) وجاه القبر : فى مواجهته

المربعة التي عند القبر، وعلامة تلك الأسطوان أن لها نجافاً<sup>(١)</sup> طالماً في الرحبة من بين الأساطين ، ومن المغرب إلى الأسطوان التي تلي المربعة التي لها نجاف<sup>(٢)</sup> أيضاً من بين الأساطين ، وظهر ذلك أي حد المسجد بحجارة ، وعبارة يحيى : وقد صمد بحجارة تحت الحصباء ، منها أرفة عند الأسطوان التي بين أسطوان التوبة وبين القبر في صف الأسطوان التي لها نجاف ، ومن المغرب مثل ذلك بأرفة حجارة في الأرض مبنية ، وترك مما يلي الشام لم يزد فيه ، انتهى كلام ابن زباله بحروفه .  
وقوله « ومن المغرب مثل ذلك » أي ظهر الحد بأرفة حجارة في الأرض ، ولا أدري معنى قوله بأرفة<sup>(٣)</sup> .

وذكر ابن زباله أيضاً في موضع آخر ذَرَعَ مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان في زمنه ، يعنى ما استقر عليه في آخر الأمر ، ثم قال : وحده من شرق المنبر أربع أساطين ، ومن غربيه أربع أساطين ، انتهى .  
والعجب من ابن النجار فَمَنْ بعده من المؤرخين حيث لم يتعرضوا لهذا ، لكن ابن النجار اعتذر في أول كتابه بأنه كان مجاوراً بالمدينة ، ولم تكن كتبه حاضرة عنده ، وذكر ما يقتضى أنه كتب ذلك مما علق بفكره ، والمطرى جرى على منواله ، وابن زباله ويحيى عمدة في ذلك ؛ فإنهما أقدم من أرخ للمدينة لأن ابن زباله هو محمد بن الحسن أحد أصحاب الإمام مالك بن أنس ، ويؤخذ من كلامه أنه وَضَعَ كتابه في صفر سنة تسع وتسعين ومائة ، وأما يحيى فهو من أصحاب أصحابه ، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين عن ثلاث وستين سنة ، وأما ابن شبة فكان معاصراً ليحيى وقبله بيسير ، ولم أظفر من كتابه بهذا الحل المشتغل على ذكر المسجد ، ولو ظهرت به لكان الشفاء ؛ فإنه يوضح الأمور إيضاحاً تاماً ، وهو إمام ثقة ، وابن زباله وإن كان ضعيفاً لكن اعتضد بموافقة يحيى له وروايته لكلامه من غير تعقيب .

(١) أصل النجاف - بزنة الكتاب - عتبة الباب ؛ فالمراد هنا أن لهذا الأسطوان دكا في الأرض تعتمد عليه وتعرف به  
(٢) قد ذكرنا لك أن الأرفة بضم الهمزة الحد الذي تحد به الأرضون

ثم ظفرتُ في كلام المرجاني نقلا عن المحاسبي بما يوافق كلامه ؛ فهو العمدة عندي .

قال المرجاني : قال الحارث بن أسد المحاسبي : حد المسجد الأول ستة أساطين في عرضه عن يمين المنبر إلى القناديل التي حذاء الخوذة ، وثلاث سَوَارٍ عن يساره من ناحية المنحرف منه ، ومنتهى طوله من قبلته إلى مؤخره حذاء تمام الرابع من طيقتان المسجد اليوم : أى في زمنه ، وما زاد على ذلك فهو خارج عن المسجد الأول ، قال - يعنى المحاسبي - : وقد روى عن مالك أنه قال : مؤخر المسجد بحذاء عضادة الباب الثانى من الباب الذى يقال له باب عثمان ، أعنى العضادة الآخرة السفلى ، وهو أربع طيقتان من المسجد ، ثم قال : والروضة ما بين القبر والمنبر ، إلى آخر ما قدمناه عنه .

وقوله « عن يمين المنبر » أى في جهة المشرق ، لما سبق عنه خلاف ما تقدم في كلام ابن زبالة ، فإنه عنى يمين مستقبل المنبر ، والطيقتان التي ذكرها لها ذكر في كلام ابن زبالة ويحيى كما تقدم ، وهى غير موجودة اليوم ، والباب الثانى من باب عثمان هو المعروف اليوم بباب النساء ؛ فهو صريح في ردّ ما تقدم من تحديد جهة الشام بالحجرين الموجودين اليوم في صحن المسجد ، ومؤيد للرواية المتقدمة في الذرع ، وهى رواية مائة ذراع في مائة ذراع ؛ لأنه يقرب من ذلك .

وقد تحصّلنا من هذا مع ما تقدم عن المتأخرين على خلاف في نهاية المسجد النبوى من جهة المغرب .

فأحد الأقوال : أنه إلى الأسطوانة التي تلى المنبر من تلك الجهة ، وهو الذى عوّل عليه ابن النجّار ومن اتبعه .

والثانى : أنه إلى التي تليها ، وهى الثانية من المنبر من تلك الجهة أيضا ، وهما بعيدان .

والثالث : أنه إلى الأسطوانة الثالثة من المنبر في تلك الجهة ، وقد اقتضى كلام ابن زبالة أن ذلك حد المسجد قبل زيادة النبي صلى الله عليه وسلم فيه ، خلاف ما يظهر من كلام المحاسبي .

والرابع : أنه إلى الأسطوانة الرابعة من المنبر ؛ لما تقدم من أنه كان على ثلاثة أساطين عن يمين المنبر ؛ فيكون جداره الغربي في موضع الأسطوانة الرابعة في صفها من جهة القبلة أسطوان مربع من أسفله رفع عن الأرض بقدر الجلسة ، وفي صفه من جهة الشام أسطوان محراب الحنفية المحدث .

والخامس : أنه إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر ؛ لما تقدم من أن النبي صلى الله عليه وسلم زاد فيه بعد فتح خيبر من جهة المغرب بقدر أسطوان آخر ، كما يؤخذ مما تقدم ، ولما صرح به ابن زبالة كما قدمناه أيضا حيث قال في حده : وعن غريبه أربع أساطين ؛ فينتهي حده إلى الأسطوانة الخامسة من المنبر ، وهي التي تلي الأسطوانة المذكورة في جهة المغرب في صفها ، وهي أربعة من أسفلها بقدر الجلسة أيضا ، وفي صفها من جهة الشام الأسطوان التي تلي محراب الحنفية من جهة المغرب ، فهاتان المربعتان هما اللتان يتردد فيما يكون منهما في موازاة حد المسجد النبوي من جهة المغرب ، وقد ذهب تربيعهما في العمارة المتجددة في زماننا بعد الحريق ؛ والمربعة الثانية - أعني الخامسة من المنبر - هي التي يترجح عندى أيضا ؛ لأن تجاهها في حائط القبلة طراز آخذ من السقف نازل إلى العصابة السفلى الظاهرية ، لكنه انقشر بعضه عند إصلاح العصابة العليا وتبييض الجدار في العمارة التي أدركناها أولا ، وذهب منه ما كان بين العصابتين ، وبعض ما فوق العليا ، وبقي منه ما بين العصابة العليا والسقف ، ثم ذهب بقيته في الحريق الحادث في زماننا ، وبقي موضعه أصباغ ملونة في الجدار من صناعة الأقدمين ، وقد ذهب ذلك عند هدم الجدار القبلي ؛ فالظاهر أنه علامة نهاية

المسجد النبوى من هذه الجهة ، خلاف ما سيأتى عن المطرى فى جعله علامة  
لنهاية زيادة عثمان رضى الله عنه ؛ لوجوه :

الأول : أنى ذرعت من الأسطوان التى المنبر إلى الأسطوان المحاذية لهذا  
الطراز ؛ فكان ذلك سبعا وثلاثين ذراعا ، فإذا أضفنا ذلك إلى الذرع المتقدم  
فيما بين الأسطوان التى تلى المنبر وبين الحجرة الشريفة ، وهو نحو الستين ذراعا  
كما تقدم ، فارب ذلك المائة التى تقدمت الرواية بها .

الثانى : أنه يبعد أن يجعل هذا الطراز لزيادة عثمان رضى الله عنه كما  
زعمه المطرى ، ويترك التعليم للمسجد الأصيل والاعتناء به أشد . وقد قال  
ابن زبالة : إن له علامات فى الفسيفساء ، والظاهر أن الفسيفساء لما زالت  
جعل هذا بدلها .

الثالث : أنه سيأتى أن عمر لما زاد فى المسجد جعل عرضه مائة وعشرين  
ذراعا ، وأنه لم يزد فيه من جهة المشرق شيئا ؛ فيكون نهاية المسجد فى زمنه من  
جهة المشرق الحجرة الشريفة ، وقد علمت أن من الحجرة الشريفة إلى ما يحاذى  
الطراز المذكور ينقص عن المائة ، فكيف يكون نهاية زيادة عثمان ؟ وعثمان قد  
زاد أسطوانا من جهة المغرب على زيادة عمر ، فلو كان ذلك الطراز نهاية زيادة  
عثمان لزم أن يكون عرض المسجد فى زمن عمر نحو التسعين ، ولا قائل به .

الرابع : أنه سيأتى أن عثمان رضى الله عنه لم يزد فى جهة المغرب غير أسطوانة  
واحدة ، وأن زيادة الوليد من المغرب أسطوانتان ، ولا شك أن من الأسطوانة  
التي تحاذى الطراز المذكور إلى جدار المسجد الغربى خمس أساطين ، فإذا سقط  
منها ثلاث أساطين لعثمان رضى الله عنه وللوليد بقى أسطوانتان لزيادة عمر  
رضى الله عنه ، وهما يقربان من عشرين ذراعا التى زادها عمر رضى الله عنه على  
المائة كما سيأتى .

الخامس : أن موضع المنبر لم يغير كما سيأتى ، ويبعد كلَّ البعد أن يجعل النبي صلى الله عليه وسلم موضع منبره فى طرف مسجده ولا يتوسط أصحابه فى حال قيامه .

السادس : أنه سيأتى أن عمر رضى الله عنه زاد فى المسجد شيئا من دار العباس وأن ما بقى منها زاد عثمان رضى الله عنه بعضه ، وما بقى دخل فى دار مروان بن الحكم . وروى يحيى فى قصة زيادتها ما يصرح بأنها كانت ملاصقة بجدار المسجد النبوى ، بل روى أنه كان لها ميزاب يصب فيه ، وقد نقل يحيى أنها كانت فيما بين الأسطوان المربعة التى تلى دار مروان بن الحكم ، أى والباب الذى يلى دار مروان ابن الحكم ؛ لما تقدم من دخول بعضها فى دار مروان ؛ فوجب أن تكون المربعة المذكورة أول دار العباس وآخر المسجد النبوى .

السابع : ما قدمناه من أن المربعة الغربية إذا أطلقت ، فالمراد بها الأسطوانة التى كانت ركن صحن المسجد فى المغرب عند نهاية المسقف القبلى قبل زيادة الرواقين الآتين فيه ، وهى المثمنة اليوم ؛ فهى المرادة بما تقدم عن الجمهور من أن المسجد النبوى كان إلى الفرضتين اللتين فى الأسطوانتين اللتين دون المربعتين الغربية والتي فى القبر كما نقله ابن زبالة ، ولا شك أن الأسطوانة الخامسة من المنبر فى جهة المغرب دون المربعة المذكورة ؛ لأن المربعة المذكورة هى السادسة من المنبر ، فوضح أنها المراد بذلك ، فيكون الجمهور على رواية أن المسجد كان مائة فى مائة ، ومما يرجح هذه الرواية أيضا ما تقدم عن الحاسبى من تحديد مؤخر المسجد الأول نقلا عن مالك بمضادة الباب الثانى من باب جبريل - وهو باب النساء - وما سيأتى من أن باب الرحمة - ويعرف بباب عاتكة - لم يغيره عمر رضى الله عنه ، يعنى أنه نقله فأخره فقط وجعله فى تجاه الباب الأول ، لأنه زاد فى المسجد من جهة المغرب ، وبين باب الرحمة وبين الحجرين اللذين ذكر أنهم ماحد المسجد



من جهة الشام تفاوت ظاهر؛ لتأخره عن موازاتهما كثيرا، وكأنهما إنما جعلتا هناك تميزا لفوهتي بالوعة عندهما الحجران المذكوران هناك؛ فالذي يترجح في النقد رواية المائة وما ذكرناه من التحديد، ويحتمل أن ابن النجار لما رأى اختلاف الروايات أراد الأخذ بالأقل لأنه المحقق فذكر التحديد المتقدم، وتبعه من بعده، على أنه اعتذر في أول كتابه بغيبه كتبه، وأن الحفظ قد يزيد وينقص، ولما اتضح ذلك للعقري الشجاعى شاهين الجمالى ناظر الحرم الشريف النبوى وشاد عمائر وشيخ خدامه اتخذ لأعلى الأسطوانة الخامسة من المنبر من صف الأساطين التى فى قبلة المنبر طرازاً متصلاً بالسقف منقوشاً فيه أن ذلك هو الذى استقر عليه الأمر فى نهاية المسجد النبوى وحده، فالله تعالى يوفقه للمداومة على حفظ الحدود، ويلحقه بالمقر بين الشهود.

ويتفرع على ذلك مسألة ذكرها النووى فقال فى شرح مسلم والمناسك وغيرها: إن الصلاة إنما تتضاعف فى المسجد الذى كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم دون بقية الزيادات، ولم يحك غيره، لكن الخطيب بن حملة نقل عن المحب الطبرى أن المسجد المشار إليه فى حديث المضاعفة هو ما كان فى زمنه صلى الله عليه وسلم مع ما زيد فيه، لأخبار وآثار وردت فى ذلك، واستحسنه ابن حملة على ما ذهب إليه النووى فى كتبه من التخصيص، مع أن البرهان ابن فرحون نقل فى شرحه لابن الحاجب الفرعى أنه لم يخالف فى هذه المسألة غير النووى، وأن الشيخ محب الدين الطبرى نقل فى كتابه الأحكام أن النووى رجع عن ذلك، قال: ونقل أبو عبد الله بن فرحون فى شرح مختصر الموطأ أنه وقف على كتاب من كتب المالكية فيه أن مالكاً سئل عن ذلك فقال: ما أراه عليه السلام أشار بقوله: « فى مسجدى هذا » إلما سيكون من مسجده بعده، وأن الله أطلعه على ذلك، انتهى.

قلت : أما قوله « إنه لم يخالف في ذلك إلا النووى » فمنوع ؛ فقد نقل ذلك ابنُ الجوزى في الوفاء عن ابن عقيل الحنبلى ، وأما ما نقله عن الأحكام للطبرى فقد راجعتها فرأيتَه ترجم لبيان أن مسجده صلى الله عليه وسلم المشار إليه بالترفضيل هو الموجود في زمنه مع ما زيد فيه ، وأورد بعضَ الأخبار الآتى ذكرها في آخر الفصل الثانى عشر ، ثم قال : وقد يتوهم بعضُ مَنْ لم يبلغه ذلك قَصْرَ الفضيلة على الموجود في زمنه صلى الله عليه وسلم لمكان الإشارة ، وقد وقع ذلك لبعض أئمة العصر ، فلما رويت له ما سبق جَنَحَ إليه وتلقاه بالقبول ، انتهى .

فكان ابن فرحون فهم أن المراد من قولهم « بعض أئمة العصر » النووى .

وأما ما حكاه عن مالك فقد نقله الأقشهري في روضته عن عبد الله بن نافع صاحب مالك عن مالك ، ولفظه في أثناء كلامه : قيل له — أى لمالك — فخذُ المسجد الذى جاء فيه الخبرُ هو على ما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أو على ما هو الآن ؟ قال : بل هو على ما هو الآن ، قال : لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرَ بما يكون بعده ، وزُوِيَتْ له الأرض فأرى مشارقها ومغاربها ، وتحدث بما يكون بعده ، لحفظ ذلك مَنْ حفظه في ذلك الوقت ، ونسى ذلك من نسيه ، ولولا هذا ما استجاز الخلفاء الراشدون المهديون أن يزيدوا فيه بحضرة الصحابة ولم ينكر عليهم ذلك منكر ، انتهى .

قلت : و متمسكُ مَنْ ذهب إلى التخصيص الإشارة في قوله « مسجدى هذا » ولعله صلى الله عليه وسلم إنما جاء بها ليدفع توهم دخول سائر المساجد المنسوبة إليه بالمدينة غير هذا المسجد ، لا لإخراج ما سيزاد فيه ، وقد سلم النووى أن المضاعفة في المسجد الحرام تعم ما زيد فيه ، فليكن مسجد المدينة كذلك ، كما أشار إليه

ابن تيمية ، قال : وهو الذى يدل عليه كلامُ الأئمة المتقدمين وعملهم ، وكان الأمر عليه فى عهد عمر وعثمان رضى الله عنهما ، فإن كلا منهما زاد فى قبلة المسجد ، وكان مقامه فى الصلوات الخمس فى الزيادة وكذلك مقام الصف الأول الذى هو أفضل ما يقام فيه ، ويمتنع أن تكون الصلاة فى غير مسجده أفضل منها فى مسجده ، وأن يكون الخلفاء والصفوفُ الأول كانوا يصلون فى غير مسجد [هـ] ، قال : وما بلغنى عن أحد من السلف خلاف هذا ، إلا أن بعض المتأخرين ذكر أن الزيادة ليست من مسجده ، وما علمت له سلفاً فى ذلك .

وسياتى فى زيادة عمر بن الخطاب ما ورد من الأخبار والآثار المقوية لذلك وليست مسألة الحلف على أن لا يدخل هذا المسجد فزيد فيه من هذا القبيل ، لأن الأيمان مَبْنَاهَا على العرف .

#### الفصل الثالث

فى مقامه الذى كان يقوم به صلى الله عليه وسلم فى الصلاة قبل تحويل القبلة ، وبعد ما جاء فى تحويلها .

روينا فى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُصَلِّى نحوَ بيت المقدس ستةَ عشرَ أو سبعةَ عشرَ شهراً ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يُوجَّهَ إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ » <sup>(١)</sup> فتوجَّه نحوَ الكعبة وقال السفهاء من الناس وهم اليهود « مَاؤَلَّاهُمْ عن قبلتهم التى كانوا عليها ؟ قُلِ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » <sup>(٢)</sup> فصلَّى مع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً ، ثم خرج بعد ما صلى ، فر على قوم من الأنصار فى صلاة العصر نحو بيت المقدس فقال : هو يشهد أنه صَلَّى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه توجَّه نحو الكعبة ، فتحرَّفَ القومُ حتى توجهوا نحو الكعبة .

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

(٢) من سورة البقرة من الآية ١٤٢ .

وأُسند يحيى عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وَقَفَ يصلى أنتظر أمرَ الله في القبلة ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنه عنها من فعل أهل الكتاب ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى ، فأشار له جبريل : يا محمد صل إلى البيت ، وصلى جبريل عليه السلام إلى البيت ، قال : فدَار النبي صلى الله عليه وسلم إلى البيت ، قال : فأنزل الله تعالى « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّينَكَ قِبْلَةً نَرْضَاهَا » إلى « وما الله بغافل عما تعملون »<sup>(١)</sup> قال : فقال المنافقون : حَنَّ محمد إلى أرضِهِ وقومِهِ ، وقال المشركون : أراد محمد أن يجعلنا له قِبْلَةً ، وأن يجعلنا له وسيلة ، وعرف أن ديننا أهدى من دينه ، وقالت اليهود للمؤمنين : ما صرَفكم إلى مكة وتركتم قبلة موسى ويعقوب والأنبياء ؟ والله ما أنتم إلا تَغَبُّثُونَ ، وقال المؤمنون : لقد ذهب منا قوم ماتوا ما ندرى أكنَّا نحن وهم على قِبْلَةٍ أم لا ؟ فأنزل الله تعالى في ذلك « سيقول السفهاء من الناس » إلى قوله « إن الله بالناس لرؤوف رحيم »<sup>(٢)</sup> .

وروى ابن زبالة عن عثمان بن عبد الرحمن قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وَقَفَ يصلى انتظرَ أمرَ الله في القبلة ، وكان يفعل أشياء مما لم يؤمر بها ولم يُنه عنها من فعل أهل الكتاب ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الظهر في مسجده قد صلى ركعتين إذ نزل عليه جبريل فأشار إليه أن صل إلى البيت ، وصلى جبريل إلى البيت ، وذكر نحو ما تقدم .

وأُسند يحيى عن رافع بن خديج قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من الظهر في مسجده بالمسامين ، وأمر أن يُوجَّه إلى المسجد الحرام ، فاستدار ، قال رافع : فأتانا آتٍ ونحن نصلى في بني عبد الأشهل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يوجه إلى الكعبة ، قال : فأدارنا إمامنا إلى الكعبة ودُرْنَا معه .

(١) من سورة البقرة ، الآية ١٤٤ .

(٢) من سورة البقرة الآيتين ١٤٢ و ١٤٣ .

وعن ابن عمر قال : بينما نحن في صلاة الصبح بقُبَاءَ جاءهم رجل فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وقد أمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها ، وكانت قبة الناس إلى الشام ، فاستداروا وتوجهوا إلى الكعبة ، وهو في الصحيحين بلفظ : كانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة ، وفي لفظ : كانوا ركوعاً في صلاة الصبح .

وعن عثمان بن محمد بن الأخنس أنه صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه فيه - يعني في مسجد القبلتين - الظهر ، فلما صلى ركعتين أمر أن يوجه إلى الكعبة ، فاستدار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة ، واستقبل الميزاب ..  
وعنه أيضاً نحوه ، وأن الفريضة كانت الظهر ، وأنها يومئذ كانت أربع ركعات .

وعن سعيد بن المسيب قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس سبعة عشر شهراً ، وصُرِفَت القبلة قبل بدرٍ بشهرين ، والثبت عندنا أنها صُرِفَت في الظهر في مسجد القبلتين .

وفي رواية أخرى عنه : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الله بعد أن قدم المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم حولت القبلة قبل بدرٍ بشهرين .  
وعن كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده قال : صُرِفَت القبلة يوم الاثنين النصف من رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

وفي مسلم عن البراء بن عازب : صَلَّيْتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة « وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ <sup>(١)</sup> » . فنزلت بعد ما صلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فانطلق رجل من القوم فمر بناسٍ من الأنصار وهم يصلون ، فحدثهم بالحديث ، فولَّوا وجوههم قبل البيت .

---

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

تاريخ  
تحويل القبلة

وفى رواية له عنه أيضاً : ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، على الشك .  
وعند الزنجشري : صُرِفَت القبلة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد  
بنى سَلَمَةَ — يعنى مسجد القبلتين — وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة  
الظهر ، فتحول فى الصلاة ، واستقبل الميزاب ، وحول الرجال مكان النساء والنساء  
مكان الرجال .

وروى ابن أبى حاتم فى تفسيره من طريق تويلة بنت أسلم قالت : صليتُ  
الظهر والعصر فى مسجد بنى حارثة ، فاستقبلت مسجد إيلياء ، فصلينا سجدة :  
أى ركعتين ، ثم جاءنا مَنْ يخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد استقبل البيت  
الحرام ، فتحول النساء مكان الرجال ، والرجال مكان النساء ، فصلينا السجدة  
الباقيتين إلى البيت الحرام .

قال الحافظ ابن حجر : وهذه القصة المرادة بقوله فى الحديث المتقدم « فمر  
على قوم من الأنصار يصلون فى صلاة العصر نحو بيت المقدس » فهؤلاء القوم هم  
بنو حارثة ، والمار عباد بن بشر ، ووصل الخبر وقت الصبح إلى أهل قُبَاء ، فلا  
منافاة بين الحديثين .

وسياتى فى مسجد القبلتين أن ابن زباله نقل أن القبلة صُرِفَت ونَقَر من  
بنى سَلَمَةَ يصلون الظهر فى مسجد القبلتين ، فأتاهم آتٍ فأخبرهم وقد صلوا ركعتين  
فاستداروا حتى جعوا وجوههم إلى الكعبة ، فبذلك سُمى مسجد القبلتين .  
قال المجد : فعلى هذا كان مسجد قُبَاء أولى بهذه التسمية .

مدة  
الصلاة إلى  
بيت المقدس

وعند أبى القاسم القشيري فى لطائف التفسير : صلى رسولُ الله صلى الله عليه  
وسلم إلى بيت المقدس بعد قدومه المدينة مهاجراً ستة عشر شهراً عن قتادة ، وقيل :  
سبعة عشر شهراً عن ابن عباس ، وقال أنس : كان تسعة أشهر أو عشرة أشهر ،  
وقال معاذ بن جبل : ثلاثة عشر شهراً استماله لقلوب اليهود أن يصلوا إلى قبلتهم  
ربما يرغبون فى دينه ، ثم إنه صلى الله عليه وسلم كره موافقتهم فى أمر القبلة لما

قالوا : لولا أن ديننا حق لما صلى إلى قبلتنا ، ولما استنَّ بسنتنا ، فقال صلى الله عليه وسلم لجبريل : وَدِدْتُ أن ربي صَرََفَنِي عن قبلة اليهود إلى غيرها ، فقال جبريل : إنما أنا مَلَكٌ عبدٌ ، لا أملك شيئاً ، فَسَلْ رَبَّكَ ، فصعد جبريل السماء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحراء نحو أحدٍ يصلى ههنا ركعتين وههنا ركعتين ، ويدعو الله أن يُجيز له في ذلك ، فلم يزل كذلك يديم النظر إلى السماء ، حتى دخل ناحية أحد ، فأنزل الله تعالى في رجب بعد زوال الشمس قبل الظهر « قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ <sup>(١)</sup> » الآية ، وصُرِفَت القبلة ، وذلك قبل بدر بشهرين ، وفي السير لابن حبان : حولت بعد سبعة عشر شهراً وثلاثة أيام ، وحديث البراء المتقدم رواه ابن خزيمة في صحيحه « ستة عشر شهراً » على الجزم كرواية مسلم الأولى ، وقال الشيخ شرف الدين الدمياطي : حَوَّلَت القبلة نصف رجب بعد خمسة عشر شهراً ونصف ، ونقل النووي في سير الروضة عن محمد بن حبيب الهاشمي أن التحويل يوم الثلاثاء النصف من شعبان من السنة الثانية . ونقل المجد عن ابن حبيب أنها حَوَّلَت في النصف من شعبان في الركعة الثالثة ، وقيل : في صلاة العصر . وعند النحاس بعد بضعة عشر شهراً . وعن عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك : صُرِفَت في جُمَادَى ، قال : وهو أولى الأقوال بالصواب . وقال ابن جرير عن مُعَاذٍ : بعد ثلاثة عشر شهراً من مقدِّمة المدينة ، قال : وعن أنس عشرة أو تسعة أشهر ، انتهى ما نقله المجد .

وقت تحويل  
القبلة

وقال ابن سعد : يقال : إنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين من الظهر في مسجده بالمساهين ، ثم أمر أن يتوجه إلى المسجد الحرام ، فاستدار ودار معه المسلمون ، ويقال : زار النبي صلى الله عليه وسلم أمَّ بَشْرَ بن البراء بن معرور في بني سَلَمَةَ وصنعت له طعاماً ، وحانت الظهرُ فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ركعتين ، ثم أمر فاستدار إلى الكعبة واستقبل الميزاب ، فسمى مسجد

(١) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

القبليتين . قال ابن سعد : قال الواقدي : هذا أثبت عندنا .  
وفي الصحيح أن أول صلاة صلاها — أى متوجها إلى الكعبة —  
صلاة العصر .

أول صلاة  
إلى الكعبة

قال الحافظ ابن حجر : التحقيق أن أول صلاة صلاها في بني سَلَمَةَ الظهر ،  
وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر . قال : وأسانيد الروايات المتقدمة — أعنى  
رواية ثلاثة عشر شهرا وتسعة عشر شهرا ونحوها — شاذة . قال : وأما رواية  
الصحيح فطريق الجمع بين رواية سبعة عشر شهرا وستة عشر ، ورواية الشك في  
ذلك : أن مَنْ جَزَمَ ستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرا ، وألغى  
الأيام الزائدة ، وَمَنْ جَزَمَ بسبعة عشر شهرا عدما معا ، ومن شك تردد في ذلك ،  
وذلك أن القدوم كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف ، وكان التحويل في نصف  
شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح ، وبه جزم الجمهور ، ورواه الحاكم بسند  
صحيح عن ابن عباس ، وقول ابن حبان : « سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام » مبنى  
على أن القدوم كان في ثاني عشر ربيع الأول .

وقال الربيع : كان النبي صلى الله عليه وسلم في ابتداء الهجرة مخيرا في التوجه  
إلى بيت المقدس أو الكعبة ، إلا أنه أمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ،  
فكان التوجه إليه فرضا ، وإن كان مخيرا فيه كالخير في كفارة اليمين أى  
واحد اختار فهو فرض عليه ، وقال ابن عباس : بل كان الفرض التوجه إلى  
بيت المقدس ثم نسخ .

وقال ابن العربي وغيره : نُسخَت القبلة مرتين .

وقال ابن رشد في البيان : ولم يختلف في أن صلاته صلى الله عليه وسلم كانت  
بالمدينة إلى بيت المقدس حتى حولت القبلة ، وإنما اختلف في صلاته بمكة قبل  
قدومه المدينة ، فروى أنها كانت إلى الكعبة ، وروى أنها كانت إلى بيت المقدس ،  
وروى أنه كان يصلى إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه — أى بين الركنين

إلى أى جهة  
كانت الصلاة  
بمكة قبل  
الهجرة



اليمانين — وحكى ابن عبد البر الاختلاف في صلاته صلى الله عليه وسلم بمكة : هل كانت إلى الكعبة ، أو بيت المقدس ؟ ثم قال : وأحسن من ذلك قول من قال : كان يصلى بمكة مستقبل القبلتين يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس .

وروى الطبرى وغيره عن ابن عباس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون بيت المقدس أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس ، وفرحت اليهود ، فاستقبلها سبعة عشر شهرا ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة إبراهيم ، فكان يدعو وينظر إلى السماء فنزلت ، وهو ظاهر في أن استقبل بيت المقدس كان بؤخى ، لا باجتهاد من النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه إنما وقع بعد الهجرة ، لكن أخرج أحمد عن ابن عباس : « كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه » فيجمع بأنه لما هاجر أمر بأن يستمر على الصلاة لبيت المقدس .

وروى الطبرى أيضا من طريق ابن جريح قال : صلى النبي صلى الله عليه وسلم أول ما صلى إلى الكعبة ، ثم صُرف إلى بيت المقدس وهو بمكة ، وصلى ثلاث حجج ، وهاجر فصلى إليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ، ثم وجَّهه الله إلى الكعبة .

وقال ابن النجار : وصلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه — أى في مسجده — كيف حررت إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، ثم أمر بالتحول إلى الكعبة ، فأقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فاتاه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا ، فأماط كل جيل بينه وبينها ، فوضع القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء ،

كيف حررت  
قبلة مسجد النبي  
صلى الله عليه  
وسلم

فلما فرغ قال جبريل عليه السلام هكذا ، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، وصارت قبلته إلى الميزاب .

وأُسند يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن الخليل بن عبد الله الأزديّ عن رجل من الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام رَهْطًا على زوايا المسجد ليعدل القبلة ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : يا رسول الله ، ضَعِ القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة ، ثم قال بيده هكذا ، فأماط كلَّ جبل بينه وبين القبلة ، فوضع تريبع المسجد وهو ينظر إلى الكعبة لا يَحُولُ دون نظره شيء ، فلما فرغ قال جبريل عليه السلام بيده هكذا ، فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها ، وصارت قبلته إلى الميزاب .

وعن نافع بن جُبَيْر من طرق مرفوعا : ما وضعتُ قبلة مسجدي هذا حتى رُفِعت إلى الكعبة فوضعتها أوْمها<sup>(١)</sup> .

وعن ابن عَجَلَانَ قال : وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجده وجبريل قائم ينظر إلى الكعبة ، ثم كشف له ما بينه وبينها .

وعن ابن شهاب مرفوعا : ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى فُرِجَ لي ما بيني وبين الكعبة فوضعتها أوْمها<sup>(١)</sup> .

وأُسند العراقي في ذيله من طريق أبي علي بن شاذان بسنده عن إبراهيم بن دينار عن مالك بن أنس عن زيد بن أنس عن زيد بن أسلم قال : قال ابن عمر : وضع جبريل عليه السلام القبلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، تفرد به عن مالك ومحمد بن إبراهيم — قلت : وهو ثقة .

وفي الغُتبية : قال مالك : سمعت أن جبريل عليه السلام هو الذي أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد مسجدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجدا بالمدينة ، انتهى .

---

(١) أوْمها : أقصدها .

وأُسند ابن زبالة عن أبي هريرة قال : كانت قبلة النبي صلى الله عليه وسلم الشام ، وكان مُصَلَّاهُ الذي يصلى فيه بالناس إلى الشام في مسجده أن تضع موضع الأسطوان الخلق اليوم خَلَفَ ظهره ثم تمشى إلى الشام ، حتى إذا كنت يمينى باب آل عثمان كانت قبلته ذلك الموضع .

قال الذهبي : هذه القبلة كانت في شمالى المسجد ، فلما حولت القبلة بَقِيَ حائط القبلة الأولى مكان أهل الصفة ، انتهى . والأسطوانة المخلقة هي التي تدعى أسطوان عائشة رضى الله عنها فيما قاله المطرى ، وسيأتى ما نقله ابن زبالة فيها من أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليها المكتوبة بضعة عشر يوما بعد أن حولت القبلة ، ثم تقدم إلى مُصَلَّاهُ الذي وُجَّاه المحراب في الصف الأوسط ، هذا لفظه بحروفه .

وقوله : « وجاه المحراب » يريد المحراب العثمانى الكائن في جدار القبلة .

وقال المطرى : إن الحائط القبلى — أى الأول — كان مُحَاذِيَا لمصلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لما ورد أن الواقف في مُصَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكون رمانة المنبر الشريف حَذْوَ منكبه الأيمن ، قال : فقام النبي صلى الله عليه وسلم لم يغير باتفاق ، وكذلك المنبر لم يؤخر عن منصبه الأول : أى من جهة القبلة ؛ لما سيأتى أنه زيدَ فيه من جهة الشام ، قال : وإنما جعل هذا الصندوق الذى قبالة مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سترة بين المقام وبين الأسطوانات ، انتهى .

وسيأتى في ذكر الجذع الذى كان يخطب النبي صلى الله عليه وسلم إليه اختلافٌ في محله : هل هو عن يمين المصلى الشريف أو عن يساره لجهة القبر الشريف ؟

وسيأتى ما عبر به ابن النجار في حكاية الرواية الأولى حيث قال : كان في موضع الأسطوانة المخلقة التى عن يمين محراب النبي صلى الله عليه وسلم عند الصندوق

والرواية الثانية هي المرادة بما أسنده يحيى عن ابن أبي الزناد وغيره من علماء المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذيع في المسجد كان موضعه عند الأسطوانة المخلقة التي تلى القبر: أى في جهة القبر التي عن يسار الأسطوانة المخلقة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى عندها التي هي عند الصندوق ، هذا لفظه ، والغرض من إيراده هنا قوله : « التي عن يسار الأسطوانة المخلقة .. إلى آخره » فهذه الأسطوانة المشار إليها — أعني التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى إليها — هي التي عن يمين الواقف في المصلى الشريف من جهة القبلة ، وعلم أن وُضِعَ الصندوق هناك كان من الزمن القديم ، لكنه كان صندوق مصحف كما سيأتى ، ووصفها بالمخلقة لا يشكل عليك بما اشتهر من وصف أسطوانة المهاجرين — وهى أسطوانة عائشة — بالمخلقة ، فالوصف بالمخلقة يطلق على أساطين متعددة كما سنوضحه ، ولهذا اشتمل هذا الكلام على وصف كل من هاتين الأسطوانتين بهذا الوصف .

ونقل المرجاني أن في العتبية ما لفظه : أَحَبُّ مواضع التنفل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَلَّاه حيث العمود المخلق ، انتهى .

وقال ابن القاسم : أَحَبُّ مواضع الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم في النفل العمود المخلق ، وفي القرض في الصف الأول ، قال ابن رشد : في كون العمود المخلق كان قبلة النبي صلى الله عليه وسلم أو أقرب إلى قبلته صلى الله عليه وسلم قول ابن القاسم وسماعه .

قلت : وهو دال على أن العمود المخلق هو الذى عند المصلى الشريف ، ولهذا رَوَى ابنُ وهب عن مالك أنه سئل عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل له : أى المواضع أحب إليك الصلاة فيه ؟ قال : أما النافلة فموضع مصلاه ، وأما المكتوبة فأول الصفوف ، انتهى . فعبّر هنا عن العمود المخلق بمُصَلَّاه . ورأيت في جامع العتبية من البيان لابن رشد ما لفظه : قال مالك : ليس العمود المخلق قبلة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبلة النبي صلى الله عليه وسلم هو حذو قبلة الإمام ،

وإنما قدمت القبلة حَذْوَ قبلة النبي صلى الله عليه وسلم سواء .  
قال ابن رشد عقبه : وقد مر في كتاب الصلاة عن ابن القاسم أن مُصَلَّى  
النبي صلى الله عليه وسلم هو العمود المخلَّق، خلاف قول مالك هنا ، انتهى . وقول  
مالك « وإنما قدمت القبلة » يشير به إلى الحراب الذى فى جدار القبلة بزيادة عثمان  
رضى الله عنه ، وهذا الذى ذكره يكاد أن يكون قَطْعِيًّا ، وليس مراد ابن القاسم  
إلا أن العمود المخلَّق أقرب شئ إلى قبلة النبي صلى الله عليه وسلم فيعرف به ،  
ولهذا نقل ابن النجار عن مالك ما يقتضى أن الأسطوانة المذكورة علم المُصَلَّى  
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه قال : قال مالك بن أنس : أرسل الحجاج  
ابن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف ، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها  
كبير ، وكان فى صندوق عن يمين الأسطوانة التى عملت علماً لمقام النبي صلى الله  
عليه وسلم .

وقال ابن زبالة فيما سأتى عنه : إن الخَيْرَانِ لما أمرت بأن تخلق المسجد  
أشار عليهم إبراهيم بن الفضل فزادوا فى خَلْق أسطوانة التوبة والأسطوانة التى  
هى علم عند مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فخلقوها حتى بلغوا بهما أسفلهما ، وزادوا  
فى الخَلْق فى أعلاهما ، انتهى . وقد توهم جماعة أن المراد من كلام ابن القاسم ،  
وما نقل عن مالك ، الأسطوانة المعروفة اليوم بالخلقة ، وهى التى بأوسط الروضة ،  
وهو مردود ؛ لأن الأسطوانة المذكورة ليست علماً على مصلى الرسول عليه السلام  
اتفاقاً ، ومنشأ الوهم ظنهم اختصاصها بوصف الخلقة ، ومن اعتقد ذلك الحافظ  
ابن حجر فقال فى الكلام على قول يزيد بن عبيد « كنت آتى مع سَلَمَةَ بن  
الأَكوع فيصلى عند الأسطوانة التى عند المصحف » ما لفظه : هذا دال على أنه  
كان المصحف موضع خاص به ، ووقع عند مسلم بلفظ : يصلى وراء الصندوق ،  
وكأنه كان للمصحف صندوق يوضع فيه ، قال : والأسطوانة المذكورة حَقَّقَ لنا  
بعضُ مشايخنا أنها المتوسطة فى الروضة ، وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين ،  
( ٢٤ — وفاة ١ )

وأسرت بها عائشة لابن الزبير، ثم وجدت ذلك في تاريخ المدينة لابن النجار، وذكره قبله محمد بن الحسن في أخبار المدينة، هذا كلام الحافظ ابن حجر، ومراده بمحمد بن الحسن ابن زباله، وليس في كلامه ولا في كلام ابن النجار ما يقتضى أن الأسطوانة التي عند الصندوق هي أسطوانة المهاجرين، إلا من حيث وصف كل منهما بالخلقة، فتوهم اتحادهما، وليس كذلك، والله أعلم.

وسألت أن المسجد الشريف لم يكن له محراب في عهده صلى الله عليه وسلم ولا في عهد الخلفاء بعده، وأن أول من أخذته عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد، وزعم الأتقشهرى في روضته أن مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في موضع الصندوق، وفي موضعه اليوم المحراب المرخم المرتفع عن المصلى الشريف وبنائه، فإنه قال ومن خطه نقلت : إنه قيل : إن منبر النبي صلى الله عليه وسلم لم يتغير تقدماً ولا تأخيراً؛ فالزيادة وقعت في المنبر شمالياً لا غير، وحد المنبر الأصلي اليوم مساوية مع مصلى الإمام، ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمامه في موضع الصندوق اليوم فهو خارج عن حد المنبر، انتهى . واستنتج من ذلك أن يكون ما حاذى الصندوق يَمْنَةً وَيَسْرَةً، قال : وهو مما زاده عمر روضة من رياض الجنة، قال : لأن المصلى الشريف روضة بلا شك، أى فما حاذاه كذلك، وهو عجيب لم أر من سبقه إليه، وما زعمه من أن حد المنبر - يعنى من القبلة - مساوٍ لمصلى الإمام اليوم، يريد به أن نهاية مصلى الإمام اليوم مساوية لنهاية المنبر من جهة القبلة، فإنه صور ذلك بخطه كما ذكرناه، وكأنه توهم أن مصلاه صلى الله عليه وسلم كان في محراب بارزٍ عن سَمْتِ المسجد؛ لأنه جعل ما عن يمينه ويساره من زيادة عمر رضى الله عنه، ولم يقل به أحد، مع أن ما زعمه من الاستواء لا يشهد له عقل ولا نقل؛ لأن المنبر الذى كان في زمنه هو المنبر الذى كان في زمن المطرى، فإنهما متعاصران، وقد سبق عن المطرى في الفصل قبله أن بين المنبر والدرابزين الذى

محراب المسجد النبوى، ومما صنع؟

في القبلة مقدار أربع أذرع وربع ، وأنه اتضح لنا صحة ما قاله ، وذلك هو محل المنبر النبوي كما سنوضحه ، وعرض الصندوق المذكور وما بعده إلى الدرازين المذكور ذراعان ونصف راجح ، والمنبر الذي أدركناه أولاً لم يكن بينه وبين الدرازين القبلي سوى ثلاثة أذرع ونصف راجحة ، ومع ذلك فخذ المنبر متأخر عن حد مصلى الإمام من جهة القبلة بنحو الذراع ، وعلى ما ذكره المطري - وهو الصواب - يكون متأخراً بأزيد من ذلك ، وذلك فيما يظهر هو القدر الوارد فيما كان بين المنبر والجدار القبلي ، وأوضح من ذلك في الرد عليه أن يحیی نقل في كتابه عن محمد بن يحيى صاحب مالک قال : وجدنا ذرعاً ما بين مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان بهمه إلى جدار القبلة اليوم الذي فيه الحراب عشرين ذراعاً وربعاً ، وهذه هي الزيادة التي زیدت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قال المراغي : وقد اعتبرته من وجه ستره مصلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى جدار القبلة فكان كذلك ، وبه يظهر أن المصلى الشريف لم يُغير عن مكانه ، وأن الصندوق إنما جعل في مكان الجدار الأول ، انتهى .

وقد اعتبرت ما ذكره من جدار المسجد القبلي إلى طرف المصلى الشريف المحاذي لطرف صندوق السترة ، فكان ذلك إحدى وعشرين ذراعاً ونصف<sup>(١)</sup> وربع يرجح قيراطاً ، فإذا أسقط من ذلك عرض الجدار - وهو ذراع ونصف راجح - كان الباقي عشرين ذراعاً وربعاً كما ذكره يحيى ، وقد علمت أن الصندوق المذكور له أصل قديم هناك ، فكيف يكون في موضع المصلى الشريف ولا ينبه عليه أحد ؟ بل يذكرون ما يدل على خلافه ، بل كيف يمكنون من ذلك ، ويحرمون المسلمين التيمن بمكانه صلى الله عليه وسلم ؟ هذا مما يكاد العقل يُحيله .

---

(١) الصواب عربية أن يقول «ونصفاً وربعاً يرجح قيراطاً» .

وقال النووي في مناسكه ما لفظه : وفي إحياء علوم الدين أنه - أى المصلى - يجعل عود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهى .

قلت : وكأن المراد من استقبال السارية المذكورة جعلها عن جهة اليمين كما عليه وضع المصلى اليوم . وقد ذكر ابن زبالة هذه الأسطوانة ثم قال : حدثني إبراهيم بن محمد عن غير واحد منهم خارجة بن عبد الله بن كعب بن مالك قال : إذا عدلت عنها - أى عن الأسطوانة المذكورة - قليلاً وجعلت الجزعة التي في المقام بين عينيك والرمانة التي في المنبر إلى شحمة أذنك قُمتَ في مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكأن الرمانة المذكورة كانت في أعلى عمود المنبر النبوي ، ولذا عبر به في الإحياء .

وسياتى أنه لما حفر بعد الحريق الثاني لتأسيس المنبر الرخام وجدوا محل المنبر الأصلي شبه حوض من حجر ، وفي جانبيه من المشرق والمغرب فرستان منقورتان في الحجر بهما شيء من الرصاص بحيث لا يخفى على مَنْ أحاطَ علماً بصفة المنبر النبوي أنهما محل عموده كانا محكمين بالرصاص فيهما ، وقد وقعت في المصلى الشريف مما يلي مؤخره ، وتأملت الفرضة التي مما تلى الروضة فوجدتها في محاذة يميني ، فظهر أنها المرادة .

وأما الجزعة فذكر المطري أن هذه الجزعة كانت في الحراب القبلي المقابل المصلى الشريف ، وأنها أزيلت منه ، قال : وما حققه الغزالي عند ذكر المصلى الشريف بقوله « إذا وقف المصلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم تكون رمانة المنبر حذو منكبه الأيمن ويجعل الجزعة التي في القبلة بين عينيه فيكون واقفاً في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم إنما كان قبل حريق المسجد ، وقبل أن يجعل هذا



اللوح القائم في قبلة مصلى النبي صلى الله عليه وسلم : أى فإنه صار يحجب عن مشاهدة ما في الحراب القبلى ، قال : وإنما جعل بعد حريق المسجد ، قال : وكان يحصل بتلك الجزعة فتنة كبيرة وتشويش على من يكون بالروضة الشريفة من المجاورين وغيرهم .

وذلك أنه كان يجتمع إليها الرجال والنساء ، ويقال : هذه خريزة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت عالية لا تُنَال بالأيدى ، فتقف المرأة لصاحبها حتى ترقى على ظهرها وكتفها حتى تصل إليها ، وربما وقعت المرأة وانكشفت عورتها ، وربما وقعتا معا .

فلما كان سنة إحدى وسبعائة جاور صاحبُ زينُ الدين أحمد بن محمد المعروف بابن حنا المصرى ، فرأى ذلك ، فاستعظمه وأمر بقلع الجزعة ، فقلعت ، قال : وهى الآن في حاصل الحرم ، ثم توجه إلى مكة في أثناء السنة فرأى أيضاً ما يقع من الفتنة عند دخول البيت الحرام ، وتعلق الناس بعضهم ببعض ، وتخل النساء على أعناق الرجال للاستمسك بالعروة الوثقى في زعمهم ، فأمر بقلع ذلك المثل ، وزالت تلك البدعة أيضاً ، والله الحمد .

قلت : والظاهر أن هذه الجزعة هى التى ذكرها ابن جُبَيْر في رحلته في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة لما قدم المدينة ، قال : رأيت على الحراب مسماراً مُثَبَّتاً في جداره فيه شنبهٌ حَقٌّ صغير لا يعرف من أى شيء هو يزعمون أنه كأس كسرى ، وشاهدت على رأس الحراب حجراً مربعاً أصفر قدر شبر في شبر ظاهر البريق والبصيص ، يقال : إنه مرآة كسرى ، والله أعلم بحقيقة ذلك كله ، انتهى .

ثم رأيت في العقد لابن عبد ربه - وهو أقدم من ابن جُبَيْر - أن على ترس يعنى الحراب العثمانى فضة ثابتة غليظة في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة

رضى الله عنها ، ثم فوقه إزار رخام فيه نقوش صفائح ذهب مشمعة فيها جزعة مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ، ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مُخَلَّقٌ بِالْخُلُوقِ فِيهِ الْوَتِدُ الَّذِي كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ فِي الْحَرَابِ الْأَوَّلِ ، انتهى

قلت : وقد سألت عن هذه الجزعة المتولى لأمر حاصل الحرم الشريف وخازن داره - وكان قديم الهجرة - وغيرهما ، فقالوا : إنه ليس عندهم بالحاصل شئ من ذلك ، ولعل ذلك ذهب فيما أخذه الأمير جواز عند كسر حاصل الحرم الشريف ، وقد وسع الحراب القبلى عما كان عليه وزيد في طوله بعد هدم الجدار القبلى بعد الحريق الثانى

وقال ابن زبالة : إن ذَرَعَ ما بين المنبر ومقام النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان يصلى فيه حتى توفى صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ذراعا وشبرا  
قلت : وقد ذَرَعْتُ ما بين المنبر الموجود قبل الحريق الثانى وأعلى الحفرة الذى ينزل منه إلى درجتها من ناحية مؤخر المصلى الشريف ، فكان أربعة عشر ذراعا ، وعرض الدرجة شبر راجح ؛ فصح ذلك ، وأما حده من جهة المشرق فسيأتى أن جعله على هذه الهيئة الموجودة اليوم أمر حادث

وقد قال ابن زبالة : إن ذَرَعَ ما بين مُصَلَّى النبي صلى الله عليه وسلم من مسجده الأول وبين أسطوان التوبة سبع عشرة ذراعا ، وأسطوان التوبة في جهة المشرق ، وقد ذَرَعْتُ ما بينها وبين درجة الحفرة الشرقية فكانت ست عشرة ذراعا ، فعلمنا بذلك أن المصلى الشريف في جانب الحفرة الغربى ، وأن ما إلى المشرق منها ليس منه ، ويشهد له ما سبق من كلام مالك والإحياء لذكرهما السارية التى عندها الصندوق ، بل في خط الأقبشهرى في مصنفه في الزيادة ضبط قول ابن زبالة فيما بين المصلى الشريف وأسطوان التوبة تسع عشرة ذراعا - بتقديم التاء على السين - وقد ذرعت ما بين طرف أسطوان التوبة الشرق وبين طرف الحفرة

### الغربي فكان كذلك

ونقل الأشمري أيضا عن أنى غسان أحد أصحاب مالك أن ما بين الحجرة الشريفة ومقام النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يقوم فيه ثمانية وثلاثون ذراعا ، وأن ما بينه وبين المنبر الشريف مثل ما سبق عن ابن زبالة ، وقد اختبرت ما بين طرف الحفرة الغربي ورُخام جدار الحجرة الشريفة فكان ثمانية وثلاثين ذراعا ، فعلمنا أن المحافظَ عليه في حد المصلى الشريف هو طرف الحفرة الغربي ، ولم تكن هذه الحفرة في الزمن القديم ، ولهذا قال المجد : حكى ابن النجار الإجماع على أن المصلى الشريف لم يغير بتقديم وتأخير ، وإنما غيرت هيئته في هذا العصر الأخير بجعل المصلى شبه حفير أو حوض صغير منخفض عن موقف المأمومين نحو ذراع بسبب ترخيمه وتكاثر الرمل المفروش به الروضة

قلت : وهو الآن شبه حوض مربع ينزل إليه بدرجة طوله ذراعان ونصف وثمان ، وعرضه ذراعان ونصف ونصف ثمن ، السكن زاد وافى طوله في العمارة الحادثة بعد الحريق أرجح من نصف ثمن ذراع ونحوه في العرض

قال البدر ابن فرحون وغيره : وما زال العلماء الأئمة يتحَرَّجون من ذلك ، وفي أيام القاضي السراج - وهو أول قاضٍ ولي لأهل السنة - فمن بعده كانت ترفع تلك الحفيرة بالرمل حتى تزول الكراهة ، إلى أيام الشرف الأسيوطي ، فأراد طمس الحفرة أو رفعها وإزالة الخشب المنقوش أمامها الآتي ذكره ، فقام عليه بعض الناس من الخدام ، واستعانوا عليه بالأشراف ، فكف وانتقل عن الحراب ، وصار يصلى إلى الأسطوانة التي تقابل أسطوانة الوفود - أي من مقدم الروضة - ولزمها إلى أن مات ، وصار من الفقهاء من يرفع الكراهة بما يحصل من القرب إلى مقامه صلى الله عليه وسلم وموضع قدمه ، وهذه نزغة ؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الموقف سواء ، فمن خالف سنته بالهوى فقد غوى

قلت : وهذه الحفرة بعيدة من موقف النبي صلى الله عليه وسلم لعلو الأرض ؛ لما سيأتى عن البدر ابن فرحون أنهم وجدوا عند تجديد المنارة التى بباب السلام باب مروان وتحصيب المسجد الشريف القديم بعد حفر قامة ، ولما اتضح لنا فى العمارة الآن ذكرها ؛ فقد اعتبرت أرض الحجرة الشريفة وأرض المسجد ، فكان بينهما من التفاوت ذراعان ونصف وأزيد ، اسكن مقتضى ما ظهر من الرخام الذى وصفه ابن زبالة حول المنبر ومشاهدتنا لما انكشف منه فيما بين المنبر والأساطين التى خلفه عديم بعض أرض هذه الحفرة من محل الموقف الشريف فى ذلك العصر ؛ لأن نسبة ما بين هذه الحفرة والرخام المذكور أقل من نصف ذراع ، وقد حققت مسألة انخفاض المصلى الشريف فى كتابى الموسوم « بكشف الجلباب والحجاب عن القدوة فى الشباك والرحاب » ولم يتحرر لى ابتداء ترخيم المصلى الشريف وجعله على هذه الهيئة ، وسماه ابن جُبَيْر فى رحلته بالروضة الصغيرة ، وقال : إن الإمام يصلى بالروضة الصغيرة المذكورة إلى جانبها الصندوق ، وقال قبل ذلك فى وصفها : وإزائها لجهة القبلة عمود مطبق يقال : إنه على بقية الجذع الذى حَنَّ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى حافتها فى القبلة منها الصندوق ، انتهى .

ولم يذكر فيها ترخيم ولا انخفاضاً ، مع ذكره لذلك فى المحل الذى عليه المنبر كما سيأتى ، والظاهر أن حدوث انخفاض المصلى الشريف بما حوله تجدد بعد الحريق الأول ، وقد اقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد الحريق الثانى أن يخفض أرض المسجد حتى تكون مساوية للمصلى الشريف ، فقطع من الأرض نحو ذراع ؛ فكانوا يحدون طبقة من التراب ، وتليها طبقة من الرمل ، حتى وصلوا إلى الأرض المساوية للمصلى الشريف ، وظهر لهم الرخام الذى كان عليه المنبر الشريف بعد حفر نحو نصف ذراع ، وحصل بذلك إزالة هذه البدعة ، والله الحمد والمنة .

وكان فى قبلة المصلى الشريف صندوق خشب بديع الصنعة يعلوه محراب قد

أُنتج الصنّاع فيه نتائج مبدعة من صنعة النجارة ، والحرابُ المذكور شبه باب نقطر لموضع لطيف على ظهر الصندوق المذكور مكتوب في داخله أمام مُسْتَقْبِلِهِ بعد البسملة آية الكرسي<sup>(١)</sup> ، وعلى ظاهر الباب المقنطر بعد البسملة « قد نَرَى تَقَلَّبَ وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها<sup>(٢)</sup> » الآية ، وفيه صنعة عجيبة وصبغ باللأز وَرْدٍ وتذهيبٌ عجيب يشغل الخاطر ، ويفرق القلب الحاضر ؛ إذ لا قَلْبَ أجمع وأعلى وأرفع من قلب سيد الأنام . عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد قال في شأن الخميصة من أجل تلك الأعلام « اذهبوا بخميصتي<sup>(٣)</sup> هذه إلى أبي جهنم واثبتوني بأبجانية أبي جهنم ، فإنها ألهتني آثفا عن صلاتي » وسيأتى أنه لما قال عمر بن عبد العزيز بعد زخرفة المسجد لعمر بن عثمان رضى الله عنه : بناؤنا أحسن أم بناؤكم ؟ فقال له : بنيناه بناء المساجد ، وبنيتموه بناء الكنائس

وقال مالك فيما نقله عنه صاحب التبصرة : كره الناسُ ما فعل في قبلة المسجد بالمدينة من التزاويق ؛ لأنه يشغل الناس في صلاتهم ، وأرى أن يُزال كل ما يشغل الناس عن الصلاة ، وإن عَظُمَ ما كان أنفق فيه فالله تعالى يبعث لهذا المصلي الشريف مَنْ يزيل عنه هذه الزخارف ويسويه كما كان في زمن المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وقد أَدْعِمَ<sup>(٤)</sup> هذا الحراب الخشبي من ورائه بدعامة شبه التاج العظيم حتى اتصل بالدرابزين الذى بين الأساطين في قبلة الروضة ، وبرز عنها ، وجعل في أعلاه وعن يمينه وشماله مع امتداد الروضة مغارز لفرخات القناديل المسماة بالبزاقات تسرج في ليالى الزيارات ، وفي داخله كسوة جليلة من الحرير من جنس كسوة الحُجْرَةِ الشريفة ذات طراز منسوج ، وقد احترق ذلك كله في الحريق الثانى الآتى ذكره ، وذلك بعد تمام هذا التأليف ، فاقتضى رأى متولى العمارة الحادثة بعد ذلك إبداله بمحراب مُرَخَّم في دعامة تبني في محل الصندوق المذكور ، فحفروا هناك

(١) هي الآية ٢٥٥ من سورة البقرة (٢) من سورة البقرة من الآية ١٤٤ .

(٣) الخميصة : ثوب مخطط من خز أو صوف ، وقيل : الأسود المخطط خاصة .

(٤) في المطبوعات «وقد أوهم» تطبيع .

لأساسها نحو القامة ، فوجدوا هناك قبراً بدا لحده مسدوداً باللبنِ أخرجوا منه بعض العظام ، ووجدوا الأقدمين لما أسسوا الأسطوانة التي عنده حرقوا أساسها عنه قليلاً ، فتركوه على حاله ، وأسسوا للمحراب المذكور ، ورَّخَّموه بالرخام الملوّن ترخيماً بديعاً فيه صبغ ذهبي وغيره ، وهو أبهى منظراً من الأول ، وجهلوا أرض المحراب المذكور مرتفعة قليلاً على المصلى الشريف ؛ لأنه إنما جعل في محل الصندوق الذي كان أمام المصلى الشريف ، فليتنبه لذلك ، والله أعلم .

تنبيهات — الأول : قال البخارى في صحيحه « باب قدركم ينبغى أن يكون بين المصلى والسترة » ثم روى عن سهل بن سعد قال : كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الجدار ممر الشاة ، ثم روى عن سلمة — يعنى ابن الأكواع — قال : كان جدار المسجد عند المنبر ما كادت الشاة ، تجوزها : أى المسافة ، وهى ما بين المنبر والجدار ، وقوله في الحديث الأول « كان بين مصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم » أى مقامه فى صلاته ، وكذا هو فى رواية أبى داود ، وقوله « وبين الجدار » أى جدار المسجد مما يلي القبلة كما صرح به من طريق ابن غسان فى الاعتصام ، ومنه يعلم ما فى قول النووى فى شرح مسلم : يعنى بالمصلى موضع السجود ، والحديث الثانى رواه الإسماعيلى بلفظ : كان المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين حائط القبلة إلا قدر ما تمر العنز . قال الكرمانى فى بيان مطابقتها للتبويب : إن ذلك من حيث إنه صلى الله عليه وسلم كان يقوم بجانب المنبر : أى ولم يكن لمسجده محراب ، فيكون مسافة ما بينه وبين الجدار نظير ما بين المنبر والجدار ، فكأنه قال : الذى ينبغى أن يكون بين المصلى وسترته قدر ما كان بين منبره صلى الله عليه وسلم وجدار القبلة

قلت : وكأنَّ الكرمانى بنى ذلك على ما عهده فى غالب المساجد من أن مصلى الإمام يكون إلى جانب المنبر ، وقد تقدم بيان ما بينهما من المسافة وحكاية الإجماع على أنه لم يغير ، وأيضاً فلا يلزم من كونه صلى الله عليه وسلم كان يصلى

إلى جانب المنبر أن يكون بينه وبين الجدار نظير ما بين المنبر والجدار كما لا يخفى، وأوضح مما ذكره — كما قال الحافظ ابن حجر — ما ذكره ابن رشد من أن البخارى أشار إلى حديث سعد بن سهل الذى فى باب الصلاة على المنبر فإن فيه أنه صلى الله عليه وسلم « قام على المنبر حين عمل ، وصلى عليه » فافتضى ذلك أن ما بين المنبر والجدار يؤخذ منه موضع قيام المصلى .

قلت : لکن يلزم من ذلك التأخر عند السجود ؛ لأن ذلك المقدار لا يتأتى فيه السجود ، وقد ثبت رجوعه صلى الله عليه وسلم القهقرى<sup>(١)</sup> من أجل السجود لما صلى على المنبر لعدم تأتیه عليه .

وقال ابن بطال : هذا أقل ما يكون بين المصلى وسترته ، يعنى قدر ممر الشاة ، وقيل : أقل ذلك ثلاثة أذرع ؛ لحديث بلال أن النبی صلى الله عليه وسلم « صلى فى الكعبة و بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع » كفى الصحيح ، وجمع الداودى بأن أقله ممر الشاة ، وأكثره ثلاثة أذرع ، وجمع بعضهم بأن الأول فى حال القيام والقعود ، والثانى فى حال الركوع والسجود ، قاله الحافظ ابن حجر .

قلت : ويلزمه التأخر عن موقفه الأول عندهما كما قدمناه ، وهو متعين ؛ إذ لا يتأتى السجود فى أقل من ثلاثة أذرع ، ولهذا كان حریم المصلى الذى يكون بينه وبين سترته ثلاثة أذرع عندنا .

وقال ابن الصلاح : قدروا ممر الشاة بثلاث أذرع<sup>(٢)</sup> .

قال الحافظ ابن حجر : ولا يخفى ما فيه .

قلت : الظاهر أن البخارى إنما أورد حديث سلمة المشتعل على بيان ما بين المنبر والجدار ليستدل به على مقدار ممر الشاة ، فإن ما بينهما كان معلوما عندهم ، وقد تقدم عن العتبية أنه كان بينهما قدر ما يمر الرجل منحرفا ، والذى اقتضى حمل

---

(١) رجع القهقرى : أى إلى خلف .

(٢) هذا نوع آخر من الجمع بين حديث ممر العنز وحديث ثلاث الأذرع وملخصه أن العبارتين مترادفتان ، لكنه ليس بمسلم ، كما أشار إليه ابن حجر ، وأوضحه المؤلف بعده .

ابن الصلاح ممر الشاة على ما ذكره أن ذلك هو القدر الذى يتأتى فيه السجود مع الاستمرار فى الموقف .

وقد قال البغوى : استحب أهل العلم الدنو من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر إمكان السجود ، وكذلك بين الصفوف ، وقد ورد الأمر بالدنو من السترة مع بيان حكمة ذلك ، وهو ما رواه أبو داود وغيره مرفوعا : « إذا صلى أحدكم إلى سترة فليدن منها لا يقطع <sup>(١)</sup> الشيطان عليه صلاته » ، قال الحافظ ابن حجر : وهو حديث حسن ، والله أعلم .

التنبيه الثانى — فى العود الذى كان فى المصلّى الشريف .

روينا فى كتاب يحيى عن مصعب بن ثابت قال : طلبنا علم العود الذى كان فى مقام النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم نقدر على أحد يذكر لنا فيه شيئا ، قال مصعب : حتى أخبرنى محمد بن مسلم بن السائب صاحب المقصورة قال : جلس إلى أنس بن مالك ، فقال : تدرى لم صنع هذا العود ؟ وما أسأله عنه ، فقلت : لا والله ما أدرى لم صنع ، فقال أنس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع عليه يمينه ثم يلتفت إلينا فيقول : استؤوا ، واعدلوا صفوفكم .

وعن أنس بن مالك قال : لما سرق العود الذى كان فى الحراب فلم يجده أبو بكر حتى وجده عمر رضى الله عنهما عند رجل من الأنصار بقبأ قد دفن فى الأرض أكلته الأرضة ، فأخذ له عودا ، فشقّه فأدخله فيه ، ثم شعبه <sup>(٢)</sup> ، فردّه فى الجدار ، وهو العود الذى وضعه عمر بن عبد العزيز رحمه الله فى القبلة ، وهو الذى فى الحراب اليوم باقى فيه .

وعند أبى داود عن محمد بن أسلم صاحب المقصورة قال : صلّيتُ إلى جنب أنس بن مالك يوما فقال : هل تدرى لم صنع هذا العود ؟ فقلت : لا والله ،

(١) يقطعها بالمرور فى المكان المتروك ، أو يحمل من يمر فيها فيكون مروره قاطعا للصلاة .

(٢) شعبه : أصلحه .



قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع يده عليه فيقول : « استووا واعدلوا صفوفكم » .

قلت : سيأتى فى الكلام على الجذع أن الأسطوانة المتقدم ذكرها التى هى علم المصلى الشريف كان بها خشبة ظاهرة محكمة بالرصاص ، يقول الناس : إنها من الجذع الذى حنَّ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأن المطرى قال : إن الأمر ليس كذلك ، وإن العز ابن جماعة أمر بإزالتها ، فأزيلت عام خمس وخمسين وسبعمائة .

قال المجد : ورأى بعض العلماء أن إزالتها كانت وهما منها ، وذلك أن إتقان هذه الخشبة ، وترصيصها بين حجارة الأسطوان وإبرازها لم يكن سدى<sup>(١)</sup> ، وإنما شاهد الحال يشهد بأنه كان من عمل عمر بن عبد العزيز ؛ فالظاهر أنه كان من الجذع .

قلت : بل الظاهر أنها ليست منه ؛ إذ لم ينقل بقاء شيء منه ، بل الظاهر أنها من هذا العود المذكور ؛ لما قدمناه فيه ، ولما سيأتى عن ابن النجار .

وقول الزينى المراغى : « إن احتمال ذلك كان يمكن تسليعه قبل حريق المسجد ، أما بعده فردود ؛ لأنه بقى من حريق المسجد بقايا خشب كثيرة كما سنحققه » .

وقول المؤرخين : « إنه لم يبق ولا خشبة واحدة » مردود ؛ فقد شاهدت عند إزالة هدم الحريق من الحجرة الشريفة ما لا يحصى من أطراف الخشب المحترق ، حتى ميزاب الحجرة الشريفة رأيت من عرعر<sup>(٢)</sup> فيما أظن احترق بعضه وبقى منه قدر الذراع ، وأخذ الناس كثيرا من تلك الأخشاب ، واتخذ متولى العبارة وغيره منها سبحا كثيرة ، وعبارة ابن النجار صريحة فيما ذكرناه من كون العود المذكور كان بالأسطوانة المذكورة ، فإنه ترجم عليه بقوله : « ذكر العود الذى

(١) لم يكن سدى : أى لم يكن بغير سبب ، وفى بعض النسخ « لم يكن أسداً » تحريف ، وفى المطبوعات « لم يكن سداً » خطأ فى الكتابة .

(٢) العرعر - بفتح العينين وسكون الراء بينهما - شجر السرو ، وذكر المجد أنها فارسية .

في الأسطوانة التي عن يمين القبلة » ، ثم روى عن أهل السير خبر مُصْعَب بن ثابت المتقدم .

وشيوخُ أن تلك الخشبة من الجذع قديم ، فقد قال ابن جُبَيْر في رحلته : إن بإزاء الروضة — يعنى المصلى الشريف منها — لجهة القبلة عمودا مطبقا يقال : أنه على بقية الجذع الذى حَنَّ للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقطعة منه وسط العمود ظاهرة يقبلها الناس ويبادرون للتبرك بلمسها ومسح خدودهم فيها ، وعلى حافتها في القبلة منها الصندوق ، انتهى .

واستفيد منه أيضا أن وضع الصندوق هناك كان قبل حريق المسجد في زمنه ، وسبب الشيوع المذكور في تلك الخشبة ما سيأتى من أن الجذع كان قريبا من محل الأسطوانة المذكورة ؛ فالظاهر أن الخشبة المذكورة كانت قريبا منه في الجدار ، فجعلت في تلك الأسطوانة لقربها من الحل الأول ؛ فقد روى يحيى أيضا عن أنس ابن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يَسْتَمْسِكُ بعود كان في القبلة ، ثم يلتفت عن يمينه وعن شماله ، فإذا استوت الصفوف كبر » .

وروى ابن زبالة عن عمرو بن مسلم قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين أَسَنَّ قد جُعِلَ له العود الذى في المقام ، إذا قام في الصلاة توكأ عليه ، قال : ثم ألصق إليه عود معه ، وروى أيضا هو ويحيى من طريقه عن مسلم بن خباب قال : لما قدم عمر رضى الله عنه القبلة فَقَدَ العود الذى كان مغروسا في الجدار ، فطلبوه ، فذكر لهم أنه في مسجد بنى عمرو بن عَوْفٍ أخذوه فجعلوه في مسجدهم ، فأخذه عمر فردّه إلى الحراب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة أمسكه بكفه يعتمد عليه ، ثم يلتفت في شقه الأيمن فيقول : عدّوا صفوفكم ، ثم يلتفت إلى الأيسر فيقول مثل ذلك ، ثم يكبر للصلاة ، وذلك العود من طَرْفَاء الغابة <sup>(١)</sup> .

(١) الطرفاء : اسم لأربعة أنواع من الشجر : أولها الأثل ، وواحدته طرفاء ، وطرفة ، وبها لقب طرفة بن العبد البكرى ، وفي الشعراء أربعة غيره قموا بهذا الاسم .

التنبيه الثالث — أسند يحيى عقب ما تقدم عن ابن عباس قال : كنت أرى  
صفحة خذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى في مسجده يتكأ من .  
وعن عروة : كان الزبير بن العوام وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يتيامنون ويقولون : إن البيت تهامى ، قال يحيى : وسمعت غسيرا واحدا  
من مشايخنا ممن يقتدى به يقول : المنبر على القبلة .

قلت : لعل ما ذكره من التيامن في غير المصلى الشريف ، والذي ذكره  
أصحابنا أنه لا يجتهد في محراب النبي صلى الله عليه وسلم لأنه صواب قطعاً ؛ إذ  
لا يُقرَّ على خطأ ؛ فلا مجال للاجتهاد فيه حتى لا يجتهد في اليمين واليسرة ، بخلاف  
محاريب المسلمين ، سيما وقد تقدم أنه وضعه وجبريل يؤمُّ به البيت ، والمراد بمحاربه  
صلى الله عليه وسلم مكان مصلاه ، فإنه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم محراب ،  
نعم إن ثبت تيامنه صلى الله عليه وسلم في مكان مصلاه فما نقله متجِّه ، ويؤيده  
أن الدكة التي ظهرت في محل المنبر ووجد فيها آثار قوائم المنبر النبوى كما سيأتى  
متيامنة ، ولذا حرَّضت على بقائها على ما وجدت عليه فبقيت على حالها ، إلا أنهم  
وضعوا المنبر عليها غير متيامن فصار محرفاً عنها ، وعبارة النووى في التحقيق :  
وكل موضع صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضبط موقفه تعين ، ولا يجتهد  
فيه بتيامن ولا تياسر ، انتهى .

وقال الشيخ محب الدين الطبرى في شرح التنبيه ، ومن خطه نقلت : إن  
قيل محرابه صلى الله عليه وسلم على عين الكعبة ؛ إذ لا يجوز فيه الخطأ ، فيلزم  
مما قلتم أنه لا يصح صلاة من يدينه وبينه من أحد جانبيه أكثر من سمت  
الكعبة إلا مع الانحراف .

قلنا : من أين لكم أنه على يمين الكعبة ؟ فيجوز أن يكون ذلك ولا خطأ  
بناء على أن الفرض<sup>(١)</sup> الجهة ، نعم إن روى في الصحيح أنه نصب على العين فنقول :

(١) يريد أن فرض الاستقبال في الصلاة هو جهة القبلة ، وهو قول من أقوال  
معتبرة للفقهاء ، والثانى أن الفرض هو عين القبلة ، والثالث الفرق بين من يصلى  
عند الكعبة فيتعين عليه الاتجاه إلى عيناها ، ومن يصلى بعيداً ففرضه جهتها .

مقتضى الدليل ما ذكرتموه على القولين ، أما على العين فظاهر ، وأما على الجهة فإنما ذلك عند عدم المشاهدة ، وهذا الحجاب منزل منزلة الكعبة فشاهدُكمشاهدِها ، إلا أن إجماع الصحابة رضى الله عنهم على بناء مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واسعاً وصلاتهم في أقطاره من غير أن ينقل الانحراف عنهم ذليلٌ على طردِ حكم البعد في كل مكان ، سواء تحقق صَوْبُ عين الكعبة أم لا ، توسعة وتعميماً للحكم ، وتحقيقاً للقول بأن فرض البعيد هو الجهة مطلقاً ، ولا أعلم أحداً تسكلم في هذه المسألة ، والظاهر فيها ما ذكرته ، انتهى .

وفيه نظر ، بل صلاة مَنْ بينه وبين المصلى الشريف أكثر من سمت الكعبة صحيح ، واعتبار العين من غير انحراف لما تقرّر من أن المسامحة تصدق مع البعد، ألا ترى أن الدائرة إذا عظمت اتسعت الخطوط فيُسَامَت الخطُ الخارجُ من جبين المصلى الكعبة ظناً ، وهو المكلف به في البعد ، نعم هذا يقتضى جواز الاجتهاد بالتيامن والتياسر لمن بينه وبين المصلى الشريف أكثر من سمت الكعبة إلا أن ينقل عدمه عن الصحابة في زمنه صلى الله عليه وسلم مع إقراره صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك ، والله أعلم .

قد تم — بمعونة الله تعالى وحسن توفيقه — الجزء الأول من كتاب « وفاء الوفا ، بأخبار دار المصطفى » تأليف العلامة المحقق ، والمؤرخ المدقق ، نور الدين على السمعوريّ ، أحد علماء القرن العاشر الهجرى ، ويليه — إن شاء الله تعالى — الجزء الثانى منه ، وأوله « الفصل الرابع ، فى خبر الجذع الذى كان يخطب إليه النبى صلى الله عليه وسلم — إلخ » نسأل الله الذى بيده تتم الصالحات أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله ؛ إنه لا معين سواه ، ولا يوفق للخير غيره .